عبارة ضد الدولة العلية والدول لاتتوانى اذاً في ارسال أساطيلها عقب انذاراتها المتكررة

فاذا ارادت أوروبا أن تستريح من هذه المتاعب فلتعرف كل دولة مركزها بازاء الاخرى ولتتخذ التاريخ عبرة وتحترم شعور ثلاثمائة مليون من الانفس فلا تتعدى بلاحق على دولة لاذنب لها الا انها اسلامية وعرضة لدسائس انكلترا » . . اه

وأما الحديث الثانى الذى جرى بين المرحوم وبين جريدة الجورنال فقد كان مقتصرا على المسئلة الارمنية وهو لم يخرج عن فحوى حديث الجولوا

﴿ انتهى الجزء الثالث ﴾

وسلطانهم باسم الاستقلال الموهوم فينشأ عن ذلك اراقة الدماء وخطف الارواح

وهذه اليد هي يد انكليزية قامت لتشغل أوروبا عن مسئلة مصر فحركت تلك الجماعة التى ظلمت من حيث طمعت فى ملك كبير وسلطان عظيم

واني لاأشك فى أن العالم كله سيقف على حقيقة السياسة الانكليزية التى لايخرج تاريخها فى كل أطواره عن الدسائس ونصب الاشراك لكل الدول على السواء. وكيف لا وهى السياسة التى تجد الشرف فى كل حيلة تصل بها الى نيل بغيتها ولو احمر وجه البسيطة من دماء البشر لتملك بيتا واحدا

وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكلترا فى كل عمل تريد القيام به ضد الدولة العلية. وهن لا يفطن لمثيرى هذه الحركة وهم معتمدوا انكلترا وقناصلها فى الخارج الذين يثيرون الخواطر بكل الوسائل ثم يحتالون على معتمدي وقناصل الدول الاخرى فيزينون لهم الباطل حقا والحق باطلا وهؤلاء يبعثون بتقاريرهم السريعة التى لو تليت على جماد لذاب من هول الافصاح بابشع

وأما طرق الاصلاح التى نقوم بها متى سلمت الينا الاحوال فهى لاتخرج عن طرق الاصلاح فى أية مملكة راقية فننشر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا ونعزز الصناعة والتجارة بما نشد به أزر الزراعة . وكذلك نضع حدا لفوضى القوانين التى أصبحت خليطا من نظريات عقيمة لاتصلح لاحقر أمة فى الوجود . . الى غير ذلك من الاصلاحات التى تكون رسل خير بين العباد ومن البواعث على خدمة الانسانية »

هذا ماأجابنا به (مصطفى كامل) وقد سألناه رأيه عن المسئلة الارمنية فقال :

« ان العالم كله متفق على ان الافضل لكل قطعة من الارض ان تكون مملكة قوية في ذاتها عوضا عن تجزئتها الى جملة ممالك ضئيلة ضعيفة كذلك الحال فى الدولة العلية فانها دولة قوية بشهادة العدو والصديق ولكن اليد السياسية الدولية التى لايستريح لها بال الا بمشاغبات دولتنا المنصورة تغش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الي مناوأة حكومتهم

وانا ياجناب المحرر اذا كنا نستغيث بأوروبا لتجبر انكلترا على تحقيق وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف كثيرا ان ينقرض مع هذا الاحتلال الجيل الذى تعلم تعليما صحيحاً فى مدارسكم أو على أيدى معلميكم ولا نجد من يقوم مقامهم من الذين يتعلمون اليوم تعليما انكليزيا

وانى أؤكد لك مرة أخرى ان الانكليز فى مصر ليسوا الا هادمين لبنيانكم الادبى مدمرين كل حصن علمى مطفئين كل نور يستعين به المصريون على كشف مساويهم

أما السؤال الثانى وهو الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين اذا رحل الانكليز من ديارنا فهى أكبر من الضمانة التى يقدمها الانكليز اليوم لأنهم ألغوا المراقبة الثنائية ليتمكنوا من التصرف كيفما شاءت أهواءهم ومآربهم بأموال البلاد

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر والجزء الذى يخصها من ميزانية البلاد ويكفى فى ذلك وضع الثقة بأعضاء صندوق الدين الذين يمثلون الدائنين أحسن تمثيل

« انك سألتني أولا عن أمر أدهشني كثيراً لا نك تعرف مثلي إنه يكفي لاستقامة الاعمال في أي بلد ان يكون مديرو دفتها مخلصين لها حاملين لرؤوس استقت من موارد العلم الصحيح وهذا هو الحال في مصر فان ماغرسته فرنسا من بذور العلم في بلادنا سواء بواسطة أساتذتها الذين توظفوا في مدارسنا أو بواسطة مدارسها التي علمت ارسالياتنا السنوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف وفيهم القانوني والمهندس والحكيم والصيدلي فضلا عن الكثيرين من ضباط الاركان الحرب الذين تعلموا تعليما كبيراً عالياً سواء في أوروبا أو في مصر

واني أؤكد لك ان الاحتلال وغلطاته علمتنا كيف نصلح ماأفسده الدهر علينا . ويكفي ان تقرأ تاريخ دي فوجاني وغيره ممن كتبوا على مصر الحديثة لتعرف كيف ان في مصر جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة المخلصة وتحكم معي بان مصر قادرة في كل وقت ان تحكم نفسها .

جرائد باريس تطلب منه المحادثة فى المسئلتين المصرية والارمنية وقد جرى بينه وبين جريدتين منهاهما جريدة الجولوا وجريدة الجورنال حديثان

اما حديث جريدة الجولوا فهاك تعريبه :

« زرنا مصطفى كامل المصرى فى شارع الاونيفرسيتى وقد تحادثنا معه فى المسئلة المصرية موجهين اليه هذه الاسئلة

(١) هل فى قدرة مصر اذا رحل عنها الاحتلال ان تدير شؤونها بنفسها كما يديرها الاجانب الآن

(٢) وما هى الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين محافظة على ديونهم اذا انجلى الانكليز عنها

(٣) وما هى طرق الاصلاح التى يريد المصريون سلوكها اذا سلمت اليهم مقاليد الامور

فأجابنا ثلاثة أجوبة لانرى معها الا الاعتراف بكفاءة المصريين واستعدادهم العلمى وادراكهم مركزهم وتمسكهم بحقوقهم فقد قال مصطفى كامل بصوت باش ولغة صحيحة وسرعة مدهشة

ومحط السعادة المقبلة

فعلى سياسى أوروبا ان يدركوا مراكزهم اليوم امام الدولة العلية ولا يضعوا قلوبهم تحت تأثيرمايسمونه بالعاطفة المسيحية . نعم اننا مسيحيون ولا نحب ان يظلم مسيحى واحد على وجه الارض ولكن من الحكمة ان لا تسمى مسئلة أرمنيا بمسئلة المسيحية كما يسميها ساسة بريطانيا ليبنوا على أنقاضها آمالا لاتجول الا بصدورهم . بل هى مسئلة عثمانية محضة . . » اه

وقد اهتمت الجرائد الانكليزية بهذه الرسالة فبعض الجرائد الحرة استقبلها ببرود اما جرائد المحافظين فقد سبت الكاتب أقبح السباب . حتى جريدة ذي ستندرد أشارت الى الرأى العام الانكليزى بألاّ يعير هذه الكلمات آذانا لان انكلترا لاتخدم فى هذه المسئلة الا الانسانية . الى آخر ماتقولت . . . .

*
* *

بعد ذلك ورد على المرحوم كتب كثيرة من أغلب

قلم اذا رأى الدولة العلية فى نزاع سياسى مع أية دولة أخرى وقد قالت جريدة الا كلير في هذا الصدد ماتعريبه :

« ان ماتنشره الجرائد الانكليزية بسبب حوادث الارمن الملفقة لما يثير عواطف المسيحية والمسيحيين . ولكن يجب على هؤلاء وأولئك الذين يسلمون عواطفهم لارادة الخيال التى لاتصورها الا الاغراض الانكليزية المستترة ان يرأفوا بهذه العواطف حتى لانرى فى أواخر القرن التاسع عشر مشهداً من مشاهد تصادم الجبلين الراسخين فى العالم وهما المسيحية والاسلام . ويكفى لمن يريدالوقوف على شعور المسلمين بازاء هذه السياسة الارمنية ضد تركيا ان يقرأ مقالة ذلك المصرى العظيم الشاب ونعنى به (مصطفى كامل) فلقد كشف فيها اللثام عن أمور كثيرة وأبان بصريح العبارة مقدار تعلق المصريين وهم ملايين من المسلمين الذين يشغلون مركزا عمرانيا كبيرا فى العالم بالدولة العلية التى فيها مركزهم الدينى والسياسى . فالاستانة ليست فى نظر المسلمين عامة الا قبلة يولى كل منهم وجهه شطرها ويعتبرها مبعث النور الدينى

بالثبات عليها صالحهما وصالح السلام العام

فيجب عليهما اذن ألاّ تحـذوا حـذو انكلترا . وان سياسيين ماهرين كمسيو هانوتو ومسيو لوبانوف لايمكنهما أبدا ترك هذه الفرصة تضيع دون أن يقويا احترام بلادهما ونفوذهما في الشرق . وأنه يكفي العمل ضـد رغبة انكلترا لتسكين خواطر المسلمين ونيل ثقتهم

فعلى فرنساوالروسيااجراءالاصلاحات بالسلم والودادمع تركيا والسعى لتحرير مصر التى لايغفر المسلمون أبدا أمر احتلالها وترك انكلترا تلاقى وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام

ألا ان الفرصـة جميلة لايصح اغفالهـا حيث انتهازها واجب ليتحقق السلام العام الا لانكلترا اهـ

*

* *

مانشرت هـذه الرسالة التى كلها حيـاة وحقائق الا وتناقلت ملخصها كافة الجرائد الخطـيرة وعلقت عليها تعليقاً يوافق سياستها . فالجرائد الفرنساوية أثنت عليها ثناء كبيراً وأبانت ان المـدافع عن حقوقه لايطمئن له بال ولا يقف له

هيجان أو اضطراب

ولقد أحدث الانكايز فى جده معركة جرح فيها قناصل انكلترا والروسيا وفرنسا . ولا يجهل أحد في الشرق ان هذه المعركة دبرها الانكايز ليثيروا فى الروسيا وفرنسا عواطف السخط على تركيا وليحملوا هاتين الدولتين علي زيادة التداخل فى المسئلة الارمنية لانه يلزم أن يكون الانسان ساذخا جداً حتى يظن ان التوافق بين معركة جده وتداخل الدول الثلاث فى مسئلة أرمينيا أوجدته يد المصادفة

وان كل دسائس الانكايز ضد الدولة العلية علمها اليوم المسلمون جميعا فى انحاء الارض وأصبح حنقهم علي الدولة الانكليزية شديداً ولكن هلا يجب أن نتساءل تلقاء هذه الحالة أي خطة تختارها الروسيا وفرنسا ؟ أيتبعان خطة انكلترا ويعلنان الحرب على الاسلام؟ كلا ان هذا لمستحيل

ان الشرقيين عموما يوافقونى على ظنى بأن دولتين كروسيا وفرنسا يدل ماضيهما وحاضرهما على عدم تحزبهما ضدنا وعلى ميلهما لنا لا تغير ان سياستهما التقليدية حيث تخدمان

لا يستطيع أحد انكاره وقد أثبتته حوادث عـديدة وليس العداء فى هذه الحوادث يقف عند حد تشجيع الارمن ضد الباب العالى فقط بل أيضا هو حاصـل فى تهييج وتحريش المسلمين أنفسهم

وان للانكليز فى مصر كما لهـم فى غيرها من البـلاد جرائد ينقدونها أجرة على مطاعنها فى السلطان والمسلمين بأشد لهجة وهى مع ذلك تسمى دائمـا المسلمين « بالمتعصـبين » . وأى عمل يأتيه المسلمون ولو كان دعوة للواجبات والآداب يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب

ولقد أرادوا أخـيراً ان يلغوا بتهمة التعصب جريدة المؤيد ـ التى هى الجريدة الاهلية الصادرة بالقاهرة ـ ويطردوا مديرها « الشيخ على يوسف » ذلك الرجـل المحبوب من المصريين كافة ومن الاوروبيين غير الانكليز

فأى ذنب اقترفه المؤيد حتي يصح الغاؤه ؟ اقترف ذنب ارشاد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها ـ بمـا له من التأثير والنفوذ العظيمين بين الاهالـين ـ من احـداث

عن الارمن بغيرة نادرة المثال . وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وان ليس لديه تحزب يدفعه ضد الاتراك ولكي يغشى على الابصار يقول انه لو تعدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم

ليت شعرى لماذا لم نر هذا الرجل الحر والخطيب صاحب الشعائر والاحساسات يحقق أقواله الجميلة ؟ فهاهم البلغاريون يذبحون المسلمين على الحدود التركية ويأتون بفظائع أثبتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادستون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الارمن ؟

واني أتساءل ماذا يفتكر الآن المستر غلادستون وأحباؤه فى أمر المذابح التى اقترفتها أيدى الأرمن فى عاصمة السلطنة العثمانية نفسها . أفي استطاعتهم أن يدعوا بأن المصادفة (لاشيء غير المصادفة) هى التى أهدت الارمن راية وأسلحة انكليزية ؟

ألا ان تحزب الانكليز وتعصبهم ضد المسلمين أمر

في القريم

ولنذكر القراء أيضا بان أعظم فشل ناله « عرابى » هو من اعلان جلالة السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان صدور ذلك الاعلان فى خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ أى قبل حدوث واقعة التل الكبير بثمانية أيام

وفى هذا الاعلان الذى صدر بعصيان عرابى سمى جلالة السلطان انكلترا « بالصديقة الدائمة للحكومة العثمانية » فكان ذلك من اكبر أسباب تثبيط همم كل الجنود الثائرة

وهاقد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها فأصبحت بريطانيا لاتملق الدولة العلية ولا تدعى انها صديقة السلطان . تلك الدعوى العتيقة . بل أخذت تجاهر بالعداء ضده ورجال سياستها يحرضون الارمن ويشجعونهم على العصيان علنا ويحرشون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون بالتعصب ! !

والمستر غلادستون الذى لا يعنيه الآن أن يدافع عن حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة فى هذا الشأن نراه يدافع

وليس بالغريب اذا كان مسلمو الارض جميعا متهيجين ضد انكلترا ساخطين عليها . فاننا لسنا متعصبين ولا كارهين لاوروبا . اننا نقدر فوائد المدنية حق قدرها ونريد أن نستفيد منها . ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا أن انكلترا تدعونا للهيجان كل يوم والى الخروج من دائرة هدونا وسكينتنا الى الحدة حتى احتجنا الى كنوز من الصبر والجلد كيلا نظهر بمظهر العدوان .

ألا ان سياسة انكلترا لخطرة عليها ومن الصعب تصور أنها لا ترى ذلك الخطر . فهل جهل رجال السياسة الانكليزية مالأمير المؤمنين من النفوذ المعنوى فى العالم الاسلامى ؟

هل جهلوا ان فى استطاعة السلطان عبد الحميد أن يقيم كل المسلمين على بريطانيا فى مستعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم للقراء برهانا آخر على سلطة الخليفة العظيمة غير ماحصل فى حوادث ثورة «سيباى» الشهيرة التى لم تخمد نارها الا بأمر أصدره المرحوم السلطان عبد المجيد لمسلمى الهند يأمرهم فيه بكف كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته

يتيقظ ويدرك

وترى حركة خواطر المسلمين فى الهند نفسها وهى البقعة الانكليزية ليست بأقل منها فى غيرها

وقد اتفق لى أن قابلت منذ شهرين انكليزيا « متبصرا معتدلا » عالما بكل ماجريات الامور فى الهند ترجم لى مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضى فى جريدة مدراس الاهلية (شمس الاخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة الخواطر الاسلامية المتهيجة ضد انكلترا فى الهند كلها

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس انكلترا فى أرمينيا مامعناه : « ان الانكليز يحرضون الارمن فى هذه الايام ضد تركيا ويوجدون لخليفة المسلمين كل أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفتكرين في نتائج أعمالهم فماذا يبتغون ؟ .أحربا دينية ؟ . ليعلنوها لنا حتى تسيل دماؤهم ودماؤنا لاننا نفضل رؤية الموت الاحمر دون رؤية تقويض أركان الخلافة » . فليحكم القراء على تهييج الرأى العام من هذه اللهجة الشديدة

انكلترا والاسلام

لا يوجد أمر سياسي أو اجتماعي ولا أي حادث يستحق استلفات أنظار أوروبا اكثر من حركة الافكار الاسلامية في الساعة الحاضرة فالمؤمنون كافة متحدو الفكر لا يتحدثون في المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام . وجرائدنا الافريقية والاسيوية موافقة للرأى العام لا تمل من اظهار دلائل عداء بريطانيا العظمى للدوله العلية والخلافة : وكل هذه الامة العظيمة الاسلامية التي لا يقل عدد مجموعها في كافة الاقطار عن ثلاثمائة مليون من الانفس أصبحت معتقدة كمال الاعتقاد أن انكلترا هي الخصم الوحيد الابدى خصم الامس وخصم اليوم وخصم الغد

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كشفا تاماً قبل حوادث أرمينيا . ولكن منذ عاملت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامي

٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥

وقد أخبرت المرحوم بكل ما جرى بخصوص الاستعفاء

*
* *

استمر المرحوم فى حملته بشدة فكثرت رسائله ومحادثاته فى كل بلد ومن المجلات الشهيرة التى استقبلت عمله بصدر رحب المجلة الحديثة (نوفل ريفو) التى هى من أشهر المجلات وهي مجلة مدام جوليت آدم . وقد قدم لها أول مقالة لتنشرها فأعجبت بها وعرضت عليه ان تنقده على مقالاته أجرا كما هى العادة فى أوروبا فأبى وشكرها على عطفها وأظهر لها أنها تدين الامة المصرية بأسرها بخدمتها لمصر ونشرها آلامها واشترا كها فى كلمة دفاع عن أمة جديرة بكل حنو وانعطاف

*
* *

وهـذه ترجمة المقالة التى كتبها المرحوم بمجلة (النوفل ريفو) المذكورة ـ وقت اشتداد الحوادث الارمنية ـ ونشرت بعددها الصادر بتاريخ ١٥ اكتوبر (عام ١٨٩٥) :

« جناب قومندان برنجى أورطه بياده هيجت بك

أتشرف بتقديم هذا لجنابكم مستقيلا من خدمة الجيش الذى كنت ولا أزال أعمل فيـه بكل حواسى حبا فى حسن القيام بواجب الخدمة . لان الظروف العائلية الخاصة هى التى دفعتنى الى ذلك ولعزتـكم كل احترام من الملازم الاول

على فهمى »

سواكن فى يوم السبت ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٥

*
* *

ماقدمت لجنابه هذا الطلب وترجمه له المترجم حتى غضب ودعانى اليه وسألنى ان أسترد هذا الاستعفاء لان الوقت وقت ضرب نار والاورطة فى حاجة الىّ (لانى كنت ملاحظ ضرب نار المحطه) واستعان علىّ بكبار ضباط الاورطة الوطنيين فقبلت استرداده (وكأن الله أراد أن يعاقبنى على هـذا الاسترداد ليعلمنى ويعلم كل مصرى التمسك بالارادة والتوكل عند العزم وعدم التردد فى الامر) وبقيت أعمل فى الاورطه حتي صـدر الىّ الامر بغتة بالسفر الى مصر وقد وصلتها فى

الالم ورغبتك فى ترك الجيش ان أعمالي مستمرة وان الانكليز الذين يتباهون على كل الامم بالحرية العالية والعدالة النادرة وعدم التظاهر بالتألم من أعمال الخصم أصبحوا كالاطفال امام أعمالنا فلم يتمالكوا أنفسهم من ابداء ألمهم فى كل مكان . ولو اطلعت على جرائدهم لعرفت مبلغ تغيظهم وحنقهم على المصريين عموما وعلي خصوصا

ولما كنت ياأخى فى مركز حرج بل خطر على مستقبلك وقد سئمت نفسك الخدمة فأنا أول من يشير عليك بتركها حالا . . . . مصطفي كامل »

باريس فى ١٢ سبتمبر سنة ٩٥

*
* *

مافضضت الكتاب حتى فرحت كثيرا وودت تقديم طلب الاستعفاء حالا لولا انه كان قبيل مساء يوم الخميس فانتظرت حتى يوم السبت ١٥ اكتوبر سنة ٩٥ وقدمت استقالتى بيدى لجناب القائمقام هيجت بك قومندان الاورطة الاولى وقتئذ وهذه صورة الاستقالة بالحرف الواحد :

نسيانه اسمى الذى كان يذكره قبل عريضـة مجلس النواب (أى قبل سفره الى مصر) عشر مرات فى اليوم الواحـد على الاقل

وقد كرر ياأخى هذا الرجل مناداتى باسمك مماألزمنى الى شكواه لقومندان الاورطة الذى طيب خاطرى

وقد أدرك ضابط عظيم — مصرى من اخواننا وهو حضرة . . . . ان السبب فى الضغط علىّ وتسميتى « مصطفى » لم يكن الا تألمـا من عملك ضد الاحتلال فى أوروبا . ولذلك أرجو منك ان تحسن علىّ بكلمة فيما عرضته عليك من زمن وفضلت الانتظار قليلا لاجل رأيك ألا وهو الاسـتقالة من هذه الخدمة الثقيلة لان البعد عن مخالطـة هؤلاء الاكباد الغلاظ غنيمة . . . . »

سواكن فى ٢٤ اغسطس سنة ٩٥

وقد استلمت في ٣ اكتوبر خطابا منـه ففتحته بلهف وقد جاء فيه رداً على سؤالى مانصه :

حوى كتابك سرا كبيرا فقد علمت ممـا أظهرته من

السياسية وبعد ان علم الضباط الانكليز انى شقيق خصمهم الالد ولهذه المناسبة أثبت هنا نص ما كنت أرسلته اليه شاكيا حتى نبنى عليه ما يأتى من المناسبات . وهو بعد التحية والتسليم :

« وقفت على كل شىء تفضلت بارساله الىّ ولكن هل وقفت أنت على ماأنا فيه من العذاب الاليم ! انك طبعا لاتعرف حالى فاليك شرحه

شعرت بتغيير فى المعاملة من رؤسائى على أثر وصول البكباشى جدج من مصر حيث كنا يوما فى مناورة تولى هو فيها قيادة أورطة وتولى القائمقام هيجت بك قيادة اللواء وقد كنت أعمل فيها كاركان الحرب لسعادة اللواء

وبعد ان انتهينا من المناورة جاء الي البكباشى المذكور (وهو الذى عاشرني ثلاث سنوات ويعرف اسمى كما يعرف اسمه) وقال لى بصوت منكر « لم لاتنضم الى الاورطة يامصطفى افندى » . فقلت له انى ياور اللواء ويجب ان أرافقه الى البيت وراجعته فى صحة اسمى واندهشت فى نفسى من

أستاذ الاساتذة فى غرسه وطريقة تلقينه .

ان الاحتلال الانكليزى يريد بعمله هذا ان يحارب العلم باسم ترقية الامم ويرجع بتلك الامة القديمة ذات التاريخ المجيد الى القرون الوسطى .

ان اسماعيل باشا الخديوى الاسبق لمصر قال - وله الحق ان يقول - ان مصر قطعة من أوروبا وقد اعتمد فى قوله هذا على العلم الذى نقله اليها بواسطتنا حيث تجد كبار الوطنيين الذين هم الآن من كبار الرؤوس المصرية وأصحاب المراكز العالية أبناءنا فى العلم .

فهل لاتخجل حكومة جلالة الملكة من ان يمثلها وكلاؤها فى مصر هذا التمثيل المخجل !! » اه

*
* *

مضت الايام ولم يرد الىّ من المرحوم حتى اليوم الثانى من شهر اكتوبر خطاب حتى أصبحت مشغولا وقد كنت منتظرا منه الرد على كتاب أرسلته اليه وأبنت له فيه الاضطهاد الذى ألاقيه كل يوم وخصوصا بعد قيامه بهذه الاعمال

وها قد أشيع أخيرا انهم سيرفتونه مرة ثالثـة تنفيذاً لفكرة عقابه على كونه ذهب لرؤية مسيو فيلكس فور ! »

هذا هو الجواب الذى أجاب به الوطنى المصرى على ذلك السؤال . ولقد كان من الضرورى كشف النقاب عن مثل هذه الاشياء واظهارها علنا لان فرنسا في حاجـة الى معرفة أصدقائها من غيرهم اهـ

*
* *

ما نشر هذا الحديث حتى تناقلته أغلب الجرائد الفرنسية الخطيرة وحملت على أعمال الانكليز فى مصر حملة أحدثت دوياً هائلا في كل انحاء أوروبا وقد عضدت الصحافة الفرنسية صحف كثيرة أوروبية وفى مقدمها الصحافة الروسية . وقد قالت جريدة الطان فى هذا الصدد وهى لسان حال الخارجية الفرنسية ما تعريبه « ان الحكومة المصرية أو بعبارة أخرى الاحتـلال الانكليزى بالغائها الارسالية المصرية برهنت من جديد على سوء طويتها نحو المصريين أولا ونحو بـلادنا ثانيا لانها حرمتهم من جنى ثمرات العلم العصرى من بلد كفرنسا يعد

مستقبلهما اذا توجها الى فرنسا مستندا فى قوله على أن الانكليز يعتبرون كل من تعلم فى فرنسا عدوا ألد للاحتلال.

وان الامثلة على تصدى الانكليز في مصر للنفوذ الفرنساوى ولمحبي فرنسا لاكثر من أن تحصر الآن. ويكفيني أن أضرب لك على ذلك مثلا واحداً. وهو انه لما صعد مسيو فيلكس فور الى منصب رئاسة الجمهورية بعثت له طلبة الارسالية المصرية فى باريس رسالة تهنئة نظرا لما هو مشهور عنه من انه من أحباء مصر العظام فتكرم مسيو فيلكس فور عندئذ بدعوتهم الى زيارته فى الاليزيه فذهبوا واستقبلوا استقبالا وديا لا ينسونه أبدا حيث صرح لهم جنابه ان لهم فى الاليزيه محبا يمكنهم الاعتماد عليه. فأجاب الانكليز على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس معللين ذلك بانه كان الامام للمصريين فى زورتهم لمسيو فيلكس فور. ولولا أن مسيو كوكوردان وزير فرنسا فى مصر تداخل فى الامر لما ألغى أمر رفته الذى صدر مرتين

المعارف كآلة لهم أرمنيا شهيرا فى مصر بجهالته وكفرانه بالنعمة فبعد ان جعل هـذا الارمنى نصف العشرة تلامـذة الذين صارت اليهم كمية الارسالية المصرية من الارمن مواطنيـه المنخرطين فى سلك الجمعيات الثوروية الأرمنيـة الغى اليوم مرة واحدة الارسالية المصرية حتى لاتعود فرنسا الـكريمة تهب مصر شبانا جريمتهم الوحيـدة فى أعين الانكليز انهم مهذبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون فى الوطنية

ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالية بل نبكيها ونؤمل من صميم قلوبنا فى هـذه الساعة المحزنة أن يتحقق تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالية الى الحياة بعدموتها

ولا تحسبن الغاء الارسالية آخر مايأتيـه الانكليز من سياسة العداء لفرنسا المتبعة من سـنة ١٨٨٢ . بل اعتقد أن العراقيـل والصعوبات تقام دائما فى وجـه من يتعلمون فى بلادكم . فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم فى مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما فقال لهما وكيل المعارف (أرتين) بصفة صريحة انهما يفقدان

فى سبيل تقـدم لغتهم وانتشارها تراهم في مصر على العكس من ذلك عاملين آناء الليـل وأطراف النهار لاحـلال اللغة الانـكليزية محل اللغة الفرنساوية واليك البرهان :

قال اللورد روزبرى فى يوم من العام المـاضى على مجمع عام ان الانـكليز فى مصر لايحببون أحـدا في تعلم اللغـة الانـكليزية بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من أنفسهم الى تعلمها . ولـكن اتفق انه فى اليوم التالى ليوم مقاله هـذا توفى ناظر المدرسة التجهيزية فى درب الجماميز وكان مصريا فلما علم اللورد روزبرى بذلك أمر الوكالة البريطانية فى مصر ان تطلب من الحكومة المصرية تعيين انـكليزى مكانه فعارضت الحـكومة ولـكنها لم تفلح فى معارضتها وتم بعـد ذلك تعيين الانـكليزى ناظرا لتلك المدرسـة . وهو مايدلـكم على ان جـيرانكم الانـكليز لايتركون فرصة تمر دون استعمالها فى تقويض أركان نفوذكم الذي يعود علينا بالفائدة والذى غايته شريفة

ولقد قلت لك فى أول كلامى ان الانـكليز استعملوا فى

الامم المتمدنة . ولكن لا أرانى مخطئاً اذا قلت ان أسماء « على مبارك باشا » و « على ابراهيم باشا » و « محمود باشا الفلكى » و « رفاعه بك » معروفة عندكم بأنها اسماء كبار علماء فى مصر وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارسالية الزاهرة التى هدم أركانها اليوم المحتلون

ولقد وجد الانكليز امامهم عند مادخلوا مصر أمة متنورة منتشرة بين جميع طبقاتها مبادىء المدنية الغربية فلم يكن لهم بد من ابادة النفوذ الفرنساوى توصلا الى استعبادها ذلك النفوذ الذى أنال مصر شبيبة متنورة عارفة بما لها وما عليها لاتقبل أبداً ترك الغير يسلبها بلادها

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على نظارة المعارف العمومية وعينوا أساتذة من الانكليز فى أكثر المدارس الاميرية . بل وأعظم من ذلك انهم وضعوا على وكالة المعارف أرمنيا اسمه (ارتين) استعملوه آلة لهم والفضل له فى نشر اللغة الانكليزية فى كل الارجاء

ومع ان الانكليز يدعون في أوروبا انهم لا يعملون عملا ما

اسمه فى باريس . لان آراءه في مثل هذه المسئلة لا ترد ولا تحج

فلما ذهبنا اليه وسألناه رأيه أجاب كما يأتى :

« أرانى سعيداً جداً لان أجيبكم على سؤالكم فى هذه المسئلة التى تهم بلدينا كثيرا . فان الارسالية المصرية فى فرنسا هى احدى النظامات الكثيرة الفوائد الجليلة العوائد على مدنية وادى النيل وسعادته . فقد أسسها « محمد على » رأس العائلة الخديوية وصديق فرنسا العظيم بقصد تعليم الشبيبة المصرية وتهذيبها وذريعة الى ادخال أصول المدنية الغربية فى مصر . وكانت عبارة عن بعثة عدد عظيم من الشبان المصريين من وقت وآخر الى فرنسا

وقد تخرج من هذه البعثات أكثر من الف عامل نشروا فى مصر أنوار العلوم والمعارف والفنون والصنائع فكانوا بذلك عمالا حقيقيين للمدنية . وليس بالمستطاع ان اتى لكم بأسماء كل المشهورين الذين نبغوا من هذه الارسالية وأوصلوا بلادنا الى حد من المدنية صارت معه تعد فى مصاف

الغاء الارسالية المصرية

وقد كثرت الاعمال على المترجم كثرة كانت تستغرق كل وقته . لأن الصحف اكثرت من محادثته وكانت تستعين به فى بعض ماتريد التأكد من صحته من الأحاديث عن الاسلام عموما والشرق ولاسيما مصر على الاخص . حتى ان جريدة (الاكلير) الفرنسية الشهيرة التى يطبع منها ٣٠٠ ألف نسخة أوفدت اليه أحد كبار محرريها لمحادثته على أثر ماطيره البرق من الغاء الارسالية المصرية فى فرنسا وقد نشرت هذا الحديث فى عددها الصادر بتاريخ يوم الاثنين ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

« ورد علينا فى الاسبوع الماضى تلغراف من الاسكندرية يفيد ان نظارة المعارف فى مصر قررت الغاء الارسالية المصرية في فرنسا . ولما كان لهذا القرار مساس عظيم بنفوذنا في مصر فقد رأينا من المفيد أن نقصد من أجله (مصطفى كامل) . وهو الكاتب والخطيب المصرى الذى اشتهر

النهضة الاهلية بل وتاج الحياة القومية

*
* *

وقد خطر على بال المترجم خاطر ساعدنا كثيرا على جمع هذا التاريخ من أوثق المصادر . وهذا الخاطر هو المحافظة على كل ما يكتب فى جرائد العالم على المسألة المصرية وكل موضوع يذكر فيه اسمه فاشترك فى شركتين من الشركات التى ترسل الى المشترك كل مايكتب فى العالم على مايطلب من المواضيع . وعلى ذلك كانت ترد عليه كل قطع الجرائد التى تتكلم عنه أوتذكر اسمه فى غرض كتقديم عريضة الاستغاثة لمجلس النواب الفرنسى مكتوبة باكثر اللغات ومترجمة الى الفرنسية . ولاجرم أن ذلك كان منشطا للفقيد لأنه كلما رأى شهادة تاريخية ناطقة بفضل جده ووطنيته طلب المزيد بالعمل الصالح

ولا ماوردفي غيرها من الجرائد عن هذا الاحتفال الباهر فلعل نار قلوبهم تبرد متى قرءوا هـذا الخطاب الرسمى الذى ورد الى المترجم من سعادة سفير الدولة العلية فى باريس وهو بنصه :

« باريس في ١١ سبتمبر سنة ١٨٩٥ »

« سيدى

« يسرنى أن أخبركم بأن جلالة مولاى السلطان الاعظم »
« قد أمرنى أن أعرب لكم عن كمال رضى جلالته العالى عن »
« الشهادة الناطقة بأمانتكم واخلاصكم للعرش الشاهاني أنتم »
« وجميع اخوانكم المصريين النازلين فى فرنسا بما أبديتموه »
« فى يوم عيد الجلوس المأنوس . وأنا بتقديم تهنئتى لكم على »
« جليل تعطفات مولاى السلطان المحبوب أغتنم هـذه »
« الفرصة لاكرر عبارات احترامى واعتبارى لكم والسلام »

الامضاء (ضياء)

وقد استقبلت جرائد أوروبا وفى مقدمتها جرائد فرنسا والمانيا نبأ هذا الاحتفال استقبال الشاكر المتوسم خيرا وهى معجبة بهذا الاتحاد المتين وهذه الرابطة التى هى رأس مال

قبل هؤلاء المتهوسين بأنها مسوقة الى الولاء بغير السائق الطبيعى وانها أغريت على هذا الولاء بكونها صنيعة للامراء والملوك

ولم تكن سعايات الخائنين لتقف عند هذا الحد فانهم كذبوا نفسهم بنفسهم ولم يكتفوا بأن كل عقل خالص من الاهواء يعتقد كذبهم فيما يفترون . فقد رجعوا فقالوا وأعادوا ان جلالة السلطان لم يحفل بهذا الاحتفال الذى أقامه المترجم ودعا اليه فريقا كبيراً من المصريين الطائشين ـ فيما يزعمون ـ فلم يمض على بهتانهم يوم أو بعض يوم حتى نشرت شركة هافاس فى أنحاء العالم ماملخصه أن سفير الدولة العلية في باريس قد أبلغ المترجم عطف جلالة مولانا أمير المؤمنين وامتنانه وكمال رضائه . فلم يخزهم ذلك بل قالو « ان هذا الا افك مبين » وما الافك المبين الا مايكذبون ويفترون

فاذا لم يخز هؤلاء الكذابين ماروته هافاس ولم تخزهم اكثر من خمسمائة يد كانت تصافح يد المترجم مهنئة له باخلاصه لاميره ولدولته ولم يخزهم ما كتبته الجرائد الفرنسية اذ ذاك

ودلوا من جهة أخري على أن بعض النفوس سهل استغواؤها هين استرضاؤها ولكن شتان بين من يبيع ذمته للاحتلال بأبخس الاثمان ومن لا يرجو على ولائه واخلاصه لاميره ولدولته جزاء ولا شكورا

هم حسبوا أن كل رجل يمكن أن يكون صنيعة وأن كل قلب يمكن أن يشترى وكل لسان سهل أن يمتلك . ولكن ما كل رجل مثلهم ولا كل قلب كقلبهم ولا كل لسان كلسانهم واذا كانوا يرون أن مثل هذه المظاهرة تقام باغراء من صاحب الشأن لا بدافع من الاخلاص المستقر في الجنان فبئس ما وهموا وهم كاذبون . ما كان لرجل كالفقيد العظيم أن يستميله غير ما يعتقد أنه الحق والصواب وما كان الهوى ليجد الى قلبه سبيلا

فماذا عسى يريدون باختلاق مثل هذه الفرية ؟ مصرى وطنى من صميم مصر ولبها قام بواجب يفرضه الاخلاص على كل مسلم قادر يقال انه صنيعة لجلالة صاحب الاحتفال ؟؟ رحماك اللهم بقلوب أكلها الحسد ونفوس قتلت من الخسة والدناءة ورضوانك على نفس طاهرة شريفة كانت تهم من

الا أن الذى يطعن عليه بأنه صنيعة أمير عظيم الشأن تارة وبأنه صنيعة الخليفة الاعظم تارة أخرى وهو لم يجاوز العشرين من سنى حياته الطيبة لجدير أن يكون كبيرا

وكيف لايكون كذلك من يقولون ان سمو الخديو المعظم قد انتدبه عن الامة المصريه ليترافع أمام العالم فى هذه القضية الكبيرة وان جلالة أمير المؤمنين الذى يذعن لامره كل مسلم فى الشرق والغرب والذى اذا ذكر طؤطئت الرؤوس لذكره مهابة واجلالا قد اختاره عونا وظهيرا في هذه المسألة السياسية الكبيرة ؟؟

لقد أراد الخائنون أن يصغروا من قيمة هذا الولاء ويتهموا صاحبه بهذه التهمة نخاب فألهم وأخفق سعيهم. لانهم حاولوا أن يقولوا ان ذلك الولاء صناعى لاطبيعى أى أن القائم باظهاره مأجور عليه أو هو مسوق اليه ولا يفلح كيد الخائنين . فانهم بهذه الدعوى قد دلوا على ماللمترجم من المقام الكبير وأن له من رفعة المنزلة وعظم الشأن مايصح معه أن يتهم بأنه منتدب من قبل جلالة أمير المؤمنين لغرض سياسى

والاخلاص والدعاء

وقد نشرت شركات البرق نبأ هذا الاحتفال وطيرته الى أنحاء العالم فأخذت جرائد السوء ـ وقد تقدم وصفها وهي معروفة بسيماها ـ تصيح بالويل والثبور وتنذر كما يقال بعظائم الامور . وقد تفننت هذه المرة أيضاً فى المراوغة والافتراء فقالت ان « مصطفى كامل » صنيعة جلالة السلطان بعد أن قالت انه صنيعة سمو الخديو وأصبح رحمه الله منذ ذلك التاريخ معتبرا فى نظر الاوروبيين بحق أنه نائب الامة المصرية ورئيس الحزب الوطنى المصرى وفى نظر تلك الطغمة صنيعة الامراء والملوك وكان هو أمام هذه الاوصاف العالية كبيرا

وكيف لا يكون كبيرا من يقال ان جلالة السلطان الاعظم وثق به من بين أبطال العثمانيين واختاره من بين مئين من الملايين المسلمين؟ وكيف لا يكون كبيرا من يقال ان أميرا جليلا من أمراء الشرق انتدبه ليدافع عن القضية المصرية أمام محكمة الوجود ؟

لانها طالما دافعت عن استقلال الدولة العلية . والامل قوى في انها لا تغير نحوها سياستها التقليدية

وقصارى القول ان الراية العثمانية هى الراية الوحيدة التى يجب ان نجتمع حولها . ولا تحقق وحدتنا بغير الاتحاد والا ئتلاف . فلنتحد قلباً ولساناً ولنكن يداً واحدة فى خدمة الاوطان واسعادها . ولنقل اليوم جميعاً من صميم أفئدتنا « ليحى جلالة السلطان عبد الحميد وليحى العباس . ولتحي العثمانية ومصر »

*
* *

هـذه هى خطبة المترجم في ذلك الاحتفال الذى أقامه ودعا اليه الكثيرين من الكبراء . قالها وهو يتلقى بين كل فقرة وفقرة نظرة اعجاب ويجتلي بين كل عبارة وعبارة عاطفة تكريم وكانت جوانب المكان تدوى بالتصفيق العالى والحاضرون يؤمنون على دعواته وخواطرهم تتابعه فى عباراته. ثم انه بعد ان استراح لحظة رفع باسم المجتمع رسالة برقية الى لذات الشاهانيـة المحمية مضمنة أخلص عبارات المباركة

وان اجتماعكم اليوم هنا معشر الاصـدقاء لبرهان آخر نأتى به فى بلاد أوروبا على عظيم اخلاصنا لاميرنا وسلطاننا وموافقتنا كل الموافقة على السياسة الحكيمة التى اتبعها سمو العزيز من يوم جلوسه على أريكة الخديوية المصرية

وحقاً ان سياسة التقرب من الدولة العلية لاحكم السياسات وارشدها . فضلا عن الاسباب العظيمة الداعية لهذا التقرب فان العدو واحد . ولا يليق بنا ان نكون فى فشل وشقاق فى وقت يعمل فيه اعـداؤنا على تجزئة دولتنا ويغرون الارمن بالثورة والهيجان . الامر الذى اسخط العثمانيين الصادقين جميعا

ولا غرو ان كنا نتألم لآلام الدولة العلية فما نحن الا أبناؤها المستظلون بظلها الوريف المجتمعون حول رايتها . فاصدقاؤها أصدقاؤنا وأعداؤها أعداؤنا. ولذلك كنا نميـل بطبعنا الى فرنسا أكثر من ميلنا الى غيرها من أمم الغرب ليس فقط لانها ساعدت مصر فى الازمنة الماضية على نهضتها المدنية وحامت عن حقوق السلالة العلوية بل على الخصوص

الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فمصر ولا محالة روحها وفؤادها

ولقدعرفت الامة المصرية مقدار خيانة هذه الفئة الضالة المضلة فاحتقرتها ونبذتها واعتبرت أقوالها تحريشاً على السوء وتضليلا فاختارت طريق السلامة والصواب وعلقت آمالها باميرها العزيز سمو الخديو (عباس حلمي باشا) الذى اتبع فى سياسته أقوم خطة حيث تقرب من متبوعه الاعظم جلالة السلطان (عبد الحميد) ووطد العلائق بين الدولة العلية ومصر مما أخفق مساعى الاعداء وجعل أمانيهم أحلاما فى أحلام

وان أكبر برهان برهنت به الامة المصرية على تعلقها بكعبة أميرها المحبوب اتباعها السياسية الحميدة التي اتبعها سموه وتظاهرها بالمظاهرات الولائية نحو الدولة العلية وجلالة السلطان

ذلك الامر الذى قوبل من خصومنا بالحنق والغيظ وكان ضربة قاضية على سياستهم التى من مقتضاها التفريق بين التابع ومتبوعه

مصائبها تدهش العقول وتحير الالباب وان ما يأتيه أعداؤها فيها لما تنبو منه الطباع وتنفر الآذان والاسماع

ومما زادها شقاء على شقائها نزول قوم من الخوارج بأرضها لا ذمة لهم ولا عهد جعلوا النفاق شعارهم والقاء بذور الفتن دثارهم فكانوا كالسم فى الدسم يدعون انهم أحباء لمصر نصحاء للمصريين ويعلم الله أنهم كاذبون فيما يدعون ولا يعملون لغير ضياع البلاد وسلب أموال العباد . فبماذا ينصحون؟ ينصحون بخيانة الاوطان وتسليمها الى أعدائها . فبئست النصيحة وبئس الناصحون . وبلغ نفاقهم وخروجهم على الدولة ان طعنوا على المملكة العثمانية أقبح الطعن وسوءوا رجالها من كبيرهم الى صغيرهم مدعين مع ذلك انهم يحسنون اليها ويمهدون سبيل وحدتها . ولست أدرى كيف يستطيع هؤلاء الخوارج ان يدعوا هذا الادعاء وهم أول العاملين على اغراء المصريين بتسليم زمام أمورهم الى ألد أعدائهم وأول الساعين فى فصل مصر عن الدولة العلية . وما ضياع مصر من يد سلاطين آل عثمان الا ضياع للسلطنة نفسها . فان كانت

واشتداد البلايا

ولا غرابة ان ظهرتم فى مقدمة المخلصين الصادقين العاملين على اسعاد أوطاننا واعلاء شأن بلادنا وقد تربيتم فى حجر المعارف والآداب وقدرتم المدنية الغربية حق قدرها فعرفتم كيف قامت وعلا شأنها وا كتسبتم باقامتكم فى هذه الديار ملكة الحكم على الاشياء والمقارنة بينها وبين بعضها فاصبحتم كالطبيب يعرف الدواء بتشخيص الداء . فمنكم ومن أمثالكم تطالب الاوطان بانقاذها من الخطر المهدد لها فانما الساعة قاضية بالعمل لا بالخمول والسكون . فاتحدوا كلمة ومبدأ واتركوا وراء ظهوركم الغايات الشخصية واعملوا باخلاص تام وحرية ضمير حتى تشفى الاوطان من الداء العضال الذى سرى فى عروقها وأوصل صوت أنينها الى السماء

فبلادنا ليست فى هذه الايام كسائر البلاد ولا سماؤها كهذه السماء ولا هواؤها كهذا الهواء بل لا تشابه بينها وبين هذه الديار التى نعيش فيها ونعجب بحريتها وسعادتها . بلادنا ليس فيها من الحرية الا اسمها ومن العدالة الا رسمها .

القلوب واسترعى الاسماع واسترق الطباع . وقف وقفة يذكرها له التاريخ الحديث بالشكر الجميل والثناء العاطر اذ قام فيها بفريضة الولاء وأعرب عما يكن ضميره وتكنه ضمائر المخلصين من حسن الالتفاف حول عرش الخلافة الى حد الافتداء بالأنفس والنفائس وفرط التعلق بجلالة مولانا السلطان الاعظم ذلك التعلق الذى ترخص فيه المهج الغوال. فقال ما يأتى بنصه :

« ابدأ خطابى بحمد الله على توفيقنا لهذا الاجتماع السعيد الذى أظهرتم لى فيه من عواطف الود والاخلاص ماجعلنى كلي لسانا ارتل آيات الشكر والثناء عليكم . ثم أهنئكم وأهنىء نفسى على الشعائر الشريفة والاحساسات الطاهرة التى أبديتموها في اجابتكم دعوتى للاحتفال بعيد جلالة السلطان. فان فى ذلك برهانا ساطعا على مبادئكم القويمة وثباتكم في مذاهبكم وآرائكم . فلستم ممن يغير نزول المصائب عقائدهم ولا ممن يتعلقون بالفضائل حينا ويتركونها حينا آخر بل أنتم ممن يزداد تعلقهم بالوطنية الحقيقية والمبادىء السليمة بازدياد الكروب

وبعد أن فرغوا منه أخذ جماعة من الكبراء يتوافدون حتى بلغ عدد الجميع نحو مائتين وأربعين ذاتا ليس فيهم الا الوطنى الغيور والصحافى الماهر والسياسى الكبير ولما اكتمل العقد وآن أوان الابتداء بالكلام وقف المترجم وهو فى أتم وأكمل مايكون من الجذل والبشر وعلى خير مايطلب من الصحة والعافية وعلى أحسن مايكون من الرجاء المكين

وقف تغمده الله برحمته ورضوانه وقد أشرقت الوجوه والاضواء وخفقت القلوب والأعلام وتلألأ على الجباه البشر والأمل فرمقته الانظار بالاعجاب والاكبار وأنصت الجميع فاذا الصوت العالى بالوطنية الصحيحة والرجاء الثابت يهز أوتار القلوب هزا وينبه دقائق الاعصاب تنبيهاً لطيفا . وقف وقفة تقطر ولاء واخلاصاً لعرش الخلافة الأسنى وللذات العلية المؤيدة بعناية وتوفيق من الله ذات جلالة مولانا الخليفة الأعظم فارتجل هذه الخطبة وقد ود سامعوه لو كان كل حرف منها كلمة وكل كلمة جملة وكل جملة خطبة قائمة برأسها ليستزيدوا من ذلك السحر الذى اجتذب أعنة

ويهيج المصريين ضد المحتلين . وكل هذا مما يدل على ان بقاء الاحتلال في مصر مستحيل والسلام . اهـ

خطبة على المصريين

« فى باريس »

بعد ذلك جعل المترجم يبعث الى أصدقائه من الوطنيين المقيمين فى باريس ومن كبار السياسيين هناك داعيا الى حضور وليمة كبيرة أقامها فى يوم ٣١ أغسطس سنة ١٨٩٥ وذلك احتفاء واجلالا لعيد جلوس جلالة مولانا السلطان الأعظم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان ابن السلطان « عبد الحميد خان الثاني »

وقد بذل جهده فى جعل الاحتفال آية فى الفخامة والجلال ومظهرا من مظاهر الولاء المكين

وقد أجاب الدعوة المدعوون جميعاً الى هذا الاحتفال فاجتمع ثلاث وسبعون ذاتا لتناول الطعام فى مكان فسيح

أتقبل الامم الاوروبيـة أن ترى يوما ما انكلترا ناشرة لواء سيادتها على مابين الاسكندرية ورأس عشم الخير

هل حارب الاوروبيون السودانيين للمنفعة الوحيدة لصناع بير منجهام ومنشستر

هل من الممكن ان ترى في وقت ما انكليز أو جنـده لا يقابلون على النيل الا الانكليز سادة مصر

أمن الجائز ان الروسيين والالمانيين والفرنساويين والايطاليين والنمساويين الآتين من البحر الابيض المتوسط يجدون عمال الجمارك من الانكليز على ثغور دمياط والاسكندرية فيصدونهم عن السياحـة على ضفاف االنيل ؟ هل ذلك ممكن الوقوع .؟

أيصير السير سسل رود واللورد كرومر أميرى أفريقية كل واحد منهما يحكم نصفها ؟

ألا ان وجود الانكليز فى مصر يخلق مشا كل كثيرة ويضر بمصالح تجارية عديدة ويناقض مصالح الدول الاستعمارية ويهدد حرية العقائد الدينية بين اسلامية وكاثوليكية وارثوذكسية

بالطبع من كاثوليكيين وارثوذكسيين مع المسلمين لمطالبتها به

وأما من حيث الوجهة السياسية والاقتصادية . فهل لم يكن جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر عبارة عن البحر الابيض المحتكر . أو ليس امتلاك انكلترا لابواب السويس والقصير وسواكن جعل البحر الاحمر بحيرة انكليزية

بل لننظر الآن الى آسيا كما يقول لنا ذلك الشاب المصرى نشاهد مصر على أهم طريق العالم كله طريق البحر الذى يوصل من أوروبا الى الشرق الاقصى وطريق البر الذى عندما تتصل يافا بالاسماعيلية يوصل ما بين الخرطوم والاستانة والخليج العجمى ومتى استولى الانكليز على مصر أضر الاستيلاء كما يشاء هواه على علائق كل الامم التجارية والسياسية والادبية

فأى حكومة أوروبية تستطيع حمل مسئولية تعريض بلادها الى مثل هذا الخطر ؟ . . أيتصور العقل ان فرنسا والمانيا وهولانده واسبانيا تستطيع عدم الاهتمام بمستعمراتها وترك طريق السويس البحرى الدولى لانكلترا وحدها

وكل يعلم ماذا يكون أمر الدولة العلية اذا لم تكن جده تابعة لها بل تابعة لمصر الانكليزية

ومن البديهى ان أخذ جده سهل لمن يستولى على مصر واحداث اضطراب فيها أمر يعد ابن الصناعة والذين نالوا الانتصار فى واقعة التل الكبير هم أول أساتذة العالم فى معرفة وسائل تحريك الاحساسات الدينية أو الاهلية التى يأخذونها حجة لازالة آثارها واضرارها

وان من يرمى الى جده يرمى الى مكة ولكن هل الثلاثمائة مليون من المسلمين يرضون بأن تنزع مفاتيح الكعبة الشريفة من يد الخلافة ويصبح الحجر الاسود تحت رحمة الحماية الانكليزية

ومتى صار الانكليز سادة مصر صاروا ثانى يوم سادة بيت المقدس وكم سبب الطموح الى الاماكن المقدسة حروبا لانهاية لها . أليس المسلمون وحدهم هم القادرون اليوم على حفظ التوازن بين الديانات والمذاهب فاذا امتلكت انكلترا البروتستانتية بيت المقدس اتحدنا جميعا

وان مياه النيل القوية الخصبة الجارية فى أغنى البقاع الافريقية متى صار النيل انكليزيا عظمت المملكة الافريقية الانكليزية شيئا فشيئا ووقفت الامم الاخرى موقف التأخر تشاهد تقدم انكلترا التى تصبح يومئذ مفترسة للتقدم الاستعمارى العظيم

ومتى ملكت انكلترا النيل ملكت كل الاراضى التى يمر منها أو تجاوره. واذا أصبح قنال السويس فى قبضة بريطانيا العظمي فهل يتصور ان طريق الهند والصين واستراليا يبقى حراً ؟ كلا ثم كلا

وان أعين الانكليز ترمق الآن الشام ومكة وبيت المقدس وتحدق بها . وانه ينبغى على كل انسان ان يقرأ ما بين أسطر الكتابات التى تنشرها جرائد لوندره عن الشام وأرمنيه وجده ليتحقق من مرامى مطامع الانكليز فى الشرق . وهاهي السرعة الغريبة التى أظهرتها المراكب الانكليزية فى الذهاب الى جده لنصرة جرحى حادثتها الاخيرة تبين لنا مقدار قلق الانكليز ومقدار طموح أميالها الى أخذ جده

وقد بين لنا كاتبها « مصطفى كامل » فى مقدمتها الصغيرة التى لاتزيد عن صحيفة واحدة ان ترك مصر تحت يد السلطة الانكليزية يدك معالمها ويهدم بنيانها وليس هذا يعد انتهاكا لحرمة كل حق وجناية على مقام الامم تجنيها أوروبا على أمة محبة للمدنية جديرة بالرعاية فقط بل هو أيضا ايقاد لنار حرب هائلة لانهاية لها ويكون شبوبها فى العالم أجمع كما أثبته لنا الكاتب وهو يقول ان المصريين يعلمون ان وضع بلادهم الجغرافى يقضى عليهم بألاّ يعادوا الاوروبيين النازلين عندهم وانهم يفهمون جيدا ان مصر لا كون لها بغير أوروبا ولذا كان مبدأ المصريين « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »

وانه (أى مصطفى كامل) يعلم جيدا ان الدفاع عن مصر ضد الانكليز ليس لثروتها بل لمركزها الجغرافى الذى يهم العالم أجمع أمره فان الدولة التى تحكم وادى النيل تصير الموزعة لكنوز افريقية على غيرها حيث تستطيع ان تحتكر تجارتها لنفسها ضد مصلحة أى أمة أخرى

على نبذة صغيرة الحجم لا يتجاوز عدد صفحاتها الاثنى عشر كتبها مصرى « وطنى » يحب بلاده حباً شديدا وقد جاء ليدافع عنها اذ رآها فريسة أغراض الاجنبي وأودع هذه الرسالة كل ماينتجه الفكر السليم والتبصر القائم على أدلة وحجج تفحم الذين جعلوا العمى مذهباً لهم أو تنير ما أشكل عليهم

والعنوان الثانى لهذه النشرة الصغيرة الحجم الكبيرة الاهميه هو « نتائج الاحتلال الانكليزى لمصر » وهو لا يعدو على شيء من المواضيع الا ويوفيه حقه بل وزيادة لان اظهار حقائق كبيرة مثل التى أظهرها كاتب هذه الرسالة لم يأت أبداً في عبارة مختصرة وألفاظ قليلة مثل ماأتى فيها

وانى قرأت منذ واقعة التل الكبير كل ما كتب على مصر فى انكلترا وفرنسا ومصر نفسها فلم أر قط المسئلة المصرية موضوعة أحسن من هذا الوضع ولا مستنتجة نتائجها أحسن من هذا الاستنتاج ولا مرتبة أجمل من هذا الترتيب ولا ميسوطة بتعقل وتدبر مثل ما بسطت فى هذه الرسالة التى نحن بصددها

لكى يظهر جلال الحق أمام خزى الباطل وبضدها تتميز الأشياء

فلنترك هـذه الشرذمة من الناس ونسر فى طريقنا غير ملتفتين الى الوراء ولنعذرهم قليلا فهم قوم باعوا ذمتهم بثمن بخس وتعبدوا للاحتلال فهو عندهم الدنيا والآخرة والهناء والسعادة ولا كرامة فى الدنيا لمأجور ولله فى خلقه شؤون

*
* *

واننا لا نعلق على تلك الرسالة بكلمـة من عنـدنا وانما نعقب عليها بما نشرته الـكاتبة الطائرة الصيت فى عالم السياسة وهى مدام جوليت آدم فقد كتبت اذ ذاك فى جريدة «البتى مرسيليه» الفرنسية الشهيرة مقالة من أبلغ وأصدق ما كتبته الاقلام وهى أحسن مايقال تقريرا للحقيقة لا رداً على ترهات أولئك المبطلين الذين ضل سعيهم وباءوا بخسران مبين

وهـذا تعريب المقالة المشار اليها وقد نشرتها الجريدة فى عددها الصادر بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٥ : قالت

«ان هذا العنوان « اخطار الاحتلال الانكليزى » علم

أمراً غير عادى فيحتمل كثرة التفسير والتأويل وانما هى مسألة واضحة لايحتاج حلها الى عناء

ان الغاصب متى غصب حقاً خشى قوة الحق وان لم يتظاهر بذلك . وسنته فى كل زمان ومكان أن يستأجر قوماً لا كرامة لهم فينفث اليهم مايشاء ويلقي اليهم أغراضه فيروجوها بكل سبيل . وهم الواحد منهم كلما شجر الجدال بين الوطنية المصرية والاحتلال أن يخرج من الميدان بكلمة ولو كانت هذه الكلمة حجة عليه لا له . ولذلك ترى هؤلاء الاحتلاليين كلما نزلوا الى الميدان مخذولين لا يفتح عليهم بشىء خلا مايفيضونه اعتباطاً من السخائم والشتائم

وجدير بكل مصرى يخدم الحقيقة وينصر الحق أن يعرض عن هؤلاء السفهاء ولايعتد بهم فان الاصغاء الى ترهاتهم من أجل مايتمنونه كى تطول المسافة على العامل . وكم فى هذا العالم من أقوام لاهم لهم الا بطن يملأ وجيب يحفل بالمال ومظهر يرفعهم فى عين من لايعرفون معدن نفوسهم وهؤلاء هم شرار الخلق الذين مالفظتهم الدنيا الا

مخلصا فى خدمة وطنه أمينا على كرامة بلاده لا يزداد كلما حمي الوطيس الا شجاعة واقداما واذا لم يكفه في المعترك حسامه استل بجانبه من عزمه الصادق حساما

ولذلك كلما قرأ كلمة لخصم أو سمع كلمة عن حاسد مر بها مر الكرام على اللغو متأدبا بأدب القرآن الشريف وازدادت حميته وقويت على القوة عزيمتـه لانه عالم بأن عمله مثمر وأن الخصم لا يسب ولا يهب الا هربا من وجه الدليل لان الظلمة لا تثبت أمام النور وأن ما يكيد به أولئك الخصوم برهان على تفردهم فى الوفاء بما عليهم لمستأجريهم من الوعود والعهود. ولو كان الانجليز يحرصون على البر بمواثيقهم لمصر برّ هؤلاء المأجورين للاحتلال لأصبح المصريون وقد رد اليهم الملك المسلوب والحق المغصوب

ترى ما الذى يدفع جرائد الاحتلال الى الصياح فى وجه كل وطنى عامل ؟ ؟

ليست المسألة سراً فيحزر القارىء ماعسى أن يكون السر. ولا هي معضلة تختلف فى حلها آراء الباحثين. ولا

وجود المحتلين

فكأن هؤلاء الناس الذين لا ذمة لهم ولا انصاف بهم يرون أن مصر ـ هذا البلد الذى له من المجد التاريخى مالا يدانيه فيه بلد في العالم ـ قد ابتليت بالعقم فهى لا تخرج نجيباً واحداً وأن طبيعة المصريين ليست كطبائع سائر الامم المهذبة وأنه قد كتب على هذا القطر أن يبقى رازحاً تحت أثقال الاحتلال الى أجل غير مسمى فما أجرأهم على الكذب والبهتان !

ولكن بجانب هذه الخزعبلات ـ بجانب تلك الترهات ـ بجانب هذه الاكاذيب كانت فى نفس الفقيد فطرة تجعلها طرازاً وحدها وكان في قلبه من نور العناية العالية وعن يمينه وعن شماله من رسائل التشجيع المملوءة حناناً وعطفاً من المصريين ماهو خليق به أن يزيد عزيمته فى جهاده ان كان ثمة محل للمزيد

فقد كان كالقائد الذى شعاره فى الحرب « الى الامام . الى الامام » لا يلوى على شيء من سفاسف المبطلين ومن كان

وان دعوى كهذه لا تدحض حجة ولا تقيم دليلا ولو كانوا يناقشون بعقل وروية لاستراح معهم مناظروهم ولكن الغرض يسدل على العقل حجابا كثيفا ويجعل الروية أثرا بعد عين ان كان لها عندهم وجود من قبل

على أن أمثال هذه السفاسف مما لا يعتد به كثيرا . وقد أحسنت الجرائد الوطنية . اذ قابلت تخرص الجرائد الاحتلالية بالتحقير والازدراء وأصلتها نارا حامية من البراهين الدامغة والحجج الساطعة وفندت دعواها حتى أخرستها وألزمتها الحجة

وقد كان المصريون يقرءون تلك الخزعبلات الموحى بها من المقربين الي الوكالة أو التى تنزل على تلك الجرائد مباشرة وهم يسخرون من قوم ينكرون على ملايين من البشر أن ينبغ منهم نابغ يثل عرش الظلم ويجاهر بمقاومة الظالمين ويستكبرون على مصر أن يظهر تحت سمائها رجل يؤتى من قوة اليقين والجنان والبرهان مايبين به للعالم أجمع أن فى مصر أمة تئن من ثقل وطأة الاحتلال ولا ترى الا الشقاء فى

ثم ماذا ينتظر من جريدة تخدم مصلحة الانكليز وتسبح بحمد الانكليز وترى الكمال كله ممثلا فى الشخص الانكليزى الا أن تحمل على الوطنى العامل حملة منكرة وتشن عليه غارة شعواء وتكتتب له بكل لفظ من ألفاظ السباب ؟؟

لقد تلقت جرائد العالم التى وصل اليها صدى هذه الحركة مساعى فقيدنا بالتشجيع والترحيب خلا ذينك الصنفين صنف الجرائد الانكليزية والجرائد الاحتلالية . فان هذه الجرائد ـ ونعنى القسم الثانى منها ـ قد استقبلت هذا العمل استقبال الحانق المتألم الذى لا يجد برهانا يحاج به خصمه غير الثلب والسب وما شاكل . وقد ترقت هذه المرة فى مطاعنها بابتكار طريقة لا تطفىء لهم نارا ولا تأخذ لهم ثارا فادعت . وشر البلية ما يضحك . ان هذه الرسالة « أخطار الاحتلال الانكليزى » ليست من قلم الفقيد ولا من بنات أفكاره وأن الذى كتبها رجل آخر . وهذه المراوغة تدل على مبلغ ما عندهم من الغيظ والحنق لطف الله بهم .

الاحتلال الانكليزى » والتى نلخصها فى « أن من يملك مصر ملك قنال السويس » وفى ذلك أكبر خطر على العالم المتمدن ذى المصالح التى لايستهان بها فى الشرق كله » اه

هذا ماقالته احدى الجرائد الروسية المنصفة مما يصح أن يؤخذ نموذجاً لكتابة سائر الجرائد التى تتوخى الانصاف فيما تكتب وبمثل هذه الخطة العادلة يتأيد الحق ودعاته ويخذل الباطل وغواته

أما مايكتبه الانكليز وأشياع الانكليز وأذناب الانكليز فى مثل هذا الشأن فان وجدان كل قارىء يحدثه به بلا مراء ـ ترى ماتقول جريدة انكليزية وهى تسمع أن المترجم اختار باريس مركزا لأعماله الوطنية ضد أبناء التيمس وكشفا للستار عن أعمالهم على ضفاف النيل وبيانا لما للاحتلال من المساوىء والمضار ؟ ألا ينتظر منها أن تفرغ مجهوداتها فى الطعن على كل حركة تضاد مصلحة قومها وتتفضل على القائم بهذا الجهاد العظيم بما تشاء من ألفاظ التسوئة والتجريح ؟؟

مانشرت هذه الرسالة حتى طيرت ملخصها التلغرافات العمومية وعلقت عليها الجرائد على اختلاف مشاربها . وقد قالت جريدة النوفيافريميا الروسية فى هذا الصدد ماتعريبه :

« ان المصريين ابتدءوا يشعرون بوطأة الاحتلال الانكليزى فأخذوا يشرحون قضيته أمام أوروبا وقداختار النائب عنهم (مصطفى كامل) باريس مركزا لاعماله التى ظهرت بوادرها منذ قدم العريضة والصورة لمجلس النواب الفرنساوى مستنجدا بالحكومة الفرنساوية للتداخل فى حل المسئلة المصرية مذكرا حكومة جلالة الملكة بالوعود والعهود التى فاه بها سواس الانكليز .

ونحن نصرح بأنه قد آن الاوان للنظر فى هذه المسئلة الكبرى بعين دولية يكون أساس البحث فيها تلك العهود التى أخذتها انكلترا على نفسها أمام أوروبا والتى من شأنها اجبار انكلترا على احترامها

وليس لنا ان نشرح هنا ماسبق لنا شرحه وشرحه (مصطفى كامل) فى رسالته الاخيرة التى عنوانها « أخطار

من السلطة والنفوذ المعنوى على الامم الاسلامية

لذلك كان الفكر يضطرب أشد الاضطراب كلما تخيل النتائج الهائلة التى ينتجها ضياع الدولة العثمانية اذ ليس ضياعها الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث تفقد المعاهدات معناها وتصبح بغير عمل يوم تخرج الخلافة الاسلامية من الدائرة الاوروبية .

ومن كل ماذكرنا يتضح جلياً ان احتلال انكلترا لمصر خطر عظيم على العالم بأسره وان السياسيين الذين يعملون لاجلاء الانكليز عن وادى النيل لايؤدون فقط الواجب الذى تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرفها بل يعملون أيضاً للسلام العام ولاتحاد النصرانية مع الاسلام . وبالجملة يعملون لنصرة المدنية الغربية والسلام

مصطفى كامل »

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات ان أورشليم لايمكن أن تملكها دولة غير الدولة الاسلامية اذ بها وحدها يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب وكافة الديانات التي تتنازع وطن أنبياء بنى اسرائيل وهيكل سليمان . وبقاؤها لدي الدولة الاسلامية خير كفيل لذلك التوازن الذى نراه الآن . وان ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذى هو في الحقيقة ضياع هذه الدولة نفسها يكون مصيبة عظمى على المدنية وعنوان حروب هائلة بين كل الامم المعتنقة لديانات مختلفة حيث لاتستطيع واحدة منها دون الاخرى امتلاك ذلك الحرم المقدس والمحافظة عليه

ومن نتائج سقوط الخلافة الاسلامية فتح باب وراثة القسطنطينية وهو الباب الذى اذا فتح اندفع تيار القلاقل والاضطرابات والارتباك منه حيث يصبح العالم ولا وسيط بين الامم الاسلامية والامم المسيحية

ولقد احتاج العثمانيون الى زمن طويل حتى استطاعوا أن ينخرطوا فى سلك الامم الاوروبية مع المحافظة على مالهم

وقوع هذه الحادثة السيئة بالنسبة لكل الامم من الممكنات
على ان في استيلاء الانكليز على (أورشليم) أمراً آخر هو من الاهمية بمكان . ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة العلية . فتصير الدوله بعدئذ كاحدى الامارات التى لا تتجاوز أهميتها أهمية بلغاريا الحالية . وان خطارة هذا الامر تظهر للفكر من أول وهلة . فليست ثروة الشرق الاقصى وكنوز افريقية شيئاً يذكر بالنسبة لجوار أورشليم

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذى يوصل بسكة حديدية من الخرطوم الى الاستانة ومن شمال افريقية الى الخليج العجمى وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جليلة لانكلترا مما يحملها على توجيه مطامعها نحو الشام . ووجود الدروز والارمن في فلسطين مع ماهو معلوم من ميلهم للدولة الانكليزية . وكثير منهم آلات لها مما يسهل بعد ذلك امتلاكها فلسطين . وفضلا عن ذلك فان التجانس الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعوهم عند تفرقهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة

استحكام الشقاق بينه وبين الباب العالى لمن أقرب الادلة على صدق هذه القضية التاريخية . ومن المستحيل أن تكون انكلترا المضروبة بطمعها الامثال أقل حباً للفتوح من بونابرت؛ وحينئذ تكون النتيجة من وراء ذلك الطموح سقوط بيت المقدس تحت السلطة البروتستانية ! وهى نتيجة لا نعرف كيف يقابلها الكاثوليكيون والارثوذكسيون فى العالم أجمع. ولا يخفى ان سبب حرب القريم بين دولتين من شأنهما الاتحاد كفرنسا والروسيا كان هو الشقاق القائم بين الكاثوليك والارثوذكس فى فلسطين . فماذا يكون الامر عند ماترفع انكلترا البروتستانية رايتها على « أورشليم » ؟

وعلى فرض ان البابا والقيصر يقبلان هذا الامر فماذا يقول المسلمون الذين على ما كان بينهم من التفرق والشقاق دافعوا عن هذا الحرم الشريف فى وقت الحروب الصليبية وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا تجيب عندئذ الامم الاسلامية الحكومة العثمانية التى بسكوتها وخضوعها امام مطالب جيش (ولسلى) جعلت

ومن ذلك كله يرى انه من المستحيل رضى الدولة العلية باحتلال شواطىء البحر الاحمر المصرية . والا فماذا يكون شأن العالم الاسلامى اذا ضاعت منه مكة وقد قام دفعة واحدة فازعج الامم طرا لما ضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن ضياع « مكة » يدمى مقلة المسلم الواحد ويؤلمه آلاماً شديدة فكيف والمعمورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين . لابد أن يحسب لهم حساب ؟

(٣) . ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكليز متى استولوا على مصر . اذ ليس يخاف على أحد أنه من زمن الفراعنة الاول والخلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى على مصر مستولياً على الشام لاسباب سياسية وحربية لاحاجة لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام حاكما على مصر كما هي الحالة الحاضرة واما ان يستولى حاكم مصر اذا أحس من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر في أدوار عديدة .وان تجريدة (بونابرت) و (محمد على) وقت

عكفوا على عدم الخروج من ديارهم ان الكعبة التي كانت من عهد « ابراهيم عليه السلام » أبى الانبياء والرسل المبارك في مأمن أصبحت على خطر

ومن البديهى انه لو كانت انكلترا صديقة للدولة العلية ومن الدول الراغبة فى المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور وقوع حادثة كهذه . ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا فى هذا العهد الاخير بمظهر العدو الالد للدولة العلية فيهددوها تهديداً عظيما ولا يبعد أن يقوم بين الدولتين خصام عنيف كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادى النيل وعندئذ لا يمنع الانكليز مانع من تحصين ثغور البحر الاحمر وعند أول فرصة تسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أي شاطىء من الشواطىء المصرية الى « جده » . والفرصة لمثل ذلك سهلة فتكون اذا قتل أحد المالطيين فى جده مثلا كما تكون لو قام من الرعاع من يدعى الخلافة . لان انكلترا بما تدعيه لنفسها عندئذ من حقوق الجوار تتداخل لتوطيد الامن العام والسلام في الحجاز

والجزائريين والتونسيين والصينيين والهنود والعرب والجاويين والزنجباريين وبقية الامم الاسلامية فليس استيلاء الانكليز على مصر شيئاً آخر اذاً سوى استعباد انكلترا لامم الاسلام كلها ! ! !

ذلك كله غير الخطر الذى يهدد « جده » و« مكة » متى رسخت قدم الانكليز فى الخليج العربى

فان امتلاك جده بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد العرب الجنوبية وخصوصاً بلاد اليمن في حالة تشبه حالة البلاد التى بعد سواكن متى احتلها الانكليز

والناس كافة يفهمون ماذا يكون مآل الدولة العلية فى اليوم الذى تخرج فيه جده من دائرة سلطتها. فان هذا الامر الذى يظهر مستحيل الحصول مادام البحر الاحمر معتبرا بحيرة عثمانية يصبح حقيقة جلية عقب وقوع أى خلاف بين الاتراك والانكليز وقليل من السفن الانكليزية يكفى يومئذ للاستيلاء على ميناء جده التى لاتحرز القوة الدفاعية الكافية . وعندئذ يعلم فلاسفة السياسة الشرقية ورجال الفنون العسكرية الذين

أملاك فرنسا والمانيا وهولانده واسبانيا

ويكفى حين ذاك أن هذه الدول تتظاهر بالعداء لانكلترا بسبب أى خلاف لتضيع الملايين التى صرفتها والضحايا التى ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منثورا وتبيت مستعمراتها كـكندا والهند فريسة لانكلترا السعيدة الطالع الماهرة ! فاى رجال سياسة فى أوروبا يرون هذا الخطر العظيم بدون أن يهتموا به ويتحملوا مسؤلية نتائجه

أما حرية قنال السويس فلها فى أعين المسلمين أهمية عظمى لان ضياعه يحول البحر الاحمر الى بحيرة انكليزية . فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج واقفال طريقه اذا دعت الحاجة بحشد الجنود الانكليزية فى بريم وسواكن والقصير والسويس كما يقفلونه الآن على السودانيين

وان الانسان ليستولى عليه الحزن عند ما يفتكر فى نتيجة هذا الامر وينظر الى هذا البحر العثمانى الذى يصير اذا ملكت انكلترا مصر ميدانا لسفن جلالة الملكة وهو اليوم ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسيين والجراكسة

الاتصال بينها وبين الممالك الاسلامية فى السودان . وأما الفرنساويون فان فوائدهم على شواطىء الجزائر وروابطهم الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد نفوذ دولة قوية مبارية لهم في بحر لها فيه الآن أعظم السلطة

(٢) اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على طريقين هما أهم طرق العالم . طريق البحر الموصل من أوروبا الى الشرق الاقصى وطريق البر الذى يربط الخرطوم بالاستانة والخليج العجمى عند ماتتصل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة حديدية

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذاً عبارة عن امتلاكها حرية التصرف كما يشاء هواها في علائق الدول السياسية والتجارية والمعنوية . وأى حكومة ترى ذلك ولا تضع حداً للاحتلال ؟ . أى حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا وتستطيع أن تتحمل مسؤليته ؟

ان امتلاك قنال السويس في وسط الطريق الدولى البحرى الكبير فى بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة

والايطاليون الآتون من البوسفور وسلانيك وتريستا وبرندزى ومرسيليا عمال الجمرك الانكليز الواقفين فى دمياط والاسكندرية قد أقفلوا فى وجوههم الطريق الوحيد الصالح لهم أعنى به طريق النيل

ومن جهة أخرى فان مسئلة امتلاك البحر الابيض المتوسط اعتبرت دائما مسئلة ذات أهمية عظمى مما حمل كل دولة على أن تبحث لنفسها عن فرجة من شواطئه لتطل منها عليه حتى تضايقت اسبانيا من وجود الانكليز فى جبل طارق وتكدرت فرنسا من احتلالهم لمالطه . ولكن قبرص ومصر خصوصا تزيدان كثيرا من نفوذ الانكليز فى البحر الابيض مما يضر على الاخص بالدولة العلية والروسية . وان هذه الاخيرة تؤمل أن يرخص لها الباب العالى بالمرور من الدردانيل حتى يكون لها فى البحر الابيض المتوسط تمام حريتها ولتبلغ بسهولة بلاد الشرق الاقصى فهى من أجل ذلك تكره مراقبة انكلترا لها . والدولة العلية من جهة أخرى صارت تخشى كثيرا على طرابلس الغرب التى باتت نقطة

على كل مصادر الثروة الداخلية الافريقية . فكأن أوروبا لم تحارب الامم السوداء الا لفائدة الانكليز الدهاة . وان فى ذلك اليوم الذى تمتد فيه سلطة الانكليز من الاسكندرية الى رأس عشم الخير يذهب نخار « سيسل رود » بانوار مجد « وارن هاستنج » مستعمر الهندحيث يكون أثر هذا الفاتح الجديد أعظم قدراو اكبر فى التاريخ ذكرا من أثر ذلك المستعمر الهندى

ولا يقبل العقل ان أوروبا تغفر لرجال سياستها حدوث خطر اقتصادى مثل هذا . فان كان انكليز أوجنده يستلمون تجارتهم الآتية من الخارج بواسطة طريق النيل البديع ففرنسا محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التى تود انشاءها فى الصحراء . وعند مايجد انكليز منشستر وبرمنجهام طريق النيجر والكونغو حرة أمامهم لتوصيل تجارتهم الى سكان أفريقية الغربية ويجد انكليز الهند طريق زنجبار وانكليز أوستراليا طريق زامبيز ليبلغوا بحيرة طانجانيكا . يجد الالمانيون وزملاؤهم الفرنساويون والروسيون والنمساويون

أفريقية كان من الضروري بقاؤه حرا . اذلو فرضنا أن السياسة الانكليزية تقهر قوة السودانيين فان استيلاء الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوروبا فى افريقية الوسطى وهي الوادى الخصب المأهول بالسكان والذى لايزال مؤصد الكنوز . والذى هو بسبب ثروته مطمح أنظار الدول

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم كانت ثروة ذلك الوادى الرحب لها وحدها غير تاركة للدول الاخرى الا مشاهدة آثار تقدمها الاستعمارى العظيم .

وفى الواقع ان استيلاء فرنسا على الجزائر وتونس لم يضر قط بالتجارة العامة للدول الاخرى كما ان المانيا وبلجيكا والبرتغال لم تستول وحدها على تجارة البقاع السوداء لان أملاك هذه البلاد مقطوعة عن الداخل بصحار ومهامه قفرة. بخلاف انكلترا فانها اذا استولت على مصر « التى يكون من نتائج الاستيلاء عليها الاستيلاء على وادى النيل كله » تمتد سلطتها من الاسكندرية الى رأس عشم الخير وتضع يدها

وبامتلاك ثغور السويس والقصير وسواكن تصير الدولة المالكة لمصر سيدة لا خلاف فى سيادتها على البحر الاحمر فتهدد مدينة جدة تهديداً مستمراً من حيث كونها ثغراً ليس فيه من القوة الدفاعية ما يحفظه . ويكون من السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديثة الطراز التى تخترق الفضاء على خط مستقيم

فمن يتدبر هذه النتائج ويضيف اليها أن قنال السويس هو جزء من مصر وانه طريق الهند والصين واستراليا يعلم داعى اهتمام الدول بامر مصر واعتبارها المسئلة المصرية مسئلة اساسية .

وعليه فان مصر بجوارها لمكة وبيت المقدس وباشتمالها على قنال السويس صارت مركزاً للعالم كله

وان من الاسباب المهمة التى دفعت انكلترا الى احتلال بلادنا طمعها في الاستيلاء على السودان رغبة فى الاستئثار بكل تجارة وادي النيل

ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد

الموضوع

(١) لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها اذا بيعت فى مزاد عمومي كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليرى

على أن أولئك المتعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصرية لم يلتفتوا الى أن محصولات مصر ليست هى داعى اشتغال العالم بامرها بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقي لكل ذلك. ومن الجلى الواضح أن الدولة التى تستولى استيلاء تاما على وادى النيل تصير بذلك ملكة أفريقية . هذه الارض العذراء التى أصبحت مطمحا لانظار كافة الدول التجارية . ولا بد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر وضع يدها على الشام وبيت المقدس . ذلك الحرم الذى تعزه الامم باسرها والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأت منها البحار والوديان دماء مدة قرون فانتجت اضطرابا واختلالا في أحوال الامم التى كان لها شأن فى تلك الحروب

فى الشرق الذى يضعضعه الآن وجود الانكليز فى مصر ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا فسنوفيها شرحا فى ابحاث أخرى

ويعلم القارىء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقده المصريون بالنسبة لحالة بلادهم والآراء التى يشاركنى فيها كل أبناء وطنى الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافي يقضى علينا باكرام كل الاوربيين النازلين عندنا ومعتقدون أن لا وجود لمصر بغير أوروبا ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز عن وادى النيل وببذل مساعينا لنوال تحرير بلادنا لا نريد شيئاً آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ولا نطلب غير السلام في أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التى قررتها المعاهدات الدولية

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحى فى سبيل تتويج أعمالنا بالفلاح الاخير ونصرة الحق وتحرير مصر

اخطار الاحتلال الانكليزى

﴿ الاحتلال وما وراء الاحتلال ﴾

استهلال

ليس غرضى من كتابة هذه الرسالة استلفات الانظار الى مصائب أوطانى . وان كان هو الواجب الشريف الذى أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبى . بل غرضى هنا اظهار الاسباب المادية المشاهدة التى تجعل أولئك السياسيين الذين لم تستفزهم للآن بواعث الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لان الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لاتعتبر فقط انتهاكا لحرمة حقوق أمة محبة للمدنية جديرة بكل عناية بل هى أيضاً ايقاد لنار الحرب فى العالم أجمع

وما قصدت فى كتابة هذه النبذة الا التكلم عن مسائل عامة . أما المسائل الخاصة كفوائد حاملى القراطيس المصرية التى يهددها الاحتلال الانكليزى أعظم تهديد ومقام أوروبا

وانى لمدين لمدير جريدة الاكسترابلاط الذى كاتفنى فى خدمة بلادى بما اجراه أحد محرريه من الحديث معى وما نشره على العالم من الآراء الصائبة مستحثا حكومته على التداخل فى حل المسئلة المصرية

وسأعود الى باريس غداً لنشر رسالة مهمة على اخطار الاحتلال الانكليزى وسأبعث بترجمتها لجرائدنا الوطنية فاقرأها وادع لاخيك أن يكون خادما نافعا من خدام الوطن الامناء مصطفى كامل »

٦ اغسطس سنة ١٩٠٨

*
* *

عاد رحمه الله الى باريس فى ٨ أغسطس ونشر كراسة متضمنة اخطار الاحتلال الانكليزى وهى الرساله التى شرح فيها الاحوال شرحا وافيا وهذا تعريبها

وان غاية انكلترا من امتلاك مصر هى الاستيلاء على السودان واضعاف مصالح أوروبا فى أفريقيا وأسيا حتى تقوى مصالحها . ووظيفتها الآن فى مصر اقفال المدارس المصرية لتقليل عدد المتعلمين من الامة واستعمال الميزانية فى تكوين جيش من الموظفين الانكليز » اه

* * *

مانشر هذا الحديث حتى تناقلته الجرائد النمساوية الخطيرة وغيرها وطيرته الشركات التلغرافية وقد أخذت الجرائد الاحتلالية فى مصر والانكليزية فى انكلترا تشتد فى حملتها على المرحوم مظهرة اندهاشها من حركته المستمرة فى كل ممالك أوروبا . ولكن هذا الاستياء ما كان يزيده الا نشاطاً وعملا لانه يدل بأجلى بيان على ان العمل ناجح ولا يستاء منك خصمك الا اذا تألم من عملك ولا شىء يؤلم الغاصب مثل نشر مساويه واذاعة جنايته على الحق وأهله

وقد أرسل الىّ رحمه الله من فيينا كتاباً قال فيه

« لقيت فى هذه المدينة الزاهرة الزاهية كل حفاوة

مصر لاملاك انكلترا وان حكومة النمسا والمجر التى أمضت المعاهدات المتعلقة بمصر وضمنت المحافظة عليها لا بد لها أن تقضى على بقاء انكلترا فى بلاد الفراعنة . ولماذا لا تحرر أوروبا مصر وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر المصريين كالبلغاريين والصربيين فى المدنية ؟ ان آلافا من شبابنا النبهاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينتظرون أشد الانتظار الساعة التى ترد فيها مصر الى نفسها حيث يستطيعون خدمتها

وان الخطر الذى يهدد اوروبا من بقاء الانكليز فى مصر عظيم جدا والخسائر التى تلحقها من جرائه لا تحصر ولا تقدر . فمصر هى مفتاح آسيا ومن ملك قنال السويس ملك مكة وبيت المقدس ويستحيل أن يرضى المسلمون فى جميع اقطار العالم باستيلاء الدولة الانكليزية على مدينتهم المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين فى الارض وهم نحو ثلاثمائة مليون من الانفس . ويوم اعلان حرب دينية تسيل فيها الدماء اكثر مما سالت فى الحروب الصليبية

الانكليزية عليهم فوق سلطة خديوهم . وفى كل يوم يزداد بين المصريين احساس التألم والتأذى من وجود احتلال أجنبي بين ظهرانيهم ويحب المصريون من صميم أفئدتهم لو اهتمت أوروبا كثيرا بشأن مصر وشعرت بالخطر الذى يهدد مصالح كافة الدول اذا دام الاحتلال فيها

ولقد نزل مصطفى كامل في نزل متروبول وزاره أحد محررى جريدتنا فاخبره الكاتب المصرى بأن أمته تنتظر بصبر نافد خلاصها وتحرير وطنها . ويقول انه من اوجب الواجبات على النمسا أن تكون فى مقدمة الدول التى تهتم بشأن مصر لما لها من المصالح التجارية والسياسية فيها حتى صارت تريستا كانها ميناء تشارك الاسكندرية في الشفعة وتلاصقها فى الجوار

وفضلا عن ذلك فان أمير مصر قد تربى فى فيينا على مبادىء المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك)

ثم قال . وان أخطار الاحتلال هى واحدة بالنسبة لكل الدول الاوربية اذ ليس الاحتلال الدائم الا اضافة

مقدمتها جريدة « الستاندار » الانكليزية لسان حال اللورد سالسبورى . واليك ترجمة ماجاء فى جريدة « الاكسترا بلاط » المذكورة بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٨٩٥

« ان في فيينا اليوم ضيفا كريما محترما هو « مصطفى كامل » أحد كتاب مصر الفضلاء وهو شاب حديد الفكرة بعيد النظر اشتهر اسمه فى وطنه وفى أوروبا أخيرا وهو الآن يجوس خلال القارة الاوروبية مطالبا باسم الوطنيين المصريين بتحرير بلاده من ربقة الاحتلال الانكليزى

وبديهى أن الامة التى ينسب لها هذا الكاتب الشرقى قد استحقت بما استفادته من مدارس المدنية وبما لها من الذكاء الفطرى النادر المثال أن تعد فى مصاف الامم المتمدنة فهي بذلك لا ترضى أن تكون تحت سيطرة حكومة أجنبية تعمل فى مصر كل ما تريد

ولقد اخلص المصريون في محبة أميرهم (عباس حلمى باشا) اخلاصا فوق العادة وقدروا حرج مركزه حق قدره وأظهروا أنهم غير راضين بالحالة الحاضرة وبوجود السلطة

الذى فى خدمته خدمة الحق وفى نصرته نصرة الفضيلة والحقيقة

مصطفى كامل

فيينا فى ٢٦ يوليو سنة ٩٥

الاحتلال الانكليزى

﴿ والمصالح النمساوية ﴾

﴿ حديث مع جريدة الاكسترابلاط بفيينا ﴾

ماوصل « مصطفى كامل » الى مدينة فيينا فى أواخر شهر يوليو عام ١٨٩٥ حتى توافد اليه الكثيرون من رجال السياسة وأرباب الصحف يسألونه رأيه عن المسئلة المصرية ويستفسرون منه عن حالة مصر وآمال المصريين . وقد نشرت عنه وقتئذ جريدة « الاكسترابلاط » الشهيرة — التى هى فى البلاد النمساوية كجريدة « البتى جرنال » فى فرنسا لانها جريدة الشعب المنتشرة بين جميع طبقاته - حديثا كان له أعظم تأثير فى العالم السياسى وتناقلته الجرائد العديدة وفي

هذه السياسة التي يكون من أقل نتائجها قيام المسلمين ضدنا في كل الاصقاع وخروج جنودنا من مصر بالرغم عنا وزيادة نفوذ فرنسا في الشرق وتلقاء ذلك أضعاف نفوذنا واقلال سلطتنا »

ومن يقرأ هذه الاقوال ويتدبر معانيها يرى أن نظرات هذا الرجل الحكيم من الصواب بمكان وان ماردده العقلاء في المؤيد وفي غيره من الجرائد الصادقة بشأن اعوجاج سياسة العداء ضد الدولة العلية لمن أحكم ماقاله سياسي ونطق به خبير

وللمصريين في هذه الاقوال الجليلة فائدة كبرى استلفت أنظار مواطني اليها وهي ان عقلاء الانكليز شعروا بخطر احتلال مصر على دولتهم ولا ينقصهم غير معرفة احساسات الامة المصرية وحقيقة آلامها وآمالها وحقائق الامور حتى يقيموا القيامة على حكومتهم ويسألوها الجلاء عن وادي النيل . فأجل عمل يأتيه المصريون اليوم هو نشر الحقائق في أوروبا باكثر اللغات انتشاراً وخصوصاً باللغة الانكليزية والفرنساوية حتى يتيسر لنا خدمة الوطن العزيز

لحظة فى حياتنا »

وبعد ان قرأ هذا الفصل الخطير استمر فى حديثه قائلا « ولا شك ان ثورة أفكار المسلمين ضد حكومتنا ليس بالامر الهين فانهم أقوياء اذا اجتمعوا وأقل ضرر يمس جلالة السلطان (عبد الحميد) يجمع ولا محالة كلمتهم ويلم شعثهم. على ان السياسة التى أشبعها اللورد روزبرى ليست فقط ضارة بنا بل هى مناقضة كل المناقضة لتقاليدنا القديمة فلقد مضت الدهور الطويلة ونحن أعز اصدقاء الدولة العلية وأجل نصرائها

فلما قال ذلك سألته وأى سياسة يجب على اللورد سالسبورى اتباعها اذا أراد الحكمة وقصد مصافاة الدولة العلية والاسلام؟ فأجاب « هى السياسة التى تكون مؤداها حل المسئلة الارمنية حلا يرضى الدولة العلية وجلاء الجنود الانكليزية عن وادى النيل فان هذا الامر فضلا عن كونه يعيد الصفاء بيننا وبين جلالة السلطان الاعظم مما نحن فى حاجة اليه فأنه يقوي نفوذنا فى الشرق ويعلى كلمتنا . اما اذا أراد اللورد سالسبورى اتباع خطة سلفه فما أضر هذه السياسة بدولتنا .

دولتنا الانكليزية . فلقد قامت جرائد الشرق عامة وجرائد الهند منها خاصة تقبح دفعة واحدة سياستنا وتدعو المسلمين الى النفور منا وزيادة التعلق بالدولة العلية والخلافة العثمانية

ولكى تعلم مقدار تغيظ الهنود منا اقرأ هذه الجريدة - قال ذلك وناولنى جريدة هندية - فقلت له انى لاأعرف الهندية فأخذها منى وقال هذه هى جريدة (شمس الاخبار) الصادرة فى مدراس بتاريخ ٢٤ يونيو الماضى وفيها فصل مطول ضد الدوله البريطانية جاء فيه مامؤداه « ان الانكليز يساعدون الارمن ضد الدولة العلية ويحدثون الاضطرابات فى كل بقعة يحكمها المسلمون ولا يدرون ان أعمالهم هذه تقابل بالغضب والسخط من كافة المحمديين (وهم ليسوا بالعدد القليل)

فماذا يريد الانكليز من هذه الاعمال ؟ أيريدون اقامة حرب دينية . ليقولوا لنا ذلك علنا حتى نقوم ونملأ الوديان والجبال من دمائنا ومن دمائهم ونزيل آثارهم من البلاد ونجاهد في سبيل الخلافة الاسلامية العالية المنار الى آخر

الحكيم مامعناه

« ان جنودنا لابد من خروجها من دياركم سواء كان ذلك بالقهر أو بالرضى وان تنبه أوروبا الى الاعمال التي تنسب الى بعض رجال السياسة منا يقيم فى وجهنا العقبات والمشاكل فى كل البلاد وفى كافة المسائل وكان خيراً لنا ان نصافيكم ونعاهدكم ونتخذ مصر حليفة افريقية نركن اليها والى سودانها عند الحاجة ولكن احتلالنا بلادكم هذا الاحتلال الذى مقتموه جعلكم خصما لنا وأثار الخواطر ضدنا في مستعمراتنا نفسها وفي كل بلاد أوروبا

والامر الذى أتأسف عليه خصوصا هو مااستعملته حكومتنا فى غضون هذه الايام من القسوة والشدة فى معاملة الدولة العلية فلقد بدلت بسياستها الصفاء بالعداء وزادت حكومة جلالة السلطان تعلقا بمسئلة مصر من حيث أرادت اغفالها عنها . ولم يكن يخطر على بال اللورد روزبرى ورفقائه ان سياستهم مع الدولة وتعضيدهم الارمن يثيران عواطف السخط والغضب عند المسلمين ويملآن قلوبهم حقداً ضد

ماوراء السياسة

﴿ الانكليزية الحاضرة ﴾

« أسعدتني الفرص في سفري من باريس الى فيينا بالاجتماع مع سائح انكليزي تلوح عليه لوائح الوقار والاحترام تجاذبت معه الحديث طويلا بشأن السياسة الانكليزية الحاضرة فوجدته واقفاً على دقائقها عالما بحقائقها يرى في احتلال مصر ضربة على النفوذ البريطاني واخلالا بقواعد المملكة المؤسسة على احترام الشرف واعزاز تاج الملكة الذي أقسم به سياسيو انكلترا عند ماوعدوا بالجلاء عن وادي النيل . ويعتبر سياسة البقاء في مصر سياسة عوجاء لاتؤدي الا الى تهييج العالمين ضد الدولة الانكليزية ولذا رأيت ان أقدم للقراء الكرام خلاصة أقواله ومضمون آرائه وأفكاره ليعلموا ان في انكلترا نفسها قوما يقبحون سياسة شيعة الاحتلال ويودون لمصر خلاصها وحريتها ولانكلترا تحقيق وعودها وسلامة شرفها . فلقد قال لي هذا الشيخ

سألتنى رأيى عن استقالتك من الجيش حالا ولكنى أرى ضرورة الانتظار ومتي حان الوقت أخبرك فى الحال لتقدمها وتعمل معى فى هذا الصراط المستقيم

سأسافر بعد غد الى فيينا لأنشر بين رجال السياسة آلامنا والله الموفق   مصطفى كامل »

١٨ يوليه سنة٩٥

*
* *

سافر المرحوم الي فيينا فى ٢٠ يوليه وقد جرى بينه وهو فى القطار وبين سائح انكليزى كبير حديث أرسله لجريدة المؤيد وقد نشرته فى عددها الصادر يوم الاثنين ٥ اغسطس سنة ٩٥ وهذا نصه :

راجع الى قتل روح الحرية الصحيحة التى هى ألذ وأشهى ثمرة من ثمار العلم وانه يجب على أغنيائنا ان كانوا حقيقة مصريين أن يغرسوا ما استطاعوا من أشجار العلم ويقيموا ما يقدرون على اقامته من دور المعارف لتخرج لنا أبناء كراما لا تعرف الصغائر الى نفوسهم سبيلا . . .

ولقد علمت أن الانكليز بلغ بهم الغيظ مبلغه من هذه الحركة التى تسوءهم طبعا لانها تكشف الستار عن ظلمهم واستبدادهم واثرتهم وأنانيتهم ولكنى لا أبالى غضبوا أو رضوا . على أن جهدهم أنهم أوعزوا الى جرائدهم هنا وهناك أن تسبنى وأن تنكر على الامة المصرية بأسرها أن تكون سارية فيها روح الوطنية

ولئن كانوا قد قالوا وأعادوا مرات عديدة أننى واحد أعمل بمفردى بلا نصير من عواطف الامة ولا معين فليعلموا أن الحزب الوطنى آخذ فى الانتشار وأنه سيكون حزبا سلميا يعمل لانقاذ مصر بالوسائل السامية المشروعة الشريفة الى ان قال . . .

تيأس من روح الله ان الله لايحب اليائسين »

وجاء فيه بعد كلام آخر مانصه :

« كيف يكون فى مصر من يحسدنى وهاهم الفرنسويون يذكرون لى اليوم بمزيد التبجيل والاحترام أمثال موليير وميرابو وهوجو وغيرهم من الذين خدموا بلادهم خدما عالية وهم مثلهم فرنسويون ؟ ياعجبا للحاسدين !! قل لهم ياأخى ان الحسد نار لاتلوى على ماتتلف وليحرصوا على قلوبهم أن تحرقها النار فالوطن أولى وأجدر بقلوب تعبث بها هذه الصفات . قل لهم عسى أن تخمد تلك النيران الملتهبة . ان هذا الذى يخدم ويناضل فى باريس انما يخدم مصر ويناضل عن المصريين وأولئك قوم مصريون . قل لهم ذلك عسى أن يقووا على كبح جماح نفوسهم ووضعها حيث وضعتها القدرة وانزالها حيث أنزلتها الفطرة !!

قل لهم اننا فى ظروف سيئة يلزمنا فيها أن نتكاتف ونتعاون على ما يشرف قدر وطننا وأمتنا . وانك بلا شك توافقنى على أن ذلك الحسد ضرب من ضروب الجمود وسببه

انكليزى من وادي النيل ويصبح النيل حرا كما كان من قبل لهو اليوم الذى تهدأ فيه نفسى من التوثب للعمل بعزم لا يكل واقدام لا يمل . فلا تحسب أنني أديت ما عليّ لبلادى من الدين الكبير حتى اذا قيل لك ان أخاك يردف الحديث بخطبة ويتبع الخطبة بمناقشة ويقفى على أثر المناقشة بمقالة فليس هذا كله شيئا

واذا كان من يعشق فتاة جميلة لا يهدأ له روع ولا يهنأ له بال الا اذا وفر لها صنوف السعادة والرفاهية فما بالك بمن يعشق فتاة الدهر وأم العجائب ـ مصر ـ هل يعذر هذا العاشق اذا لم يسل روحه على قدميها اذا اقتضت الحال ؟؟

الا ان وطنا غذانى بنباته ومائه واستظللت منه بصفو سمائه لجدير أن أدافع عنه دفاع الأبطال فاما الى الرفعة والاستقلال واما أن أقضى آملا أن يقوم من أبنائنا أو أحفادنا من يبلغه عظيم الآمال

اننا ما خلقنا أيها الاخ الا لنعمل والناس يتفاضلون بالأعمال . فاعمل فى الدائرة التى أنت فيها بهمة ونشاط ولا

وهي ملك لهذه السيدة الكبيرة التى عرف المصريون قلمها السيال فى خدمة مصر والتى زارت بلادنا فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٤ ومكثت بيننا نحو شهرين من الزمان كانت فيهما موضع تكريم الجناب العالى والمصريين عموما مما سنشرحه فى محله بمشيئة الله

*
* *

كتب الى رحمه الله خطاباً استغرق ١٦ صحيفة ذكر فيه مسائل كثيرة مابين خصوصية وعمومية جاء فيه :

« تلقيت بمزيد الجذل والشكران كتابك الكريم وقد قرأته مراراً وأعدته على سمعى تكراراً فكان فى كل مرة يحدث فى نفسى تأثيراً عظيما ويورد عليها انفعالات شتى . وقد فهمت تمام الفهم ماأشرت اليه وانى عامل بما تشير على قدر الامكان

ولا أخفى عنك أيها الشقيق الأعز أنه لا محل للدهش فانى لم أصنع لبلادى شيئا بعد ومهما عملت وقلت فهو دون الواجب . وان اليوم الذى يقل فيه القطار آخر عسكرى

الحق والعدالة

« فلتحى فرنسا ولتحى مصر ولتحى الحرية »

(مصرى فى باريس)

* * *

برح المترجم طولوز فى اليوم التالى لهذه الوليمة قاصداً برلين (عاصمة المانيا) فودعه على المحطة اكثر كبار رجالها من سياسيين وصحافيين وغير صحافيين وقد رأى منهم كل تكريم وتبجيل. وبعدان وصل برلين أخذ يقابل رجال الصحافة وحملة الاقلام وفى مقدمتهم جناب مدير جريدة البرلينر تاجبلاط الذى أعجب به كثيراً وقد كان واسطة التعارف بينه وبين الكثيرين

بعد ان مكث ببرلين خمسة أيام قصد باريس وبعد ان أدى واجب الزيارة لكبار الكتاب والصحافيين الذين ساعدوه على نشر خطبته الاخيرة واستقبالها أحسن استقبال تعرف بالكاتبة الشهيرة والسيدة الجليلة مدام جوليت آدم لأنه كان ينوى ان ينشر آراءه فى المجلة الحديثة (لانوفل ريفو)

اجتماعكم هذا لمما يولد فى سرورا عظيما ويولينى شرفا كبيراً أنتم معشر الكتاب الوطنيين وأنشط المدافعين عن الحرية والاستقلال . وليس لى أن أخطب فيكم اليوم وقد علمتم عواطفى نحو الأمة العظيمة التى تنسبون اليها وما اعترافى بالجميل الا احدى نتائج الخدم التى قمتم بها للوطنى فانكم دافعتم ولا تزالون تدافعون عن مسألة مصر الحقة الشريفة ولهذا أهنئكم كرجل ذي شعائر وعواطف وأشكركم كواحد من بنى مصر الصادقين .

وانكم مهما تنازعتم اليوم فى الآراء السياسية واختلفتم فى المباديء بازاء أى مسألة عامة فان مصلحة فرنسا المنضمة الى مصلحة الانسانية تقضى عليكم بالدفاع عنها ولسنا نعرفكم الافرنسيين لافرق عندنا بين الجمهوريين والملكيين ولا بين الاشتراكيين والراديكاليين فانا لانعرف الا فرنسا والفرنساويين وبكم معشر الفرنسويين الوطنيين نستنجد واياكم نستعين . فعليكم كلكم أجمع ان تجيبوا نداء مصر الحزينة التي تحييكم من صميم فؤادها وتحيي فيكم أجدر المناضلين عن

لتحرير مصر مشجعاً له على عمله معجباً بوطنيته مهنئاً اياه على المهمة الشريفة التى أخذ على عاتقه القيام بها واختتم خطبتـه بهذه العبارة البليغة « وانى واثق كل الثقة بأن هـذا المحامى عن مصر سينال رغبته ويقضى لباناته ويسمع الحـكم لها على انكلترا . ولذلك أدعو زمـلائى أصحاب الجرائد الى تهنئته منذ الآن » وما أتم عبارته حتى صفق له الحاضرون

وقام المسيو اريست نقيب أصحاب الجرائد فى جنوب فرنسا وقال :

« وانى اعجاباً برصيفنا المصرى أشرب نخب الصحافة التى قام من رجالها في الشرق رجل يسعى فى تحرير وطنـه المحبوب »

وفى الختام نهض حضرة الاديب مصطفى أفنـدى كامل وقال مامؤداه :

اسمحوا لى بأن أشكركم قبل كل شىء عماأظهرتموه لى من عواطف الوداد سواء بأنفسكم أو فى جرائدكم الغراء مما تكرمتم باظهاره لى مرة أخرى اذ اجبتم اليوم دعوتي وان

وليمة طولوز

رأى المرحوم بعد ان أظهرت الصحافة الطولوزية عطفها على المصريين واهتمامها بمسئلتهم امام الاحتلال ان يدعو كبار الصحافيين الى وليمة فدعا ٨٥ من كبار الكتاب فى مساء يوم الأحد ٧ يوليه سنة ٩٥ وقد كتب أحد المصريين المقيمين بباريس لجريدة الاهرام تفصيل هذه الوليمة فنشرته فى عددها الصادر فى يوم الجمعة ١٩ يوليه وهذا نصه :

« اعترافا بالجميل دعا حضرة الوطنى المصري مصطفى أفندى كامل أصحاب الجرائد الطولوزية الى وليمة شائقة أولمها ليلة مبارحته طولوز وحضرها كل رجال الصحافة والتحرير فى تلك المدينة برئاسة المسيو لاتابيه المحرر الاول فى جريدة التلغراف وهى من الجرائد الخطيرة التى تصدر مرتين في اليوم صباحاً ومساء وبعد انتهاء المأدبة نهض المسيو لاتابيه فألقى خطاباً أنيقاً شكر فيه همة الوطنى الصادق مصطفى أفندى كامل مظهراً أنه يجب على فرنسا الاصغاء الى استغاثته

مالكة زمام أمرها ووطنه مستقلا رفيع المنزلة بين الاوطان

تراني حركة مستمرة : تارة أحادث وتارة أكاتب ومرة أزور ومرة أزار وحيناً أهاجم وحيناً أدافع . ولى كبير الامل أن يفتح باب المسألة المصرية للمناقشة عاجلا أو آجلا وكل آت قريب

أما صحتى فلم يطرأ عليها تغيير وهب أنه طرأ عليها شيء فان من يبذل الروح وهى الجوهر لا يبالى بالجسم وهو العرض على أننى أشعر بنشاط كثير رغم كثرة أعمالى

وقد اخترت أحد الفرنسيين ليكون سكرتيراً عسى أن أضاعف السير . هذا وسأسافر الى برلين بعد أيام قلائل ثم أرجع الى باريس حيث أرجو أن تكون عناوين كتبك الىّ فيها الى أن أكتب اليك بعد

وتقبل الخ الخ　　　　　　مصطفى كامل

٧ يوليو سنة ١٨٩٥

الطبقات الراقية وهم نحو ألفي نفس أو يزيدون أو أن جرائد العالم قد تناقلتها وتحدثت بها كثيراً . كلا لا أقول لك شيئاً من ذلك فلا بد أنك قرأته وعرفته ومن العبث أن أكرر على سمعك شيئاً وقفت عليه وألفته وانما أقول لك انى استطعت أن أعمل عملا يذكر لخدمة بلادنا وبلاد آبائنا وأجدادنا .

ذلك أن أخاك قد فتح قلوب سامعيه فتحاً وأودع كل قلب ذكرى لمصر لاتنسى

هذا ماأردت أن أقوله لك مما لايسمح وقتى القليل بأكثر منه لما هو أمامى من العمل وما علىّ أن أكتبه من الكتب الى الاصدقاء وغيرهم من رجال السياسة وذوى الرأى فى أوروبا فضلا عما تعرف من اجهاد نفسى فى اتقان عملى وقطع ألسنة الخصوم بالحجة والبرهان

فاعذرنى أيها العزيز فانى أتعب نفسى ليلا ونهاراً وان كان هذا التعب لايذكر فى جانب ماعلينا لوطننا المقدس من الواجبات فلو رأيتنى الآن لرأيت مصرياً يتحرق قلبه لرؤية أمته سعيدة

أو الفرنسية

وقد كتب الىّ رحمه الله من طولوز بعد أن القى الخطبة المذكورة خطاباً جاء فيه قوله بعد التحية والتسليم :

« انى أحمد العناية الالٓهية التى تلقينى فى كل آن من آيات التوفيق ماهو جدير أن يحقق شيئاً من كبار آمالى وآمالك فى خدمة الوطن العزيز والأخذ بيد هذه الامة الكريمة وأسأله سبحانه وتعالى كما أعاننى فى المبدأ أن يعيننى فى النهاية

وبعد فأسألك المعذرة من تأخرى عن الكتابة اليك في شأن الخطبة السياسيه التى قرأت أخبارها حديثاً . فقد رأيت أن الافضل أن تعرف كل مايهم عنها ولكن لا بواسطة قلم أخيك في البعد أو لسانه فى القرب . أما وقد سمعت عنها كثيراً وقرأت بخصوصها فى الجرائد الوطنية ماقرأت فانى قائل لك الآن مايسر خاطرك

ولعلك تتوقع أن أقول لك ان الخطبة استغرقت ساعة أو أن التصفيق كان حاداً أو أن الاعجاب كان شديداً أو أن الرضى عنها كان أكثر مما توقعت أو أن سامعيها كانوا من

ضدها على السواء

ومنذ ذلك الحين أخـذت شهرة المترجم تكبر وتزداد سعة فى أنحاء العالم كما أن كبريات الجرائد قد أخـذت تلهج بذكر المسألة المصرية وتتحدث بأعمال فقيـدنا العظيم . تلك الاعمال التى جلت وكبرت وأدهشت الالباب

وكيف لا يكون شأنها كذلك والمترجم بشهادة الواقع كان فى وقت واحد يكتب المقالات الوطنية كالبرجرام الذى وضعه وينشرها فى الصحف الوطنية وتهاجمه الصحافة الاجنبية بالأحاديث السياسية ثم تدفعه غيرته الشريفة وحماسته الطبيعية النادرة ونشاطـه الذي لا يعرف الـكلل ولا الملل الى القاء مثل تلك الخطبة التي نحن بصددها ويجتذب أنظار السياسيين وذوى الرأى في الممالك ذات الشأن الي البحث فى المسألة المصرية ويرد على مايرد اليه من الـكتب الخصوصـية وأقل ما كان يكتب يوميا من هذا القبيل عشرون كتابا ليس فيها الا ايضاح حقيقـة أو جواب علي سؤال أو حـل مبهم من المقاصد الى مايماثل هذه الاغراض مكتوبة بالعربية

من المطاعن والمثالب . وفي هذا المقام لا يسعنا الا أن نقول ماقام في هـذا العالم قديما وحديثا قائد وطني أمين شجاع أو مصلح عامل مجد الا وقد لقى من أهل الاغراض صنوفا من المقاومة والمصادمة

وذلك لان الحق نور ومن وظيفة النور تبديد سحب الظـلام . ومتى تبددت هـذه السحب ظهر وراءها الخائن والمرائى والمـأجور . فمن مصـلحة هؤلاء أن يبقوا مستترين عاملين من وراء ستار مجردين أنفسهم لاضعاف عزائم أهل الحق. وأهل الحق بهذا الـكيد لا يتأثرون وعن مقصدهم الحميد وخطتهم الشريفة لا يحيدون

وكم من مقاومة جرت الى تأييد حق وخذلان باطل. وكم من فئـة أضلتها الاهواء سواء السبيل حتى اذا كشف الستار عن دسائسها ومكايدها كانت عـبرة لمن اعتبر . على ان ما أبدته جرائد الاحتلال هنا من قبـل وما أبدته ازاء هذه الخطبة كان باعثا قويا على الفات الأنظار الساهية الى ماهنالك . وكذلك الحقيقة يخدمها من يعمل لهـا ومن يعمل

النادر وذلك الثبات الباهر الذى لم يألفوه من قبل حتى قيض الله لهم ذلك الذى كان يكتب بتوقيع «مصرى صادق» تارة وبتوقيع « مصرى أمين » تارة أخرى فقام من بين صفوفهم ليحاسب الطامع حسابا عسيرا ويشهر به فى الآفاق ويأخذ عليه المسالك من كل طريق ويشهد العالم المتمدن على مالهم فى هذه البلاد من المطامع الخبيثة والاهواء الشريرة

ذلك شأن الجرائد الوطنية وذلك موقفها أمام الخطبة المتقدم ذكرها . وأما الجرائد الاحتلالية فانها لم تأت بشىء يخالف ما كان متوقعا منها على الاطلاق

وماذا ينتظر من الصحف المأجورة للطامع ؟؟

لا ينتظر منها الا تصويب سياسته وترويج بضاعته ومعاكسة المقاصد الوطنية وكل حركة أهلية ترمى الى غاية شريفة وتعرب عن مقصد حميد

ولذلك فلا عجب اذا قلنا ان هذه الجرائد قد تلقت الخطبة يومئذ بما شاء حرصها على الزلفى للانكليز من التحقير والتخطئة والتفنيد . وأنعمت على المترجم بما نضح به اناؤها

الخطبة خدمة تشكر عليها شكرا جميلا جزيلا وقد أمطر البرق والبريد اداراتها برسائل التشجيع وكتب الثناء من المكاتبين والمراسلين وقد اتفقت كلها حول نقطة واحدة هى اكبار الخطيب وتشجيعه وابداء العطف عليه والحنو اليه وتأميل الآمال الكبار فيه

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه الخطبة كانت واسطة التعارف بين كل مصرى يحب بلاده وبين المرحوم ولا أستطيع ان اكيف العاطفة الشريفة التى كانت تقوم بنفس كل منهم كلما ذكر ان فى عاصمة فرنسا وطنيا هو أحسن سفير بين مصر وباريس وأقدر مترجم على التعبير عن آلام المصريين من الانكليز وآمالهم فى الفرنسيين

فقد كنت أحس ان قلب كل مصرى مخلص يفيض ولاء وثناء على المترجم . ويدلك على شىء مما كان علي هذه الخطبة من بليغ التأثير فى طبقات الامة المصرية جمعاء انه قد بلغ ثمن النسخة الواحدة من الجرائد الوطنيه التى نشرتها عشرة قروش صحيحه لان الناس فوجئوا مفاجأة بهذا الاقدام

نموذجا ومثالا

أما الجرائد الانكليزية فقد كانت عند ظننا بها لم تتقدم ولم تتأخر فقد استقبلت الخطبة بكل ذهول واعرضت عن دهش عظيم كأنها لم يكن يدور بخلد محرريها ان المصريين الذين يتفضل عليهم هؤلاء المحررون بلقب « الاغنام » يمثل شاب منهم هذا الدور السياسى الكبير

فأخذ بعضها يوجه عبارات السب المستقبح والطعن المستنكر الى المرحوم وتصمه بما شاء لها أدبها وشاءت لها نزاهتها من الاوصاف الذميمة والنعوت الشائنة وبعضها الآخر وهو اكمل أدبا وأظهر نزاهة أخذ يسب الدوائر الوطنية المصرية العاليه وقد تغالى البعض فى اظهار حسن الذوق وشرف النفس فأخذ يوجه للمصريين كافة عبارات جارحة وشتائم فاضحة الى غير ذلك من الخبط والخلط والهروب من الوفاء بالوعود الصريحة والعهود الفصيحة التى أقسم رؤساء حكومة بريطانيا بشرفهم ان ينفذوها ويبروا بها

وأما الجرائد المصرية فان الوطنية منها قد خدمت

« توقعنا فيما كتبناه في الاعـداد السابقة عن الحركة المصرية الحاضرة واستياء الامة المصرية من الاحتلال الانكليزي انه سيكون لمصطفى كامل المصرى شأن كبير في عالم السياسة لانه فضلا عن غزارة مادته التى تظهر على كل سطر من سطور خطابه الذى القاه في مدينة طولوز متقداً غيرة على بلاده ولا عجب في ذلك فان التاريخ حـدثنا كثيرا انه اذا تولى حـكم المملـكة شخص متعلم عادل كخديوى مصر يقوم في عصره الـكثيرون من أفراد الامة التى يحكمها ليشدوا أزره وينفذوا سياسته ونحن لا نشك في أن مصطفى كامل سيكون في مستقبل الايام على رأس عـدد كبير من مواطنيه المتعلمين مطالبين بحقوق بلاد آبائهم وأجدادهم

والنمساويون عموماً يرحبون بهذه الحركة ويقولون بصريح اللفظ لحـكومة الملـكة فكتوريا التى توجت تاريخها بجلائل الاعمال ان المصريين يسـتحقون عطفا وان أوروبا بأسرهـا تنتظر منها وفاءاً بالوعود وقياما بالعهود . . . . اه

هذا ماقالته احدى الجرائد النمساوية الشهيرة ذكرناه

هذا نموذج مما كتبته الجرائد الفرنسية من الشروح والتعاليق على هذه الحادثة بين بيان وثناء وقد كانت كلها على اختلاف مشاربها ومذاهبها متحدة على اطراء تلك الخطبة الكبيرة ولو اننا أثبتنا هنا ما كتبته جمعاء في هذا الصدد لبلغت سيرة المترجم مئين من الاجزاء لان قطع الجرائد التي أمامنا أتعبنا عدها فما بالك بتعريب مافيها

وأما الجرائد الالمانية والنمساوية فان الاولى انقسمت الى قسمين : قسم استقبل الخطبة كما استقبلتها الجرائد الفرنسية بالسرور والابتهاج وقسم علق عليها كلمات قليلة بعضها يشف عن الغيظ والحنق من تعلق المصريين بفرنسا دون غيرها من الامم (كألمانيا مثلا) وبعضها ينقط الحكومة الانكليزية بألفاظ من الثناء والاطراء يعجز عن الاتيان بمثلها الكتاب والشعراء

وأما الثانية وهى الجرائد النمساوية فقد كانت في مقدمتها جريدة (الاكستراجبلاط) الخطيرة فقد قالت تعليقا على الخطبة ماتعريبه :

لا يستهان بها كانت نظرة المصريين فى التعلق بها حقة والاستغاثة بها عملا صالحـاً

نعم نحن لا ننكر أن السياسـة فى العالم قائمة الآن على الاثرة وحب الذات والرجوع في كل أمر الى الصالح المادى وباسم هذه الصفات يجـد المصريون الشرف كل الشرف فى التمسك بحقوقهم وطلب المعونة من فرنسا . ولا ينكر أحد أن مصالحنا في مصر تكاد تكون كمصالحنا فى أية مقاطعة من مقاطعات بلادنا . لان ميراثنا الادبى والمـادى فيها يفوق كل ميراث فضـلا عن أهميـة البلد تلك الأهمية التى لا يجهلها سياسى مدرب

واننا اذا كنا نهنىء مصطفى كامل على فصاحته واستعداده الـكامل للدفاع عن حقوق مصر مرة . نرى من الواجب علينا ان نهنئـه ألف مرة على المعلومات التى كنا نجهلها وقد أودعها خطابه والبراهين التى يضىء من بين سـطورها نور الاخلاص وسلامة الضمير مما يميل اليه كل عاقل ميل المنصف الى المظلوم . . . » اهـ

أنفسنا سعداء بان ننشر بالحرف كلمات الخطيب

ونحن نؤمل أن حكومتنا وبلادنا تهتمان بهـذه المسئلة الخطيرة وتقابل أعمال الوطنيين المصريين بالرضى والاستحسان

وقالت جريدة الجورنال الباريسية ما تعريبه :

« نشرنا للقراء ملخص الخطبة التى فاه بها مصطفى كامل المصرى الذي أوفده المصريون للدفاع عن المسئلة السياسية الكبرى ألا وهى بقاء الاحتلال الانكليزى في مصر ومن يعرف أن مصطفي كامل ألقى هـذه الخطبة النفيسة وهو فى الحادية والعشرين من عمـره وبلغتنا مدة ساعـة من الزمان يعجب كثيراً بالذكاء المصرى ويحنو الى أمة علقت آمالها فى نيل حقها المهضوم بمساعدة فرنسا

نعم يجب على كل فرنسى أن يعطف علي هـذه الأمة التى منها هذا الخطيب المفوه لانها أمة لها من جميـل الخلال وحسن السيرة فى التاريخ علما وأخلاقاً مايحبب اليها كل ذى عاطفة انسانية . فضلا عن مركز مصر الجغرافى السياسى

ولمـا كانت فرنسا أول الممالك التى لها في مصر حقوق

للاحتلال الانكليزى قد جذبت نحوها كثيراً من رجال الافكار والمشتغلين بالمسائل السياسية فى فرنسا وفى كل البلاد الاخرى

لأن المسئلة التى دار عليها الكلام فى مساء الامس هى من أهم المسائل بل هى مسئلة ذات أهمية كبرى ليس فقط لفرنسا بل للسياسة الدولية أيضافان مسئلة مصر قد أصبحت اليوم مسئلة خطرة تدعو الى الاشتغال بها والاهتمام لها وسبب ذلك سلوك انكلترا وتصرفها

ويسرنا أن نقول ان جناب مصطفى كامل نجح نجاحاً لم يسبقه مثيل في الخطاب الذى القاه أمس ومكث فى القائه نحو ساعة بلغتنا الفصحى فى مدينتنا هذه وهي المدينة التى نال شهادته العالية منها تلك الشهادة التى علمته كيف يفهم فرنسا الادبية ويحبها فقيض له بذلك فرصة كانت فيها أول مصفقة لمطالب المصريين الشرعيين التى أقام نفسه رسولا لها ومحاميا عنها وانا باعلام اخواننا فى الصحافة البارزية عن هذا المشروع الابتدائى الشريف الذى قام به مصطفي كامل نرى

الكتابية

ويمكننا القول بأن ملايين من قراء هذه الجرائد كانوا في وقت واحد يتهامسون تارة ويتناقشون تارة في هذا الموضوع الذى فوجئت به الصحافة الافرنجية الخارجية وقراؤها بعد أن حسبوا أن المسألة المصرية لن تطرح على بساط المناقشة وأن أجلها قد انقضى . . . .

وانا لنرى من الواجب علينا أن نأتى بنموذج مما كتبته تلك الجرائد ليعرف كل مصرى يخدم المسألة المصرية أمام أمم العالم جمعاء أن الصادق الأمين لا يعدم من عشاق الحقائق ورجال النزاهة ظهيراً ونصيراً مهما طال الزمان وتوعرت الطريق .

قالت جريدة « الديبيش (التلغراف) الفرنسية التى تصدر فى (طولوز) مرتين صباحاً ومساء وهى من الجرائد الخطيرة الشأن بعد أن نشرت الخطبة المذكورة مانصه :

« لقى (مصطفى كامل المصرى) فى كل البلاد التى زارها أحسن حفاوة مما يدلنا على أن معارضة الامة المصرية

كيف لا وقد كان بينهم بعض رجال الحكومة وقادة الرأى العام أعنى رجال الصحافة الذين يحملون فى أيديهم أقلاما لها أسنة اذا أرهفت حرك صريرها تيجان الملوك وعروش القياصرة والامبراطرة فهى تقيم دولة اذا شاءت وتقعد دولة اذا شاءت. وكان فيهم عدا هؤلاء كثيرون من كبار السياسيين وأصحاب الحيثيات الرفيعة بحيث يمكننا القول ان هيئة ذلك المحفل كانت جامعة لارقى طبقات الامة الفرنسية بلاخلاف

وقد كان هؤلاء يسمعون الخطاب وهم من الاصغاء والتأمل كأن على رؤوسهم الطير ومن الاعجاب بقدرة الخطيب على التصوير والتأثير فى ذهول ومن الرجاء فيه والاعتداد به بين المهابة والاكبار

وطيرت شركات البرق من انكليزية وفرنسية وألمانية وغيرها خلاصة هذه الخطبة النفيسة الى أنحاء العالم كافة وتناقلت الجرائد الاوروبية والامريكية هذه الخلاصة وعلقت عليها الشروح الضافية الوافية وتناول كل منها البحث فى موضوعها الخطير على حسب مبدئها السياسى ولهجتها

بنباته ومائه واستروحت فيه الارواح ذكرى أعزاء قضوا نحبهم وهم عن حوضه يذودون وعن بيضته يدفعون

ذلك الوطن الذى لاحياة للامة الا فيه وليس لها بغيره مجد ترتضيه والذى هو أقدس ميراث ورثه السلف عن الخلف وأقدس تركة يضعها الآباء بين أيدى الأبناء ليحفظوها ويحوطوها بالارواح والاموال

ذلك الوطن الذى لا يدانيه فى الدنيا وطن من الاوطان جلالا وجمالا وشرفا ومجداً بشهادة التاريخ

فليحفظه الله بعنايته ورعايتـه وليخرج من بنيه صفوفا من الألوف وألوفا من الصفوف ليذبوا عنه وينقـذوه من بين أيدى مغتصبيه مهما كلفهم ذلك من المخاطر

نذر هـذه الـكلمة التى جاءت اسـتطراداً ونقول ان المترجم أجمل الله جزاءه وقف وقفة الليث فى العرين مملوءاً حماسـة وكياسة وألقى فى نحو ساعـة ذلك الخطاب النفيس باللغة الفرنسية الجميلة على زهاء ألفى نفس كلهم من كبار القوم سمعة وعلما ومشهوريهم فضلا وسياسة وأعيانهم رأيا ومقاماً

فرنسا التي أنزلتنا دائما منها منزلة أعز بنيها والتى ملكت بذلك قلوبنا وأرواحنا اهـ

*
* *

تلك هى الخطبة الوطنية السياسية الأولى للمترجم على أرض فرنسية وفى وسط فرنسيين بل هى أول خطبة ألقيت بلغة أوربا فى أوربا على المسئلة المصرية ودفاعا عن أشرف وأقدس واجب يتنافس فى أدائه المتنافسون ألا وهو الواجب الوطنى لخدمة الوطن المفدى بالأنفس والنفائس

ذلك الوطن الذى امتزج تبر ترابه بدقائق أجسام الماضين من الآباء والأجداد السابقين . ذلك الوطن الذى ألفته الارواح وغذته بعطفها القلوب وعشقته لحسنه النفوس فكان مناط الآمال وكعبة الأوطار

ذلك الوطن الذى قام فيه مجد الجدود وتلقيناه نحن عنهم جيلا بعد جيل هو الذي يحرسه كل مصرى بسوادعينه وسويداء قلبه ويضحى فى هذا السبيل كل عزيز عنده

ذلك الوطن الذى امتزج النفس بهوائه وغذيت الجسوم

ثالث الاسباب التي تدعو الى الجلاء : المصالح الكبيرة التي لاوروبا فى مصر اذ لاشك ان أوروبا تفقد كل مصالحها على شواطىء النيل اليوم الذى تضع فيه انكلترا أيديها على مصر . وأحسن برهان على ذلك الحرب العوان التي تحارب بها انكلترا علنا النفوذ الفرنساوى والتجارة الفرنساوية

وأخيراً من فائدة أوروبا أن ترد مصر الى نفسها وتثبت بعمل جليل كهذا انها تسمع صراخ أمة قهرت بغير حق . ولا تأتى أوروبا بانقاذ مصر أمراً آخر غير قهر القوة العنيفة التي لاتزال قوية سائدة فيها وتحقيق نصرة الحق

وأى شىء أجمل وأبهى من نصرة أمة مقهورة ! انه لواجب يسهل القيام به خصوصاً عند أمة كبيرة كفرنسا تحييها وتحيي مآثرها عدة من الامم

نعم أيها السادة ان من واجب فرنسا التي نستنجد بها أعظم استنجاد أن تتداخل لانقاذنا . نعم ذلك واجب فرنسا الكريمة التي أيقظت مصر من عميق رقادها والتي نشرت فى وطننا نور المعارف والآداب وجعلت مصر فرنسا الشرقية .

الوحيد المهدد للماليين . وذلك لان بلادنا بلاد زراعية محضه والضرائب التي ندفعها هى فى الحقيقة أجر وبما ان أثمان المحصولات فى هبوط مستمر والمصاريف الادارية فى صعود مستمر أيضا فيأتى ولا شك يوم لاتقدر فيه مصر على سداد ديونها مادام الانكليز محتليها . وهل من دواء لذلك ؟

نعم يوجد دواءان . تحويل الدين الموحد الذى يحدث تأثيراً وقتيا . واتباع اتفاقية لوندره لعام ١٨٨٥ التى حددت المصاريف الادارية بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات (أى ١٢٥ مليونا من الفرنكات تقريبا) والتى بلغت اليوم « والفضل عائد على الاحتلال الانكليزى » حوالى سبعة ملايين من الجنيهات فبذلك يمكن اقتصاد مبلغ خمسين مليونا من الفرنكات قبل أن تمس حقوق الماليين . وللوصول الى ذلك يتحتم خروج الانكليز من مصر جنوداً وموظفين

وزيادة عن ذلك فان أصحاب القراطيس المصرية لايخشون شيئاما . فالمصريون يقبلون أى مراقبة مالية أوروبية ويحترمون قبل كل شىء النظامات التى من شأنها ضمانة حقوق الماليين

فلتتنازل انكلترا وتسمع أقوالنا وتف بوعودها وتحترم عهودها التى فاهت بها أمام أوروبا والعالم أجمع وانا نكون ولا شك ذلك اليوم أول المصفقين لها المعجبين بفعلها. ولكن مادامت ممتنعة عن الجلاء فوطنيتنا تقضى علينا بأن نطلب من أوروبا الحرة الانصاف التام

ولا خلاف فى أن تحرير مصر من صالح أوروبا وذلك لعدة أسباب

أولا الوضع الجغرافى لمصر. فان الدولة التى تستولى على وادى النيل فضلا عن كونها تصبح سيدة البحر المتوسط والبحر الاحمر فانها تقبض بيديها وحدها على كل تجارة أفريقيا وآسيا تقريبا وتجعل المدينتين المقدستين (بيت المقدس ومكة) فى خطر

ثانياً فائدة حاملى القراطيس المصرية وهنا استلفت أنظاركم كل الاستلفات

يظن البعض ان القراطيس المصرية تسقط قيمتها وتنزل اذا خرج الانكليز من مصر على ان وجودهم هو الخطر

أعداؤ نالا يزالون يقولون عنا بعد ذلك اننا متعصبون فى الدين فقد جاء الوقت الذى يجب أن يقضى فيه على هذه الاساطير الممقوتة فاننا لسنا مبغضين للأوروبيين ولا لأى شعب من الشعوب . ولكننا مبغضون حقاً للاحتلال الانكليزى ونقول ذلك بصوت عال . فلقدمضى علينا نحو ثلاثة عشر عاماًونحن ننتظر خلاصنا من انكلترا نفسها . مضى علينا ثلاثة عشر عاماً ونحن ننتظر بصبر نافد احترامها لتعهداتها وقولها المأخوذ عليها وليس من خطئنا اذا كانت لم تفهم حتى الآن ضرورة الجلاء

واننا نعتقد كل الاعتقاد ان من حقوقنا بل من واجباتنا المقدسة الوفود على أوروبا بعد هذا الصبر الطويل لنطالب بحرية بلادنا وننشر كل مايجرى عندنا . ومع اننا قد حضرنا للقيام بهذا الواجب المقدس فاننا لم نفكر قط في الطعن على انكلترا اذ اننا نحترمها كما نحترم كل دولة أخرى ودليلا على عظيم احترامنا لها جئنا نظهر لها الحقائق واغلاط عمالها في مصر الذين لهم الصالح الاكبر فى اطالة أمد الاحتلال ليقبضوا المرتبات الطائلة التى يقبضونها الآن

« وليس ذلك عن ضعف منا أو استماتة بل عن اعتدال وغفران »

ولقد نشر الانكليز فى العام الماضى بين تلامذة مدارسنا كتب تاريخ باللغة الانكليزية وفيها الطعن على ديننا والتمثيل بنبينا وفى هذا العام نشر المستظلون بالعلم البريطانى فى مصر رسالة ضد الاسلام يدعون فيها المسلمين الى اعتناق ديانة غير ديانتهم وقد أرادوا ولا شك بنشر هذه الرسالة احداث ثورة دينية فى القطر ولكنهم لم يفلحوا لان الأمة قابلتها بحكمة عجيبة . ومجلس علماء الازهر الذين هم رؤساء الديانة أجاب على هذه الرسالة فى خطاب بعث به الى ناظر الداخلية بقوله

« ان الديانة الاسلامية تعلم معتنقيها احترام كل المذاهب وجميع الديانات وان الاعتدال والتسامح من قواعدها الاساسية »

وعليه فلم تكن أية أمة قادرة على التمسك بعروة الحكمة والصبر تتظاهر بمثل ما تظاهرت به الامة المصرية . فاذا كان

السوداء وقد خالطنا الاوروبيين عامة والفرنساويين خاصة كل هذا القرن فلم يظهر منا عداء لاى انسان . ولدينا الاوروبيون يسكنون كل النواحى والوديان السحيقة من القطر وكثيرون منهم منتشرون فى القرى الريفية الصغيرة بين أكثر الفلاحين جهلا وهم في سكينة وطمأنينة بال . وما ذلك الا لان أمتنا تحترم الاجانب الى حد تعتبرهم معه كأعز ضيوفها

فكيف يمكن ان تكون أمة كهذه متعصبة فى الدين بل كيف يمكن ان تكون كذلك وعلي رأس جيشها ٥٧ ضابطا انكليزياً وهو الامر الذى لو كان فى غير مصر لأحدث ثورة لانهاية لها

بل كيف يمكن ان تكون هذه الامة الهادئة الحكيمة متعصبة فى الدين وعلى رأس هيئة حكومتها من ليس متدينا بدينها ؟

وقد بلغ سكوتنا حداً حمل أعداءنا على ان يسبونا كثيرا ويسبوا ديننا ونبينا من غير أن يروا منا نزعة عداء لهم

وبرعاياها

وانكم تفهمون جيداً أيها السادة من كل ماذكرته لكم أن الاحتلال الانكليزى مشئوم على مصر من كل الوجوه ومن كل الامور ومناقض لكافة المعاهدات ولكل قواعد العدالة والانصاف فضلا عن كونه جاء أعظم عائق للامة عن السير فى طريق التقدم والمدنية

هذا ولم يأت الانكليز فى مصر خطأ على خطأ فقط بل أشاعوا فى أوروبا اننا أمة متعصبة في الدين نبغض المسيحيين مما هو ولا شك أشد ضروب الاختلاق فاننا لسنا متعصبين ولا مبغضين للمسيحيين بل نحن أمة هادئة كريمة والبراهين على ذلك لايمكن نقضها

فلقد مضى على مصر ثلاثة عشر قرناً نحن والاقباط فيها اخوة صفاء لانتكلم بشأن الدين الا اذا كنا فى المسجد أو كانوا فى الكنيسة ثم صرنا فى هذا القرن الواسطة بين أوروبا المتمدنة وافريقية المتوحشة والفضل عائد علينا وحدنا فى وصول كل الارساليات حتى الدينية المسيحية منها الى البقاع

أساتذتها فعليهـم ان يقولوا لنا اذا كان أمر مثـل هذا تـكلم عنه التاريخ أو هل وجدت شريعة فى زمن من الازمنة العريقة فى الهمجية سنت ماسنـه اللورد كرومر فى وطننا السيء الحظ الذى كان فى سالف الاعصار مهد النور والعرفان وعلى الخصوص مهد العدالة

ولـكننى أتساءل فقط هل نحن فى العصور الوسطى أو فى العصر التاسع عشر عصر العدالة والحرية . واتساءل أيضا ماذا يكون الحال اذا تشاجر مصريون مع بحـارة فرنساويين أو روسيين أو من أى جنسية أخرى . أيحاكم أولئك المصريون أمام محاكمهم الاهلية أم امام محاكم مخصوصة كـتلك المحكمة ؟ وهل يكون لهؤلاء البحارة الفرنساويين مثلا نفس الامتياز الذى للبحارة الانـكليز أم لا ؟ . أحقق انه لا . لان القانون المسنون للمحكمة المخصوصـة لم يتـكلم الا على العساكر والبحارة الانـكليز

أو ليس فى هذا الامر أيضا نقض لبلاغ ترابيا الذى يمنع كل دولة أوروبية عن ان تنال في مصر امتيازا خاصاً بها

السلطات وهو المبدأ المقدس الذى عملتم به منذ قرن

ومثال ذلك المحكمة المخصوصة التى أنشؤوها فى الشتاء الماضى والتى تحقر المدنية البريطانية وتعد دليلا واضحا على استعمال قوة العنف والاستبداد . فلقد أسست لمعاقبة المصريين الذين يتشاجرون مع عساكر أو بحارة من الانكليز . وهى محكمة لا قانون لها ولا دستور . تقبض بيديها فى آن واحد على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية وتحكم على حسب أهواء قضاتها الذين هم ثلاثة من الانكليز واثنان من المصريين وتصدر الاحكام بلا استئناف وتأمر بالتنفيذ الوقتى دون أن تترك للخديو الزمن اللازم للعفو عن المجرمين

فلا تندهشوا اذاً أيها السادة اذا بلغكم يوما من الايام أنه تأييدا للعدالة فى وادى النيل جزم الانكليز أنف فلاح أوصلموا اذنى آخر بحجة تطبيق شريعة الملك (بهنزان) الفريدة فى نوعها

وليس لى أن أصف لكم بشاعة هذا الامر المستغرب فانى أتكلم فى مدينة اشتهرت بمشرعيها وقضاتها ومشاهير

انهم حذفوا المراقبة الثنائية لفرنسا وانكلترا واستبدلوها بمراقبة واحدة يدير سلطتها مستشار انكليزى يقسم بين مواطنيه النصيب الوافر من الميزانية

أما العدالة فحالها محزن . فلقد كانت مصر الى عام ١٨٩٠ تتبع قوانين العدالة المعروفة فى فرنسا ويدير شؤونها النابغون من المصريين الذين أتم أكثرهم دروسهم فى مدارسكم الحقوقية

ومن هذا العهد عهد تعيين مستشار انكليزى تزعزعت أركان العدالة وتغيرت معالمها فلا وجود اليوم لقاضى التحقيق والنيابة العمومية أصبحت فى قبضة الحكام الاداريين . ذلك الامر الذى لم يحدث في بلد آخر والذى دعا بعض الوطنيين المصريين لان يقدموا لمجلس النواب الفرنساوى باسمهم وباسم مواطنيهم عريضة يفضلون فيها محاكمتهم أمام المحاكم المختلطة على بقائهم تحت سلطة الاهواء الانكليزية . وان لمقدمى هذه العريضة ولا شك عذرا فى تقديمها بعد ما أنكر الانكليز فى مصر احترام كل مبادىء القانون الاوربى واحتقروا العدالة لحد لم يحترموا معه مبدأ فصل

والتى لاتنسى أبدا

وان أعظم أسف أظهرته مصر على حالة المعارف موضح أحسن توضيح في القسم المتعلق بنظارة المعارف من تقرير مجلس شورى القوانين الذى وضعه أخيرا

وان النفوذ الانكليزى المشئوم على الوطن المصرى يرى الآن فى كل مكان . ففى نظارة الداخلية عينوا مستشاراً انكليزيا لامطلب له غير احداث القلاقل فى القطر عند اللزوم وسيكون من وظيفته الضغط الشديد عند انتخاب أعضاء شورى القوانين حتى لاينتخب الصادقون المخلصون لمصر. وأخيرا المراقبة الشديدة على الوطنيين الذين يميلون الى تخليص بلادهم من ربقة الاستعباد وتنبيه انكلترا الى الخطأ الجسيم الذى ترتكبه ببقائها فى مصر

وفى المالية ترى نفس النفوذ الانكليزى . وان نظام المالية عندنا مبنى على القاعدة التى قررها قانون التصفية الصادر فى سنة ١٨٨٠ والاتفاق الدولى الذى حصل فى لندره سنة ١٨٨٥ ولم يحدث الانكليز فى هذه النظارة أى اصلاح سوى

ان لغة أمة تكون لغة مدارسها بل يريد استعارة لغة أوربية تكون بالطبع اللغة الانكليزية ويعتبر ان « دانتون » أخطأ فى قوله « ان التربية أول حاجات الشعب بعد العيش » ويدعى المقدرة على اقامة البرهان بأن حصر التعليم فى أفراد قلائل ببلدمثل بلدنا محتاج أشد الاحتياج للتربية والتعليم من أفضل طرق التربية والتعليم فيه

وبتطبيق هذه الآراء العجيبة أصبحت الحكومة المصرية لاتصرف اليوم الا على ثمانى عشرة مدرسة بعد أن كان فى مصر نحو ٢٣٠ مدرسة فى عهدى محمد على واسماعيل

أوليس من العار على الانكليز وصولهم لهذه الغاية وسلوكهم هذا السلوك الذى أفضى الى جعل مدرسة الطب خاوية ليس فيها اليوم الا عشرة طلاب بعد ان كان بها فى الزمن الماضى نحو ١٥٠ طالبا على الاقل . وانها لمن أشرف ماأسس الفرنساويون فى مصر . هذه المدرسة الطبية التى أنشأها فرنساوى شهير هو كلوت بك الذى يذكرنا تمثاله المقام فى المدرسة نفسها بالخدم الجليلة التى خدم بها مصر

السباب على التلامذة

ومقصد الانكليز الوحيد هو استعاضة اللغة الفرنساوية باللغة الانكليزية وهدم أركان نفوذكم القوى وتقليل عدد المدارس وجعل التلامذة أعظم المعجبين بالاحتلال وبالاختصار جعل البلاد فى حالة من الجهل يتيسر لهم معها ان يحكموها بالظلم والعنفوان

وانها حقا لطرق مشينة غير لائقة بدولة عظيمة كانكلترا تدعى انها ممدنة العالم

وفضلا عن وجود العدد العديد من المعلمين الانكليز فى المدارس فان هناك وكيلا للمعارف العمومية يكفي وجوده وحده لكشف الغطاء عن مقاصد المحتلين وهو رجل أرمنى كافر بنعمة البلاد لايعرف اللغة العربية التى هى لغة الامة الملية

ولهذا الرجل الذى هو أعظم آلات انكلترا في مصر والذى لاأشرفه بذكر اسمه آراء فى التربية من الغرابة بمكان اذ يستحيل خطورها على بال انسان . فهو لايقبل

أتوه الا على أن يحببوا لنا هذا النفوذ الذى لامقصد سيء وراءه وان يبغضوا فى أعيننا الاعمال المكروهة التى يأتون بها .

وقد أصبحت نظارة المعارف التى كانت فى الايام الخالية تحتوى على أفاضل العلماء من الاساتذة المصريين والفرنساويين مرسحاً لفتية من الانكليز هم أقل أبناء جلدتهم أهلية لوظائفهم واكثرهم غرورا

والنتيجة انه لاغاية لانكلترا من الاستيلاء على نظارة المعارف التى لاتخفى أهميتها على أحد الا محو كل احساس وطنى من القلوب وغرس بذور العداء ضد الفرنساويين فى نفوس الناشئين مناوجعل كل أبناء الشبيبة المصرية على الصبغة التى يحبها الانكليز

ومن الصعب عليكم ان تتصوروا مايلقيه الانكليز في مدارسنا من دروس العداوة والبغضاء للدولة العلية ولفرنسا ولكن يكفيكم ان تعلموا بأن الحد قد بلغ بهم الى توزيع الجرائد الانكليزية التى تسب الامة المصرية وأميرها المحبوب أقبح

بالرعاية والمساعدة

ولما كان الامل يسوق اللورد كرومر الى العمل على الاحتلال الدائم كان من صالحه انتخاب غير الاكفاء فى الدواوين والمصالح ليكونوا من جهة آلات فى يديه ومن جهة أخرى برهانا لأوروبا على ان مصر محرومة من الرجال الاكفاء ولا قدرة لها على حكم نفسها بنفسها

ونحن بهذه المناسبة نؤمل مزيد الامل أن فرنسا تنطق بحقيقة حالنا وتبرهن لأوروبا على كفاءتنا واستعدادنا لان نحكم أنفسنا بأنفسنا وهى لا تعمل بذلك شيئاً آخر غير الموافقة على ما أتاه أساتذتها الذين لقبونا أحسن الالقاب العلمية

ولا شك ان النظارة التى أضر بها النفوذ الانكليزى اكثر من كل نظارة سواها هى القائمة على المعارف العمومية فان الانكليز يعملون دائما لاقفال المدارس من جهة ونشر لغتهم وأخلاقهم وعوائدهم من جهة أخرى ولقد بذلوا كل مقدرتهم فى هدم الارسالية المصرية بفرنسا ويجهدون فى محو آثار النفوذ الفرنساوى العظيم القوة والسلطة ولكنهم لم يعملوا بما

نا تولى الخديوية أميرنا الحالى عباس حلمي باشا بذل الانكليز كل مافى وسعهم ليقللوا احترامه فى أعين الامـة المصرية ولـكن الخديو بخطته الرزينة الحـكيمة استطاع الحصول على اخلاص رعيته وصدق ولائها له واعجاب العالم بأسره منه . ولقد تظاهر علي الدوام ضد كل أمر يخالف الشرع والعدالة أما الانكليز فكانوا يظهرون بكل الوسائل مقاومتهم وعداءهم لهذه الروح الشريفة الوطنية

وكان حق اللورد كرومر معتمد انكلترا في القطر ان يكون مثال الاعتـدال لابناء جنسـه . ولـكنه يدعوهم الى التحرش والتشبث بوسائل العداء والتهديد الذى يقابلنا به

ومع ذلك لو سئل اللورد كرومر عما يدعوه الى تحقيق مطالبه بالقوة والعنف لاحتج برغبته فى اصلاح ادارات مصر

وما هو ذلك الاصلاح ؟ هو تعيين موظفين من الانكليز على الدوام والاستمرار فى هدم كل نظام حكومي لتكون لهم الحجة الدائمة فى احتلال مصر الى الابد ويتبع ذلك الاصلاح ترقية بعض الجهال والمارقين الى الوظائف السامية وحياطتهم

بعد ثمانية عشر شهراً من امضائه لما أرادت قهر الحكومة الخديوية التي كان ينقصها اذ ذاك عضد فرنسا علي ترك السودان المصري الذى نعتبره الروح لقطرنا العزيز وعليه تتعلق حياة بلادنا وموتها

ولقد كان هذا الامر المناقض للشرع والقانون درسا مفيدا للمصريين الذين كانوا يظنون بسذاجة ان الانكليز فى مصر مخلصو الصداقة لها . فمن ذلك العهد فقه الجميع حقيقة مقاصدهم وعلى الخصوص الوطنى الكبير شريف باشا رئيس النظار اذ ذاك فانه لم يتردد لحظة واحدة عن تقديم استقالته وترك العار كله على رأس رجل مثل نوبار الذي كان اول من طأطأ رأسه خضوعا امام رغائب الانكليز

ومن النتائج التى كان يتحتم الوصول اليها عقب دخول الانكليز فى مصر تأييد السلطة الخديوية . فلننظر الآن أيها السادة اذا كانت هذه الغاية الاساسية تحققت أم لا . ان انكلترا تؤيد سلطة الخديو الشرعية ولكنها حاربتها ولا تزال تحاربها لتظهر نفسها امام الامة بمظهر الحاكمة الوحيدة لمصر . فمثلا

أعلنوها وضد المعاهدات الدولية

وان من أقوى الامثلة على ذلك بلاغ ترابيا الذي أمضته الدول الاوروبية جمعاء فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ أى قبل ضرب الاسكندرية بخمسة عشر يوما وكان القصد منه ضمانة استقلال مصر المحدود ومنع كل دولة أوربية عن امتلاك أى جزء من أراضى مصر أونيل أى امتياز خاص لاحداها

ولقد أرادت حكومة جلالة الملكة بامضاء هذا البرتوكول أن تثبت لاوروبا بصفة صريحة اخلاص مقصدها واحترامها للمعاهدات . أرادت بذلك أن تحقق للعالم أجمع انها محترمة معاهدات ١٨٤١ و١٨٥٦ و١٨٧٨ المتعلقة باستقلال الدولة العثمانية ومصر

فهل احترمت حقيقة هذه المعاهدات التى لا يسلم شرفها الا بسلامتها ؟

هل تركت بالفعل مصر لنفسها بدون أن تسلبها شيئاً من أراضيها أو تنال امتيازا خاصا بها ؟

كلا . ثم كلا . لقد نقضت انكلترا بلاغ ترابيا وتجاهلته

الليلة على النقط المهمة من المسئلة المصرية واقفا عند الاشياء التى تهمكم معرفتها

وليس من شأنى ان أكلمكم اليوم على مصر بصفتها بلادا جغرافية فان فى مدينتكم الزاهرة جمعية جغرافية أعضاؤها من الفضلاء المشهورين تخدم على الدوام العلم والمدنية بما تنشره من الفوائد والفرائد وان الفضل لعائد عليها في استجلاب الصور التى سأقدمها لكم مما له مساس بالموضوع الذى سأشرحه الآن

*
* *

دخل الانكليز مصر فى سنة ١٨٨٢ بعد الحوادث المحزنة التى تعلمونها جميعا باسم دولة محبة تسعى وراء تأييد السلطة الخديوية التى كان يهددها قائد عسكرى عاص ولتحقيق الراحة فى البلاد ولاحترام الامتيازات والضمانات الاوربية

ولقد كان أداء هذه الوظيفة سهلا جداً لو اتبعت انكلترا الخطة التى رسمتها لنفسها ولكن زين للانكليز أن يغشوا أوروبا ويعملوا لامتلاك مصر فجروا على نقيض الكلمة التى

عن مقـدار ما تأثرت به من الاحتفال الودى الذى تفضلتم بمقابلتى به .

وأرانى دون هذا التكريم لولا اعتبارى اياه موجها الى مصر كلها لا الى شخصى المتواضع

وانى لذاكر فضل حضرة المحترم مسيو « سير » شيخ مدينـة طولوز حيث ساعد رصيفى الفـاضل مسيو « لوى أريست » على عقد هـذا الاجتماع الذى حضرت اليه بكل ارتياح وانشراح

فان وقوفى فى هـذا النـادى لا كلمـكم على مصر لمن أقدس واجباتي خصوصاً واني أخطب في بلد بديع أحبـه وأذكر محاسنه مدى الزمان

ولـكننى أسألـكم قبل كل شىء غض النظر عن قصورى اذا لم تجدوا منى خطيبا خلابا فلست الا أحد طلاب لغتكم الجميلة ولا مقصدلى الا ايقافـكم على الحالة السيئة التى فيها بلادى

على اني لو أردت شرح مصائب مصر وآلامها كما ينبغى لما وفت فى ذلك الايام الطوال ولذا أقصر الـكلام هـذه

وقال كثير من الجرائد الفرنسية الخطيرة أقوالا مشجعة لا تخرج فى الغالب عن معنى ما ذكر . ولم يمض على هذا الحديث يومان حتى كان المترجم فى طولوز مدينة العرفان والنور . تلك المدينة التى نال منها شهادة الحقوق حيث ألقى هنالك خطبته الاولى على مرأى ومسمع من العالم الراقى باللغة الفرنسية . ونحن ننشرها هنا ليقرأها بامعان كل دارس لهذه السيرة الوطنية

خطبة طولوز

هذه ترجمة الخطبة البليغة الشائقة التى ألقاها (رحمه الله) في مدينة طولوز مساء ٤ يوليو عام ١٨٩٥ بناء على دعوة من كبار رجالها وعظام أساتذتها . وهى الخطبة الاولى التى ألقاها رجل مصرى على مسامع أوروبا شكاية من الاحتلال الانكليزى

« أيتها السيدات . أيها السادة

ما كان أحوجنى الى بلاغة كبار خطبائكم لاعرب لكم

وأظن ياحضرة المكاتب انى أبديت لك فيما قلته رأى اخوانى المصريين الذى هو مثل رأيي الخصوصى أيضا

ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا المسعى فى انقاذ شعب هادىء ساكن مستجير وتوطيدحرية الطريق الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط الباسيفيكى اه

*
* *

ماانتشر هذا الحديث الخطير هناك حتى أذاعته صحف العالم من قارة الى قارة ونقلته أسلاك البرق من دولة الى دولة كما أن شركة هافاس نشرته فى مصر فى اليوم التالى وعلقت عليه الجرائد الكبري فى باريس تعليقا كبيرا مرضيا

قالت جريدة الطان والقراء يعرفون منزلةهذهالجريدة الفرنسية الكبرى فى عالم السياسة والدوائر السياسيةالخطيرة مايأتي فى ذيل ماكتبته علي ذلك الحديث :

« لابد أن سيكون لمصطفى كامل المصرى دور مهم فى المسألة المصرية لانه ينطق فيها بالصراحة والحق غيرخاش بأس حدفى بيان المظالم الواقعة على رأس مصر والمصريين الخ الخ

لفرنسا فى مصر فهى فى كل يوم تحارب لغتكم التى نقبل على مطالعتها لاتقانها وجمالها وتعد الذين يتلقونها من التلامذة كاعداء لها فتسد فى وجوههم أبواب الوظائف وقد فازت بتقليل عدد الموظفين منكم كثيرا وضعضعت الارسالية المصرية التى كانت زاهرة فأصبحت اليوم لاتتألف الا من عشرة شبان نصفهم أرمنيون من مواطنى نوبار وارتين

ولكن الانكليز لحسن الطالع لم يتمكنوا من كل مساعيهم من اماتة النفوذ الفرنسوى تماما فى البلاد وذلك لما عندنا من الود المكين لكم

وبرهان هذا الود أننا لما أردنا الاستعانة باوروبا على اسعافنا السياسى كان أول ماعرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين كل الاعتقاد انها لاتمتنع عن توطيد نفوذها فى الشرق بانقاذها شعبا يحبها كل ذلك الحب

ولكن عندى أمرا أهم من كل ماتقدم أقوله لك وهو انه قد عيل صبرنا من طول الاحتلال فان كانت الحكومة الفرنسوية عازمة على عمل فلتعمله سريعا

مصر للانكليز فان مركز بلادنا الجغرافى مهم جدا ومصالح فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسئلة المصرية من أخطر المسائل التى تهمها مباشرة

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة محافظة على صيانة المملكة العثمانية وعلى استقلالها يجب عليها ان تحقق الاستقلال المحدود لوادى النيل الذي هو جزء من الدولة العلية

أما السياسة الفرنساوية في مصر فلقد كانت ـ وأرانى مضطرا بكل أسف لان أجيبك هكذا لاجيبك بصدق وصراحة ـ ولا تزال سياسة تساهل وتسامح

ولم يترك وكلاء فرنسا فى مصر الانكليز يهددون فقط أعظم تهديد العمل الجليل الذى عملته فرنسا فى بلادنا . هذا العمل التمدنى الخيرى الذي مانسيناه ولا ننساه أبدا . بل انهم بصمتهم وسكونهم الذى لايفهم له معنى شجعوا الانكليز على استعبادنا وسمحوا لهم ان يحولوا وادى النيل الجميل الى هند افريقيه اسوأ حالا من أختها الاسيويه

وانظر كيف ان انكلترا تزاحم النفوذ الحسى والمعنوى

عاد رحمه الله الى فرنسا فى أواخر شهر يونيه وقد دار حديث بينه وبين محرر جريدة الجرنال الفرنساوية فى يوم ٢ يوليه سنة ١٨٩٣ وهي من أشهر الجرائد الحرة وقد كانت أول جريدة نشرت حديثاً سياسياً للمرحوم بعد عريضة مجلس النواب وهذا تعريب الحديث :

مصر والسياسة الفرنساوية

« ان الحديث الذى جرى بيني وبين المصرى الوطنى (مصطفى كامل) النائب فى أوروبا عن أحبائه بمصر لا بد من انه يفيد قراء (الجرنال) وهاك ماقاله لى الوطنى المصرى :

ان سؤالك لى رأيي عن السياسة الفرنساوية فيما يختص بالمسئلة المصرية لسؤال خطير جدا وعظيم الاهمية

وان لفرنسا على ماأرى سياستين فى مسألة مصر : سياسة فى أوروبا وسياسة فى مصر نفسها

فسياستها فى أوروبا هي سياسة صريحة حازمة . فلقد أعلنت المرار العديدة انها لا تستطيع ولن تستطيع أبدا ان تترك

وآداب الجدال

وقد كتب الكثيرون من أصدقائه اليه يشكرون له هذه التؤدة في العبارة والحكمة فى العمل سائلين ألا يهتم بأقوال المكابرين

*
* *

بعد ان قدم المرحوم العريضة مع الصورة قصد برلين مع صحافى نمساوى قديم تعارف به بواسطة المسيو ديلونكل ولما وصل اليها زار ادارة الصحف الكبرى وعرف مديرى دفة سياساتها وقد أخلص له من بينهم اخلاصا تاماً مدير جريدة البرلينر تاجبلاط المستر زورخ فانه بقي على اخلاصه القديم يخدم المسئلة المصرية مع المرحوم حتى آخر أيامه

أراد بعض هؤلاء الصحافيين عمل حديث معه على المسئلة المصرية ولكنه فضل أن يكون ذلك بعد نشر حديث والقاء خطبة على الاقل على الارض الفرنساوية حتى لايخسر الدفاع بما يسببه مابين الفرنسيس والالمان من الحقد والتباغض والعداء القديم

وتصريحات هانوتو ورجال السياسة العظام قول منقوض وضحك وهذيان وانهزام السياسة الانكليزية فى ميدان المناقشة الدولية قوة لها وزيادة سلطان .

ألا قولوا للمارقين أمثالكم ماتقولون . أما نحن فلا تزيدنا أقوالكم الا قوة وثباتا فلا نغفل لحظة عن اظهار المستور وكشف الغطاء عما أتاه اللورد كرومر ومواطنوه ضد مصر والمصريين ولا نزال نسأل الوطنيين الصادقين الانضمام الينا تعزيزاً للحق وقياماً بفروض الوطنية ونجيبكم على مامضى من طعنكم وما يأتى بقول من قال واحسن المقال

واذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى (كامل)

باريس فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٩٥

*
* *

ما انتشرت هذه الجملة حتى خرج كل لفظ بذىء حواه القاموس العربى من أقلام من يسمون أنفسهم بأطواد الفلسفة وعلماء الادب مما اشمأزت منه كل نفس عرفت الكمال

ساعة احترامها لشرفها والى اليوم لم نر منها مايدل على قرب الوفاء ولم يبدلنا من رجالها لاصدق ولا وداد . فهل تعجبون ياقوم اذا دفعتنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجاد بأمم أوروبا

لعمر الشرف ان ما أتينا به لأحق الامور بالاتيان . واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى مجلس النواب الفرنسوى أثار منكم عواطف الغضب والحمق وهو أمر من أبسط الاشياء فما عسا كم تفعلون غداً والليالى حبالى وكثيراً مايضمر ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعاله لخدمة بلاده وتحرير أوطانه

ألا فانتظروا الحوادث وأهزءوا ظاهراً وموتوا باطنا مما نحن فاعلون وقولوا لاحبائكم ان قبول مجلس نواب فرنسا لهذه اللوحه رفض فى الحقيقة لها وتأسيس حزب لمصر من كبار السياسيين رضاء من العقلاء بالاحتلال واحتجاج الجرائد الروسية والالمانية والفرنسوية على وجود الانكليز فى مصر تصريح لهم بالبقاء الى أجل غير معلوم

عشر لا فى هذا القرن قرن العـدالة والانصاف مطالبا بحرية بلاده سائلا فرنسا مساعـدة وتعضيدا حيث لبت اذ ذاك نداءه ورقت رحمـة لانين أمته ونصرتها فى مطالبها الحقـة وساعدتها على نيل الحرية والاستقلال نعم اقتفى أثر رجال مثل سكوفاس وا كزانتوس وريكوس الذين سهروا الليالى الطوال على تحرير اليونان ولى أحسن اقتداء بكافور وغـيره ممن وهبوا ايطاليا الاستقلال بعد الجهد الجهيـد . كيف لا أقتدى بهؤلاء الرجال واعمل مثل هذه الاعمال وقد انقذت فرنسا من هاوية الخطر غانيـة تضرب لنا وحـدها الامثال واذا كان الانكليز يعملون الليل والنهار علي امتلاك الممالك واستعمار البلاد ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك حرمة المعاهدات في سبيل الاستيلاء على مصر ومد سلطتهم من الاسكندرية الى حكومة الكاب فهل من المستغرب ان يطالب مصرى « بحرية بلاده وهو أمر طبيعى بل فرض » تفرضه الحياة على كل انسان واذا كنا صبرنا معشر المصريين ثلاثة عشر عاما ننتظر الخلاص من انكلترا نفسها ونترقب

فان كنتم نسيتموه فلكم منى مذكر عادل يقول لكم ان كل أمة فى الوجود لم تر للحياة سبيلا الا على يد رجل أو رجال خاطروا بحياتهم وقدموا أنفسهم ضحية لها . وأنا لمصر ذلك الفرد الذى يضحى حياته لحياتها ويخاطر بنفسه لانقاذها من الخطر المهدد لها . فان كانت شبيبتى داعى لومكم على فهي لى نعم الفخار ولابناء جنسى خير محرك على خدمة الوطن العزيز

نعم هى نخارى فانى وان أكن فى أزهر سن الشباب لست ممن يميلون مع الاهواء ويقضون الساعات والايام فى الملاهى والملذات بل أنا ممن لاتحلو الحياة فى عيونهم مادام الوطن على خطر والامة على شفير هار . أفاخركم حقا أيها الطاعنون امام العالم أجمع بأنى وهبت حياتى لامتى وبلادى وبدأت اعمالى بعد سن الدراسة بمطالبة أوروبا العادلة حقا وانصافا . أفاخركم ساخراً من طعنكم وقدحكم بأنى أقتفى اثر رجال شرفهم التاريخ لما شرفوا بلادهم وأعزتهم مواطنهم لما أعزوها وأعلوا شأنها

نعم اقتفى اثر رجال كفرانكاين جاء فى القرن الثامن

كلمة الى المدلسين

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لئامها

عذراً أيها الاصدقاء الاوفياء اذا قصرت عن القيام بواجب شكركم على دفاعكم عنى أمام طغمة المارقين الذين أقل صفاتهم ان لا وطن لهم ولا خلاق . فانى أترك الوطنية الحقة تشكركم أجل الشكر وادع المحامد تحمدكم على رفيع احساساتكم وجليل شيمكم واستميحكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه للرد على هؤلاء الخوارج بلسان التاريخ فان فيه ولامراء أقوى مساعد على خدمة بلادى العزيزة وتحرير أوطانى المحبوبة. يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعة وحرية مسلوبة ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف ماألذ مثل ذا اللوم على أذنى . انه لعمر الحق ألذ من تغريد الطيور . أبلغتم أيها الخوارج من التدليس هذا المبلغ حتى اعتبرتم الفضائل نقائص ونسيتم أو تناسيتم التاريخ وأمثاله المضروبة على تخليص الامم من الاسر وانقاذ البلاد من خطر الضياع.

المتعلمين .

لانك لو وقفت على أعمالى من محادثات سياسية وتعريب للجرائد المصرية العربية ورد على كتب الشاكرين من الوطنيين مما يعد بالمئات لعذرتنى ورجوت معى ان نكون كثيرين فى هذا العمل الوطنى الشاق

ولكنى مع ذلك أشعر بنشاط فوق نشاطى وهمة فوق همتى وأجد من السعادة ان يكتب قلمى كلمة مصر ويذكرها لساني وطنا محبوبا . . . . »

مصطفى كامل

برلين فى ١٢ يوليه سنة ١٨٩٠

* * *

لما خرجت جرائد الاحتلال عن طورها ومسها هوى من تأثير العريضة والصورة اللتين قدمهما المرحوم لمجلس النواب الفرنساوى كتب رحمه الله جملة صغيرة وأرسلها لجريدة الاهرام فنشرتها فى عددها الصادر يوم الجمعة ٥ يوليه وهذا نصها :

ماوصل هذا الخطاب الى يد المرحوم حتى جاءنى منه تلغراف هذا نصه :

« شكراجزيلا كامل »

*
* *

وقد بلغت هذا النص لكل من أمضى على الخطاب .

وما جاء يوم السبت ٣ أغسطس سنة ١٨٩٥ حتى ورد الى منه خطاب أظهر لى فيه ارتياحه الكبير من عمل اخواني الضباط ولكنه نصحنا بأن نقرأ ولا نكتب حتى لا يؤل عمله تأويلا يضر مصر وقدجاء فيه هذه الجملة الحكيمة : « من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا بل نجتهد فى توجيه السهام اليه مع احتراسنا من سهامه . وانى لا اود ان يدخل الضباط في حركتنا دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسئلة المصرية ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لاختلاق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم

وأملي أن تتخلص من خدمة الجيش قريباً لتكون بجوارى في هذا العمل الكبير الذى يحتاج لمئات من المصريين المخلصين

وقد امضى عليه ٣١ ضابطا كلهم مصريون وهذا نص الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الشهم الغيور الوطنى المصرى مصطفى كامل افندى أيده الله

السلام عليكم . ان الذين يخاطبونك يجدون انفسهم أمام وطنيتك النادرة وتفانيك في حب مصر المقدسة صغاراً لان قلمك الحق أمضى من سيوفنا وحججك القوية أفعل من رصاصنا فان قصرنا في شكرك فلنا من عملنا اكبر عذر وفي عفوك أعظم أمل

انا نشكرك أيها السيد المبجل شكر المصرى الصحيح لاخيه الحميم فاقبل شكرنا واعلم أن روحنا طوع اشارتك في خدمة هـذه البلاد العزيزة فسر في هذا الطريق السلمى الحق ولا تخف أبدا فان من يخدم الحق يجد علي الدوام من الله نصراً والسلام عليك من اخوانك الضباط المصريين »

٢٤ يونيه سنة ١٨٩٠

(الامضاءآت)

اخذوا كل حق فيه غصبا

وفي الختام لا تنس أن تشرح لي آراء الضباط فى هذا العمل ودم بخير لاخيك المخلص

مصطفى كامل »

*
* *

بعد ان فضضت هـذا الـكتاب المنعش حدقت النظر فى الصورة السياسية طويلا وقد كان معى أحد اخوانى الضباط يقرأ فى الجرائد حيث ناولتـه اياها وبعد ان وقفنا على مغزاها كاد الشرر يطير من أعيننا علي بلاد هذا حالها

وما انتشرت الجرائد فى المحطة بين الضـباط ووقفوا على دقائق هذا العمل حتى اقبلوا علي سائلين صورا من هذه الصورة فاينما كنت أولى وجهى سواء في القشـلاق أو فى الطريق أو في النادى أجد من يسألنى وقد وعدتهم جميعاً أن أستحضر لهم صوراً منها

وقد دفع الضباط شعورهم الى كتابة خطاب للمرحوم يشكرون له فيه هـذا العمل وليكون منشطا له في كل أعماله

أما الخطاب فقد حوى أشياء كثيرة لا محل لذكرها هنا وجاء فيه ما نصه :

« ابعث اليك بعشر صور من الصورة التى تمثل مصر وهى راسفة فى قيود الاحتلال لتوزعها على من شئت من أصدقائك الاعزاء . أما تأثير هذا الجهاد فهو عظيم جداً وأؤكد لك أنه ليس فى استطاعة كاتب مهما كان قلمه سيالا قويا في الوصف ان يوفى المقام حقه . لان الجرائد الفرنسوية على اختلاف مبادئها ومشاربها قد استقبلت هذا العمل بكل ارتياح اذ رأت من المصريين ميلا كبيراً الى فرنسا واحتراما لها واعترافا بجميلها

ولما كانت الجرائد المصرية لا تنشر كل ما تكتبه الجرائد الاوروبية فى هذا الموضوع فقد عزمت ان ابعث اليك بكل ما ينشر لتقرأه وحدك . وأرجوك ألا تتظاهر باى عمل سياسى لئلا يضرك الانكليز ولا يغيب عنك أن القوانين العسكرية صارمة لا ترحم أحداً وعلى الاخص أخا من يعمل ضدهم ويدافع عن وطن آبائه وأجداده الذين

ليرى القارىء فى الاول منهما كيف تظهر العواطف الوطنية في صورة جلية ويقرأ فى الثانى منهما كتاباً من وجدان الناشىء المجاوز لطفولته حديثاً بعد أن أجلنا فيه قلم التصحيح لاقامة الاعراب مبقين لهجته وأسلوبه كما هما

ويقيننا أن نشر هذا الكتاب الصغير فى الصورة التى ركبه فيها قلم كاتبه أنجع تأثيراً وأفضل مما لو كنا تصرفنا فيه تصرفاً يذهب بلهجته وبطريقته معاً

بل هذان مثالان صغيران نقدمهما لكل مصرى وان أراد مثالا ثالثاً نقدمه اليه اجلالا لشعور الضباط حماة الامة نذكر له ما يأتي :

عرفت أيها القارىء الكريم اني كنت في سواكن ذلك الوقت وقد انتظرت بنافد الصبر ما ذكرلى المترجم فى خطاب بعث به الى من انه أوصى على صورة سياسية وما جاء يوم السبت ٢٢ يونيه حتى وردت الينا الجرائد وفيها نص العريضة ووصف اللوحه كما انه ورد الى أيضا خطاب من المرحوم ومعه ملف داخله عشر صور

كثيراً لان هذا الخبر يسر كل انسان

ونعم انك لما كنت تنشىء مجلة المدرسة التى كان برنجى الفرقة يخطفها منى دائما ولا يمكننى من قراءتها كلما حضرت الى كنت صغيراً جداً لا أقدر أفهم معنى ماأقرأ ولكن الآن ببركة الله والرسول أستطيع أن أقرأ مافى الجرنال من الحاجات اللطيفة والاخبار التى تفرح

فتقبل ياأيها المصري الامين كما يلقبك أبى ثنائى الجميل لانك غريب عن وطنك الآن وليس معك خادم ولا خادمة ولا أحد يقضى لك لزومك وأنت مشغول بمقابلة مجلس فرنسا وأحب منك لما ترجع بالسلامة باذن الله أن ترسل لى فى البوستة مجموعة المجلة (المدرسة) فانى أحب مافيها من المحاورات وأعدادها عندى أكثرها ناقص. وربنا يرجعك مصر سالما غانما آمين   كاتبه أحمد نعيم

بمدرسة راتب باشا بمصر »

*
* *

أثبتنا هذا الكتاب بنصه كما أثبتنا سابقه بلا تصرف

كان علي ولكنى قد أديته من زمان طويل يوم تنبأت لك بالمجد الذى أنت ملاقيه بعد أن بنيت المقدمة علي ما شهدت من وطنيتك العالية ومناقبك الغراء وكانت النتيجة التى تمرح منها فى ظل ظليل لمجد أثيل

أمتعنا الله بك وردك الينا خفاقة عليك أعلام الظفر حافة بك بشائر الفوز والتوفيق بالغة بك مصر ما تريده ويريده المخلصون لها جميعاً من السؤدد والرفعة والعزة والهناء

وتقبل على البعد اخ اخ　　　　الامضاء

١٨ يونيو سنة ١٨٩٥　　　　(محفوظ)

وكتب اليه تلميذ من تلاميذ مدرسة راتب باشا الكتاب الآتي :

تعلمت من أبى أن حب الوطن من الايمان وألقى على الاستاذ سير بعض المجاهدين وكان عمى يقرأ لنا فى البيت منذ أيام جرنالا اسمه المؤيد وعرفت منه أن للأمة المصرية التى قال معلمى انها عائلة كبرى فتى طيباً شريفاً يخدمها فى باريس فأخذت منه الجرنال وقرأت بنفسى فانبسطت نفسى.

بمالنا من الحقوق . ولو علمت ماأعلم وأنت العالم الحكيم من أن وجود مثل هؤلاء المنافقين المتخرصين نتيجة طبيعية من نتائج استبداد المصلحين ! ! لقلت معى ان الفضيلة لاتعرف الا بمعرفة الرذيلة واذا لم يكن فى الوجود أضداد فكيف تتميز الاشياء ويتفاضل الناس ؟ ؟

عهدت فى رأسك ذهنا شفافا وفى ذهنك خاطرا سريعا كما عهدت منك عزيمة أصلب من الجبال الشم وبين جنبيك قلبا على الاعداء كأنما قد من صخر فكن كما أنت مثالا حسنا للمصريين أمام العالم المتمدن

فانى واثق أن المجد لايخذل ولا بد من نصرة الحق آخراً وان طال خفاؤه ولا مفر من خذلان الباطل ولو كثر في هذا الزمان نصراؤه . وقد سألنى الكثيرون من اصدقائك عن عنوانك فى باريس فكنت أدفعه اليهم بحرص حذر أن يجد الدساسون طريقا اليك

وانى فى الختام أهنىء مصر بما ستلقى من أبر أبنائها بها ولا أهنئك بما اتوقع لك من المستقبل الجديد فهذا واجب

فلتسر يامصطفى فى نهجك القويم . فلو أنصفوك وأنصفنا الزمان بعد طول الخذلان لانضوى تحت لواء جهادك كل مصرى قادر حتى ترد الينا بضاعتنا ويرجع الينا عزنا المسلوب . ومعاذ الله بعد أن رأيتك تجاهد هذا الجهاد الشريف وتثبت فيه هذا الثبات النادر أن يجد اليأس الى قلبي سبيلا أو ينقطع من نفسى عرق الرجاء

واذا جاز لمثلى أن ينصح لمثلك وقد عرفتك من قبل شابا في الطفولة وكهلا فى الشبيبة وسأعرفك شيخا حكيما فى مقبل أيامك فانى أنصح لك ألا تعير أقوال الخصوم جانب الالتفات فانهم مأجورون ولا كرامة في الدنيا لمأجور . فاعتصم بحبل الله واصبر على ماتلاقى من العناء الجم فى هذا السبيل صبرا جميلا فالعاقبة للصابرين وسيتلاشى أمامك هؤلاء الاعداء كما يضمحل الثلج تحت شعاع الشمس وليس للباطل ثبات ولا للحق هزيمة بل ان هؤلاء المرجفين الذين يحاولون أن يقطعوا عليك خط السير ويقيموا فى طريقك العقبات والمشاق أخلق بهم أن يكون صنعهم داعيا الى تبصيرنا وزيادة تذكيرنا

صادفت فئة من أعداء البلاد الا حسدوك . وبالجملة فان المصريين الذين يجرى فى عروقهم دم مصرى يسألون الله أن يبارك فيك ويمدك بروح من عنده ويقوى حزبك المنصور حزب الحق والحرية والسلام

ان مصر قضت سنين طوالا وهى ترسف من كيد هؤلاء الذين دخلوا بلادنا باسم الاصلاح فاختل بهم نظام الادارة وتفشت الفوضى فى فروع الحكومة : فى قيود من الاستبداد والاستعباد تحت ستار التحسين والاصلاح . ومعاذ الله مهما تظاهروا بعكس مايضمرون أن انخدع بهم ونستكين الى ألاعيبهم وأكاذيبهم فقد آن لنا أن نرشد وأن نتعظ فى الحاضر بما رأينا منهم في الماضى

فأين ماوعدونا به من الوعود الكبار وأين هى آثار الاصلاح ؟ اني أوقن أن هذه اللفظة التى تتحرك بها ألسنتهم ولا تنطبق عليها أعمالهم لفظة لا وجود لها فى قاموس الادارة الانكليزية بل هى توشك أن تكون عندهم من قبيل الألفاظ التى لا معنى لها عندنا

يكتب اليه ننشر هنا كتابا استطعنا بالجهد الجهيد ان نجمع سطوره وهو كتاب حركت الغيرة الوطنية الى كتابته موظفا من كبار موظفى الحكومة الآن يشغل مركزاً سامياً من المراكز المعدودة

كتب هذا الموظف الكبير الى المترجم كتاباً كنا نود ان ننشره بخطه واسمه لولا ان التصاقه بالحكومة يحول بيننا وبين ذلك

قال حفظه الله بعد التحية والتسليم مانصه :

أهنئك تهنئة صديق أنت أعلم بالقلب الذى يحمله صدره وبما يكن هذا القلب نحوك من العواطف كما انك تعلم علم اليقين بوفائه لبلاده وحبه الذى كاد يكون جنونا بها وبعد فان عملك الاخير قد أحيا فينا الآمال وأعاد الى النفوس تلك الآمانى التى كنا نرتبها فى المدرسة فى زمن السعود والاقبال زمن الهناء وفراغ البال وقد بلغ من اعجاب القوم بك الا الحاسدين انى ما اجتمعت مع صحب الا ذكروك ولا لقيت جماعة من الكبراء الا أكبروك ولا

النعم بالكفران فطرة طبيعية ركبت فى نفس الفاضل وسجية غريزية قامت في طبيعة الغادر الجاهل

فلا تسل أيها القارىء عن سرور الامة المصرية عن بكرة أبيها فى شمال القطر وجنوبه ومن شرقه الى غربه عند ماقام المترجم بهذا العمل الوطنى الحميد فقد لهجت به ألسنهم وشغفت بحبه قلوبهم وتمثلوه حاضراً بين أعينهم ينثرون عليه طاقات الزهر وعبارات التشجيع ويدفعون عنه ماقام به ضده سفراء السوء ووسطاء الشر من الحملات المنكرة سواء بالالسنة أو بالاقلام وقد عثرنا بعد وفاة المترجم على نتف متفرقة فى كتب من القدم متمزقة وفيها من عبارات الشكران والثناء الجميل التى كان ينفحه بها المصريون أثناء جهاده ما كان خليقا ان ينشر لولا ان هذه الكتب لقدمها قد تأكلت وذاب بعضها وهى مما وصل اليه فى باريز عقب نشر تفصيل هذا العمل المشكور هنا

ولكى نعطى قراء هذه السيرة مثالا صغيراً مما كان

فى يمينى حياءً دون ان أستطيع كتابة لقب واحد منها والكاتب الذى يحترم قلمه يربأ به ان تقطر منه رشاشة تسود وجه القرطاس

وكان هذا الاستقبال من كلا القسمين ما ينتظر بالطبيعة لان المترجم وقف بين صفين من الجرائد مختلفين نزعة وسياسة فجريدة وطنية تطرى كل حركة وطنية وترحب بكل سعى وطنى وتأخذ بناصر العاملين من الوطنيين وفاء بحق الخدمة لهذا البلد الامين. وجريدة احتلالية تخطىء كل حركة ليست على هوى الانكليز وتشمئز من كل سعى يدل على نهوض المصريين وتكتب الالفاظ البذيئة والالقاب الذميمة مفيضة هذه وتلك على كل مصري عامل ووطنى ناهض

وهل ينتظر من الصديق الوفى غير عبارات التأمين على كل دعاء والتلبية لكل نداء . وهل ينتظر من الدخيل الغادر خادم العدو القاهر غير الطعن والتقبيح لكل عمل صالح ؟ هكذا الدنيا من القدم رجل يعرف الفضل لذويه ويعترف به لمسديه ورجل يقابل بالاساءة الاحسان ويتلقى

بوجوب وفاء الانكليز بوعودهم لان الحكومة التى لاتبنى عملها على أساسين من الشرف والوفاء لاتكون محترمة امام العالم ولا مذكورة بالثناء على لسان التاريخ

اما جرائدنا فانها انقسمت ازاء هذه الحادثة الى قسمين. الجرائد الوطنية مشجعة مبشرة والجرائد الاحتلالية مثبطة منذرة

فالاولى استقبلت هذه الحركة الميمونة بما هى أهل له من الاكبار والتشجيع اذ علقت عند ورود التلغرافات العمومية بهذا النبأ تعليقاً يشف عن فرط رغبتها فى تشجيع همم العاملين من الوطنيين لخدمة البلاد خدمة صادقة خالصة ويعرب عن أكيد الوفاء لمصر وكذلك كتبت الفصول الضافية عند ماوصل اليها نص العريضة وصورة اللوحة المصحوبة بها

اما الثانية وهى الجرائد الاحتلالية فانها كما هو المنتظر منها وكما هو شأنها استقبلت هذه الحركة بتهديد المصريين والطعن عليهم فى كل ماله مساس بهم ولقبت المترجم بما نضح به اناؤها وجاد به أدبها وذكاؤها . لقبته بألقاب يقطر القلم

والطول

وانا ننذر هذا المصرى وغيره انذارنا الاخير من ان الدول الاوروبية جميعا ترى من مصلحتها بقاء الاحتلال ليضمن لهن مصالحهن لان المصريين ليسوا أكفاء لهذا العمل فاذا تركناهم وشأنهم وقعت مصر فى الفوضى التى كانت عليها فى سنة ١٨٨٢

وفى نهاية قولها هزأت بالجرائدالفرنساويةالتى عضدت هذه الحركة وقالت : ان من الخرق فى الرأى ان يعضد الانسان غريباً جاهلاغير متمدن ضد جاراًقرب وأنفع ! ! ! »

على هذه النغمة الانكليزية وبهذه الالفاظ التى يتحرك بها لسان السياسة الاستعمارية جاءتنا جرائد الاحتلال فى حين ان جرائد العالم بأسره قد استقبلت هذا العمل العظيم بصدر رحيب حتى ان جرائد امريكا استبشرت خيراً بهذه الحركة المباركة فقد كتبت جريدة « نيويورك هرالد » فصلا ينم على حسن أدبها وصدق لهجتها هنأت فيه المصريين بعملهم وأثنت ثناء جميلا على ماعندهم من النشاط والذكاء ونادت

السيكل . الاكلير . الماتان . البترى . فرنس . الليبرتيه)
وغيرها مما يضيق المقام عن ذكره

اما الجرائد الانكليزية فانها استقبلت هذا العمل بالاستهزاء كما هو المنتظر منها وسبت المترجم سباً شنيعا كعادتها فى كل أمر يدل على نهوض المصريين . وقد قالت جريدة ذى ستندرد فى هذا الموضوع ماتعريبه :

« ظهر بين المصريين رجل مهيج يدعى انه مصرى والحقيقة انه تركى وقد كان أبوه موظفاً فى سراى الخديويين المصريين . قدم هذا المهيج المغرور استنجاداً لفرنسا من الاحتلال ونسى ماعليه انكلترا من القوة والحق فى احتلال مصر

ويظهر ان المصريين ناكرو الجميل لاننا أحسنا اليهم فعلمناهم بعد ان كانوا انعاماً ونظمنا جيشهم وأحسنا أحوالهم المالية .

فالرأي العام الانكليزى لايلتفت الى هذا الهذيان الذى يدل على ان يداً كبيرة تحركه ضد انكلترا صاحبة الحول

أثبتت العريضة ووضعت الصورة قالت فيها :

« يظهر ان المصريين متألمون كثيراً من أعمال الانكليز في مصر وان الحكم الانكليزى وتوغل الاحتلال فى بلادهم علمهم كيف يكونون رجالا . اما سياسة المانيا فى مسئلة الاحتلال الانكليزى المصرى فهي غامضة للآن ولو ان الالمانيين يعطفون بكل جوارهم على المصريين

قال لنا مصطفى كامل في كتابه انه سيزور برلين قريباً ونحن نرحب به وبكل مصرى يزور بلادنا لبث شكوى المصريين . . . . »

*
* *

وقالت جريدة دى روما الايطالية مالا يخرج عن معنى ما كتبته الجرائد النمساوية والالمانية

اما الجرائد الفرنساوية الكبرى التى أشارت الى هذا العمل السياسى العظيم فهي :

(الطان . الديبا . الريبوبليك فرنسيز . الفيجارو . البتي جورنال . السولى . الانتراسيجان . الراديكال . الفريتيه

تقديم عريضة لمجلس نواب فرنسا (ونشرت صورتها كما وضعت اللوحة السياسية)

ولا شك عندنا ان المصريين مااختاروا باريس مركزاً لاعمالهم السياسية الا لتلك الرابطة القوية التى تجمعهم والفرنسيين الذين عاشروهم طويلا ونشروا بينهم العلوم والمعارف باخلاص فضلا عن المصلحة القويمة التى لفرنسا ماديا فى مصر والتى تفوق مصالح كل الدول. وانه اذا كانت فرنسا تظهر انعطافا نحو المصريين فكذلك النمساويون يظهرون هذا الانعطاف نحو بلد أميره ابن النمسا أدبيا وهو الامير « عباس حلمى الثانى » خديوى مصر فهل لحكومتنا ان تجيب نداء المظلومين فتأخذ بيدهم فى مؤتمر يعقد للفصل فى هذه المسئلة المصرية الدولية ؟ هذا مانؤمله . . . . ونختم قولنا بأن نهنىء مصطفي كامل من صميم فؤادنا على عمله هذا ونرجو له التوفيق هو واخوانه فى هذا العمل الوطنى العظيم »

*
* *

ونشرت جريدة برلينر تاجبلاط الالمانية جملة بعد ان

بكرامتها وانها لا يصح أن تكون كمية مهملة . . . الى أن قالت :

والمسئلة المصرية التى قام على رأس العمل فيها مصطفى كامل لم تكن مسئلة الامة المصرية فقط بل هى مسئلة العالم المتمدن بأسره وفي مقدمته فرنسا التى غرست شجرة العلم العصري فى مصر وأول الحكومات ذوات المصالح فيها . مادياً وأدبياً

وانه اذا كان المصريون اختارونا للدفاع عنهم فنحن أحق بأن نختار أنفسنا أيضاً لمناقشة انكلترا وطرح المسئلة المصرية على بساط البحث مع مسئلة الشرق الاقصى . . . . »

وقد نشرت جريدة الا كستراجبلاط النمساوية كلمة فى سبيل هذا العمل السياسى هذا تعريبها :

« ان مصطفي كامل المصري شاب تعلم في فرنسا ونال منها شهادة الحقوق وقد تشبع بروح الدفاع عن حقوق وطنه مصر والظاهر ان فى مصر جمعية كبيرة تعمل لانقاذ الوطن وان مصطفى كامل موفد من قبلها وقد كان أول عمل له هو

في هـذا الصدد الى مؤلفات ضخمة . وقد قدمنا ان المترجم بعث الى كل جريدة من جرائد العالمين بنسخة من العريضة وصورة من اللوحة السياسـية ؟ ولا يخفى أن جرائد العالم الاروبى والامريكي كانت اذذاك تبلغ نحو ثمانية آلاف جريدة عدا. وهي بين صحف مصورة وصحف غير مصورة كما أنه لا يخفى ان استقصاء ماورد فى كل هـذه الجرائد عن هـذه المسألة الخطيرة بل الحادثة التاريخيـة الـكبيرة لا متسع له فى هـذا التاريخ

ولهذا نجتزىء فى هذا المقام بما نحن ناشروه . قالت جريدة « الجولوا » وهي اكبر وأقدم الجرائد الفرنسـية مايأتى :

« ان العريضـة التى قدمها مصطفى كامل المصرى مع اللوحة التى تمثـل فرنسا في عظمتها وتحريرها للامم الضعيفة أصبحت موضوع الحديث في كل انحاء فرنسا ولا نخطىء اذا قلنا في كل انحاء العالم . فان العمل في ذاته جليل وهو يعد بمثابة تاريخ لظهور الامة المصرية بمظهر الامم الحية التى تشعر

من حقوقه الطبيعية الثابتة وان مصر ذات المجد التاريخى القديم والعظمة الجليلة المدهشة ومجمع المدنيات الثلاث حرام أن يكون حاضرها أقل من ماضيها سؤدداً وشرفا

كما انها الفتت الجرائد المحلية الى همة هذا المصرى الوطنى العامل والى مايعمل لخدمة وطنه بمثل هذا المسعى المبرور الذى يمثل المصريين أمام الاجانب تمثيلا يملأ العيون.

وقد نوهت شركات البرق بذكر هذا النبأ . فاحدث كل ذلك ضجة فى الدوائر السياسية التى عنيت بفهم هذه المساعي عناية فائقة . وتلفت القوم ينظرون من هذا المصرى الذى بهر الالباب بعالى همته وشرف آماله الكبار

ولما كانت آراء الصحافة الاروبية والصحافة الامريكية قد تمثل اكثرها فى هذه المسئلة فانا نذكر هنا أقوال وأسماء بعض الجرائد التى كتبت فى هذا الشأن كمثال على ما كتب اكثرها لان اثبات ما كتبته جميعها أمر يحتاج الى مجلدات ضخمة ويستغرق وقتاً غير قليل

وكيف لا يحتاج اثبات ما تفضلت صحف العالم بنشره

وهل لفرنسا ان تؤيد بهذا العمل الجليل مكانتها فى العالم الاسلامى الواثق بها؟

على ان ذكر اسم مصر عند ما تكون حرة مستقلة بجانب أسماء الامم العديدة التى حررتها فرنسا ليس بالفخار القليل لها.

« فلتحى فرنسا محررة الامم »

*
* *

وانا لا نتمدح بما لقى هذا الصنع الجليل من عظم التقدير ولا بما كان له من بالغ التأثير وانما نضع هذا الاثر السياسى التاريخى النفيس ليحكم القارئون بما يرون من استحقاق هذا الجهاد السامى فيكون حكمهم عادلا وجهد مانستطيع ان نقوله ان هذه الحركة الجميلة الفتت أنظار الجرائد الاروبية الكبرى والصغرى على اختلاف أجناسها ومنازعها الى ان فى مصر شعباً حياً يطالب بماله من حق مسلوب وملك مغصوب بالطرق السلمية المشروعة وان هذا الشعب المهضوم الجانب بحكم السياسة الجائرة جدير بأن يسترد ماهو عامل على استرداده

*
* *

وأما العريضة التي رفعت لمجلس النواب فهذا نصها :

«ياحضرة الرئيس

انى بأشد انفعال يخالج القلب تأثيره أتشرف بأن أقدم لمجلس النواب الذى أنت له نعم الرئيس هذه اللوحة التي تمثل مصر طالبة من فرنسا أن تكون لها خير عضد يساعدها على استرجاع حريتها واستقلالها . وان هذه اللوحة تمثل لدى مجلس النواب حالة أمة ناشئة غيورة على حريتها المسلوبة بغير حق منذ ثلاثة عشر عاما . ولقد برهنت الامة المصرية ياحضرة الرئيس مع مايعتورها من المصائب الشديدة على سكينة وصبر عجيبين استمالت بهما قلوب الامم الاوروبية

ولكن لما اعتراها النصب جاءت مستغيثة بفرنسا . هذه الدولة العظيمة التي أعلنت «حقوق الانسان» والتى سارت به منذ قرن فى سبيل التقدم والمدنية

جاءت الامة المصرية تستغيث بهذه الامة الكريمة التى حررت عدة من الامم . فهل تجاب في استغاثتها وتضرعها؟



Appel au secours du Peuple égyptien à la France libératrice des nations.

﴿ الصورة التي قدمها الفقيد ﴾

﴿ الى مجلس نواب فرنسا ﴾

وعلى يسار تلك الصورة الهائلة ترى النيل وقد مثل بشيخ من شيوخ الاعصر الخالية متكىء على اناء تتفجر منه عيون النيل ومن دقيق الاشارات ان ذلك الرجل الهائل ضارب باحدى رجليه فى النيل رمزا الى معنى الاحتلال . وقد زينت الحاشية السفلى لتلك اللوحة بهذه الابيات التى كتبت بالعربية (وهى من انشاء الفقيد) وكتبت أمامها ترجمتها بالفرنساوية :

أفرنسا يامن رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك
انصرى مصر ان مصر بسوء
واحفظى النيل من مهاوى الهلاك
وانشرى فى الورى الحقائق حتى
تجتلي الخير أمة تهواك

أنواع المحاسن قائمة على منصة علاها مصغية لاستغاثة الملهوف تخفق عليها أعلامها الاهلية وهي تمد يمناها لتأخذ من يد المصرى عرض شكاية الامة المصرية الواقفة مستظلة برايتها الهلالية رافعة يديها على صورة المستغيث مما نزل بها . ومن وراء فرنسا قد مثلت الامم التى أنقذتها هذه الدولة من قيود الاسر محدقة بها تشخصها صور أربع غانيات تحلت كل واحدة منهن بملابسها الاهلية اشارة الى الولايات المتحدة واليونان وبلجيكا وايطاليا « وهى الامم التى نالت حريتها بمساعدة فرنسا » وعلى كل واحدة منها تخفق راية وطنها

وفى الاسفل ترى مصر العزيزة قد مثلت بغانية جميلة مكبلة بسلاسل الاسر واغلال الهوان قد سلبت كل آثار نضرتها حتى أصبحت عارية لاتملك سوى شعار حدادها على ماتولى من أيام سعادتها وتلك السلاسل فى مخلب أسد رابض يجاوره رجل هائل الصورة قابض على سيفه ناظر الى مصر نظراً شزراً كأنه يريد أن يبتلعها بفمه . وذلك مثال القابضين على أمر مصر بالقهر والعنوان

الصورة الى سكرتير المجلس

أما العريضة فقد استلمها منه جناب الرئيس بيده بعد أن استقبلهم استقبالا هو آية فى الحفاوة والاجلال مظهرا لهم ماشاء عطفه ولطفه وما شاءت عظمة فرنسا أمة الحرية من التشجيع والقبول والاقبال مبديا لهم من التكريم ماهو خليق أن يلقاه المخلصون . فى خدمة وطنهم وأمتهم فى كل زمان ومكان

وقد أرسل المترجم عقب ذلك نسخة هذه الصورة ونص العريضة الممثلتين لحالة مصر السياسية ومطالبها الوطنية الى كل جريدة من جرائد العالم الاروبى والامريكى

أما الصورة فانها تمثل مصر والاحتلال الانكليزى وقد رسمت بالبوية وطبع منها الآلاف العديدة التى وزعت على النواب وأصحاب الجرائد وكافة السياسيين والتى أحدثت فى الشعب الفرنساوى كله أحسن وأجمل تأثير . وهذه الصورة تشتمل على مجموعة رسوم ورموز مثلت فيها فرنسا بفتاة استكملت

العريضة المرفوعة

﴿ الى مجلس النواب الفرنسى ﴾

وكان المترجم قد أوصى بصنع كمية وافرة من الصورة التمثيلية السياسية التى صحت عزيمته على رفعها الى مجلس النواب الفرنسى فانتهى طبع عدة آلاف منها يوم الاثنين ٢ يونيه سنة ١٨٩٥ وقد جاءت وفق غرضه الذى رسمه شكلا وموضوعا واتفق مع ستة من اخوانه المصريين الافاضل الذين كانوا مقيمين فى باريس اذ ذاك على الاستعداد معه لتقديم العريضة الى جناب رئيس مجلس النواب الفرنسى بصفتهم وفدا يمثل الأمة المصرية أجمل تمثيل

وفى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الاربعاء ٤ يونيه أى بعد نجاز طبع الصورة التمثيلية السياسية بيومين قصد مع اخوانه مجلس النواب مملوئين جميعا من روح الأمل التى كان يبثها المترجم فى صدورهم متمثلين أمام أعينهم المستقبل الباهر لمصر بما يرجون من معونة فرنسا للمصريين فى هذا السبيل. ورفع

التعب فى انقاذ الوطن العزيز اذ أن ذلك من صالح أوروبا ولا مراء فى أن الدول التى حررت سويسرا وبلجيكا لها فى تحرير مصر فوائد اكبر من فوائدها فى هاتين الدولتين

فليس على المصرى الامين واجب آخر غير نشر الحقائق عن أمته ووطنه فى أوربا والاستعانة بها كما استعان بها غيرنا من قبل .الا فاجمعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز وأخلصوا النية فى خدمة مصر والقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق واختاروا سبيل الخلاص سبيلكم حتى يشهد لكم العالمون بالكفاءة والاستعداد وحب الوطن وترون بعين البهجة والرضاء بعد زمن يسير (مصر للمصريين)

(مصطفى كامل)

باريز فى ٢٤ مايو سنة ٩٥

منا حظاً وانكد طالعاً فعملت وجدت حتى بلغت السعادة والعلاء بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرءوا ان كثيراً من الامم التى نعجب بسعدها اليوم رأت من العذاب أشد العذاب ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على سعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار وكانوا لا محالة نجحوا فى عملهم الشريف

فهذه الولايات المتحدة التى تدهش العالم كل يوم بمحاسن أعمالها وأحاسن اختراعاتها عاشت عهدا طويلا تحت نير الظلم والاستبداد يجرعها الانكليز كؤوس العذاب ولم تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال الا باتحاد أبنائها والعزم والحزم والصبر والانتظار

وهذه ايطاليا صبرت طويلا وعملت كثيرا فنالت الجزاء أحسن الجزاء وأصبحت اليوم فى عداد الدول الخطيرة

وكذلك اليونان وغير اليونان من الامم التى نالت الاستقلال بالجد والثبات والاقدام

وأنتم أيها المواطنون الاعزاء لا تحتاجون لكثير من

هذا مضمون مافاه به كاتب سياسى خطير ولست محتاجا لان أعرف القراء الكرام ان قوله لم يكن مؤلما فهو حق صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتى

وحقا ان المصيبة فى أمر مصر تقع على رؤوس الضعفاء منا والدخلاء علينا اكثر من وقوعها على الجنود التى تحتل بلادنا فرجال حكومتنا الموكولة اليهم الاعمال اما أجانب عن مصر أو ضعفاء من مصر أو يائسون لا يصدقون بخير لمصر

ولو عرف أولئك الاجانب عنها ان من أشرف الخصال وأجل الشمائل الاعتراف بالجميل ومعاملة هذه الديار بالنظير لما عاملوها هذه المعاملة والقوها بين يدى أعدائها يتصرفون فى أمورها كما يشاء هواهم

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا ان الوطن فوق كل شيء وان الشفقة عليه والاخلاص له يجب ان يكونا فوق الشفقة على الام والاب لما كانوا سلموا أمور مصر الى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد

ولو علم اليائسون منا ان كثيرا من الامم كانت أتعس

وضاعت مصالح الماليين ونزلت القراطيس المصرية بعد ان تحسنت وصعدت فهل قام منكم وفدجاءأوروبامناديا بالحقائق طالبا العدل والانصاف . أما لكم فى بعض العناصر الشرقية كالسربيين والبلغاريين وغيرهم عبرة كبرى . واذكروا الآن الارمن الذين لا يغضون لحظة عن تأسيس الجمعيات والقاء الخطب على انهم ماعرفوا من قبل معنى الاستقلال وما ذاقوا للآن حلاوة الوحدة فى العمل وعدم تسلط اليد الاجنبية على بلادهم كما ذقتم أنتم حلاوة ذلك فى عهد الاسرة الخديوية الكريمة وفضلا عن ذلك فانهم ليس لهم حق يخول لهم نيل مطالبهم أما أنتم فحقوقكم اكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى استرجاعها غير نشر الحقائق فى أوروبا والاستعانة بها

هذا خطاؤكم فى سياستكم وليس بالعسير عليكم اصلاحه

أما أنت أيها الشاب المصرى فقد أحسنت عملا اذ جئتنا اليوم تنادى باستقلال بلادك فأمل خيراً كثيراً وادع أبناء جلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عاليا يسمع في كل الارجاء)

وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين فى مصر بقدر عدد المارقين والدخلاء فيها لكانت نجت من عهد بعيد » فالبلاء كل البلاء فى تعيين الضعفاء والبسطاء فى المناصب الرفيعة وابعاد الصادقين الاكفاء من المصالح والادارات والمصيبة كل المصيبة فى وجود بعض مصريين لايفهمون معنى حب الوطن وآخرين لايدرون (وهم فى مصر) ان مصر بوضعها الطبيعى لابد ان تكون حرة مستقلة

فكيف تريدون أيها المصريون حرية بلادكم وخروج الانكليز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ولم تهدوا أوروبا الى الحقائق. بل تركتم هذا الواجب الخطير الى الجرائد الانكليزية تقص علينا من أموركم مايناقض الحقيقة ويخالف الواقع فهى تقول لنا يوماً انكم راضون بالاحتلال تدخلون فى بابه أفواجا أفواجاً وتحدثنا يوماً آخر عن تعصبكم فى دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم وتذكر لنا تارة انكم لستم اكفاء ولا يليق بأوروبا ان تضع ثقتها بكم وطوراً آخر ان الانكليز لو تركوا دياركم لصرتم كالوحوش بل أضل سبيلا

والتخريب ولكن اندهشت أعظم دهشة عند ماقرأت فى الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض بيدها على السلطة التشريعية والقضائية التنفيذية وزادت دهشتى لما علمت ان الذى قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصرى المركب على ماأعلم من نظار مصريى الجنسية

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى وقفت على ماجريات الاحوال وعموميات الاشياء وخلاصة مااستنتجته أيها السادة هو ان مصر بلد سيء الطالع رزق فى هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحتلال أجنبي يديره رجال « لايعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور والانتقام » وقوم من مصر سواء من أبنائها أو من الداخلين عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم فهم فصلوا السودان عن مصر ومكنوا العدو من كل شيء وقدموا مايسمونه بالمصالح الخاصة (على انهم مخطئون فى التسمية) على المصالح العامة الحقيقية . ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة فى فرنسا نصف ماهو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيدة العالم »

من اسرار أمورنا ما ندرك من أسرار أمورهم بل كنت اخال القليل منهم مشتغلا بمسئلة مصر كما شاهدت ذلك فى العام الماضى حتى أتيت عاصمة العواصم فى هذه الايام فرأيت أغلب من لاقيت واقفاً على حقيقة آلامنا عارفا بمواضيع جراحنا ممـا يبشرنى بانفراج قريب للازمة المصرية ونصرة من القوى للضعيف فلقد لاقيت يوم الاثنين الماضى في وليمة تكرم بدعوتى اليهـا حضره المسيو لوسيان ميلفوا صـاحب جريدة الباترى (الوطن) كثيراً من رجال السياسة والادب الذين لهم فى باريس المكانة الاولى فى التحبير والتحرير وتجاذبنـا الحديث طويلا بشأن مصر متكلمين عن ماضيهـا وحالها وما بدأنا الـكلام على حوادثهـا الاخيرة وما أتاه الانكليز فى هـذا العـام من العجائب والغرائب حتى قام أديب من كرام الحاضرين وقال

(انى لم أكن أعـلم شيئاً من حوادث مصر غـير ان الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطىء النيل كسياستهم فى كل بلد آخر تنحصر في الافقار والاستعباد

الذين هم مدينون لمصر بما لديهم من ضياع شاسعة واراض واسعة أن يؤسسوا المدارس العديدة على أساس متين من الدين القويم والتربيـة الحقـة . وأن يقوم كبار العلماء بنشر الكتب المفيدة ومهرة الكتاب بانشاء الصحف الصادقـة فى خدمة قطر هو أثمن وأغلى الاقطار

نسأل الله أن يحقق آمالنا ويهب بلادنا وأمتنا السعادة والهناء

بعد أن فضضت هـذا الخطاب الفائض بروح الحب والاخلاص لمصر والدين. وكله أمان كبيرة وآمال شريفة كتبت اليه الرد فى الحال مؤمنا على كلمـاته وانتظرت بريد السبت واذا بجريدة الاهرام ناشرة فى عددها الصادر فى أول يونيه سنة ١٨٩٥ مقالة بقلمه فأخذتها شغفا بها وقرأت مانصه :

من اين ياتى الخطر

ما كنت احسب قبل قدومى باريس ان اهلها عرفوا فى هذا العـام من احوالنا ما نعرف من أحوالهم وأدركوا

كسور جهنم ظاهرها فيه الرحمة و باطنها من قبله العذاب

اذا كنت تريد أن أرسل اليك فى سوا كن عدة صور من الصورة السياسة التى كاد طبعها ينتهى يمكنك اخبارى فى الرد على هذا

انى الآن أقضى ليلى ونهارى في مخالطة كبار السياسيين لأنتفع منهم بخدمة مصر المحبوبة . والحمد لله قد تشرفت بمعرفة الكثيرين ورأيت من الجميع استعداداً لمعاونتنا وتحريك المسئلة المصرية وطرحها على بساط المناقشة من جديد . وانى أجد من نفسى قوة فى هذه الايام ماشاهدتها مدة حياتى كأن الله يريد ان يكون العامل لبلاده قويا حتى يقاوم هذه الحركة الهائلة ولكنى أشعر من جهة أخرى بأن بلادنا في حاجة لرؤوس والسنة واقلام مصرية كثيرة حتى يقرب البعيد بما تحدثه فى العالم من الحركة . ولى الامل أن ينتشر الشعور فى البلاد بسرعة فانه هو رأس مال محررى الامم والشعوب وبدونه لا يستطيع خادم مهما كانت امانته وقوته ان يصل الى الغرض المقصود . ولذلك يجب على أغنياء البلاد

حرة تحميها أوروبا كلها »

ولا مرأى فى انه اذا دام الحال على هذا المنوال وظلت خطة الدول الثلاث بلا تغيير نجت مصر من مخالب الاسد الذى يحاول افتراسها وتحققت أمانى محبى مصر والمنصفين فى قولهم « مصر للمصريين »

مصطفى كامل

باريس فى ١٨ مايو سنة ٩٥

*
* *

وفي يوم الخميس ٣٠ مايو سنة ١٨٩٥ استلمت من المرحوم كتابا جاء فيه :

« انك لابد ان تكون قد قرأت المقالة التى بعثت بها الى جريدة المؤيد على الشرق الاقصى اذا كانت نشرتها فارجو منك ان تذكر لى فى الرد على هذا مارأيته فيها لانى أود أن أقف على رأيك وأنت أقرب الناس الىّ وأحبهم كما أعلم لنجاة بلادنا العزيزة التى اذا كان أهلها لم يشعروا اليوم بما هم فيه فلا بد ان يشعروا فى المستقبل لان السياسة الانكليزية

« ان انكلترا تهددنا باقفال قنال السويس اذا أتينا باى عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الاقصى فعلى الدول الثلاث المتحدة حل مسئلة مصر باول فرصة حتى لا يصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة انكليزية »

وبالجملة فانى اقول . كما ان اليابان سكرت فرحا بفوزها وانتصارها على خصمها الذى كان بالامس عظيما فخما وهى تريد اليوم بلوغ كل أمانيها فان الدول الثلاث أصبحت فرحة بفوزها وانتظارها فى سياستها تلقاء هذه المشكلة حتى فشلت سياسة انكلترا امامها وأصبح المنتصرون طامعين اليوم فى بلوغ أمانيهم بحل المسألة المصرية وفى مقدمة هاته الدول الثلاث المانيا التى لاتترك فرصة تمر الآن بدون ان تظهر بغضها للانكليز وحقدها عليهم وقد وافتنا أمس الرسائل البرقية من برلين قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها تؤمل اتحاد الدول الثلاث فى حل المسئلة المصرية بعد تمام الفصل فى مسألة الشرق الاقصى والزام انكلترا بالجلاء عن وادى النيل احتراما لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة

وحل هذه المسألة التى هى خطر دائمى لنا والتى تخلق المشاكل الابدية بيننا وبين أقرب جيراننا - يعنى فرنسا - ولكن الحالة فى الشرق أصبحت حرجة الى حد أرى معه أننى أخدم بلدى اذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر . وانى أؤمل ان الحكومة تنتهز أقرب الفرص لتسوية هذه المسئلة مع الدول ذات الشأن تسوية يمكننا معها القيام بانجاز وعود الشرف . وليس لنا الحق في اعتبارنا المسئلة المصرية مسألة سياسية محضة فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها لشىء آخر غير العلم بموعد جلائنا »

هذا ولا ارانى مخطئاً اذا قلت ان مسئلة الشرق الاقصى خدمت مصر خدمة جليلة بان وجهت اليها الانظار اكثر من ذى قبل . فليست الجرائد الفرنسوية وحدها هى التى تطالب اليوم بالجلاء عن وادى النيل ولكن الجرائد الروسية والالمانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها - وفى قراءة مقالة النوفستى الاخيرة حجة ساطعة على ذلك فلقد قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه

بعد السرور والسرور بعد الاسف وليس لكل هذه المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك وانى لا اقدم للقراء برهاناً على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين الذى قال فيه « انه نظراً لارتباك مسئلة الصين واليابان يسترد من البرلمان الانكليزى سؤاله المتعلق بالجلاء عن مصر »

فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر رغبته فى سؤالها الجلاء عن مصر وصرح بذلك رسمياً أنها فى موقف حرج مضطرب تجاه مشكلة اليابان فلم يكن فى استطاعتها حينئذ ان تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية خصوصا وانها تخشى ان تثير الخواطر ضدها اذا أعلنت رسميا اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوى الذى تراه يتدفق في غير مجرى مصلحتها . ويكفي القراء مطالعة كتاب السير مكفرلين الذى بعث به الى التيمس فى معرفة حرج مركز انكلترا هذه الايام وهذا تعريبه

« ان الغرض من طلبى هو دعوة لحكومة لاجتناب الاتفاق الذى أراد عقده السير دروموندوولف سنة ١٨٨٧

اللورد روزبرى وزملائه ان وراء خطته التى اتبعها نتائج سياسية من الاهمية بمكان

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا والمانيا والروسيا ينادون بمبدأ جديد لا اخالهم الا عاملين به فى حل كل المشاكل الحاضرة وهو « بما ان انكلترا قد رضيت العزلة في حل المشكل اليابانى ورأت ذلك من صالحها فللدول الثلاث الحق فى حل كل مشكل يكون صالحها فيه غير صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها »

ولاشك ان اتحاد دولة قوية مثل الروسيا مع دولتين لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا والمانيا فى حل كل المعضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لان مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء التاميز

والانكليز أنفسهم شاعرون بهذا الخطر المهدد لهم فترى اليوم جرائدهم تخبط من الحيرة في المسئلة الحاضرة « مسألة الشرق الاقصى » خبط عشواء فتارة تلوم فرنسا وطورا تعنف المانيا وحينا تهزأ بروسيا وآونة تظهر الاسف

وعلى ظني ان سياسة الانكليز في هذا المشكل الخطير هي التي دعت المانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك ضد اليابان وبتمام الانعزال عن انكلترا فان هذه الدولة المشهورة بحب الذات قد ساعدت الصين بادىء بدء وطلبت من الدول المرة بعد الاخرى الاتحاد في العمل ضد الميكادو فلما لم تجد سميعاً مطيعاً لدعوتها وقفت في دائرة الحيرة مترددة في أمرها حتى تم الظفر لليابان وعندئذ رأت الانضمام أخيرا اليها لما علمت ان استيلاء اليابان « وهي اليوم الدولة البحرية القوية في الشرق الاقصى » على جزء عظيم من الاملاك الصينية يهدد الروسيا تهديداً عظيما ويجعلها على الدوام في شغل عن الهند وانكلترا وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الالد لروسيا بعد ان كانت بريطانيا خصمها الوحيد

ولم يكن في حسبان رجال السياسة الانكليزية ان تعضيدهم اليابان يضر بهم في أوروبا أعظم الضرر ويدعو الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم ويزيد الاحقاد في القلوب ضدهم بل لم يكن يخطر على بالك

بعد ان فضضت الكتاب ارتحت كثيرا لما شعرت به من الاطمئنان على صحته وارتياحه من عمله والخطة التى رسمها لنفسه . وانتظرت أن أقرأ له شيئا بصبر نافذ وما جاء يوم السبت أول يونيه حتى جاءنا البريد المصرى فتلقفت جريدة المؤيد واذا فيها مقالة له نشرتها فى عدد يوم السبت ٢٥ مايو وهى بنصها :

الشرق الاقصى

﴿ رسالة من باريز ﴾

لاحديث اليوم لرجال السياسة فى أوروبا الا مسألة الشرق الاقصى وما أنتجته الحروب الصينية اليابانية من النتائج الخطيرة فلقد حولت هذه المسألة كل الانظار من (بور ارثور) الى قنال السويس وزادت فى أهمية مصر حتى لم يبق خلاف بين سياسيين فى ان حل المسألة المصرية صار أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل فى الترضية اليابانية

هذه الجملة :

« ولما وصلت الى باريز وجدت في استقبالى صديقى الحميم الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وغيره من أخلص المصريين لمصر . وقد قصدت توا فندقا جميلا بشارع بلزاك (وهنا كتب عنوانه)

وانى أصرح لك بأن صدرك سينشرح عند ما تقف على ما سأعمله خدمة لبلاد لا عز لنا الا بها . فها قد أوصيت على صورة سياسية تمثيلية لاقدمها مع عريضة سياسية لمجلس النواب الفرنسوى وسأجتهد فى أن يكون الموقعون على هذه العريضة من أبناء مصر كثيرين حتى يكون لها فى العالم دوى كبير وتأثير عظيم

واني أرجو منك ألا تذيع هذا النبأ لانى ممن يتمسكون بقول النبي الكريم « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »

أدامك الله لاخيك المخلص

مصطفى كامل

الاحد ١٢ مايو سنة ١٨٩٥

عنها في هـذه الميادين التى يجـد فيها الشيطان مسوغا يقلق به راحتها

قلت له ذلك وقد أذن القطار بالحركة فتعانقنا وتحركت من أمامه وهو ضاحك باسم يحرك منديله الابيض كما تتحرك راية السلام وما زلنا ينظر أحدنا الى الآخر حتى حال البعد بين جسمينا ولم يحل دون اتصال روحينا

*
* *

فكرت في أمر أخى ليل نهار وأنا اذكر كلماته وماغاب عنى من الاسئلة التى أحب معرفة جوابها وهـل هو بمفرده يعمل لبلاده ! فتـذكرت فى الحـال الحزب الوطنى وقوته وان بين صفوفه الاغنياء والعلماء وانه لابد ان يكون ماادخره من مال موقوفا على هـذه المهمة ولا بد ان يكون قد وقع اختيار الحزب عليه . . . . .

انتظرت بعـد وصولى سوا كن خطاباً منه وأنا على أحر من الجمر حتى اذاما جاء يوم السبت ٢٥ مايو سنة ١٨٩٥ استلمت منه خطابا فيه مسائل عائلية كثيرة وقد جاء فيـه

الاسكندرى يوم الاحد ٥ مايو الجارى فدهشت جداً لهذا السفر الذى ظننته على غير ميعاد وبلا سبب لانه أدى الامتحان ونال شهادته وأصبحت باريس في نظرى بالنسبة اليه بلد نزهة لا بلد عمل فضحك رحمه الله وقال لى أنسيت « المسئلة المصرية » تلك المسئلة التى استخرت الله ان أكون المدافع عنها وها قد زودت نفسى فى المدة الماضية بمعلومات جمة عنها اذ طالعت كتباً كثيرة رسمية وغير رسمية ووقفت علي كل أسرار بلادنا السياسية . فلا تدهش يا أخى فان هذا الطريق ولو انه وعر المسلك ولكنه مطلوب من كل وطنى صادق تعلم تعلما صحيحاً معتقداً ان مايجرى في عروقه هودم مصرى ان يعمل عملى فان خير الناس من خدم بلاده من الطريق الصعب »

سمعت منه هذا القول الحلو المنعش وأنا شاعر بأنه علي أبواب المجد الكبير . فقلت له انى أسافر الى ميدان السيف وأنت تسافر الى ميدان القلم وكلانا مخلص فى خدمته فالله معنا يتولانا بقوته وجلاله ويلحظ والدتنا بعين عنايته لغيابنا

حملتها المشهورة كعادتها فى كل أمر كأن سمو الخديوى هو الامـة بأسرها وكأن الشعور الحى لا يتسرب الينا الا من مكان معين . نعم نحن لا ننكر أن وطنية سمو الامير كانت ولا تزال فائضة بالحياة العالية ولكن ما دخل سمو الامير فى حركة ساق اليها الشعب كذب الانكايز فى وعودهم وحنثهم فى ايمانهم واستئثارهم بكل مصلحة حتى أصبح الجماد يتألم فى مصر من أعمالهم وسوء نياتهم ؟؟

لم يلتفت المرحوم لهذيان الجرائد الاحتلالية وما وجهوه اليه والى غيره من نبلاء المصريين من السب الفظيع والشتم الشنيع وكأنه رحمه الله كان يقول « ما بقى كان أعظم فسندافع رغم أنوف أعدائنا عن حقوقنا »

*
* *

صدر الىّ الامر أن أسافر مع الاورطة الاولى البيادة فى يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٨٩٥ فرافقنى المترجم الى المحطة حتى اذا بقى على سير القطار بضع دقائق همس فى أذنى بأنه وطد النفس على السفر الى باريس وانه سيبحر من الثغر

الرأى العام فى مصر برجل نجله ونحترمه ونسأل لكم ولقرينتكم طيب الاقامة فى بلادنا كما نسأل الله أن يوفقكم لخدمة مصر الخدمة التى ننتظرها من مستشرق عالم له مركزكم السياسى السامي فى بلادكم » اهـ

*
* *

وبعد ان قال المرحوم بصوت عال لتحى مصر : لتحى فرنسا : ليحى العدل ! . . . . . صفق الحاضرون تصفيقاً عالياً متوالياً وضجت جوانب الغرف بأصوات التشجيع والاستحسان وعلى ذلك انتهت الليلة بسلام

وقد برح المسيو ديلونكل البلاد فى يوم السبت ١٣ ابريل سنة ١٨٩٥ حيث ودعه الجم الغفير وفى مقدمته المترجم على رصيف الميناء

ولا تسل أيها القارىء عن مقدار الغيظ والحمق اللذين أظهرهما رجال الاحتلال لزيارة هذا النائب مصر واختلاطه بالمصريين فقد أوعزوا الي جرائدهم المأجورة أن تسبه بلا حياء وان تشنع بالوطنيين وتحمل على سمو الخديو المعظم

وانا اذا لاحظنا مركزه فى بلاده وقوة حجته وغزارة مادته علمنا انه سيكون لنا منه أكبر ساعد وأوفى نصير

ولذلك يحلو لى ان أجاهر بملء فمى عن نفسى وبالنيابة عن اخواننا المصريين سواء كانوا الذين حضروا هذه الوليمة أوالذين غابوا عنها . اننا أبناء أمة اعترفت فى كل أطوار حياتها بالجميل لمن أحسن اليها وأخلص لها ولبلادها الودوكان عونا لها في تأدية عملها بين أمم العالم بدون ان تمس فى كيانها بسوء فاذا شكرنا الليلة جناب النائب على زيارته مصر واستعداده الذى أظهره لخدمتها فانما نشكر نفسا عالية من تلك الانفس الفرنسوية الشريفة التي عودتنا ان تنشر العلم فى بلادنا وترشدنا الى خير طريق تنهض فيه الامم من رقدتها .

نعم . ان الفرنسويين قدموا لامتنا المحبوبة خدما متتاليات لا ينساها التاريخ المصرى كما تبقى ميراثا محفوظا ينتقل من صدورنا الى صدور أبنائنا

اننا ياجناب النائب نشكركم من صميم فؤادنا على دعوتكم لنا فى هذه الليلة هذه الدعوة التى جمعت أرباب الاقلام وقواد

وحضرها الكثيرون من الاخوان . فرأيت منه رجلا عالما فاضلا قوى الحجة واقفاً على تفصيل المسئلة المصرية وقوف أعلم ابنائها بها لا يتأخر فيها عن المجاهدة بالحق

وبعد ان مكث المسيو ديلونكل بمصر زهاء عشرين يوماً ألقى فى خلالها خطباً مهمة بمصر والاسكندرية ودعافيها الصحافيين جميعاً الى وليمة كبرى فى يوم الخميس ١١ ابريل حيث نطق فيها المترجم بخطبة هذا نصها :

أيتها السيدات . أيها السادة :

انى اذا وقفت الليلة بينكم خطيباً فانما ذلك بدافع الاخلاص ولو انى لست الخطيب الذي يسحر الالباب بهذه اللغة الفرنسوية الجميلة ولكن السرور الذي يخامر قلبي والابتهاج الذى أراه شاملا كل نفوسكم سيعينانى على تقديم هذه التحية للمسيو ديلونكل المكرم أولا ولحضراتكم ثانياً

نعم ان المسيو ديلونكل هو ذلك الرجل الذى قدم نفسه لخدمة المسئلة المصرية بكل اخلاص لانه واقف على أسرارها وما دار ويدور فى الدوائر السياسية العالية بشأنها .

الفرنسى الشهير فاستقبله على رصيف البحر مع الكثيرين من المصريين المخلصين فى صبيحة اليوم التالى وبعد ان صافحه والسيدة قرينته قدم لهما جميع اخوانه المصريين الذين كانوا معه اذ ذاك

وقد كان فى استقبال المسيو ديلونكل المسيو دلاكرتيل قنصل فرنسا فى الثغر مع موظفى القنصلية والكثيرين من النزلاء الفرنسيين

قصد بعد ذلك المسيو ديلونكل وقرينته القنصلية حيث تناولا بها الغداء ثم برحا بعدالظهر الثغر على قطار الاكسبريس الى القاهرة وبرفقتهما المترجم والوفدالمصرى وقدرافقوهما حتى أوتيل كونتننتال ورافق المترجم المسيو ديلونكل فى كل روحاته وغدواته بمصر وقدم له الكثيرين من المصريين وفى مقدمتهم أعضاء الحزب الوطنى الذين أكرموه اكراماً كبيراً واحتفلوا به احتفالا عظيما

وقد تعرفت به فى الوليمة التى أعدها له صديقنا الحميم المرحوم عثمان أفندى جلال رئيس قلم قضايا السكة الحديدية

سبيل الوصول اليه. والا فاى تعصب دينى فى البلاد حملكم (أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التى تؤاخذون على تأسيسها كل المؤاخذة بعد ان احتللتم البلاد ثمن قرن. وأى داع حملكم اليوم على المطالبة بهذا الحق الذى تقولون عنه بعد ان سكتم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم من شدة المحافظة على الحقوق بل بمجاوزة كل حق وواجب. لاخلاف فى انكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية وتودون من صميم الفؤاد اخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض ولنا فى الغاء مدرسة دار العلوم دليل آخر على ذلك فلقد أردتم ان يكون هذا الشهر شهر النصر لكم والخذلان لنا فأرسلتم علينا من سماء عدالتكم الصواعق تباعاً حتى عسر علينا احصاؤها بل بتنا نقول كل البلايا (فى ظل المحكمة المخصوصة) فانا لله وانا اليه راجعون

*
* *

وقد سافر المرحوم الى مدينة الاسكندرية فى مساء يوم الخميس ٢١ مارس سنة ٩٥ لاستقبال المسيو ديلو نكل النائب

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لان يبرهن للعالم بأسره أن الانكليز لا يعرفون للقانون اسما . وهل سمعتم ياقوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها . محكمة تحكم بصلم الاذن وجدع الانف وسلخ الجلد وبالجلد والضرب وهل رأيتم ياقوم فى التاريخ ان أمة تحاكم على غير قانون ودستور أجيبونا معشر المتشرعين وأسمعونا كلمة الحق أيها المنصفون فقد بلغ السيل الزبى

نعم نعم أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب كل مصرى أمين يعرف انكم خصوم بلاده وتقصدون بها اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ان لم نقل باعدام كثيرين منهم

نعم نعم أنتم تريدون بهذه المحكمة وضع الاساس الصالح لهدم المحاكم الاهلية وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم بنفس القانون الذى تحكم به محكمتكم الجديدة

نعم نعم أنتم تريدون ذلك وتبذلون الجهد الجهيد فى

بالجلاء لتتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم

هذا شأنهم معنا شأن القوى مع الضعيف. ينتهكون كل حرمة ويطأون كل عزيز نفيس فلقد احتلوا البلاد بحجة الاصلاح وليس في تاريخ الاحتلال الا آثار ضغط واستبداد تنطق حوادثه حادثا بعد حادث ان مراد الانكليز امتلاك البلاد وجعلها هندا أفريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط الى منابع النيل بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم اجلالا وتعظيما

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث الماضى بل نستشهد بحادث اليوم الذي جاء ضربة قاسية على النفوس وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس أعنى به حادث المحكمة العرفية الاستبدادية التى أنشئت لمعاقبة كل من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما. تأسست بعد أن أرغت جرائد لندرا وأزبدت وأرعدت سماؤها وأبرقت ووجهت الى سدة الامير كل طعن وبذاء مما قابلناه تلك الساعة بقول الشاعر

من الايام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مزعجاتها كل ذلك على أيدى فئة جاءت البلاد بحجة الاصلاح فأفسدت ماشاءت وغيرت وبدلت مااستطاعت اجابة لداعى هواها ورغبـة فى بلوغ مناها واذا سألتها ماهـذه الصواعق التى تصبينها علينا قالت انمـا هى أدوية أداوئكم ومراهم جروحكم فتلقوها بالصبر والسكون والا وضعت لـكم السم فى الشراب كأنما نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ولا قوة لنا على تمييز الصالح من الفاسد والنافع من الضار . واذا ناديناها . لبى نداء هذا الشرف البريطانى الرفيع الذى يسألك الجـلاء عن الديار وترك البـلاد لابنائها يسوسون أمورهم بأنفسهم قالت ماأقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم بالسوء أترغبون فى خروج الانـكليز من بلادكم وتكفرون بنعمة وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم . فلارسلن عليكم الصواعق تأتيكم من حيث لاتشعرون ولأرمينكم بالمصائب تهز قلوبكم هزاً وتدك وجـداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز وقوة البريطان أخلدتم الى السكون وجنحتم الى عدم المطالبة

وللسادة المحتلين ان يتحققوا من ان شدة حنقهم على المتظاهرين فى فرنسا ستزيد المظاهرات ضدهم وتكثر المتظلمين لأوروبا منهم ولا يبعد ان يأتينا الصيف الآتى بالبراهين الجمة على ذلك وكل آت قريب :

*
* *

وقد قامت البلاد وقعدت ووقعت في هرج ومرج اذ استصدر اللورد كرومر أمراً عالياً بتأسيس محكمة مخصوصة لمحاكمة من يعتدى من الاهالى على ضباط وجنود الانكليز فكتب المترجم هذه الرسالة ونشرتها الاهرام يوم الاثنين ٤ مارس سنة ٨٩٥، وهذا نصها :

صواعق الاحتلال

لله من صواعق تصب علينا بغير حساب . ومصائب نرمى بها بلا أسباب . وبلايا تتدارك علينا تدارك قطرات السحاب . ورزايا تتصدع بها القلوب والالباب. حتى أصبحنا نتقلب بين أنياب هذا الشر وأظفار ذلك السوء ولا نعرف

ولكن ليهدأ المحتلون بالا ويسكنوا خاطراً فلقد علم المصريون كل مايضمره لهم أبناء التاميز ولا يزيدهم الوعيد الا ثباتا فى العمل وقوة فى الوطنية

واذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من تودد الى فرنسا مذنباً فليعلموا من الآن ان الامة كلها مذنبة وان عقلاءها أكثر الناس ذنوباً فكلنا عارف لفرنسا اخلاصها لمصر وصداقتها للدولة العلية وكلنا شاكر للمسيو ديلونكل وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية وعنايتهم العظمى بمصر والمصريين

ولا عجب اذا كانت آمالنا موجهة لفرنسا وهى هى التى تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للامريكيين فى (بوك تاون) ولليونانيين فى (نافارين) وللبلجيكيين فى (انفرس) وللايطاليين فى (ماجنتاوسولفيرينو) ورحبت بالارلنديين سنة ١٦٨٨ وأحسنت للبولونيين بعد عام ١٨٣٠ وبالجملة برهنت المرة بعد الاخرى على انها ظهيرة الحرية نصيرة الاستقلال

مصر لما كتب رده على حديثي المشهور مع الكولونيل بارنج حيث قال (لو كان ذلك الكاتب مصرياً لعاقبناه بما يستحق) كأنه يريد وضع مادة جديدة في قانون العقوبات يقول فيها (كل مصرى نقل الى الجرائد حديثاً جرى له مع سيد من الانكليز يعاقب بالطرد أو بالاشغال الشاقة)

وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة البريطانية في مصر ان المصريين لو كانوا على رأى الجرائد العربية الفرنسوية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد الاغر والاهرام الزاهرة) لاستعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة بدل الملاطفة واللين . مع علم السادة المحتلين جميعاً بأن الامة المصرية بأسرها على رأى هاتين الجريدتين الصادقتين

يظهر لى ان الحكمة هى الوعيد والتهديد ودليل ذلك قوله ان نابليون كان يعامل المصريين بالشدة كأنه يريد المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل وبين فريقين جاء أحدهما فاتحاً والآخر قاصداً الاحتلال المؤقت والجلاء السريع

عقابهم أشد العقاب تعذيباً لهم وعبرة لغيرهم مما حرك الشيخ العليل الى اصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا الامر وتقرير العقاب الصارم

وماذا أتى اخواننا ضد الانكليز حتى يطالب السير بالمر (الاقتصادى) الغاء الارسالية المصرية بأسرها وجعلها أثرا بعدعين ثم يعود فيطلب ابقاءها ومعاقبةالمسببين لزيارةالمسيو فور عنـد ماعلم (وياللعجب وطول الخجـل) ان حضرات الاجـلاء (زبكيكيان وشـيروجيان وتجيران) يتعلمون فى الارسالية على نفقة حكومتنا السنية (أعزها الله)

فأى سر مصون مستتر وراء هذه الاعمال اذا كان الانكليز لايزالون يرددون وعودهم الجميـلة ويترنمون بنغمة ذكرها بل أية حرية يتكرمون علينا بها وهم ان رأوا من المصرى احساساً شريفاً قاموا عليـه بالويل والثبور وطلبوا عقابه العقاب الاليم وان أبصروا كاتباً يكتب الحق ويسطر الصدق طلبوا نفيه عن الديار وابعاده عن الاوطان كما ظهر هذا الميل (العادل الشريف) عند جناب مكاتب التيمس فى

فى باريز لرئيس الجمهورية الفرنسوية فانما تعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم في فرنسا مصريا كان أو غير مصرى اذ أن شريعة الآداب تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم للمسيو فور شيئاً آخر غير القيام بهذا الواجب الادبى الذى حق عليهم لاسيما وان المسيو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين وميله لخير وطننا العزيز

واذا قلنا ان المهنئين للمسيو فور من أبناء وادى النيل طلبوا منه المساعدة فى حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا فلا خلاف فى ان احسن شىء فى خطابهم هو هـذا الطلب وفضلا عن كونه من حقوق كل مصرى فهو يزيد انكلترا شرفا ورفعة حيث ان المطالب لها باحترام وعودها والوفاء بعهودها يعتبر حسن الاعتقاد بها وبشرفها بخلاف الساكت عن مطالبتها فانه اما جبان واما سيء الظن بها

فماذا افترى اذاً مصريو باريس حتى اهتزت الدنيا وقام الانكليز وقعدوا وارغوا وازبدوا طالبين من مريض الوزارة

جماعة من كرام الشبان تعنيفاً شديداً مثل الذى عنفتهم به جرائد الاحتلال لا يكون الا اذا اقترفوا ذنباً عظيما . وبعيد عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الاعلى أو زيارتهم دولة محبة لنا ذنباً من الذنوب بل بالعكس تدل مثل هذه المظاهرات على الاريحيات الشريفة والمبادىء الجليلة القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل

والغريب أن جريدة الخوارج التى تمتاز عن أخواتها فى كل شىء بالكذب والسفاهة لم تكتف بتقبيح المظاهرات الوطنية التى تظاهر بها المصريون في باريس بل قالت ان الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية التى أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهنئة وتبريكا. على أن الحقيقة كما علمنا وعلم الخبيرون مخالفة لذلك كل المخالفة اذ أن سفير الدولة فى باريس شكر للجميع شكراً عاما وللمسيو ديلونكل شكراً خاصا مما يدل على أن رجال الاستانة قدروا هذا العمل قدره كما قدره رجال باريز

وليس من الخفة والطيش كذلك زيارة المصريين

الانفعال والتأثر لا أعمالك من ابداء الاعجاب والاكبار

ليقرأ كل مصرى هـذه المقالة وليترحم على من كتبها وهو فى العشرين من عمره ليرد عداء المعتدين وليحارب من اسودت قلوبهم وابيض شعر رؤوسهم فى محاربة مصر والمصريين

وقـد نشرت هـذه المقالة في عدد الاهرام الصادر يوم السبت ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصها :

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائد الاحتلال أشد حنقا وأعظم غيظا من هـذه الايام التى قامت فيهـا قيامتها ضـد الشبيبة والشبان فنسبت لهم الغرور والجنون ولاعمـالهم الطيش والخفة ولا تعرف لهم ذنباً عنـدها الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جـلالة السلطـان وزاروا مرة أخرى جناب الموسيو فور رئيس جمهورية فرنسا كأن القيام بمثل هذه الواجبات الادبية يعتبر فى شرعة الانكليز جريمـة من اكبر الجرائم . والا فتعنيف

الوجهاء في انحاء القطر وكان المترجم يسافر كل أسبوع أو أسبوعين مرة متنقلا في الاقاليم تلبيـة لنداء مواطنيه الذين أحبوه حباً جماً وتعلقوا به تعلق الوطنى الصادق بمن يخـدم وطنه باباء واخلاص

وقد رسم لنفسـه خطة دراسة المسئلة المصرية الى غاية شهر ابريل على ان يظل فى تلك الاثناء يكتب ما يكتب من الرسائل السياسية ممهورة بالتوقيع الذى اختاره لنفسـه حتى اذا ابتدأ عمله الوطنى الجليل شهر اسمه مرة واحدة

وقد كان تولاه الله برحمته يقرأ علىّ اذ ذاك كل مقالة قبل ارسالها الى الاهرام شأنه فى كل أعماله فكنت أعجب بها اعجابا كبيرا مع ان الاخ على الدوام غير كبير مهما أوتى من العلم والذكاء وكيف ما كانت منزلته بين الـكتاب والعلماء

قرأ علىّ رحمـه الله مقالة خاطب بها المحتلين الذين لا يجدون السـعادة الا في شـقائنا ولا الهناء الا فى بلائنا أولئك الذين لبسوا لباس الباطـل ليخدعوا به من لم يثبتوا على دين ولم يتـكون لهـم يقين . فكنت لفرط ما أجـد من

مصرى أمين »

* * *

ثم استمر المترجم فى عمله وهو دراسة المسئلة المصرية بكل عناصرها وموادها منفذاً ذلك الترتيب الذى رسمه لنفسه تنفيذاً دقيقاً . وقد كثرت معارفه فى هذه المسئلة كما كثر أصدقاؤه ومريدوه والمسترسلون الى خطته السياسية من كبراء ووجهاء وعلى الاخص اعضاء مجلس الشورى الذين كان يجتمع بهم كثيراً ويداولهم فى الشؤون الوطنية طويلا وليس غريباً ان تكون المسئلة المصرية بالغة من التمكن فى فؤاده مبلغاً عظيما بحيث انها كانت تشغل منه فضاء التصور وتملأ مجال الخيال على حد قول الشاعر :

واذا نطقت فأنت أول منطق

واذا سكت فأنت فى اضمارى

وكانت حركة الحزب الوطنى قد قويت فى البلاد واتسع نطاقها بازدياد عدد الذين انضموا الى صفوفه القوية العاملة المباركة شيئاً فشيئاً ولا سيما من أعيان الاقاليم وكبار

صاحب الاهرام الجليل حملة اللئيم على الكريم ولم يعلموا انه صدق فى خدمة الوطن العزيز فاجتمع حوله المخلصون الصادقون

وما عساهم يكتبون ويردون والحديث لا يزال حديثا وشقيق اللورد كرومر أرفع وأعظم من ان ينكر اليوم قولا قاله بالامس

على انهم لو كانوا كما يدعون شيعة الحق وأنصار الصدق لكان الاجدر بهم ان لا يتعجلوا فى الرد قبل ان يترجموا الحديث الى الانكليزية بغير ما اعتادوه من تحريف أقوال الجرائد الوطنية ويرفعوه الى سيدهم بـ . . . ليوصله الى أخي اللورد كرومر حيث هو الآن ليرى فيه رأيه فان قال بصدقه وهو مالا نرتاب فيه سكتوا عن الرد ان لم يبروا باظهار الحق والا نشروا لنا جواب حضرته تكذيباً . واذ ذاك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذى جمعنا واليوم الذى دار فيه الحديث مذيلين كل ذلك باسمنا غير خائفين تبعة الصدق فى القول والاخلاص فى الوطنية شأن كل

لأن الدفاع عن الحق العام أهم وألزم من الدفاع عن الحق الخاص وشتان بين حقوق الافراد المدنية وحقوق الامم السياسية

ثم عاد الى مناقشة الجرائد الاحتلالية فكتب الى صديقه المأسوف عليه بشاره باشا تقلا كتابا بمناسبة مقالة المقطم تلك وقد نشرته الاهرام في عددها الصادر يوم الاثنين ٤ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

صديقي العزيز مدير الاهرام

لم يكن يدور فى خلدى من قبل ان نصراء المحتلين فى مصر على هذا الجانب العظيم من الحمق والجهالة وانهم يرون فى السفاهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر سليم فما نشرت الاهرام مقالتى الاخيرة المعنونة (حديث ذو شأن) حتى هاجوا وماجوا وزلزلت بهم الارض زلزالها وجاءونا بردود يحسبون انها تكذب قولا صادقا فجاءت على عكس مايرون اثباتا لحديثنا الذى لاريب فيه

وأعجب شيء من هاتيك الردود انهم حملوا على

الخديوية والامة المصرية في وطنيتها وقوميتها ذلك الطعن الذى يشهدعليه كل عدد من أعدادها منذ صدرت الى الآ ن فهذا دأبها منذ منيت بها مصر ! تعيش بين أظهر المصريين وتطعن عليهم فى آن واحد غير راجية لهم وقارا ولا حاسبة لهم صفة ولا اعتبارا

والظاهر ان تلك المقالة الرنانة قدأثارت ثائرتهم واقامتهم وأقعدتهم فبرزت تلك الجريدة التى سميناها تكذب الحديث وتتهم ذمة كاتبه اتهاماً صريحا وتعدته من قبيل « تزوير الحجج والسندات » ولقد كذبت وافترت افتراء مبينا .

ولكنها لم تستطيع بعد ذلك أن تتعرض لهذه المقاله أو تشير اليها بكلمة

وقدم المترجم فى تلك الايام طلبه الى لجنة قبول المحامين امام محكمة الاستئناف فقبل امام المحاكم الجزئية ولكنه لم يترافع فى قضية لفرد طول حياته بل اكتفى بالقضية العظيمة التى كانت مطروحة بين يديه وهي قضية الوطن المقدس .

أظهر افصاح . ولا يعدم القاريء اللبيب حكما صادقا على نيات نصراء الحرية وزعماء المدنية كما ان وزراءنا (أثابهم الله) يعلمون منه مايقوله الانكليز عنهم وماذا أفاد تهاونهم وموافقتهم على ضياع البلاد ولكن ليس المقام الآن مقاما ننبههم فيه الى ماوصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم كلام آخر فى وقت آخر والسلام »

*
* *

وما نشر المرحوم هذه المقالة أيضا بامضاء « مصرى أمين » حتى هاجت جرائد الاحتلال وماجت وفى مقدمتها المقطم الذي أرغى وأزبد ورد رداً كله سب وطعن

رد المقطم فى عدد (١٧٨٢) الصادر يوم الثلاثاء ٢٩ يناير سنة ١٨٩٥ بعنوان « حديث خرافة » ردا كله سب وثلب كما قلنا اذ شق على تلك الصحيفة أن يكون لمصرى صوت فى مناقشة أخى عميد الاحتلال تلك المناقشة التي أعجب بها قراء الاهرام أيما اعجاب ولا تعد تلك المطاعن غريبة من جريدة قضت عشرين عاما وهى تطعن على الدولة العلية والأريكة

فأجاب مبتسما . ان بقيـة الوزراء لايهمهم الا قبض رواتبهم العظيمة وبقاؤهم فى أعلى المناصب لايخالفون للانكليز رغبة بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفا من السقوط والعزل

فتنفست عنـدئذ الصعداء وقلت . لاتغـتر ياحضرة الميرالاى بوجود بعض الخونة فينا واعـلم ان بلدا فيه رجال يعرفون معنى الوطنية معرفة رجالـكم لها لايموت أبدا بل يعيش معززا عالى الذرى والمقام ولربمـا أحيا فرد واحد أمة بأسرها وفى تاريخ الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ماأقول ومصرفي هذا العصر غنية برجالها مباركة بأبنائها لها ان تؤمل منهم الظفر القريب ان شاء الله

فبهت الميرالاى وقال . انى أقف معـك في الحديث عند هذا الحد فاقدرأيت ان حميتك تملى عليك القول ووطنيتك تحقق لك آمالك (البعيدة)

هذا هو الحـديث الذى جاهر به انكليزى خطير بمـا لم يستطع المحتلون المجاهرة بهمن قبل وان كانت فعالهم أفصحت

فأجاب ضاحكا . واذا كان ملكا لكم فلم لم تستردوه ولم ضاعت واد لاى وكسلا؟

— كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا فى استرجاعه ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا

— ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح متاعا لمن يستولى عليه وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد سهل فى الماضى سلخه وسيسهل لنا قريبا ملكه ملكا نهائيا

فاستولتنى دهشة عظمى وقلت له . ألى هذا الحد تطمعون فى نوبار باشا ؟

فأجاب . وبأكثر منه . ان نوبار رجلنا ومحبنا وقد أطلق عليه السياسيون فى أوروبا اسم (نوبارستون) دليلا على شدة اخلاصه لنا

وماهى فائدته من خدمتكم ؟

انه يؤمل استقلال أرمينيا على أيدينا ولا يخفاك مافى ذلك

فقلت والدهشة فى ازدياد . ولكن أما تخافون بقية وزرائنا ؟

خاذلة للطماعين ناصرة لذوى الحقوق

أظنك ياحضرة الميرالاى لاتقدرعلي اثبات ان المصريين ليسوا من الفرع الانساني وانهم غير أهل لان ينالوا من أوروبا حريتهم واستقلالهم الادارى المثبت فى المعاهدات (التى كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالفرمانات

فقال والغضب باد علي وجهه . ان أوروبا فى شغل عنكم وفرنسا التى وجهة آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة مستعمراتها ما يجعلها علي الدوام عاجزة عن ان تخدم مصر خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها لواشنطون

على اني لو وافقتك وقلت ان أوروبا ستنصركم وتجبرنا على الانجلاء فذلك لايكون الا بعد ان يبيع فلاحكم أرضه ويسوء حاله ونملأ جيوبنا مالا فضلا عن اننا نكون ملكنا السودان وهو كما تعلم روح بلادكم

فقلت . وكيف تملكون السودان والسودان لايزال ملكا لنا

فقال. اصرفوا عن أوربا أملكم فانا نرضيها بالاراضى الكثيرة والاملاك الواسعة «كأن انكلترا قد ملكت الارض وما عليها» ونضمن لها فى مصر مصالحها وديونها

لنتفق جدلا على ذلك ولكن هل نسيت أن فى حمايتكم لمصر ووضع يدكم عليها ضياعا للموازنة الاوروبية التى تعمل كل دولة للمحافظة عليها. ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم لستم المتصرفين فى كل أرض) فهل تحسبون انها تقوم لديها مقام (مصر) طريق الشرق الاقصى وأعظم المستعمرات الاوروبية أم نسيتم ان من العار على أوروبا ان تساعدكم على انتهاك حرمة المعاهدات وتتركم تستعبدون أمة اعترفت أوروبا نفسها بكمال استعدادها ومحاكاتها لاعظم الممالك المتمدنة مدنية ونظاماً. ولم ساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردتكم منها؟ أكانت مصالحها هناك أكبر من مصالحها هنا بل لماذا قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العليـة. ولماذا قررت بلجيكا وايطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الامم الضعيفة

فثار منى الفكر عند سماع هذا القول واجبته ان لمصر أن تؤمل من أوربا نجاتها وخلاصها ولكم أن تتحققوا من بطلان آمالكم وضياع أمانيكم فلقد كشفت أفعالكم (الناطقات بنياتكم) الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التى أضمرها غرانفيل وسالسبرى وغلادستون ومن حاكاهم فى سياستهم ولم يعد سياسى من السياسيين يغتر بما تقولون بل تحقق الكل من انكم (لا تصدقون في خدمة الاوطان) ولذا استشعر القريب والبعيد بان الاحتلال في آخر ساعاته قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدنيته بالموت الدائم فاطمئن خاطرا يا حضرة الميرالاى واعلم أن الانجلاء قريب عاجل

فازداد ضحكه وقال . ومن لكم يا ترى من السفراء فى أوربا حتى قلتم بقرب الانجلاء

لنا أوربا باسرها التى تناديها مصالحها العديدة بان تنصرنا عليكم كيما تنصر تلك المصالح التى سعيتم من يوم احتلالكم البلاد فى تقويض أركانها

الامر وبان السر وعلم الناس انكم كذبتم الكذب الصراح على أوروبا ومصر بل ماذا تكون عاقبة أمركم اذا أجبرتم على الانجلاء خلافا لما تهمون به من امتلاك وادينا العزيز

فضحك اذ ذاك ضحكا عالياً وقال . ما أسلم نياتكم معشر المصريين وأقربكم الى الحالة الفطرية منكم الى الحالة الحضرية أتظنون ان الانكليز (وهم أحق الناس بكل نعمة وخير) ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم برها الغزير وخيرها العميم . أم تظنون اننا نؤخذ بأقوالنا وأفعالنا ناطقات بحقيقة نياتنا وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم ولاوروبا (الاحتلال المؤقت) و (الانجلاء القريب) ومبدؤهم (الكذب فى خدمة الاوطان) واستعمال الخداع في السياسة (وما هي الا حرب سلمية) استعماله فى الحرب والطعان وهل تصدقون بأن أوروبا تنجدكم وتساعدكم ضدنا انها آمال بعيدة وأوهام يحق لكم ان تتركوها وتعلموا انكم فى حماية الانكليز وان سيادة الترك أصبحت فى النسيان ودخلت من زمان فى خبر كان

وبعض الكتاب الذين لاتظلهم سماء السياسة الحاضرة يقولون ان للدولة العلية بعض السلطة على مصر ولكن الذين وقفوا على حاضر الامور وماضيها لايجهلون دخول مصر تحت حكم الانكليز دخولا لم يبق معه شك لعاقل من العقلاء

فسخرت عندئذ من قوله هذا المبنى على حبه لجنسه وشغفه باتساع نطاق المستعمرات الانكليزية وقلت له . ان وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة ان احتلالكم مصر ليس الا احتلالا مؤقتا ينتهى بعد اصلاح الحال وتأييد سلطة الامير وعاهدونا وعاهدوا أوروبا على ذلك مقدمين المواثيق الغلاظ والعهود الشداد بأن جنودكم ستنجلي عنا بسلام (احتراما للتاج الانكليزى وشرف البرلمان) مما يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر المؤيدة من قبل بالمعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية فكيف بك اليوم تقول عكس هذا القول وتجاهر بنقيض ماجاهر به عظام رجالكم وكبار وزرائكم . وماذا يكون شأنكم اذا افتضح

حديث ذو شأن

جمعتني والميرالاى بارنج (شقيق اللورد كرومر) مصادفة من أحسن مصادفات الحياة استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصرية وما ينويه لها الانكليز من النيات (الحسان) فأحببت ايراد أهم مادار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام واظهاراً لرأى رجل من كبار رجال الانكليز فضلا عن انه أقربهم الى معتمد الدولة البريطانية فى مصر

بدأني حضرته بالكلام على خلاف عادة الانكليز فقال

هل أنت مصرى أم عثمانى

فأجبته مصرى عثمانى

فقال وسمة التعجب بادية عليه وهل تجتمع الجنسيتان في أحد ؟ فقلت ليس الامر جنسيتين بل فى الحقيقة جنسية واحدة لان مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع (كما لا يخفى علي جنابك) لا يختلف عن المتبوع في شيء من أحكامه

فتبسم قليلا وقال . نعم ان مؤلفي الكتب الجغرافية

أعمالكم المخالفة لمصلحة البلاد ووصفها الاحتلال بالرفعة والكمال

*
* *

نشر المرحوم هذه المقالة بامضاء « مصري أمين » وقد كان لها أكبر وقع لأنها جمعت أغلب الوعود الانكليزية والعهود البريطانية وهو مايهم كل مصرى معرفته والوقوف عليه لنقيم بها على الدوام الحجة على قوم أصبحوا فى التاريخ أكذب من مسيلمة

وقد اختار المرحوم ان ينشر هذه الوعود قبل الحديث الذى جرى بينه وبين الكولونل بارنج شقيق اللورد كرومر حتى يثبت للعالم مقدار تلاعب الانكليز فى وعودهم ومبلغ شرفهم فى أقوالهم

أما الحديث فقد نشرته الاهرام فى يوم الاثنين ٢٨ يناير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

ومنها تأكيد المستر مورلي لمجلس العموم يوم ٨ فبراير سنة ٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه وانه لا يري غير « الانجلاء »

وأخيرا نذكر جملة غلادستون الشهيرة التي يحق لكل مصرى ان يحفظها على قلبه ويجاوب بها أعداء الحق فى كل آونة وهى « ان حفظ مصر شيء جميل ولكن الاجمل والاشرف الوفاء بالوعود »

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم الشريفة الصريحة التي لا تستطيعون نكرانها ولا تقدرون على تحوير معانيها . لم تقولوها عبثا ولم تفوهوا بها مصادفة بل قدمتموها لنا ولاوروبا ضمانة على الانجلاء . فهل لكم ان تحترموا شرفكم العزيز وتنجلوا عن الديار بسلام أم عزمتم العزم الاخير على استخدام ذلك الشرف فى اغتيال البلاد كما يشير به عليكم الخونة الاشرار وترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد ان حلاها بمحامدكم وفضائلكم أجيبونا بحق ماتعزون ولو على ألسنة أبواقكم التي كانت أول من كشف الستار عنكم وعن دسائسكم بمدحها

فى لنـدن يوم ٣ نوفمبر سـنة ٨٦ « انكم تخطئون كثيراً اذا حسبتم اننا نبغى البقاء فى مصر الى أجل غـير مسمى اذ اننا لانبحث الا عن الخروج منها بشرف فضـلا عن ان جنودنا التى فيها تنفعنا كثيراً فى الهند كما أشار بذلك أمهر قوادنا »

ومنها قوله فى مجلس العموم يوم ١ اغسطس سـنة ٨٩ مامعناه « ان بقاءنا في مصر الى أجل غـير مسمي يقلل من احترام الوعود التى جاهرت بها حكومة جلالة الملكة وتعهدت بالخضوع لها »

ومنها جوابه الذى أجاب به على طلب قدمـه اللورد كارنارفور فى مجلس العموم يوم ١٢ أغسطس سنة ٨٩ بشأن امتـلاك مصر امتلاكا دائمـا وجاء فيه « أظن أن صديقي لايحسب حسابا كبيراً للوعود المقدسة التى نطقنا بها ولا للقانون الاوروبي »

ومنها خطابه الذى ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ فى مدينة كمبردج وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالا دائمـا يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية »

العموم يوم ٥ مارس سنة ٨٣ « يلزمنا ان نعلم اننا لسنا فى مصر سادة بل أحباء ونصحاء للحكومة المصرية وانه ليس لنا فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتمدنة »

ومنها اجماع مجلس العموم على استحسان ماقاله المستر غلادستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٣ من تحقيق قرب الجلاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر

ومنها قول اللورد دربى فى مجلس العموم عام ٨٥ « انا ذهبنا الى مصر ووعدناها وعداً صريحاً بأن لا نمكث فيها فيجب علينا احتراماً للتاج الانكليزى وشرف البرلمان ان نخرج منها »

ومنها اعلان المستر غلادستون عند انتخابه رئيساً للوزارة الانكليزية سنة ٨٥ أن من أول مشرعاته « سحب الجنود الانكليزية من مصر »

ومنها قول اللورد سالسبوري عام ٨٦ « لنحترم قداسة وعودنا ونتجل »

ومنها قول هذا اللورد للمسيو وادنجتون سفير فرنسا

جلالة الملكة ويخالف معنى الوعود التى وعدنا بها أوروبا »

ومنها قول هذا المستر نفسه فى مجلس العموم يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ جواباً على سؤال وجهه اليه المسيو نورثكوت بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقتاً وستحدد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية. وهو يشابه احتلال الدول الاربع انكلترا والمانيا والروسيا والنمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذى انتهى بسرعة وعلى أحسن حال »

ومنها المنشور الذى أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣ لكل الدول وجاء فيه « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت تلقاء الحوادث الاخيرة الى تسكين الهياج العسكرى الذى قام فى مصر وتأييد النظام والسلام فيها وقد بلغت هذه الغاية وترغب سحب الجنود الانكليزية التى لاتزال باقية منها ضمانة للراحة العمومية وذلك متى سمحت حالة القطر وتأيدت سلطة الخديوى »

ومنها قول المستر غلادستون زعيم الاحرار فى مجلس

يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ فى البلاغ الشهير الذى تعهدت فيه الدول جمعاء « على ان لاتستولى أى دولة منها على أرض من الاراضى المصرية ولا تبحث عن امتياز خاص ولا عن فائدة تجارية لرعاياها فى كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسئلة مصر » ونزيد على ذلك ان المصدق على هذا البلاغ (البروتوكول) من قبل انكلترا هو اللورد دوفرين المشهور بحذقه ومهارته

ومنها ماقاله اللورد غرانفيل فى مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ في خطابه المتعلق بمصر الذي جاء فيه مايأتى « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على ان لاطمع لنا فى مصر وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وترد الي الخديوى سلطته التي نزعت منه . وأخيراً فالوزارة عازمة عزماً أكيداً على أن تعرض للدول الاوروبية التسوية النهائية للمسئلة المصرية »

ومنها قول المستر غلادستون في مجلس العموم يوم ١٠ اغسطس سنة ١٨٨٢ « اني اؤكد بأن انكلترا لاتقصد احتلال مصر احتلالا نهائياً اذ أن ذلك يضاد مبادىء حكومة

الذى تسعى اليه انكلترا هو ان تحقق لمصر سعادتها واستمتاعها التام بالحرية التى قررتها الفرمانات الملوكية المتتابعة » وفى موضع آخر « ومن المهم ان أؤكد لكم ان غرضنا هو ان تبقى مصر متمتعة باستقلالها الادارى الذى منحته لها الفرامانات السلطانية »

ومنها ان اللورد ليون سفير انكلترا فى باريز رفع فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها « وان حكومة جلالة الملكة لا تطمع مطلقا فى ان يكون لها بمصر نفوذ خاص »

ومنها ان هذا اللورد نفسه قال للموسيو فراسينه ناظر خارجية فرنسا فى بلاغ رفعه له فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ ان ضرب الاسكندرية لايعتبر من قبلنا الا دفاعا قضت به الظروف وليس وراءه أدنى غاية

ومنها تصديق دول انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) في ترابيا

الجليل الشأن الرفيع البنيان

ولئن ذكرتهم بهذه المواثيق الجليلة التى أخذوها على أنفسهم بعد أن ذكرهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك لانى أراها أمضى سلاح لنا ضدهم وأصلح درع نلاقيهم بها في كل احتجاج وجدال

وماهى فى الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصرى حججاً دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هذا الدمار وجعلوا الشرف البريطانى علي شفير هار

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية وحسن الضمير خطاب اللورد غرانفيل الشهير الذى أرسله وهو رئيس الوزارة الانكليزية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى السير ماليت معتمد الدولة البريطانية فى مصر حين ذاك أى قبل ان تظهر للثورة نار ويقام للاحتلال شعار فان هذا الخطاب أوضح بأجلى بيان ان انكلترا تضمر لمصر كل خير وتود من أصدق فؤاد ان تراها في ثوب العز والرخاء كما يفهم هذا من قوله فى بعض المواضيع « ان الغرض الوحيد

فتح الاندلس نظم أوقاته ووضع للعمل خطة وعنى بدراسة المسئلة المصرية دراسة دقيقة وقد أعد سلسلة مقالات سياسية لينشرها في جريدة الاهرام وقد نشرها وأولاها آخر ما نشر فى الجزء الثانى تحت عنوان « حتام تجاهرون بعكس ما تضمرون »

أما المقالة الثانية فقد نشرها في العدد (٥١١١) الصادر من جريدة الاهرام الغراء فى يوم الجمعة ٤ يناير سنة ١٨٩٥ وهذا نصها :

الوعود الصريحة

ذكرت الانكليز فى رسالتى الاولى بأشهر سيئاتهم الاحتلالية وأذكرهم اليوم بشرف الوعود وأثمن العهود التى قالوها ضمانة للانجلاء آتيا بها وعدا بعد وعد وعهدا بعد عهد عسى تنفع الذكرى ويعلم السادة الاحرار انهم بمحافظتهم على هذا الاحتلال الثقيل قد وطأوا باقدامهم وداسوا بأرجلهم أعز شيء يتباهون به ويفتخرون. أعنى بذلك الشرف البريطانى

وسيقفون على الميسور ادراجه من أعمـاله العمومية ولذلك صحت نيتنـا على اقتطاف نتف منهـا كما تقـدمت الاشارة الى ذلك

ولمـا كانت علاقة المترجم ببعض أشخاص مما له علاقة كبيرة فى عمله السياسى باعتباره خطيباً وطنياً وصحافياً عاملا وكاتبا مصريا كان من المحتم علينا أن نذكر ما دار بينه وبين خصومه السياسيين من الاخـذ والرد ومن عاصروه من الصحافيين من الوئام تارة والانقسام تارة أخرى غير متخذين أنفسنا حكما لان حكمنا هنا غير مقبول شرعا

أما علاقة المرحوم بسمو الخـديوى المعظم فـكانت كعلاقة سموه بكل مصري مخلص ليس فيها سر غريب ولا اتفاق بعيد ولا شىء خارق للعادة مما تخرص به المحتلون كثيراً وتكهنت به جرائدهم هنـا وهنـالك زمانا طويلا . وسيمر تحت نظر القـارىء عنـد المناسبات شىء من أنباء الهجوم والدفاع بينه وبين ابواق الاحتلال

قلنا فى آخر الجزء الثانى ان المترجم بعد ان نشر رواية

وافياً ليكون ذلك توطئة لهذا العمل الكبير الذى نرجو الله تعالى أن يمده بروح من عنده ليعود علينا بالفائدة المأمولة والعائدة المسئولة وقد شرحنا فى آخر الجزء الماضى شيئاً من هذه الطريقة ولن نغفل الاشارة الى ذلك كلما عرضت مناسبة

كان من عادة المترجم أن يحتفظ بما يرد عليه من كتب ومجلات وجرائد وكتب خصوصية سواء من الاقرباء أو الاصدقاء فلا يمزق شيئاً من كل ذلك . وقد وجدنا نفسنا بعد وفاته أمام تلال من الصحف والكتب عدا ما اقتناه هو من مئات الكتب ونفائس المؤلفات كما أننا وجدنا اكثر خطبه وبعض مقالاته مكتوبة بخط يده . ولما كان غالب الكتب الخصوصية غير مشتمل الا على جمل وبعض فقر تدور حول محور السياسة المصرية رأينا أن نقتطف منها الاهم فالمهم حسب ما استطعنا أن نرتبها حتى لا يطول علينا الشرح ولا يجد القارىء فى نفسه سأما ولا ضجرا

وانه ليس من الوفاء أن نغفل افادة القراء بنتف من هذه الكتب ليقفوا على طراز كتبه الخصوصية كما وقفوا

فكان لها بين جمهور السامعين تأثير بليغ ووقع حسن وقد رحبت بها اذ ذاك الصحافة الفرنسية التى اتصل بها خبرها ونقل اليها أثرها

والتف حوله جمهور كبير من أبناء البلاد الذين أعجبوا كل الاعجاب باستقامته ونبل قصده وشرف غايته فكان هذا الالتفاف مشجعاً ومنشطاً

وفيه عرف كيف يلفت الرأى العام الاوربي الى مصر وبالجملة فقد كان هذا العام أول عام حمل فيه أعداء مصر عليه حملات دنيئة وأخذوا يحاربونه بالاضاليل والاباطيل وهو هازىء بهم ماض في سبيله بثبات وشجاعة لا مثيل لهما فيمن رأينا فى العالمين

ولما كان الغرض من وضع سيرة المترجم على النمط الذي علمه القراء هو تلقين الناشئين دروس الارادة والثبات والشجاعة والحزم والعزم والجد والجهد فى خدمة الاوطان مهما كان الخصم عنيداً والجهاد عنيفاً شديداً : كنا فى حاجة الى شرح الطريقة التى سنتبعها فى هذه السيرة المباركة شرحاً

الخطية من بعض رجال السياسـية الذين كاتبهم أو حادثهـم في هذا الصدد

ونشر الرسائل السياسية التي كلها حجج دامغة وبراهين قاطعة على سداد نظره وبعد غوره وصـدق فراسته ولطف حسـه وحسن استنتاجه كما أنه نشر المقالات العمرانيـة في اغراض ومطالب شتى تدل على عقل راجح وجهد مكافح

وجاهد لأول مرة جهاد الابطال الـكرماء امام العالم الاوربي اذ قدم العريضـة المشهورة لمجلس النواب الفرنسي وانشأ يكاتب ويحادث دهاة الرجال والساسة الاقيال وينشر مايعن له من السوانح السياسـية في أشهر الجـرائد وأوسع المجلات انتشاراً

ووقع التعارف بينه وبين جماعة من كبراء الرجال وأساطين السياسة فلم يكن يخلو اجتماع له مع واحد منهم حتى تكون مصر أول الحديث وآخره لاقياً في سبيل الاقناع ماهو من نصيب المخلصين المجاهدين

وخطب أول خطبة له باللغة الفرنسية في مدينة طولوز

بسم الله الرحمن الرحيم

أعماله السياسية والعمرانية

السنة الثانية

١٨٩٥

يحق لنا أن نسمى هذا العام من عمر المترجم بعام « مبدأ حياته السياسية الكبرى » لأنه فيه:

عنى بدراسة المسألة المصرية عناية فائقة مستعيناً فى ذلك بما حصل عليه من الكتب السياسية التى تبحث في هذا الشأن وما أتيح له ان يقتنيه من المذكرات الخطية وغير

مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعاً

سيرته وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل
سياسية
وعمرانية

„ أحرار في بلادنا
كرماء لضيوفنا „
مبدأ الفقيد

الجزء الثالث

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء خمسة قروش صاغ ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ فى الحادية والعشرين من عمره ﴾

﴿ أقوال الجرائد الخارجية عن المترجم ﴾

﴿ خطب المترجم ﴾

﴿ تآليف المترجم ﴾

« ورسائله في الجرائد الاجنبية »

﴿ أحاديث المترجم ﴾

﴿ من المترجم ﴾

﴿ كتب خاصة الى المترجم ﴾

﴿ أعمال المترجم ﴾

﴿ تعليم المترجم ﴾

فهارس

الجزء الاول والثانى والثالث

من تاريخ المرحوم مصطفى كامل باشا

﴿ الصور ﴾

أجمع أنكم حريصون اكمل الحرص على مجدكم وشرفكم والا فيؤخذ عليكم ان تكونوا أبناء التاميز دعاة الصدق ونصراء الشرف وتجاهرون بضد ماتضمرون

* * *

تم الجزء الثاني وسيليه بمشيئة الله قريباً الجزء الثالث وهو الجزء الذى ستبتدىء فيه حوادثه السياسية الكبرى حيث قدم فيه العريضة المشهورة لمجلس النواب الفرنساوى وجاهر بالدفاع عن المسئلة المصرية وظهور الحزب الوطنى بالمظهر اللائق به واعلان الجرائد عنه وغير ذلك مما سيراه القارىء فى الجزء الثالث وكل آت قريب . .

التعليم فى المدارس ومعاقبة الذين لا ينشرون لغتكم ولا يستحسنون أعمالكم واستعمال الجرائد المتهكمة على الأمير والوطن كتبا للمطالعة . وتدريس علم التاريخ في مؤلفات أتيتم بها من بلادكم بلاد الحرية والاعتدال (صديقة الاسلام وحبيبة الدولة العليـة) مملوءة بالطعن على الدين الشريف والنبي الكريم

أليس فيما ذكرناه من بعض المسائل الشائقة الرائعـة المعروفة عند كل قراء الاهرام والجرائد الصادقة برهان صحيح على أنكم لا تريدون الا البقاء ولا تقصدون قرع باب الانجلاء

لنسلم لكم أنكم أصلحتم الشؤون وأيدتم السلطة الخديوية فمالكم لا تخرجون

أظنكم تجيبوننا على ذلك بانكم لم تتمموا للآن ما تكلفتم به وانه باق عليكم بعض الشيء - اذا كان قولكم حقا فلتضربوا لنا ميعاداً للانجلاء وهو يسير عليكم فقد خبرتم الامور وأصلحتم الكثير من الشؤون وبذلك تبرهنون للعالم

أوغندا ثم احتلال وادلاى (التى هى من أملاك الحكومة المصرية) وأخيرا بالهدية الثمينة التى قدمتموها فى الصيف الماضى الى صديقتكم ايطاليا(يعنى بها كسلا)وكان ما كان من هياج الرأى العام ومظاهرة مجلس الشورى الوطنية التى قوبلت بالفرح والاستحسان

هذه نقطتكم السوداء فى تاريخ الاحتلال لم تخلف لكم الا تيقظ الناس لاعمالكم والتفاتهم لحقيقة أفعالكم فلا تحسبوا اننا أمة حمقاء لا نفهم أسرار سياستكم بل تيقنوا ان ما يكتبه كل كاتب صادق يكرره الاهلون عن بكرة أبيهم يوماً بعد يوم

ادعيتم انكم دخلتم البلاد لترقية أهلها وجعلهم أهلا لان يتولوا شؤونهم بأنفسهم فهل كان ذلك منكم باغتيالكم الوظائف السامية وقبض الرواتب الفادحة والتبذير المستمر الذى أوصل الفلاح الى سوء الحال الذى لم ير له فى تاريخ مصر مثال

وهل رقيتم البلاد يا ممدني الهند والهنود بتضييق دائرة

وخالفتم رغبته وعملتم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له

بل قولوا لنا بحق مجدكم ياادعياء الحرية وزعماء المدينة هل أعدتم الوطن العزيز الى ما كان عليه قبل الثورة بسلخ السودان عنه وتركه غنيمة باردة لكم ولصنائعكم من بعدكم فلا تركتمونا نسترجعه ولا صنتم حيادكم بل كنتم أول الطامعين فيه المقتدرين عليه

وكان ساكن الجنان شريف باشا فقه كنه مقاصدكم وسوء نواياكم يوم أكبرت الناس عمله وصفقت له استحساناً حيث رفض طلبكم واستعفى مفضلا اجتناب الاعمال عن خدمة مآربكم وترككم تحتالون على محبكم نوبار باشا (ومحب غورست على الخصوص) الذي قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما أدراكم ان السودان أرض هى من مصر بمنزلة الروح من الجسد

وماذا كان منكم بعد ان أجبتم الى طلبكم وسلخ السودان كان منكم ان كنتم أول المنتهكين لحرمته باستيلائكم على

أنهم عاملون على تقويض أركان السلطة الخديوية وتقليل نفوذها واخراب البلاد وافقار العباد مما بدل من أفئدتنا حيناً لهم بسخطنا عليهم وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم والا اذا كنتم معشر الانكليز لاتزالون تسمون أنفسكم دعاة الصدق ونصراء الشرف فقولوا لنا بحق مجدكم مامعنى تأييد السلطة الخديوية عندكم أتؤيد سلطة العزيز بتقويض دعائمها وهدم أركانها ومخالفة صاحبها الساعي فى كل رغباته ومناقضته في كل أمياله وتهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلية أصبحت مقاطعة من مقاطعات اسكتلندا أو ايرلندا) هذا أميرنا أبو أميرنا عليه من الرحمن الرحمة والرضوان ظن بكم خيراً وسالمكم فى أكثر الامور فقابلتم بعد موته ثقته بكم ومسالمته لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر تنازل له عن الامضاء على الاوامر العلية فكان يضع امضاءه بدل امضاء حضرة اللورد » مما كان له اسوأ تأثير فى النفوس وعرف الناس حقيقة ماتكنه ضمائركم وتخفيه سرائركم وقد بلغ منكم حبكم للتعدى على سلطة الامير ان تظاهرتم مرارا ضدالعباس

حتام تجاهرون

﴿ بعكس ماتضمرون ﴾

ابدأ كتاباتى فى الاهرام برسالة عامة على مناقضة الانكليز لاقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الادلة التى يتحدث بها الناس كافة جاعلا اياها مقدمة رسائل آتية أدرجها على التتابع والله الموفق

أثبت الفلاسفة والحكماء فى سائر الاعصر والازمان ان النقيضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان مما رسخ فى الاذهان رسوخ الاهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول الصحيح الا أبناء التاميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على مكيافل فيلسوف الطليان فانهم أرادوا بما أتوه في مصرنا اثبات اتحاد الضدين واجتماع النقيضين فلقد قالوا وملأوا الارض قولا « انا دعاة الصدق نصراء الشرف دخلنا مصر لتأييد سلطة أبنائها واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل الاضطراب ثم أثبتوا فى تاريخ احتلالهم أكبر اثبات على

نقول ان تلك الرواية قد لقيت من القبول والاقبال في عهد أهملت فيـه آثار العرب وكسدت سوق الادب أجزل ماناله المؤلفون والمصنفون ووردت عليه كتب الثناء المستطاب تترى وتلقتها الجرائد فى ذلك الحين بالاجلال والاكبار خلا صحافة الدخلاء دخلاء السوء طبعاً

فانهم فى كل زمان ومكان شجى فى حلق الامة وقذي فى عينها ولا بقاء للباطل الا في غفلة الحق عنه وان له لجولة الى يوم النشور وتجارة النزور بائرة وأهلها فى ثبور وانما يرفع شأن الوطن ويخدمه أبناؤه المخلصون كما صنع فقيدنا الكريم

*
* *

نقول ولم تكن تلك الدراسة الجـديدة وهذا الجـد المتواصل والرغبة العظيمـة لتحول بين المترجم وبين نشر المقالات السياسية فى الجرائد السيارة فقـد رتب رحمه الله سلسلة مقالات لجريدة الاهرام نشرت أولاها فى يوم الجمعة ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

طالعوا أيها القراء هذه الرواية لتروا كيف يؤلف المؤلف المخلص . طالعوها بتبصر وامعان فانها ستفيدكم فى ذكريين من جانبين . تفيدكم فى التذكير بما كان لتلك الامة العظيمة من المجد المؤثل والجاه العريض والامل الطويل والسلطان الكبير . تفيدكم فى التحذير من فئة يلبسون لكم ثياب الاصدقاء وهم لو نظرتم الى باطنهم وحاسبتموهم علي أفعالهم لرأيتموهم من أشد الاعداء كيدا لكم وعملا (لا يقدر الله ذلك) علي اسقاطكم :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فاذا اكتسيت به فانك عار

هذه كلمة موجزة عن لنا أن نقولها علي أثر نقل رواية فتح الاندلس ولعلنا قد بلغنا بها الغرض . كلمة قلناها علي أثر نقل رواية وزع منها فى الاسبوع الذى صدرت فيه ستة آلاف نسخة وأمسى محبوها اليوم ينشدونها فلا يجدونها ويطلبونها فلا يبصرونها ونظننا بذلك قد أدينا شيئا مما علينا لعشاق هذه النفائس وطلاب تلك الآثار . وقد فاتنا أن

عليه عاقل . .

نريد أن تظهر في البلد روايات نافعة مؤثرة تتدرج بمن يحضر تمثيلها من طبقات الامة في سلم الرقى درجة درجة . نريد أن تكون في البلد روايات مفيدة ذات أثر فى ترقية المصريين ترقية أدبية . فان النذر القليل الذى سئمته أسماعنا ومجته طباعنا من هذه الروايات على قلته وقصوره عن الغرض لايكفى أمة تريد أن تمشى فى طريق الرقى بلاانقطاع أميالا متعاقبة ومراحل متتالية . فاعطوا أمتكم أيها الكتاب القادرون روايات تشخيصية وطنية مؤثرة تعطكم أجرا من المال والثناء على السواء وتكون لكم عليها المنة الغراء واليد البيضاء

رحم الله المترجم وأجمل فى جنان الخلد بين الصديقين والمجاهدين جزاءه لقد كان ينوي أن يجعل هذه الرواية فى طبعتها الثانية نموذجا يحتذيه القصصيون . ولو فسح له فى الأجل لكان أمامنا منها رواية كبيرة الحجم كما كانت تطلب مراسحنا العربية في ذلك الاوان ولكن الله أراد وله فى ذلك حكمة ...

ذلك الاشارة كثيرون . ونحن فيما نكتب فى كتبنا ونتكلم في خطبنا عن الدخلاء لانعنى كل أجنبي عن مصر ومعاذ الله أن يكون ذلك من قصدنا فى شيء وانما نعنى فريقاً بعينه نعنى هؤلاء الذين يسيئون الوساطة بيننا وبين غيرنا فيجنون على مصر جنايات متكررة ويأثمون الى المصريين آثاماً متتالية . نعنى هؤلاء الذين لاهادى لهم من ذممهم يهدى فيتبع ولا وازع لهم من وجداناتهم يزع

وانا لانعجب من ضآلة العاطفة الوطنية فى ذلك الوقت اذ طلب المؤلف من المراسح العربية أن تمثلها فأبت منتحلة فى ذلك أوهى الاسباب وأوهن المعاذير وانما نعجب أشد العجب من سكوت القادرين الآن علي التأليف والتصنيف ووضع الروايات ذات المغزى الوطنى مستنبطة من وقائع الدهر وحوادث التاريخ وفينا أمثال فلان الكاتب وفلان القصصى وفلان المؤرخ الى ناس آخرين من أهل الفضل لو أرادوا أن يصنعوا خيرا لصنعوا ولكانوا من المشكورين المأجورين فان سكوت هؤلاء عن مثل هذا العمل المبرور أمر لايحمدهم

النفس ونحن عنه غافلون

انا لا ندل علي فضل هذه الرواية وما يمكن أن تحدثه من اليقظة فى نفس قارئها بأحسن من نقلها برمتها . وما فعلنا ذلك الا تلبيــة لنداء الجمهور الذى يطلب أن يكون كل اثر أدبي ماثلا أمامه فى هذا التاريخ الذى هو تاريخ للنهضة الوطنية المصرية والحياة القوميــة العالية . وقد نفدت نسخ هــذه الرواية منذ سـنين ولم نعـثر علي النسخة التى نقلناها هنا الا بشق الانفس وبحث الايام والليالى

فليقرأها القراء فانهــم يقرأون فيها رسم مجـد دارس ويتحذرون من أهل الـكيد والدسائس وهم يكادون في هذه السـنين يكونون معروفين لدى الامة رسما واسما وجسما بما كان لهم من المواقف السيئة التى حاولوا فيها أن يحولوا بين هذه الامة ورغائبها بما يفترون من الا كاذيب ويتمسكون به من الاباطيل والاضاليل

واذا كان عباد الوزير قد خان من أحسنوا اليه خيانة فاضحة وجنى جناية عظيمة فأمثال عباد بيننا كما تقدمت الى

كثيرا . وقد بلغ من عنايتهم به وافراطهم فى حبه أن القائمين به من أرقى الناس منزلة وعقلا وقد يعاد تمثيل الرواية مئين من المرات متى صادفت فى نفس الشعب هوى مكيناً وكان لها فيه وقع جميل فمتى نبلغ هذا الشأن ؟

ان التحذير من عاقبة وجود الدخلاء أمر واجب على كل غيور . فانهم يجرون وراءهم على البلاد التى تطؤها أقدامهم وباء وبلاء . لانهم لا يهمهم من مصلحة البلد شيء بل لا يهمهم شقي به أهله أو سعدوا عزوا فيه أو ذلوا وانما يهمهم بطون يملأونها وأكياس بالمال يترعونها وأغراض غير شريفة يقضونها . وهؤلاء الفئة من الناس يدسون للامة التى يحلون بينها السم فى الدسم ويكيدون لها كيدا ولا يخشون فيها عهدا ولا ذمة ولبئس مثل الخائنين

ولا شك ان من يقرأ هذه الرواية بتدبر وامعان يجد فيها عبرا جمة وحوادث مهمة . وليس فتح الاندلس بالحادث التاريخى الذى يستهان به ولا كيد الوزير عباد للاسلام مما ينساه أحد . وكم بيننا من أمثال هذا الوزير فى دناءة الطبع وخسة

الشاعر العربي ولله دره :

نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثلما فعلوا

بل ان في اعادة سيرة ما كان لهـذه الامة العربية الكريمة من المجد الباذخ والشرف الشامخ لحضا لهذه السلائل على الاقتداء بما كان عليه الاسلاف من رفعة الشأن ونفوذ الشوكة والسلطان . وفى التحذير من شرور وسطاء السوء ودخلاء البلاء انذار للامـة التى منيت بهم بأن تأخـذ منهم حذرها وتتدبر دونهم أمرها

ولو أتيح لمراسح التمثيـل العربي فى هـذه الديار أن تتوفق الى الاتفاق مع جماعة من خيرة الكتاب على استخلاص العبر التاريخية وصوغها فى قالب روائى بكيفية تحـدث فى الانفس التأثير المطلوب لكان ذلك من أعون الذرائع على ايقاظ الهمة واحياء الامة ولعلها تتوفق الى ذلك عاجلا أو آجلا

وقد تنبه الكتاب الغربيون الى مافى التمثيل من أثير الفوائد فجعلوه وسيلة من وسائل الاصلاح ولذلك يعنون نه

طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه :

« عنّ لى أن أكتب رواية أظهر لقومي فيها دسائس الدخلاء على الامم الذين يترددون بردائها ويتخاطبون بلغتها ويخالطونها مخالطتها بعضها فيكونون كالسم فى الدسم بغية منهم في اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها شارحا غير ذلك فضائل الامة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها بالمكارم مما جعلها فى حصن حصين من شرور الدخلاء ومكايد الاعداء الالداء » الخ الخ

بهذه الكلمات القليلة . بهذه الاسطر الموجزة . بهذه المعانى الشريفة . بهذه الروح العالية . وضع المترجم للرواية خطة حبذا لو اتبعت فيما يؤلف من الروايات لانها الخطة الفضلى والطريقة المثلى . وأى خطة في تأليف الروايات أرفع وأنفع وأحسن وأمتن من التذكير بمجد سالف والتحذير من بلاء محدق خطير ؟؟

ان فى التذكير بالمجد الغابر لحثا للابناء علي محاكاة الآباء وايقاظاً لروح التشبه والتمثل فيهم ليكونوا علي حد قول

والاهمية بالمكان الذى لا يخفى فضله على أحد

يكتب الكاتب فى أى غرض من الاغراض ويخطب الخطيب في أى مقصد من المقاصد فلا يفهم الاول الا قليل من القراء ولا يفهم الثاني الا قليل من السامعين فلا تزال الحاجة ماسة الى ما يكون تأثيره عاما فى كل الطبقات وهو التمثيل . وهذا الضرب من التربية يكون أكمل وأتم وأفيد اذا كانت الروايات الموضوعة لهذا الغرض مما يذكر بمجد قديم أو ينبه الى خطر محدق . ورواية فتح الاندلس التى نشرناها هنا برمتها حرصا على غررها ودررها أن تتلمسها الايدى فلا تجدها قد جمعت بين هذين الغرضين في سلك واحد بطريقة تقبلها الاسماع والطباع

فقد اشتملت علي التذكير بمجد ماض هو مجد الامة العربية وعلى التنبيه الى خطر محدق هو خطر وجود دخلاء الشر ووسطاء السوء فانهم قديماً وحديثا أصل من أصول المصايب الكبيرة ويجمل بنا هنا أن نعيد قول المؤلف بنصه وفصه فى مقدمة الرواية بياناً للغرضين الآنف ذكرهما . قال

العمر التى يكون فيها الناشىء على الغالب غير ملتفت الا الى غرض واحد: كان يؤسس الجمعيات ويؤلف الكتب والروايات ويلقي بدائع الخطب والروايات ويكتب روائع المقالات ويطلب العلم ويناقش رجال السياسة ويرد افك المارقين ويدرس المسألة المصرية دراسة دقيقة ويضع للمسألة خطة وطنية ثابتة. أقول من ينظر الى أن المترجم كان وهو في طور الحداثة يضع ذلك كله فى آن واحد يكبر معنا تلك المقدرة الفائقة ويكبر كذلك تلك النفس العظيمة السامية أيما أكبار

وقد بقي أن نوفي حق رواية الاندلس بكلمة موجزة فقد علم القراء أنها نسجت علي منوال رواية شهيرة لاحد محرري بلجيكا. لان كلتا الروايتين كما قلنا تشرح مقدار الغبن الذى ينال الامم المقهورة من الامم التى تطمع فيها وكيف أن الدخيل فيها لا يهمه الا الطمع والجشع خربت البلاد أو عمرت شقيت أو سعدت. ولا يخفى أن للروايات فى أوربا أثراً يؤثر وشأنا يذكر وحسبك أن التمثيل ركن من أركان التربية العملية العامة فى كل زمان ومكان بل هو من الخطورة

التاريخ الاسلامى تلخيصا يحفظ معـه الجوهر ثم تخلص منها العظات والعبر

وقد لاحظ بعض مـدرسى التاريخ أن هذه الطريقـة تنجع كثيراً في معالجـة النفوس المستعدة للاستفادة وكيف لاتكون الحال كذلك ؟؟

الا انه ظاهر بالبداهة أن افراغ الدروس التهذيبية فى هذا القالب يفيد فائدة عظمى . يفيد لأنه يحدث فى قلوب الناشئين تأثرا مخصوصاً بمن يدرسون سيرته تأثرا يظهر فى قولهم وعملهم ظهورا على قدر ما أوتوا من الفطنة والتميز . وما على فضلائنا الا أن يجربوا هذه الخطة فيضعوافى التربية كتباً تنشىء رجالا كاملين بانتخاب ترجمة بعض الاعـلام المشهورين في التـاريخ الاسـلامى وصوغها فى شكل يقر الاعين ويفتح لتلقيها الصدور

وانا نذر هذا الاقتراح لعل الايام تحققه وما ذلك على همة من نعرفهم بعزيز . ولنلتفت الي ما كنا فيه فنقول :

من ينظر الى ان المترجم فى حداثة سنه أي في القطعة من

تشبيها مافاتهـم أن يروه أصلا ويتدارس أولئـك الاجيال القادمون سيرة مصري رفعه اخلاصه وجده ورفعته ووطنيته وأريحيته الى مصاف العظماء الفاتحين

ولو أن الناشئة اليوم تقبل على قراءة هـذا التاريخ كما هى مقبلة الآن دراسـة عملية بشوق ولذة وامعان لظهرت منهم طبقات تدهش العالمـين . ونقول والخجل يمسك القلم في يدنا عن الجري على القرطاس ان كتاباً كهـذا جدير أن يحدث فى النهضة الحالية قوة عظيمة ويبعث فيها من القدرة أملا عظيما . وقد خطر لنا أثناء تدوين هذا الـكتاب خاطر نأمل أن لانعدم فى أبائنا وفضلائنا من يعمل على تحقيقه تحقيقاً لأمنية عظيمة وفكرة حسنة . فانه يجمل بالفضلاء من مدرسى اللغة العربية في المدارس الحرة أن تتألف منهم لجنة لوضع كتب فى التربية على غير ذلك النسق المعروف المتداولة كتبه بين أيدى ناشئتنا بلا فائدة كبـيرة . والطريقـة التى نستحسن أن توضـع عليها تلك الـكتب طريقـة التلخيص والتخليص : تلخص سير بعض الأعـلام المشـهورين فى

وتقرئه سير الابطال البواسل وتريه آثارهم فى صدور الاسفار أو على وجه البسيطة لتدب الى نفسه الحماسة والشجاعة . واذا شئت أن يكون ابنك كريماً فقف أمامه مواقف العطاء والسماحة وعلمه كيف يعطف على البائسين ويحنو على المساكين ويحسن الى المستضعفين لا بالاكراه ولا بالاغراء ولكن بالقدوة الصالحة تنطبع فى نفسه ملكة الكرم ويتدرب على البذل والعطاء من الصغر فتألفه فى الكبر . والا فان الاعتماد على القول دون الفعل أمر قليل الجدوى

سبق لنا من القول مالا نرى بدا من تكريره كلما سنحت الفرصة وهو أن القدوة الصالحة لها سلطان على النفس . فمن شاء أن ينشيء ابنه على ملكة من الملكات أو فضيلة من الفضائل فليكن أمام ابنه من يريد هو أن يكوّنه

نعم ان الناشئين من أبناء هذا الجيل ليس فيهم الا من عرف شيئا عن المترجم فى حياته فهو متتبع فيه خطواته ولكنا نكتب هذا الكتاب لغرض أسمى وأعم . نكتبه للجيل الحاضر والأجيال المصرية المقبلة فيري هؤلاء فوق الطرس

أحسن وأشرف تمثيل : ولا يكون فى غربته ان أتيح له أن يطلب العلم المجرد من شوائب السياسة الاحتلالية وأهواء الساسة الانكليز فى بلاد الحرية مثالا لكرم الخلق والذكاء الفطرى والجد الغريب ؟؟ ومن ذا الذى يدرس أنباء ذلك الجهاد الشريف العنيف أيام كان يؤدى الامتحان الأخير أمام كلية الحقوق في فرنسا وأمامه من المصاعب والعراقيل جبال فوق جبال ولا يحاول أن يثبت أمام العراقيل والعقبات ؟؟

انا نكفل لمن يقرأ قصة من هذه القصص بتدبر وامعان وحسن نظر أنه يتأثر بما فيها من الموعظة الحسنة والعبرة البالغة . وفى اعتقادنا أن أنجع الطرق فى تربية الناشئين طريق القدوة فان لها سلطانا على النفوس كبيرا

رب ابنك لا بالعصا ولا باللسان ولكن بتكرار العمل الصالح أمامه والفات نظره الى الحسن للأخذ به وعن القبيح للاعراض عنه . فاذا شئت مثلا أن يكون ابنك جنديا شجاعا باسلا فيحسن بك أن تدربه على الشجاعة تدريباً عملياً

وبينهم فيما نكتب ويكتبون

ولا شك أن الفتوح التى يقدر أن ينالها الكاتب فى أى غرض من الاغراض انما تكون بمقدار مايحدثه في نفس القارىء من التأثير . هذا التأثير الذى هو الغاية المقصودة من الاستعانة بالحقائق الثابتة على تدوين هذا التاريخ

من ذا الذى يقرأ مثلا ماوقع بين المترجم وبين المغفور له وزير العلم الكبير على مبارك باشا من المحادثات : ولا تنفعل نفسه ويتمنى أن يكون له مثل ذلك اللسان فى قوة البيان وذلك الجنان فى الجرأة للحق والثبات فيه ومثل تلك الفصاحة فى الأخذ والرد والالماع والاقناع ؟؟ ثم من ذا الذى يقرأ ما أصاب المترجم من الجهد ومزيد النصب وهو مكب على الدرس والبحث والتمحيص والمرض ينهك قوته ويهد من أركان جسمه هذا غير مبال بشيء : ولا يقبل بنفس شيقة وقلب مملوء شغفا على الدراسة والمطالعة ؟؟ ومن ذا الذى يطالع سيرة المترجم وهو مهاجر فى طلب العلم سائر على الطريق الأقوم ممثل أمته المحبوبة بين سائر الامم

يكن فيها من قبل . يحس بدافع قوي يسوقه سوقاً الى السير على نسق التشبه والتمثل .. يحس بقوة غير ملموسة تزج به في معترك الجهاد بشوق وثبات . يحس بجاذب يملك عنان قلبه فيجمع عواطفه حول نقطة واحدة حسبما يقوم فى نفسه يحس بشيء طبيعي يقود ارادته وهمامته الى عمل جديد . يحس كان نغمة لذيذة تضرب على أوتار قلبه فيتمايل ذات اليمين وذات الشمال . يحس كأن قوة سحرية سارت فى جوانحه فتنبعث فيها حرارة لم تكن بها من قبل : وأخيرا يحس بأن نفسه تيقظت من اغفائها وعزيمته تخلصت من رقادها فيمد يديه يتلمس سببا من الاسباب يرفعه الى مصاف المخلصين العاملين

هذا مايحس به القارىء فيما نظن . والتاريخ اذا لم يترك مثل هذه الآثار في نفس دارسه كان قليل الجدوى . واذا كان بعض الكتاب الافرنج يصل الى احداث هذا التأثير بصور من صور الخيال فنحن نريد أن نصنع ذلك بمجالى الحقيقة وعرض مناظرها البديعة . وهذا هو الفرق بيننا

المترجم من الهمة السامية والعزيمة الراسخة رسوخ الاطواد أو حديثاً ينبئك بما فطرت عليه تلك النفس الكريمة من العظمة والعلو ونبل القصد وشأناً ينبه في صدرك قلباً حساساً ان كنت من أهل الاستعداد الفطري أو الاستعداد الكسبي للنبوغ أو أمراً يثير في قلبك عاطفة شريفة ويهزه هزة لطيفة أو مشهداً يصور لك حياة النابغين المخلصين في خدمة الاوطان أو آية من آيات العظام أو فكراً عالياً من الافكار التي يكون تحقيقها مقيما لدولة ومقعدا لدولة أو عملا من كبار الاعمال التي تدني منال الآمال ؟؟

بل اقرأ بين السطور وطالع تضاعيف الصحائف ألا ترى فيما بين سطر وسطر سراً من الاسرار الغالية وفيما بين صفحة وصفحة أثراً من الآثار الخالدة العالية وفيما بين فصل وفصل قطعة من قطع الحياة الشريفة وآية من آيات الطموح المحمود ؟؟

اننا نثق ان القارىء يقلب الصفحة الاولى من صحائف هذين الجزأين ثم لا يكاد يتممها حتى يحس في نفسه بمؤثر لم

نفسها بنفسها كما يدل القمر على ذاته بلألائه ويلفت اليه النظر بسناه وسنائه

هذا من حيث المقالات وكثير ما هى فيما نشر وفيما لم ينشر بعد . وقد جعلنا ما علقنا عليه منها مثالا لما كنا نحب أن نورده عقب كل قول لو أعان المقام ولكننا سنفعل ذلك على قدر الامكان لا زيادة فى البيان فهي على ما عرف القراء ولكن مبالغة في اظهار ما فيها من سديد المرامي والمرامي

وانا في هذا المقام ونحن نكتب تاريخ البطل المصرى المجاهد أشرف جهاد في القرن العشرين يحق لنا من باب الانصاف أن نقول كلمة مسهبة فيما مر بنا من عناصر هذه السيرة النافعة الحميدة

قلب نظرك في هذين الجزأين وطالع أى صفحة تقع تحت بصرك أترى غير نادرة تعلم العصاميين كيف يسودون أو لطيفة بمثلها تغذى الالباب أو أثراً يترك فى نفس القارىء أثراً أو جملة تتحلي بها صدور الطروس أو فقرة يمكن أن يتحداها البليغ أو حكاية تدل على مبلغ ما كان قائماً بنفس

عين مايصح أن تخصب به وجوههم فى الحاضر والمستقبل حصباً . وكتاباته فى سيئات الاحتلال وما له من المآرب السيئة والاغراض الممقوتة من أحسن مايقال اليوم وأصح مايكتب . وكتاباته فى حث الوطنيين على الاخذ بالاصلاح واليقظة لما هم فيه والاجتماع حول غاية واحدة هي انقاذ الوطن من بين مخالب الطامعين فيه والغاصبين لحقوقه من أفضل ماتوقظ به العزائم والهمم قديما وحديثاً . وكتاباته في الذود عن كرامة مصر والنضال عن حقها المغصوب والمطالبة بملكها المسلوب من أفضل مايمكن أن تجرى به الاقلام فى هذه الايام

وبالجملة نقول ان هذه الكتابات لما كانت من الاصابة وصدق اللهجة وسداد النظر بالمكن المكين وبحيث لايتمكن من يتفي عليها الا أن يردد صدى أو يعيد معانى معينة رأينا أن من اللائق أن نثبتها كما هي بلا زيادة ولا نقص مكتفين بما هي عليه من الوضوح والجلاء وحسبنا من التقريظ والاطراء ونحن فى مقام المؤرخ أنها تقرظ ذاتها وتدل على

وقعت بلا نقص ولا زيادة حتي اذا انتهينامن ايرادها كما هى علقنا عليها بما يعن لنا حتى لايكون الكلام جافاً وحتى تعى أذهان القراء ماتعي من روائع الحكم وبدائع العبر وهذاهو المقصود من كتب السير

اشتمل هذا الجزء على جزء من سيرة المترجم وفيه مافيه من مقالة حكيمة ورواية وطنية ومرام فى شريف الاغراض سديدة ونمح صادقة وآثار كريمة ومناقب غالية

أما المقالات فقد قل أن نعنى بالتعليق عليها وذلك لأ نا نرى المقالة وافية بالغرض من وضعها وليست في حاجة الى ان يزاد عليها كلمة . لان الالفاظ فيها آخذ بعضهابرقاب بعض والمعاني ظاهرة ظهور الشمس فى رابعة النهار وما كتبه المترجم فى أول عهده بالكتابة هو مايصح أن يكتب اليوم وغدا بلا تبديل ولا تغيير . وذلك لانه قد أوتى من صدق الفراسة وبعد النظر ولطف الحس وحسن القياس والاستنتاج ما بنى منه على أساس متين وجرى فيه على نسق مطرد

فان كتاباته عن دسائس الدساسين ونفاق المنافقين هي

الدولة العلية السياسية وبالجملة كل ماله علاقة بمصر والاسلام رأيته يوماً وقد اعتلت صحته فنصحته أن لا يشتغل كثيرا فقال لي ان الشغل لم يتعب ولكن بين سطور الكتب التي أقرأها شراكا نصبتها الدول الطامعة فينا مما يؤلم القلب ويبعث الى الوجه اصفرارا . والى القوى انحطاطا . . . .

*
* *

يحسن بنا الآن وقد قرأ الرواية قراء هذا التاريخ فصلا فصلا وأحاطوا بما فيها كلمة كلمة أن نقف وقفة لنستنتج مما مر بنا من أنباء هذا الجهاد الشريف ما يمثل للذهن من العظات والعبر التي هي روح التاريخ وجوهره و نتيجته ومخبره فان قص الحوادث وسياق الفصول وسرد الأعمال مجرداً ذلك كله عن الملاحظة والاستنتاج ليس وراءه الا تقرير حقائق تاريخية ولذلك أردنا أن نورد هنا فصلا نعقب به على ماتقدم في هذا الجزء من التاريخ لنخلص الى قرائه نتيجة مفيدة وعبرة جديدة

وهذا شأننا فيما كتبنا وما سنكتب . نورد الحادثة كما

فى الساعة الثامنة ويدخل توا في قاعـة المطالعة ويستمر بين قراءة وكتابة وتقييد مذكرات الى الظهر ثم يتناول الغـذاء وينام الى الساعة الثالثـة ثم يستأنف المطالعة حتى الساعـة الخامســة وبعـدئذ يزور اخوانه وأصـدقاءه ويعـود فى الساعة السابعة ليقرأ مرة أخرى الى الساعة التاسعة ثم نتناول جميعا طعام العشاء . ويقضى بعد ذلك في السمر مع من يشرف من الزائرين (وما كانوا بقليل) حتى منتصف الليل

انتقلنا بعد ذلك من منـزل الوالدة الـكائن بالحجر الى منزل آخر استأجرناه كائناً خلف قسم المنشيه بعمارة خليل أغا وقد اختاره المرحوم في هذه الجهة ليكون قريباً من جمعيتـه التي أسسها باسم « جمعية احياء الوطن » وهى جمعية سرية تعمل لخـير مصر من الطـريق الادبى وكان فيها الـكثيرون من الموظفين وغير الموظفين الذين هم الآن أعضاء فى الحزب الوطنى المبارك

استمر المرحوم على هذه الدراسة السامية ليقف على أحوال مصر الادبية والسياسية والعمرانية . وتفصيل تاريخ

بما أملاه عليه قلب كبير ! ان هذه الكتب التى ترد علي من طلاب المدارس الذين اشتروا روايتى وقرأوا بغيتى ليست الا ميراثاً سيكون له فى التاريخ ثمن كبير . لان الناشىء ماتعود التمليق فهو اذا كتب فانما يكتب الحق واذا نطق فبالصدق . . . فبارك الله فيهم فهم الذين سيردون للبلاد مجدها ويعيدون لها عزها . . . . لأن هذه الحركة التى مارأيناها فى صغرنا ونحن اليوم قوادها وواضعوا أساسها الصالح الحق ستكون منجية لمصر مخلصة للمصريين . . . فأمن قلبي علي كلماته ودعوت الله ان يهبنا من لدنه صبراً ورشدا ؟

*
* *

ذكرنا عند وصول المرحوم من أوروبا انه جلب معه كمية وافرة من الكتب وقد رتبها فى مكتبه ترتيباً حسنا ووضع لنفسه نموذج حياة سار عليه حيث كان يعمل كل يوم بلا استثناء ثمانى ساعات فى هذا المكتب . ذلك انه كان يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً فيؤدي صلاة الصبح ثم يتناول الفطور ويقصد كوبرى قصر النيل للرياضة ثم يعود

*
* *

هـذه هي رواية فتح الاندلس التى يفهم لغتها السهلة كل مصرى ويقتدى بما فيها ويعمل بحكمتها كل منصب نفسه للارشاد والوعظ أو لقيادة الرأي العام

بارك الله فى الناشئين فانهم بذور ناضجة قد غرست اليوم لتكون رجال الغـد . . . هؤلاء الناشئون قد أقبلوا على الرواية اقبالا لم يسبق له مثيل وأخذوا يرسلون للمرحوم كتب الشكر لأنهم عرفوه من مجلة المدرسة التي كان يجد فيها الطالب الصغير والمتعلم الكبير راحة وشفاء

كانت هذه الكتب التى أمطرها الناشئون على المرحوم سبباً من أسباب تشجيعه فعول على هـذه الغاية مما قوى ساعده وساعد قلبه الكبير على اقتحام هذه المفاوز والعقبات بهذا الجسم الصغير ...

قال لى المرحوم فى هذه الاثناء ونحن على المائدة ان مطر النقود على من كتاب الفته أو رواية وضعتها أو مجـلة حررتها لم يكن بأطرب وأنعش من كتاب حرره أمل صغير

متكلم ـ مخاطب

كافة الانحاء وكفا كم به عقابا

موسى ـ كاظم والحجاب. اذاً خذوهم وأودعوهم السجون

﴿ يأخذهم السجانون وينشد الحاضرون ﴾

ظهر الحق وبان * وتبـــدى للعيان

فانظروا ياقوم واحكوا * مارأيتم فى الزمان

ان خير الناس شهم * صادق ثبت الجنان

(يلتفت الحضور لطارق)

طارق ذكرك يبقى * ماتبدى النيران

لك حمـــد وثناء * بلسان الامتنان

﴿ يقولون ذلك وينزل الستار ﴾

(متكلم ـ مخاطب)

﴿ يقول ذلك ويلتفت لطارق ﴾

موسى ـ طارق	لك من أمتك ياطارق أعظم الشكر على ماأديت لها من الخدمة الجليلة وما أوليتها من الشرف العظيم واني لأقر على رؤوس الاشهاد بعجزى عن توفيتك حقك من الثناء والاجلال وكفاك مجداً أنك أول مسلم ملك الاندلس وجلس على كرسيه
طارق ـ موسى	انى وحقك ياأمير لاأرى فى عملي هذا الا عملا يجب على كل مسلم حقيقى ان يعمله
الحضور ـ طارق	جزاك الله ياطارق عن الاسلام خيراً
موسى ـ الخائنون	وأما أنتم ياخائنى الدولة والدين فقد رأفت بكم وحكمت بالنفى عليكم الى الابد مع اعلان ذلك الحكم فى

(متكلم ـ مخاطب) تعلمون أيضا حفظكم الله كيف ان
الغرام يلعب بعقول الرجال كما لعب
حب مريم بعقل عباد وكيف ان
الدخلاء أمثاله هم أشد الاعداء ضررا
بالامم الذين يدخلون عليها وحسبكم
دليلا على ذلك ان هذا اللئيم
الذى أفضنا عليه من أنعمنا ما جعله فى
عداد رجال الدولة المعدودين وعظمائها
المحسوبين قد كاد يضر بدولة كدولتنا
بنيت على أساس متين وغير ما ذكرت
تقرؤن في صفحات هذه الحوادث
ما لعظماء الرجال في الامم من جليل
الاعمال مما نأخذ له مثلا ما أتى به طارق
فانه ودل حقيقة علي أنه خادم الاسلام
الصادق وفارسه الجدير بأن يكون
مثلا لجميع الفرسان فى سائر الازمان

(متكلم مخاطب) يليان الى الآن ان فيها لتبصرة
وتذكرة لاولى الالباب
منها تعلمون ان كل ملك ضعف رأى
الشعب فيه وتولاه رجل لا يرعى
للمكارم مقاما ولا يحسب للشرف
حسابا يضيع كما ضاع ملك الاندلس
من يد لذريق الذى كثر فسقه وفجوره
وعم فساده حتى اشتكى منه العالم
والجاهل والكبير والصغير من شعبه
وأهل بلاده واستسلم جميعهم لنا على
اننا نخالفهم دينا وعادة وخلقا ومن
تلك الحوادث تعلمون مزية الحزم
والعزم والتثبت فى الامور وعدم
الاسراع . تلك الصفات التى امتازت
بها الامم الاسلامية عن غيرها مما
رفعها عن سواها منزلة واعتباراً ومنها

(متكلم ـ مخاطب)

﴿ دهشة عظيمة وسرور عام وغوغاء ضعيفة ونظر شزر من الحضور الى الخائنين واصفرار شديد فى وجه هؤلاء ﴾

موسى ـ الخائنين — ألى هذا تخونون وتظنون انا عنكم نأمون والله لأجعلنكم عبرة الايام وحديث أبناء الزمان مدي الاعوام

أحد الحاضرين ـ موسى — نعم ان مثل هؤلاء المجرمين والغادرين الخائنين لأحق المذنبين بأشد العقاب وأقساه وأجدرهم بأن يكونوا طول الزمان مثلا للغدر والخيانة والكفران بالنعمة

الحضور — لاشك فى ذلك

موسى ـ الحضور — ياقوم قد ظهر الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا انظروا أعانكم الله على نصرة دينكم الى الحوادث التى مرت أمام أعيننا من يوم شكاية

(متكلم مخاطب)

الرسالة وقدمها بربرى قتله نسيم بعد
ما قدمها حتى لا يعلم للامر سر فتكدر
الاميرموسى كدرا عظيما لظنه صدق
الرسالة وعزم على اللحوق بالجنود
غير ناظر الى أقوال عباد المختلقة التى
دلت فى الحال على أن له يداً فى
الدسيسة وبينما الامير يعزم وعباد
يرجوه الرجوع عن عزمه اذ جاء
رسولكم وقدم خطابكم المبشر
بنصركم على عدوكم فسر كل المسلمين
لذلك وخصوصاً الامير الذى وقعت
شبهته فى عباد لاسيما عند ما علم بموت
الجندى الذى جاء بالرسالة الاولى
فسجنه وأتي بجيشه الى هنا حيث
قابلكم والسلام

(متكلم-مخاطب) طلبه بل دعاكم اليه وأمركم بالاستعداد للسفر وخيرا ما فعل الامير . فلما خاب مسعاه أخذ يدبر مع نسيم حيلة لارجاع الجند فافتكر نسيم اول الامر فى تسميم الاميرليكون لعباد حق ارجاع الجيوش فقبح له عباد هذا الراى لما فيه من الاخطار نخطر بباله عندئذ تسميم طارق نخطأه عباد ايضا واتى هو بحيلة دلت على أنه عريق في المكر والخداع متدرب على الافساد والايقاع وهى ان يصطنع رسالة يسندهاالى السيد محمود رئيس الفرقة الاولى ويقول فيها ان طارقا قدمات والاوفق ارجاع الجنود لاستيلاء الحزن على قلوبهم فاتفقا عليها وكتبا

(متكلم ـ مخاطب)

دسيسة لقومه عند الحاجة فهو مهما
ارتفع مقامه فى الاسـلام وعظم فانه
يرى الدم الرومي الجارى في عروقه
يدعوه دائماً لخيانة المسلمين والسعي
فى هدم دعائم ملكهم وتخريب ديارهم
ومازال يرى من نفسه ذلك حتى أتاه من
بلاد الروم رجل اسمه نسيم وهو هذا
(يشير الي نسيم) وغانية خادعة اسمها
مريم وهى هذه (يشير الى مريم)
بقصد رجائه أن يسعى فى منع الحرب
الاندلسى فاخذت البنت تغازله وهو
يغازلها حتى وقع حبها فى قلبه فطلبت
منه كما طلب منه نسيم أن يمنع الحرب
فوعدهمـا بذلك وأخذ يسعى عنـد
الامير فى منع الحرب فلم يجب الامير

﴿ بعد ذلك يلتفت موسى لعارف ويقول له ﴾

متكلم ـ مخاطب

موسى ـ عارف . هات ماعندك ياعارف

﴿ يقرأ عارف التقرير ﴾

(قائد الجيش وأمير الجنود)

نظراً لثقتي بما لك من الاخلاص
الديني الحقيق واعترافا بما لك عليّ من
الايادى البيضاء ارفع لك تقريراً عن
حادث يتوضح من تلاوته كيف ان
الدخلاء في البلاد يضرون أكثر من
ضرر أشد الاعداء قوة وأقوى
الاخصام نفوذاً وسطوة وهو ان
الوزير عباداً ليس بعربيّ الاصل
بل انه دخيل على المسلمين قد تربى
بينهم لاليخدمهم بصدق بل ليكون

(متكلم ـ مخاطب)

طارق ـ اسحاق . دعه يدخل (يدخل عارف)

موسى ـ عباد . من معك ياعباد

عباد ـ موسى . حيبان يامولاي

موسى ـ عباد . أما اشتركا معك فى الاثم

عباد ـ موسى . أنا لست آثما يامولاى

موسى ـ عباد . الآن تعلم انك آثم (يقول ذلك ويلتفت الى اسحاق الحاجب)

موسى ـ اسحاق . ادع لنا يااسحاق كل الموجودين بالقرب من هـذا المكان من علماء وغير علماء ليشهدوا مانشهد من غدر وخيانة وصدق وكرامة

اسحاق ـ موسى . لأمرك الطاعة يامولاى (يخرج ويتكلم موسى مع طارق بصوت خفى لحين عودته مع كثير من فضلاء الامة حيث يستقبلهم موسى وطارق واقفين)

(متكلم - مخاطب)

الحاجب السمع والطاعة

﴿ بعد ذلك يدخل حاجب آخر ويقول ﴾

(بالباب كاظم السجان)

موسى - الحاجب دعه يدخل هو ومن معه. ماأظن الخائن الاحضر

﴿ يدخل كاظم وخلفه عباد ونسيم ومريم ﴾

موسى - كاظم. هذا عباد ومن هذا الرجل وهذه المرأة

كاظم - موسى. هما حبيبان له دخلا عنده بعد ان أعلمتهما ان من يدخل عنده لايخرج فحبستهما حسب أمركم

موسى - كاظم. خيرا مافعلت لاشك انهما شريكاه فى الاثم

﴿ يدخل اسحاق الحاجب ويخاطب طارقا ﴾

اسحاق - طارق. بالباب عارف

(متكلم ـ مخاطب).

السـاعون في ارجاع الجيش الناصبون لنا اشراك المكايد

طارق ـ موسى	هم ثلاثة عمدتهم أقرب الناس اليك
موسى ـ طارق	عباد
طارق ـ موسى	نعم عباد
موسى ـ طارق	هو ذا اللئيم محل ظنى من يوم ورود خطابك المبشر بظفرك والله لأذيقنك ياعباد من العذاب أمر كأس . أنرفعك فتخوننا ونعظمك فتسعى فى دمارنا. ومن الاثنان الآخران ياطارق
طارق ـ موسى	هما رومى ورومية أتيامن بلاد الروم لرجائه فى منع وقوع الحرب
موسى ـ طارق	انى أود أن أسمع التقرير من صاحبه
طارق ـ موسى	لك بغيتك ياأميرى
طارق ـ الحاجب	ادع لنا عارفا يااسحاق

(متكلم ـ مخاطب)

موسى ـ طارق لم تتبسم ؟

طارق ـ موسى قد وصلتني ياأميرى أول الامس الاخبار كلها وعلمت مفصل حادث موتى

موسى ـ طارق كيف ذلك ومن أوصل اليك الاخبار

طارق ـ موسى ان الذي أوصل الى الاخبار هو رجل كنت خلصته مرتين من يد عباد الوزير قد تجسس على الذين سعوا فى ارجاع الجيش وعلم كنه نواياهم ورفع لى بها تقريرا

موسى ـ طارق يالهذا الاتفاق الغريب أحمدك ربى على جزيل نعمائك لقد ارتاح الآن ضميرى وهدأ بالى لانكشاف هذه الاسرار الخفية . ومن هؤلاء

متكلم ـ مخاطب

طارق ـ موسى — اني وحقك يا أميرى لم يكن لى نصير حقيق فى هـذا الفتح الا الله سبحانه وتعالي فانه جل شأنه لا ينصر الا الحق وأهله

موسى ـ طارق — حقيقة ياطارق ان الباطل لا نصير له وان الحق نصيره الله ولذلك كانت أمتنا أشرف الامم جميعاً لما لها من عظيم التمسك بالفضيلة والتعلق بالشرف

طارق ـ موسى — ولا جرم اذا دامت أمتنا هكذا عزيزة فى مجدها قوية في عزها ورفعتها

موسى ـ طارق — وأظنك ياطارق لاتدرى من أمور الدولة شيئاً ما نظراً لبعدك عنا وانقطاعك للغزو والفتح

(يتبسم عندئذ طارق)

من العمل الجليل

متكلم ـ مخاطب	
موسى ـ طارق	وماذا رأيت من هؤلاء القوم يا طارق
طارق ـ موسى	رأيت منهم سرورا عظيما وانشراحا كبيرا بعد ما عاملتهم بسنة نبينا من تأمينهم على دياناتهم وحريتهم وأموالها ونسائهم وأولادهم وقد شرح لي الكثيرون منهم مظالم لذريق العديدة وكيف انه كان يهتك أعراض نسائهم وبناتهم جهرا ولا يخشى أحدا
موسى ـ طارق	الحمد لله الذى من علينا بفتح هذه البلاد النضرة الزاهرة فانه فتوح أنعم به من فتوح أعلينا فيه كلمة الله ورفعنا عن هذا الشعب الضعيف أنواع المظالم التى كان يثقل كواهلهم بها لذريق الفاجر

الفصل الخامس

﴿ وهو الاخير ﴾

الملخص

يرفع الستار عن موسى وطارق بطليطلة يتحدثان فى شأن الفتوح منتقلان من موضوع الى آخر حتى يصل بهما الكلام الى ذكر خيانة عباد فيعرف طارق موسى بأنه عالم بالامر وان عربيا قد تجسس على الخائنين رفع له تقريرا بكل ما اتفقوا عليه فيسر لذلك موسى ويكلف صاحب التقرير بقراءته امام الجميع في مواجهة عباد وزميليه فيقرأه عارف ويحكم موسى على عباد ونسيم ومريم بالنفى ويهنىء طارقا بين كل الحاضرين على ماأتاه

متكلم ـ مخاطب

بعد أخذ رأى أكابر المؤمنين ان
أنيبك عنى والياً على المغرب مدة
غيابى فأحسن موالاة قومك واجعل
ذكرك حميداً بينهم واياك ان تعمل
بغير الكتاب والسنة ومتى سافرت
بجيشى أرسل الوزير عبادا المسجون
صحبة أربعين جندى الى طليطلة
لننظر فى أمره امام طارق

عبد الله — لأمرك الطاعة يامولاى

﴿ بعد ذلك يهم موسى للخروج حيث ينشد كل الحاضرين ﴾

سر بالسلامة والهنا * وارجع الينا بالمنا
واحكم وفز ياذا السنا * واسلم ودم طول الزمان

متكلم ـ مخاطب	
الحضور	نعم مارأى الاميررأي ثاقب وفكر صائب
موسى ـ حبيب	اذا فلتدع لنا عبد الله ياحبيب
حبيب	سمعاً وطاعة « ويخرج »
موسى ـ الحضور	ان ضميرى يحدثني يامعشر الفضلاء انه لا بد أن تكون لعباد يد في دسيسة عملت لارجاع الجنود
الحضور	يظهر عليه ذلك يامولاي
موسى	انظروا اخوانى أساتذة الامة وعلماء الشعب كيف كان حزم طارق وتدبيره وكيف كانت خيانة عباد ان كان كما نظن . لله الفضيلة وأهلها

(يدخل عبد الله وحبيب)

موسى واقفاً ـ عبدالله	اعلم ياولدى اني عزمت على الرحيل بقصد اللحوق بطارق فى طليطلة وتكملة الغزو بصحبته وقد رأيت

متكلم ـ مخاطب	
	لانى ما أتيت اثما
موسى	أتيت أولم تأت ستعلم الحقيقة
موسى ـ الرسول	وهل تعرف لأى البلاد سيسير طارق وكيف يكون بقية الغزو
الرسول	نعم انه بعد ان قتل لذريق وانتصر على قومه أرسل الفرقة الاولى لقرطبة والثانية لغرناطة والثالثة لمالقة وسار هو بالفرقة الرابعة الى طليطلة عاصمة ملك الاندلس
	« يطرق موسى قليلا »
موسى ـ الحضور	اعلموا يافضلاء الامة انه قام بخاطرى ان أسير بجيش لألحق بطارق حتى يتم لنا الفتح فى الاندلس وفى غيره من بلاد الافرنج وان أولّى بدلا عنى على المغرب ولدى عبدالله فماذا ترون

(متكلم ـ مخاطب)

موسى لايخليك من الشبهة شيء حتى تتجلى الحقيقة وأما الآن فأنت موضع الظن لاني كنت أرى منك انك أول عامل على ارجاع الجيوش

﴿ يطرق عباد رأسه ﴾

موسى ـ كاظم « السجان » يا كاظم

كاظم بين يديك يامولاى

موسى خذ عباداوضعه فى بيته وضع عليه الحرس ولايخرج منه الا باذني واياك أن تدخل عنده أحدا ومن دخل لايخرج بل يبقى معه مسجونا والا فماذا ترون يامعشر الفضلاء (يلتفت مخاطباً الحضور)

الحضور ماراه الامير الصواب

عباد اني يامولاي لاأستحق السجن

(متكلم ـ مخاطب)

لعباد » أين الجندى ياعباد

عباد « يقول مرتجفا » مات بعد ان سلمك الخطاب يامولاى

موسى مات بعد ان سلمنى الخطاب

عباد نعم يامولاى

موسى ومالك تقول القول مرتجفا

عباد ان بي هزة برد

موسى لا وحقك انها هزة رعب وخوف وضياع أمل . الآن علمت ان فى الامر سرا وانه لابد أن تكون لك ياعباد يد في دسيسة عملت لارجاع الجنود

عباد « مرتجفا اكثر من ذى قبل » حاشا لله يامولاى اني خدمت الدولة بصدق وأمانة

متكلم	مخاطب
	ماجاء الصباح أقبل جيش لذريق وهو محمول على سريره وفوق رأسه مظلة فلما علم طارق انه طاغية القوم هجم عليه حيث التقى الجيشان فقتل طارق لذريق بسيفه ولم تلبث جنده بعده الا قليلا حتى انهزموا عن آخرهم وولوا الادبار وتم لنا الامر كما نروم ونشتهى
موسى وكل الحضور	الحمد لله رب العالمين
موسى	ولما كنتم فى الطريق هل أرسل لنا السيد محمود كتاباً مع مندوب من قبله
الرسول	انه لم يرسل قط . ولم يرسل السيد محمود وطارق رئيس الجيش ؟
موسى	الآن آن للحق ان يظهر « ملتفت

متكلم - مخاطب

القرار وتركنا عصا التسيار فى البحار
وبعد ذلك بدأنا فى الفتح فأخذنا
بالتوالى شدونة ومدور وعطف
وقرونة واشبيلية وفى هذه المدينة
علمنا ان جيش لذريق صار على مقربة
منا ولذلك قام بيننا القائد الهمام طارق
ابن زياد وألقى خطبة بليغة قال فى
أولها « أيها الناس أين المفر البحر من
ورائكم والعدو امامكم » مما جعل لها
تأثيرا عظيما فى قلوبنا وقد حثنا فيها
على الصبر والجلد وشوقنا الى نيل
النعيم فحرك من قلوبنا الساكن
وبعث فينا روح النشاط والحمية وما
فرغ من خطابه حتى انبسطت نفوسنا
وتحققت آمالنا وبتنا ليلتنا حتى اذا

متكلم ـ مخاطب	
موسى	كن آمنا أيها الصادق الامين فسوف تنجلي غياهب الامور وتنكشف الاسرار حيث يعلم الغادر الخائن ولنسمع الآن من هذا الرسول الكريم كيف كان النصر وكيف كان الفتوح
موسى ـ الرسول	(ملتفتا اليه) قص علينا ما كان من يوم ما تركتم القيروان الى الآن
الرسول	اننا يامولاي بعد ما ركبنا البحر وتركنا القيروان سرنا مسيرة اسبوعين كاملين حتى وصلنا الجزيرة الخضراء فبتنا بها ليلة وتركناها وبعد مغادرتها بيوم وليلة وصلنا شواطىء الاندلس فبتنا هنالك ليلة حتى استقر بنا

(متكلم ـ مخاطب)

أركانه وزهت به الامصار
لما بدا نور الكتاب وبينت
آياته وبدت لنا الاسرار
لما علمنا ان طارق سالم
من كل ما جاءت به الاخبار
يلقي بحد السيف لذريق العدا
مهما تعاظم جيشه الجرار
أفنى الجموع وجأشه متثبت
والسيف منه قاطع بتار
مرحى لطارق ما أجل فخاره
سيجله التاريخ والاعصار

حبيب كما أن السرور يامولاى قد عم قلوبنا والفرح ملأ أفئدتنا فانه لا بد لنا من معرفة سر الامر والوقوف على حقيقته

(متكلم ـ مخاطب)

الكتاب لموسى

موسى «يقرأ» من طارق بن زياد الى أمير
المغرب موسى ابن نصير
أبشرك أميرى لتبشر المسلمين
اخواني باننا قد فتحنا الاندلس
وأبدنا جنود الاعداء وقد وقعت
المعركة أمس بوادى لوكه حيث قتلت
طاغية القوم لذريق والسلام
كتب بوادى لوكه فى ١٦ شعبان عام
٩٢ من الهجرة النبوية
(سرور عام وغوغاء ضعيفة وزيادة
اصفرار فى وجه عباد)

موسى عاد النهار وعادت الانوار
وبدا لنا بعد الظلام منار
والبشر أقبل والهناء توطدت

(متكلم ـ مخاطب)

الصادقة عن ان يموت ببلده بين
أهله وأقاربه

﴿ يدخل حاجب ويقول ﴾

مولاى بالباب رسول معه كتاب
للامير من قبل القائد الهمام طارق
بن زياد

موسى — من قبل طارق بن زياد ! أطارق حى ؟؟

الحضور — طارق !!!

عباد — (يصفر وجهه ويقول بصوت
منخفض ـ يا خيبة المسعى

موسى — كم للزمان عجائب وغرائب
تسبي العقول وتدهش الالبابا
بالامس طارق مات بين جنوده
واليوم قد أهدى الي كتابا

موسى ـ للحاجب — «دعه يدخل» يدخل الرسول ويقدم

(متكلم ـ مخاطب)

ما كان موسى فى الورى الا لأن
يعلى معاهده وان لقي النوب
اني الى جيشى أسير ومهجتى
قبلى تسير ولا تخاف من العطب
ستعود غيرته ويرجع بشره
وينال دين الله منا المرتقب

عباد ان طائر الخوف يخفق بجناحيه على قلبي واني أرى كما رأيت اول الامر ان وقوع الحرب غير واجب

حبيب لا لا يا مولاى لاتعدل عن رأيك فان فيه الخير للاسلام والشرف للبلاد

موسى لاشك اني لاحق بجنودى لان مثلى خير له أن يموت فى الاغتراب تحت ظل الخدمة

(متكلم ـ مخاطب)

ولاشك أن الحكيم المتبصر لا يقطع الا بارجاع الجنود وعدم ذهابك لان فيه فضلا عما ذكرت ضرراً بالامير نفسه

وسى ـ عباد

اعلم ياعباد أن فى ذهابى منـة عظمى وراحـة كبرى وخدمـة للاسـلام لا تقـدر ولا تحصى ولا شىء من الاضرار يحيط بهذا الامر فان كنت تخشى من وقوع الرعب في قلوب الرعيـة فـلا أخالك تدري من أمورها شيئا ما وان كنت تخاف علي فاظنك تجهل أمرى جهلك لامر دولتك

لا تخدم الاوطان الا بالنصب
ويدوم فنيا المجد مادام التعب

(متكلم ـ مخاطب)

عباد — اذهب وإياك والتأخير

نسيم — لا تخف (ثم يخرج) « ويستقبل عباد الامير حيث يدخل هو ومن معه »

عباد ـ موسى — (يقول بعد جلوس الامير) على أى شيء عزم الامير

موسى — ما عزمت الا على السفر واللحوق بالجنود لاقوم بأمر الفتح بنفسى

حبيب ـ موسى — لك الله من مولى يعمل لله فى الله ويهون الخطوب للاسلام ويسهل الصعب طلباً لعزه ومجده لاشك أن ما رأيت يا مولاى من الرأي لاحسن ما يرى الخبير وأحكم ما يقطع به المتبصر في الامور

عباد ـ موسى — اني لا أرى في ذلك يامولاي الا كل ما يقلقل أركان المملكة ويوقع الرعب فى الرعية ويهدم صروح الامن والسلام

(متكلم - مخاطب)

موسى نعم انى ذاهب الآن الى دارى وسأعود بعد قليل

عباد أن هذا الامر يدعو الى الاسراع لا الى التواني والانتظار

موسى بعد قليل أعود (يخرج ويلحق به كل من بالمكان ما عدا عباد فانه يبقى متلفتا حتى يأتيه نسيم)

عباد - نسيم اعلم يا نسيم ان الامر كان على وشك التمام لولا معاكسة الشقي حبيب ولكنى سأنهيه بعد قليل بحسن مسعاى وما عليك الآن الا أن تخبر حبيبتى بذلك وأن تقتل سليمان الجندى الذى استخدمناه في حيلتنا لئلا يتضح السر

نسيم السمع والطاعة

(كل ذلك وعارف يراقبهم ويسمع أقوالهم)

متكلم - مخاطب	
	والخطب مدلهم والاسى مقبل والصبر مدبر كيف أعمل الآن فى أمر ارجاع الجنود ان أرجعتهم قالت الاعداء ما كان عندهم الا طارق فضلا عن انهم يطمعون فى بلادنا وان أبقيتهم فشل أمرهم وذهبت ريحهم لتمكن الحزن من قلوبهم
عباد	والله لقد كان يحدثنى فؤادى بأن هذه التجريدة تعسة الطالع ولذلك أشرت عليك يامولاى برفع الحرب وعدم ايقاعها وانى أرى الآن أنه لابد من ارجاع الجنود
حبيب	ليس للامير أن يقر على شىء الآن وهو محاط بالكدر والاسف بل يلزمه التدبير

(متكلم مخاطب)

﴿ وتسكب عيناه الدموع ﴾

عباد — تصبر يامولاى فان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد ولا تملأ قلبك من الاسف فان يكن مات طارق فقد مات شهيد خدمة دينه وبلاده يرجو لاميره ان يعيش ممتعاً بالهناء والصفاء

حبيب — (مولاي)

(ادفع بصبرك حادث الايام
وترج لطف الواحد العلام
لاتيأسن وان تضايق كربها
ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة
تخفى على الابصار والافهام)

موسى ـ لوزيريه — يا وزيري ان المصاب عظيم

(متكلم ـ مخاطب) ليس فى الامكان أن أصـف لك
يامولاى مااستولى على قلوب الجنود
من الاسى والحزن من ساعة ماوارينا
التراب قائدنا الهمام وفارسنا المقـدام
طارق بن زياد عقب مرضه . وانى
أرى كما يرى اخوانى رؤساء الفرق
ان الاولى ارجاع الجيـوش الى
القيروان لان الاسف عام والـكدر
شامـل ويخاف على الجيش من
الانهزام فى الوقيعة مادام على هـذا
الحال والسلام »

موسى آه وامصيبتاه أطارق مات

(ألا أيها الموت الذى ليس تاركى
أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهـم
كأنك تنحو نحوهم بدليـل)

(متكلم ـ مخاطب)

مولاى . بالباب ساع يقول انه من قبل السيد محمود رئيس الفرقة الاولى من حملة الاندلس ومعه كتاب باسم مولاى الامير

موسى — دعه يدخل

عباد — ياترى ماهذا الكتاب ولم أرسله السيد محمود ؟

موسى — ولم أرسله السيد محمود ولم يرسله طارق ؟

(يدخل الساعى)

موسى — سلم الكتاب للوزير عباد

موسى — اقرأه لنا ياعباد

عباد — (يقرأ الكتاب) من محمود رئيس الفرقة الاولى الى أمير افريقياموسى ابن نصير .

ويكلفه بارسال عباد بعد سفره
بيومين مع بعض جنود يحرسونه)

متكلم مخاطب)

موسى ماعندك من الاخبار ياعباد

عباد لاشيء يامولاى الرعية بخير
وهناء والامن ضارب أطنابه على
سائر ارجاء البلاد

موسى ان سفر الجنود ياعباد قد أخذ من
قلبي مأخذاً كبيراً وانى أفتكر
كل وقت فيما سيكون

عباد انى والله أتوجس خوفاً من هذا
الامر ولا أرى فيه صلاحاً مطلقاً

موسى أظن انهم وصلوا من مدة الى الجزيرة
الخضراء

عباد لعلهم وصلوا اليها

(بعد ذلك يدخل الحاجب ويقول)

الخطاب فيتكدر موسى كدراً شديداً ويذهب الى بيته ليدبر امراً وعند ذلك يكلف عباد نسيما بقتل ذلك الجندى الذى قدم الرسالة خوفا من ظهور السر فيجيبه لذلك ويخرج ثم يأتي موسى ويظهر للوزيرين انه عزم على الرحيل واللحوق بالجنود فيحاول عباد منعه فيأبى وبينما هم يتحادثون فى هذا الامر اذ يأتي كتاب من طارق يبشر فيه المسلمين بالنصر فيسر موسى جداً وكذلك كل الحاضرين ومن ثم يتغير لون عباد ويظهر من فعله وكلامه انه سبب الدسيسة فيأمر موسى بسجنه ويستعد للسفر واللحوق بالجنود ليتم الفتح مع طارق ويولى ابنه عبد الله على المغرب

(متكلم ـ مخاطب)

وأعظم شراهــة وا كبر غباوة ومن
السهل على الانسان ان يســتخدمهم
فى مثل هذه الأمور

مريم الحمد لله على هذا التوفيق . هيا بنا
ياحبيبي نخرج من هذا المــكان الآن
لئلا يطلع أحد على سرنا

عباد هيابنا. ...

﴿ يخرجان وينزل الستار ﴾

الفصل الرابع

الملخص يرفع الستار عن الاميرموسى ووزيراه
حوله ولا يلبثوا غير قليل من الزمن
حتى يأتي الرسول المصطنع ويقـدم

(متكلم ـ مخاطب)

لامر مهم للغاية وهو ان ذلك الجندي يكون من البربر الحديثى العهد بالاسلام لانى أظن ان العرب لايجسر أحد منهم على خيانة بلاده لهذه الدرجة

عباد حقيقة ان العرب لا يجسر أحد منهم على القيام بهذه المكيدة لانهم اشتهروا بين سائر الامم بشدة حرصهم على مصالح بلادهم وعظيم اخلاصهم لأوطانهم فضلا عن ان العرب أهل ذكاء وحذق شديدين فاذا كلفنا أحدهم بهذا العمل لاشك انه يفهم من أول لحظة اننا سنقتله بعد قيامه بمأموريته بخلاف البربر فانهم أقل من اجلاف العرب نفساً

متكلم ـ مخاطب نسم طارقا الا اني رأيت ان الخطر حليف الفكرتين فاستصوبت ان نأتي بجندى نكتب له رسالة وننسبها الى الرئيس محمود ونقول فيها ان طارقا مات ولا بد من ارجاع الجنود لان الحزن مستول على قلوبهم وعند مايقدمها ذلك الجندى للأمير أشير عليه بارجاع الجنود فيضطر لارجاعهم وهنالك نقتل الجندى حتى اذا عاد الجيش ورأى الامير ان طارقا حى وسألنا عن الجندى نقول انه مات وبذلك لايعلم للأمر سر

مريم لله هذه الحيلة ولله عباد لقد اطمأن الآن خاطرى علىّ وطنى وارتاح ضميرى لهذه المكيدة الجليلة الا اني أرى انه من الواجب على أن انبهك

(متكلم ـ مخاطب)

مريم ماذا عملت ياحبيبي عباد

عباد عملت كل شيء يرضيك ياسيدتي

مريم عجل بالله عليك وأخبرني فاني بشوق مزيد لسماع ماعملت

عباد كل ماجرى اني لم أنجح في طلبي عند الامير وعن قريب سيسافر الجيش

مريم سيسافر الجيش

عباد نعم سيسافر ولكنه سيعود عما قليل

مريم كيف ذلك أخبرني بكل سرعة بالله عليك

عباد اعلمي ياحبيبتي انه لما خاب مسعاي لدى الامير اجتمعت قبل حضورك بزمن قليل مع نسيم ودبرنا حيلة يالها من حيلة

مريم ماهذه الحيلة

عباد افتكر نسيم أن نسم الامير أو

(متكلم ـ مخاطب)

عباد لا . لا . ان شئت فأرسلها الي ّ ولا تخبرها أنت

نسيم الامر أمرك (ويخرج)

﴿ يتمشى عباد ويقول ﴾

حكم الهوى في البرايا لا مرد له
فلا يخالفه الا أخو اللمم
قد كنت قبل الهوى أرضى بما رضيت
به المكارم من مجد ومن شمم
واليوم أرضى بما يرضى الغرام به
من ذلة أبعدتني عن ذوى الهمم
والله لولا الهوى فى الناس ما عشقت
نفسى تقهقر أهل الفضل والكرم
لكن حكم الهوي يقضى على ّ بأن
أخون سادة هذا العصر فى الامم

﴿ بعد ذلك تدخل عليه مريم ﴾

(متكلم مخاطب)

الجنود والاوفق ارجاعهم ويقدمها
للامير ويخبره بأنه آت بها من قبل
الرئيس محمود وعندئذ أشير على الامير
برجوع الجند فيضطر لقبول المشورة
ويأمر برجوعهم وبذلك ترفع الحروب

نسيم واذا رجع الجند ورأى الامير ان
طارقا حيّ وليس بميت ماذا يكون

عباد لاشيء. يكون اننا بعد عمل الحيلة نقتل
الجندى ونخفي جثته فان سأل الامير
عنه نقول مات وبذلك لا تعلم الحقيقة

نسيم لله درك ياعباد ان هذا الرأى لاصوب
مايرى

عباد الحمد لله على ذلك

نسيم يلزمنى الآن ان أذهب الي السيدة مريم
لاخبرها بهذا الاتفاق

(متكلم-مخاطب)

ان طارقا لا يطيع أمرى مطلقاً لما بيننا من الخلاف القديم

نسيم كيف لا يطيع امرك وأنت تكون عندئذ صاحب الشأن

عباد أنا واثق بأنه لا يطيع واذا سئل عن ذلك احتج بانتظار أوامر الخليفة

نسيم اذا كان الامر كذلك فلنرسل لطارق من يسمه ليموت ومتى مات تذهب ريح الجنود ويفشل أمرهم ويضطروا للعودة

عباد وهذا أيضاً رأى ضعيف

نسيم اذاً فماذا ترى أنت

عباد اني أرى اننا نأتى بجندى ونكتب له رسالة ننسبها الى السيد محمود رئيس الفرقة الاولى ونقول فيها ان طارقا مات والحزن مستول على قلوب

(متكلم ـ مخاطب)

نسيم ـ عباد .	لابد لنا من تدبير أمر والا ضاع أملنا وعدنا الى بلادنا خائبين دون ان نبلغ مراداً
عباد ـ نسيم .	حقيقة يانسيم اننا ان لم نعمل حيلة لمنع الحرب انتصر طارق على لذريق وقومه وانتهى الامر
نسيم ـ عباد .	انى أري اننا ندس للامير سما فى الاكل فيموت وبذلك يكون لك ان تدعو طارقا وجنوده ليعودوا لانك تكون وقتئذ صاحب الامر والنهي
عباد ـ نسيم .	لا. لا. ان هذا رأى ضعيف لان سم الامير صعب المنال وربما ينكشف السر وتعلم حقيقة الامر وموت الامير فجأة ليس بالامر اليسير فضلا عن

(متكلم ـ مخاطب)

ويدبران مايدبران وأنا هنا اختفى
لاسمع مايقولان وهما لايعلمان ومتى
وقفت على حقيقة أسرارهما وكنه
نواياهماوتم ذلك عندى رفعت لطارق
به تقريراً والله لايفلح كيد المفسدين
(ثم يختفي وبعد قليل من اختفائه
يأتى عباد وبصحبته نسيم)

نسيم ـ عباد . لعلك تكون عملت لنا عملا ساراً

عباد ـ نسيم . اني وحقك بذلت أقصى جهدى فى
منع وقوع الحرب فلم يقبل الامير بل
دعا اليه طارقا ورؤساء فرقه وقسما
من جنوده وأمرهم بالاستعداد للسفر
وهم سيسافرون بعد أيام قلائل

نسيم ـ عباد . كيف ذلك وما العمل

عباد ـ نسيم . انى والله فى غاية الحيرة

(متكلم ـ مخاطب)

عارف ماأحسن الانتقام من اللئام . لاسيما اذا كان فيه خدمة للاسلام .الانتقام الانتقام . لايقوم به الا كل قادر عزيز ولا يحجم عنه الا كل عاجز ضعيف . نعم نعم قد جاءت الفرصة ياعباد لايقاعك فى جهنم العذاب . أما كفاك ظلمك وعدوانك على الافراد وسجنك لهذا يوماً وطردك لذاك آخر حتى قمت اليوم اجابة لداعى هواك الفاسد تقصد بالدولة الخراب وتريد لجنودها الخذلان . والله لأرينك من العذاب اشكالا وألوانا وأجعلنك عبرة للناس انسانا انسانا وهكذا يلقي كل خائن يريد بنا ضيراً . الآن يأتى عبادو نسيم

(يخرج الامير والكل خلفه وينزل
الستار)

الفصل الثالث

الملخص

يرفع الستار عن « عارف » الذى
تجسس فى الفصل الاول على عباد
ومريم ونسيم ويظهر انه عالم بما يجريه
عباد من الدسائس وانه سيبلغ كل
ماينوى عليه هو ورفقاؤه الى طارق
انتقاماً من عباد الذي طالما اضره وخدمة
للاسلام ثم يختفي ويحضر عباد ونسيم
ويدبران دسيسة لارجاع الجنود
وبعد ذلك يخرج نسيم ويرسل مريم
فيخبرها عباد بما اتفق عليه مع نسيم
فتسر لذلك وتأخذ عباداً وتخرج

متكلم ـ مخاطب

فهلموا بابتهاج
نقتل النذل الجبان
ونولى الدين ملكا
زاهراً مثل الجنان

فيجيبهم موسى واقفاً

يارجالي ان شكرى
لايوفيه الزمان
فلأنتم أهل فضل
وكمال وبيان
ولأنتم أهل رمح
وحسام وسنان
فانصروا الدين بسيف
ونبال وطعان
وعلى الله فسيروا
في سلام وأمان

متكلم ـ مخاطب

ياأميرى وعن رؤساء فرقى وجنودى
مايسرك ويرضى خاطرك ويرضى
أمير المؤمنين ويبهج كل فرد من أفراد
الامة الاسلامية وفقنا الله لما فيه
خير بلادنا وسعادة أوطاننا وعز ديننا
انه سميع مجيب

(بعد ذلك ينشد رؤساء الفرق والجنود)

سيرى لذريق منا
قوم حرب وطعان
سوف يلقى مايلاقى
من نكال وامتهان
سوف يلقي قوم نصر
في لظي الحرب العوان
تخطف الارواح خطفاً
بحسام وسنان

متكلم مخاطب

الا سيوفهم فاستعد للسفر وتوكل على الله (ثم يجلس)

فيجيبه طارق . أيها الامير الجليل

لقد اخترت للحملة التى نيط بها فتح الاندلس رجلا لا هم له الا نصرة الاسلام واعلاء كلمة الايمان ولو جرت وراء ذلك أنهر من الدم وبحار من ماء الجماجم . وانى والغيرة العربية والحمية الاسلامية لباذل جهدى فى اعلاء شأن دينى بتلك البلاد وقتل طاغية القوم لذريق وتشتيت كلمة ملكه وهدم دعائمه وانى أعد سعيد الحظ موفقاً للخير لتكليفى بهذه المهمة التى طالما تاقت نفسى للقيام بمثلها ولسوف يبلغك عنى

متكلم ـ مخاطب

وتحقق قول الرسول عليه الصلاة والسلام (زويت لى مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها)

واذا نلت المرام وفتحت البلاد فآمن الناس على أموالهم وأولادهم وعوائدهم وحريتهم شأن الكرام الفاتحين والمسلمين المعتصمين بحبل من الدين متين . وأنت تدرى ما فى ذلك من الخير اذ أن الرفق بالمغلوب أمضى سلاح للمؤمنين الصادقين وانا لنؤمل فيك ما بعثنا بك اليه فانت قائد ماهر ورؤساء فرقك كلهم بك مقتدون وجنودك أبطال شجعان لا نخار لهم الا نصرتهم على عدوهم ولا ساعدلهم

(متكلم ـ مخاطب)

الحربية قد اخترناك يا طارق قائداً
للحملة التي ستفتح الاندلس باذن الله
فسس الجنود أحسن سياسة وعاملهم
أجل معاملة واعدل بينهم واختر لهم
ما تختاره لنفسك واجعل القرآن
مرشدك فى كل الامور ودليلك
وهاديك فى حلك وترحالك فاحكامه
الحكيمة وأنواره الساطعة الباهرة
ترشدك أنت وجندك الى ما فيه خير
المسلمين والاسلام

فاستعد ياطارق وسر بعد اسبوع
كامل متكلا على الله وتزود قبل
سفرك واستكمل استعدادك حتى
يظهر دين الله الحنيف في تلك البقاع
وتنصر الاسلام في هذه الاصقاع

متكلم - مخاطب

تعـلم جيداً ما كان من معاداة يليان
اميرسبتة لمليكه لذريق سيد القوطيين
وصاحب ملك الاندلس نظراً لـكونه
هتك عرض ابنتـه واستحل أمراً
تحرمه الشرائع كلها وتقبحه العوائد
الحسنة والاخلاق الفاضلة ولا يصح
لادنى الافراد مقاماً أن يأتيه لا للملك
كبير كلذريق وتعلم ما كان من أن
يليان استنجد بناودعانا لفتح الاندلس
مما حملنا على مخاطبة أمير المؤمنين فى
هذا الشأن واليوم دعوتك الى
لاعلمـك ان أمير المؤمـنين حفظه
الله قـد فوض الامر الينـا ففضلنا
الفتح والجهاد . ونظراً لثقتنا بغيرتك
العربية وحميتك الاسلامية ومهارتك

متكلم ـ مخاطب	
	لذريق اكبر داع للسعي في فتح هذه البلاد
حبيب ـ موسى .	كيف لا وأمير سبتة كله حقد على لذريق نظراً للفظائع التى ارتكبها هذا الامير القوطى مع ابنته ولا شك انه سيرشدنا الى اسرار كثيرة يكون من ورائها النفع العميم
موسى	هذه حقيقة جلية
	(بعد ذلك يدخل عباد وطارق ورؤساء فرقه وقسم من جنوده فيقوم موسى واقفا ويصافح طارقا ورؤساء فرقه بيده ويقول مخاطبا طارقا)
موسى ـ طارق .	أيها البطل المقدام

(متكلم ـ مخاطب)

عباد ـ موسى . اني لم أقل برأيي يامولاى الا حرصاً منى على حياة جنودنا وشرف بلادنا وسوف يعلم الامير ان رأيي صائب متى ذهب الجيش وعاد

موسى ـ عباد . سوف يذهب الجيش ياعباد ويعود بفوز مبين . قم وادع لنا القائد الهمام طارق بن زياد ورؤساء فرقه الاربع وقسما من الفرسان أتباعه حتى نأمره امامهم بالاستعداد للرحيل

عباد ـ موسى . الامر أمرك (ويخرج)

موسى ـ حبيب . حقيقة ياسيد حبيب ان فتح الاندلس الآن يعد فرصة عظمى لاني تحققت من صدق يليان أمير سبتة الذى كانت شكايته لنا من أميره

(متكلم - مخاطب)

اتحادهم مع بعضهم لابد ان ينالوا الفوز والنصر

موسى - ملتفتاً الى عباد . هذا هو الحق الوضاح ياعباد انه لا يليق بنا ان نرفع الحرب بعد ماوعدنا يليان بفتح الاندلس وتخليص البلاد من أيدى الطاغيـة « لذريق » الذى عم فساده وكثر فسقه واعتسافه كيف لا وانا لو رفعناها لقالت الناس عنـا اننا كالاطفال لا نثبت عند رأى ولا نقف عند مرام . الاجدر بك ياعباد ان تعدل عن رأيك وان تتبع القائل

لا تكن كالشرار يعلو ويهوى
ويزيـل الغبار منـه اللهيبا
بل تثبت ان شئت درك المعالى
واجعل الحزم صاحباً وحبيبا

متكلم ـ مخاطب

وان جندنا أشد من جنده فضلا عن ان الحرب عندئذ لا تكون بيننا وبين القوطيين (سكان الاندلس) فقط بل تكون بيننا وبين كل الافرنج لان غير القوط منهم لا يرضى بوقوف القوط امامنا وانهزامهم لنا بل لا بد من ان يمد لهم يد المساعدة حتى ينصرهم علينا

موسى ـ حبيب . وأنت ماذا ترى يا حبيب

حبيب ـ موسى . اني أرى ان رفع الحرب خطأ محض لان فتح الاندلس الآن يعد فرصة عظمى لاعلاء كلمة الله ومهما تكن قوة الافرنج فى الحرب وثبات جأشهم فى القتال فان جنودنا باخلاصهم لدينهم وقوة حزمهم وعظيم عزمهم وقويم

(متكلم ـ مخاطب)

وابلغ منالك بعزمة * تأوى الي رأى سديد

واهلك عداتك انهم * للملك أول من يبيد

وانصر بسيفك ديننا * في ظل مولانا الوليد

أبقاك رب العرش فى * عز واسعاد مـديد

وأطال عمرك بالغاً * فى كل وقت ماتريد

موسى ـ عباد . هل أجابت الخلافة العظمى والامامة الكبرى على خطابنا المتعلق بمحاربة لذريق ياعباد

عباد ـ موسى . نعم يامولاى قد أجابت

موسى ـ عباد . بم أجابت

عباد ـ موسى . أجابت بتفويض الامر الى نظركم السامي

موسى ـ عباد . اذاً لنا ان نوقع الحرب أو نرفعها

عباد ـ موسى . نعم يامولاى

موسى ـ عباد . وماذا ترى أنت امن الصواب ايقاعها أو رفعها

عباد ـ موسى . اني أري ان رفعها هو الصواب لاننا لسنا واثقين من ان أقواتنـا أوفر من أقوات العـدو

الفصل الثانى

الملخص : يرفع الستار عن الامير موسى بن نصير أمير المغرب بالقيروان وعلى يمينه وزيره الاول عباد وعلى يساره وزيره الثاني حبيب والجنود مصطفة تدعو له بالظفر والنصر فيسعى لديه عباد فى منع وقوع الحرب فيأبى ويدعو اليه طارقا ورؤساء فرقه وقسما من جنوده فيأمره بالاستعداد للسفر فيجيبه لذلك طارق وتنشد الجنود نشيداً حماسياً يجيبهم عليه موسى وبذلك ينتهى الفصل

(متكلم ـ مخاطب)

الجنود ـ موسى عش بالهناء ممتعا * ياأيها الشهم الرشيد
وارفع منار بلادنا * بالعزم والحزم المجيد

نسيم — اننا يامولاى لم نستعجل في الطلب
أبدا لانك تعلم اننا ماغادرنا بلادنا
وتكبدنا هول البر والبحر حتى
وصلنا الى هنا الا لهذه الغاية الشريفة

عباد — كن آمناً يانسيم على بلادك وأذهب
الآن الى السيدة مريم واعلمها انى
ذاهب فى هذه الساعة الى الامير
وسأبذل جهدى فى منع وقوع
الحرب سهل الله علينا كل أمر عسير

نسيم — سر على التوفيق نجح الله مقاصدك
(يتفارقان وتنزل الستار)

﴿ ملحوظ ﴾

أثناء كل مايجرى فى هذا الفصل يمر خاف المتكلمين
رجل متجسس اسمه عارف

أوطانك وتجيب دعوة أقاربك
وأهلك فتعجبت لذلك كثيرا وكدت
أن لا أصدقها لولا علمي بصدقها

عباد — حاشا لله أن أكون أظهرت لها اني
لا أساعد بلادي أولا أجيب دعوة
أهلي وأقاربي ولكنى حققت لها ان
الضير بعيد عن بلادنا فلم تسمع منى

نسيم كيف ذلك يامولاى هب ان الضير
بعيد عن بلادنا أنسيت مالسكان
الاندلس معنا من الروابط والعلائق
القومية والدينية

عباد اني لم أنس يانسيم كل ذلك ولكنكم
قد استعجلتم فى طلبكم فاني وحق من
أحب وأهوى لفاعل مايرضى وطن
أجدادى ويريح خاطركم وخاطر
أهلي وعشيرتي

كيف حالك ؟

نسيم — الحمد لله

عباد — وكيف ترى البلاد العربية

نسيم — أراها مشرقة بأنوارك

عباد — حفظك الله وكيف تجد أهلها

نسيم — أجدهم قوماً لا يهمهم الا اعلاء شأن دينهم ونصرة بلادهم ولو كان وراء ذلك الموت الذؤام

عباد — أما قابلت السيدة مريم قبل حضورك هنا

نسيم — نعم انى قابلتها فى الطريق

عباد — وكيف رأيتها

نسيم — رأيتها مقطبة الوجه خلافا لعادتها ولما سألتها عن سبب ذلك قالت انك أظهرت لها عدم رغبتك فى قبول رجائها وانه لا يمكنك ان تساعد

(متكلم ـ مخاطب) شماء وأحلوني مكانة علياء وعودوني بعوائدهم وربوني على اخلاقهم وفضائلهم يا ربي كيف العمل (ثم يتفكر قليلا متمشياً ويقول)

ليس لي والله الا ان استعمل الخداع مع العرب وأقبح لهم الحرب وما ينجم عنها وأحسن لهم منعها وبذلك اكتسب رضا الجانبين تبقي دولة العرب كما هي والقسطنطينية كما هي

(ثم يسكت متفكراً ويقول)

نعم ان هذا لهو الرأى الصواب

(بعد ذلك يدخل نسيم وهو الذى أتي بصحبة السيدة مريم من القسطنطينية)

نسيم ـ عباد أسعد الله نهار سيدى الوزير الكريم

عباد ـ نسيم أسعد الله نهارك أيها الاخ العزيز

وقوف وتمش)
خائناً لبلادي . يالها من كلمة أصابت فؤادى ألى هـذا الحد بلغ كدرها وتعاظم غضبها تالله لارضينها وأخلص بـلاد الاندلس من أيدى هؤلاء الطماعـين (ثم يهم بالخروج ولـكنه يرجع متفكرا ويقول)
آه ولـكن هم العرب أسيادى وأرباب نعمتى وأصل مجدي وسعادتي كيف اخونهم تالله ان هذا يعد لؤماً كبيراً ياربي ماذا اعمـل . ان قمت للعرب بالواجب أغضبت حبيبتى مريم ولربما كان ذلك سبباً لضـياع بلادى وهو مالم أحبه ولا أحبه طول حياتي وان قمت لاوطانى العزيزة بما يجب علي لها خنت قوما انزلونى من بينهـم منزلة

متكلم ـ مخاطب عظيمة ألا تؤاخذك سريرتك ويوبخك ضميرك على عظيم تقصيرك عن اداء الوطنية حقوقها والجنسية فروضها وواجباتها. كيف تقول ان القسطنطينية فى مأمن من العدو وأنت تعلم أننا ماقطعنا البوادي والبحار وركبنا متن الاخطار أنا ومواطنى نسيم الا لندعوك لهذا العمل الجليل الذي يحفظ لك في تاريخ بلادك أعظم شرف وأكبر مجد ويخلد لك فى نفس كل رومى تذكاراً لا تمحوه الايام وذكراً باقياً لا تنسخه الاعصار والاعوام

عباد ـ مريم. لا تغضبى علىّ ياحبيبتى واصغي لما أقول

مريم ـ عباد. دعنى فما كنت اخالك هكذا خائنا البلادك

(وتخرج)

(بعد ذلك يخاطب نفسه مندهشاً بين

عباد — مريم. ما كنت أظن ياسيدتى ان الفكر يصل بك الى هذا الحد وان التأمل يبعدك عن النظر فى مرآة الحقائق فاني وحقك واثق كل الوثوق بان العرب لا يتجاوزون الالبة ولا يفتحون غير الاندلس وأنا أعلم منك بأسرارهم

مريم — عباد. عجباً لك ياعباد ماأحبك للبلاد العربية وما أشدك وفاء لها وما أعظمك جفاء لبلادك الاصلية ومواطنك الاولية التي أنشأت آباءك وأجدادك الاولين أنسيت ياعباد ان لك أهلا وأقارب ترجوك ان تمنع حرب الاندلس وتستغيث بك اما تغيثهم وهم ذوو القربي وأقرب الناس اليك وأحبهم لديك أنسيت ان لك دماً يطالبك بحقوق كبيرة وواجبات

متكلم ـ مخاطب . لجنوده وهو يخاف عليهم كثيرا

مريم ـ عباد . جرد عن فكرك هذه الظنون واعلم
أن هذه الامة الفخمة العالية البنيان
المشيدة الاركان التى أرهبت كل
انسان لاتهاب الاندلس ولا غيره .
تلك أمة كالحديد لا يقطعه الا
الحديد وانى لنا بقوم من الحديد
يقدرون على مقاومة رجال هذا
الشعب العظيم . الاولى بك ياعباد ان
كنت مخلصا للقسطنطينية ولمريم أن
تتلافى الامر وهو صغير قبل أن
يتسع الخرق على الراتق وتقول يومئذ
عند ما ترى أهلك واقاربك وبنى
وطنك فى السجن يستغيثون ولا مغيث
لهم ويستعينون ولا معين لهم ياليتنى
أطعت حبيبتى مريم وسمعت نصيحتها

متكلم ـ مخاطب . الى غيره ولو كان وراء ذلك أشد المصاعب وأكبر المتاعب

عباد ـ مريم . لاتخافى ياسيدتى على القسطنطينية وكونى آمنة مطمئنة فانى واثق بأن العرب ان فتحوا الاندلس لايتجاوزون جبال الالبة أبدا

مريم ـ عباد . من ذا الذى يحقق لك هذا القول والامور مرهونة بأوقاتها
هم يقولون اليوم انا لانبغى الا الاندلس ولكنهم سيقولون فى الغد انما نبغي أن تكون لنا الارض متاعا من مشارقها الى مغاربها

عباد ـ مريم . لا تظنى ياحبيبتى هذا الظن البعيد واعلمي أن الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين الحالي لا يرضى بفتح غير الاندلس لانه أشد الامراء حبا

مواطن خير ماتهدى البنون لها
دفع لضر واعلاء لبنيان
هـذى بلادك ياعباد فى خطر
فاحفظ معاهدها من هدم أركان
يرجوك ذو الروم دفعا للحروب عسى
تطيب اندلس ياعـين انسانى
فان أجبت فيوم الوصل مقترب
وان رفضت فاني عنك فى شان

عباد — مريم . مالك ياحبيبتي تخافين على الغرب وأهـله على ان ملك بلادك فى القسطنطينية وهي لاشك بعيدة عن الضير

مريم — عباد . كيف تقول ذلك وأنت أعلم منى بأن العرب قوم الطمع أصدق صديقهم وحب الفتوح نبراسـهم ودليلهم ان فتحوا بلدا لا يقفوا عنده بل يتجاوزونه

ملكت قلبي فقضلت الغرام على
ما كنت فضلته فى كل أزماني
لك الفؤاد فجودى بالوصال فما
أحلي الوصال على قلبي ووجدانى
لك الحياة ومافى الجسم من رمق
ومن دماء ومن دمع وأشجان
لك الوزير وزير الملك ممتثل
فمتعيه بما يمسى به هانى
حسبت أن الهوى يجدي فهمت به
فما أفاد وما للوصل أدناني
فهل ترين وراء الحب منزلة
تدني اليك فان الحب أقصانى

فتجاوبه

نعم وراء الهوى ياصاح منزلة
تدنيك منى ومن وصلي واحسانى
وهي الوفاء لاوطان بها نشأت
آباؤك الغر من فازوا بعرفان

اليه تعضيداً للأدب و نصرة للعلم والتأليف مصطفى كامل

الفصل الأول

(ملخص الفصل) يظهر فى المرسح الوزير عباد (وهو رومى الاصل) وزير الامير موسى ابن نصير ويغازل بنتا رومية اسمها (مريم) أتت من بلادها صحبة رجل اسمه (نسيم) بقصد رجاء عباد فى منع وقوع حرب الاندلس فيأبى عباد أولا فتغضب وتخرج من عنده ثم يأتي نسيم ويتكلم مع عباد الى ان ينتهي الامر برضاء عباد

(متكلم مخاطب)

عباد — مريم

يازهرة الغرب ان الحب أضنانى

وحسن قدك أعيانى وأفنانى

الاندلس لانه من أجمل الفتوحات الاسلامية التى فاز المسلمون فيها فوزاً مبيناً وقد أحطت فى هذا الموضوع الحقيقة بالخيال غرضاً لاظهار المقصود بكامل مظهره

وانى فيما أتيت لست بالاول بل ان كثيراً من كتاب العرب الاقدمين والغربيين والامريكانيين المعاصرين اختطوا هذه الخطة ارشاداً لأممهم فكتبوا القصص والحكايات وألفوا الروايات من تشخيصية وغير تشخيصية وصار لها من التأثير في النفوس والمنزلة فى القلوب ماجعل الناس يختطفونها اختطافا ويطلبون تشخيصها المرة بعد المرة حتى ليشاهد المقيم وكذلك السائح في أوربا أو فى امريكا عدة من الروايات بلغ تشخيصها فوق الالف والالفى مرة وهذا عندهم ليس بمستغرب لكثرة وقوعه بينهم وتواتره من شهر الى شهر وعام الي عام

فهذه ياأفاضل الكتاب وأماجد القراء روايتى التي كتبتها باحساسى الصادق أقدمها لكم مطبوعة ولم أر ان أقدمها مشخصة الا بعد قراءتكم لها واستحسانكم لمبدئها وغايتها واني أرجو كل من طالعها ورأى فيها محلا للانتقاد ان يرشدنى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« المقدمة »

الحمد لله الذى ضرب الامثال للناس وجعلها تذكرة لقوم يعقلون وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد نبي الحق الصادق الوعد الامين وعلى أصحابه وأحبابه مصابيح الهداية المرشدين (وبعد) فلما كانت حاجة الشعوب الي التأليف والصنيف تختلف باختلاف الزمان والمكان وكان أجدر المؤلفات بالنظر مايهدى الأمة منها الى طرق الخير والرشاد ويبعدها عن سبل الغى والفساد عنّ لى ان أكتب رواية أظهر لقومى فيها دسائس الدخلاء على الامم الذين يتردون بردائها ويتخاطبون بلغتها ويخالطونها مخالطتها لبعضها فيكونون كالسم فى الدسم بغية منهم فى اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها . شارحاً غير ذلك فضائل الأمة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها بالمكارم مما جعلها فى حصن حصين من شرور الدخلاء ومكايد الأعداء الالداء

وقد اخترت من الموضوعات التاريخية موضوع فتح

الثورة سيئة المقـدمة والنتيجة معا وهي أخطر ما يكون على الامم والاوطان

ولم يستعن المرحوم فى هذه الرواية بقلم غير قلمه بل كل نثرها وشعرها من نتاج قريحته . وأما ما لقيت من الاقبـال وسرعة الانتشار فقـد وزع مناسبة آلاف نسخة فى وقت أهملت فيه آثار العرب وكسدت صناعة الادب

وها هى الرواية بنصها وفصها :

صغيرة والواقع أن العاطفة الوطنية لم تكن قد استيقظت بعد في النفوس وهـذه الرواية تمثل شهـامة العرب وشجاعتهم وخيانة الدخيل للوطن الذى لم يمتزج تبر ترابه بدقائق أجسام آبائه وجدوده وتبين كيف أن ألاعيب المرأة وخدعتها قد تكون سببا فى قعود أمة وقيام أمة

وقد نسج المرحوم هذه الرواية على منوال رواية للمسيو كستيني أحد محررى بلجيكا التى رسفت فى قيود الذل والاستعباد تحت النير الهولاندي زمنا طويلا . نعم نسج على منواله فيها من الوجهة الادبية تماما لان تلك تشرح مقدار الغبن الذى ينال الامم المستعمرة من الامم المستعمرة لها . وأن الداخل على الدوام طامع وهو عبـد قوله (ليس للطمع من حد) وقد كان مؤلف الرواية المشار اليهـا أحد ممثليها الذين مثلوا بعد ذلك دورا كبيرا في مذبحة سنة ١٨٣٠ التى وقعت بين البلجيكيين والهولانديين وانتهت باستقلال بلجيكا

وأما هذه فانها عظة من حقيقة وقدوة من واقعة مشاهدة ما دعا فيها المرحوم الى ما يخل بالامن لانه كان يعتقد أن

الوالدة تترقب قدومنا وهي في أظهر ما كانت عليه من الحنان. فلما وصلنا الي المنزل وتبادل القادم من السفر وجميع أفراد الاسرة فروض السلام وقضيت حقوق الشوق أخذ اخوانه يزورونه ويزورهم: هم يزورونه مهنئين معجبين بنجاحه وفلاحه وهو يزورهم مثنياً على لطفهم شاكراً لهم فضل تشجيعهم وحسن انعطافهم عليه

وبعد ان انتهى من التزاور مدة يومين شرع يضع رواية كلها دروس وطنية وحكم اجتماعية وقد اختار لها موضعا وطنيا تاريخيا من اكبر المواضيع وهو فتح الاندلس وبهذا الاسم وسمت الرواية وقد نشرت في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٤

ولما كانت من أهم الروايات موضوعا ووضعا ولم يكن بها عيب الا صغر حجمها صحت عزيمة المترجم على تكبيرها بما أراد أن يضيف اليها من العبر والعظات ولكنه كان اذ ذاك مشتغلا بما هو أهم واكبر من ذلك

وقد طلب من المراسح العربية أن تمثلها فتعللت بأنها

لاتحفل بأمثال هـذه الصغائر وانما هى تنظر الى ماتريد من كبار الاهواء والمآرب

انا نرى ونسمع كثيراً ان المئين من الطلاب يقفون مواقف الامتحانات وقد أفنوا أيامهم فى الحفظ والدراسة ولكنهم لاينجحون واذا استقرينا أسباب سقوطهم وجدناها في الغالب التهيب والهلع امام صعوبة الامتحان ولو انهم ثبتوا قلوبهم وهـدأوا روعهم ولم يبالوا بشىء من الصعوبة لفازوا فوزاً مبيناً

وقد سافرنا في اليوم التالى الذي هو يوم الجمعة ٧ ديسمبر فى الساعة التاسـعة صباحاً فودعنا على المحطة ذلك الجمع الذى كان حافاً من حولنا ثم ركبنا القطار ووصلنا الى العاصمة حيث كان يستقبلنا بالمحطة جمهور من الاصدقاء والخلان فى مقدمتهم خالنا المرحوم الدكتور محمد افندى فهيم وبعد التحية والتسليم ركبنا الى المنزل فوجدنا الاسرة كلها مجتمعة تنتظرنا كما ينتظر السارى طلوع القمر وكانت تلك السيدة المنجبة الشريفة الصالحة التى اختارها الخالق تعالى للدار الآخرة أعنى المرحومة

لا نكرتم علي حديث ماصنعه معي من قبل ولكنهم يعتبرون العمل الاول واجباً علميا والثاني اعجاباً بالذكاء وتشجيعاً للعاملين فنعمت الاخلاق أخلاقهم وحبذا الحال حالهم »

هذا ماقاله المرحوم فى ضيافة حضرة حمدى بك فكرر له الحاضرون التهنئة وأعجبوا به اعجاباً كبيرا وقد كانوا عرفوه جميعاً من رسائله التى بعث بها الى جريدة الاهرام فى وصف المعارض وبعض مدن أوربا مما نشرناه فى هذا الجزء

وان القارىء ليرى من الحديث المتقدم عظة باهرة هي لطف الاحتيال على جلب الآمال بالوسائل الشريفة المشروعة وفيه عدا ذلك مايستنتجه الفطن اللبيب فلو كان فى موقف الامتحان شخص آخر ورأى مارأى المترجم من الأعنات والاعتراض وتلك الصيحات والاشارات لخذلته نفسه وما وفى له حسه ولكنه تغاضى عن كل ذلك واضعاً نصب عينيه غرضاً واحداً هو نيل الشهادة المؤذنة بفوزه ونجاحه لاقيافى هذا السبيل مالقى من المتاعب والمصاعب والنفوس العظيمة

اتقانا لهذه المعاملة القاسية .

هـذا بعض مالقيته من المعاكسة ولكنها لم تجد نفعا اذ نلت أغلب الدرجات الحسنة فنجحت بفضل الله تعالى وحصلت على هـذه الشهادة التى تعبت فى سبيلها تعباً لا يستهان به .

واني أيها الاخوان أذكر لكم أمراً ما كان يدور بخلدى وما أظنه دار بخلدكم بعد الذى سردته عليكم وهو ان ذلك المدير الشرف الذى عاملنى تلك المعاملة الجائرة رغبة فى المحافظة على كرامة كلية قضى حياته فيها قد بعث فى طلبي بعد ان نجحت فى الامتحان وهنأني أحسن تهنئة وسألنى ان أعتبر ماصنعه معي غيرة على سمعة فرنسا وشرف كلياتها . لأن هذا الاستثناء الذى عوملت به لم يقع قبل الآن لأجنبي فى جميع تاريخ الكلية ثم دعاني لتناول العشاء مع أسرته فلبيت الدعوة بكل ارتياح وقضينا ليلة لطيفة السمر حضرها أيضا ذلك الاستاذ الذى كان منضما فى معاكستى الى هذا الرئيس .

وانكم لو رأيتم ما كان يوجهه الىّ في سهرة العشاء ذلك الرئيس الجليل من البشاشة واللطف ورقة الحديث

عضوين منهما هما الرئيس الشرف وأحد مساعديه فى معارضة قبول طلب تأديتى الامتحان امام كلية طولوز ولما كان ما رأيته منهما ينقل المرء من الحلم الى السخط ومن الرضا الى الغضب فأنى أجد من اللذة ان أقصه عليكم لتعرفوا مبلغ تمسك بعض أولئك القوم بآرائهم ولتروا كيف انهم متى اعتقدوا اعتقاداً خدموا ذلك الاعتقاد بكل وسيلة ولو ضحوا فى ذلك كل شىء

فقد جلست امام الاول وهو الرئيس الشرف فأخذ يسألنى فى القانون الدولي أسئلة كنت أراها سهلة فأجيب عليها جواب الواثق المستبشر بسرور وانشراح صدر ولكن كنت قبل ان أكاد أفرغ من الجواب على كل سؤال أجد من ذلك الاستاذ عنتا غريباً ومغالطة ظاهرة واعتراضاً غير لائق وتوقفا يحرج الصدر بل كنت أراه يضرب الارض بقدميه صارخا في وجهى مشيراً بكلتا يديه ليغير خاطري ولكن الله تعالى ألهمنى السداد فلم أجبه على عمله ولم أظهر له تألما ولا استياء بل صابرته وحاسنته حتى سود علامتى وانتقلت من أمامه الى زميله الذى لم يكن ازائى أقل منه

حتى يسوء العاقبة وربما قضت النتيجة علي حياتي . ولكن هذا القلب الصغير (وقد أشار الى قلبه رحمه الله) غلب شيطانا رجيما . غلب اليأس والقنوط وتمسك بالرجاء وقوة الحق التى هى من قوة الله وكان يذكر حكمة القائل « اذا أردت أن تتغلب فأقدم ثم أقدم » . أغلقت بعد ذلك باب مسكنى على ورسمت لنفسى خطة العمل ليل نهار حتى أزود رأسى بما أؤمل معه ان يبدل غضب المعارضين لتأديتى الامتحان صلحا ورأفة

وقد واصلت العمل حتى اذا جاء ميعاد الامتحان دخلت اليه ضعيفا نحيلا ضئيلا فلما ذكر اسمي امام القسم الاول من اللجنة التى كان يرأسها المدير العامل نظر الىّ جنابه مبتسما مندهشا قائلا « انك ضعيف يامسيو كامل » .... فأجبته بكل خضوع « ان من يردامتلاك قلعة عليه أن يضحى شيأ من صحته » فارتاح لهذا الجواب وبعد أن قضيت الامتحان أمام لجنته فى ثلاثة علوم كنت فيها أري من الممتحنين موافقة علي كل جواب ورفقا فى المناقشة وتلطفا فى الاختبار انتقلت لتمضية القسم الآخر من الامتحان امام اللجنة الاخري فلقيت العكس فى المعاملة من

عند ما قررت الكلية قبولي في الامتحان شعرت بأن عناية الله فوق كل عناية وان شابا مثلي لم يرتكب معصية ولم يرد بكده الا خيرا للوسط الذى يعيش فيه من بلد وامة وأهل لن يحرمه الله من ثمرات مجهوده

بعد ذلك أيقنت فى نفسى عند ماعلمت ان المعارضين فى قبولى أعضاء فى لجنة الامتحان انهم سيعاكسونني ليسقطوني فى الامتحان ولو اني كنت أثق بذمتهم لغزارة علمهم وكبر سنهم ولكن النفس البشرية مهما ارتفعت فانها أمارة بالسوء

فكرت فى هذه النتيجة وقلت ان عقبة باريس قد زالت بأحالة الاوراق على طولوز وعقبة المعارضين بمجلس ادارة كلية طولوز قد اختفت امام موافقة الاغلبية والآن توجد عقبة الامتحان الكؤود واني مهما حضرت الدروس وحفظت المتون وعلقت الشروح فأن الاستاذ الكبير كالبحر الزاخر لا يستطيع جدول صغير من الماء ان يلاطمه أو يقف امامه

فكرت فى هذا كله فى وقت اشتدت فيه محاربتى لشيطان النفوس فهو يريد ان يحل اليأس بقلبي محل الرجاء

بل تمسكت بقدرة الله وعنايته وبذلت كل مسعي في سبيل هذه البغية حتى أتاح الله لى استاذين من اساتذتى فساعداني على تمضية الامتحان أمام كلية طولوز . ولما كان كل رئيس يرى من الواجب عليه أن يحافظ علي كرامة العمل الذى يرأسه . لم تقبل نفس الرئيس الشرف للكلية ولا اباؤه ان أقضى هذا الامتحان فى هذا العام لانه عد رفض كلية باريس له وقبوله من كلية طولوز تساهلا يعد تحقيرا لهذه الكلية

ولكن العناية الالهية التى تريد أن لا تردني خائبا والتى لا تتبدل سنتها فى أى وقت من الاوقات قد نشرت علي ظلها الوارف وتغلب الرئيس العامل للكلية على الرئيس الشرف وتقرر أن أمضى الامتحان

لا يغيب عنكم انه عند احتدام الجدال بين الفريقين كنت في شغل شاغل وحيرة كبيرة اذا أنا لم أنل بغيتى لانى عاهدت والدى وأخى الاكبر ان أمضى هذا الامتحان حتى ان وثوقي من نفسى وشعوري بان الله معى دفعاني الى زيادة التأكيد له بأني سؤديه بكل سهولة

كثيرا فوصلنا الى منزل حضرة الدكتور في شارع راغب باشا وهناك نزلنا فى قاعة مفروشة بأثمن الرياش والاثاث. وقضينا تلك الليلة فى ضيافة ذلك الفاضل الشهم الكريم الدكتور حسن بك حمدى الذي أعد لنا من صنوف التكريم والحفاوة ماهو خليق بلطفه وكرمه . وقد جلس المترجم في صدر المكان يروى لنا الاحاديث عن أسرار رقى الغربيين وبلوغهم مابلغوا من العزة والسؤدد ويدلنا علي مافي السياحة من الخير وأثمن الفوائد كشهود آيات الرقى العمراني وغذاء القلوب بالوطنية الصحيحية وما شاكل . وقد قص علينا تفاصيل الامتحان الاخير للحقوق فقال مامعناه :

« ان المرء اذا كد واجتهد باخلاص كان له من عمله اكبر نصيب ولابد أن ينجح مهما صادف في طريقه من العقبات خذوا مثلا ما وقع لى فى هذا الامتحان الاخير. فقد وطدت النفس علي نيله مهما كلفنى ذلك من المشاق ومهما لقيت في طريقي من العقبات . فقدمت الطلب الى كلية باريس فرفضته ولكن هذا الرفض لم يقعدني ولم يدخل اليأس علي قلبى لحظة

السرور اذ ظفرت بلقيا أعز عزيز على وأسمى الناس مكانة فى عينى وأرسل هو دمعتين جالتا فوق صفحتى خده وما عرف للبكاء سبيلا لـكنه قضى بهما حق الشوق والحنان

وقد أعانني حضرة الدكتور فى نقـل العفش وجئنا بالحمالين فحملوه وفيه صندوقان كبـيران حافلان بالـكتب القديمة والحديثة فى تاريخ المسألة المصرية وسـياسات الامم وفيهما عدا هذا وتلك مذكرات بعضها من كبار السياسيين وبعضها من مكتبة باريس الرسمية وبعضهامن نظارة الخارجية

وبديهى أنه كان في ذهنى أسئلة عديدة أعددتها لالقيها عليه فأول ماسألته قبل أن نسير الى البيت عن الحالة التى كان عليها البحر أثناء قدومـه فقال لى انه كان هادئا ساكنا أقل ضيوفه بالتجلة والتكريم وأهم ماأذكره لك مما كان أنه جرت محادثة سياسية هامة بينى وبين الـكولونيل بارنج شقيق اللورد كرومر الذى قدم على هـذه الباخرة ذاتها وسأنشر هـذه المحادثة فى جريدة (الاهرام) الغراء

ثم ركبنا العربات وكلانا يريد أن يقص علي أخيه شيئا

وقد ورد الى بعد ذلك خطاب من المرحوم جاء فيه ما يأتي :

« ربما وصلت الى ثغر الاسكندرية فى يوم الاربعاء ٥ ديسمبر المقبل أو يوم الخميس ٦ منه فأرجوك انتظارى به ..

باريس فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ مصطفى كامل »

*
* *

فسافرت يوم الثلاثاء ٤ دسمبر سنة ١٨٩٤ الي الاسكندرية ونزلت ضيفا على حضرة العالم الفاضل الدكتور حسن بك حمدى . وكان حضرته يرافقنى الى شركات البواخر كل يوم لنسأل عن قرب وصول الباخرة التى تقل عزيزنا الغائب حتى اذا كانت الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ٦ دسمبر أقبلت الباخرة وكان المترجم بين ركابها فلحظناه ولحظنا فأخذت القلوب تتناجى والايدى تتحرك بتحيات اللقاء . وكانت الباخرة كلما قربت من الشاطيء ذراعاً زادت نار الشوق اشتعالا فلما رست صعدت اليها مع حضرة الدكتور وتعانقت أنا وأخى عناقا لا أنساه الى الآن . وقد بكيت من فرط

يحتقرون الحكومة المصرية الحاضرة ويرون التوظف فيها أو الاستظلال بظلها جريمة لا تغتفر وكيف لا يكون الامر كذلك والموظف منفذ لارادة الغاصب لاثمن وأقدس شيء لديكم وهو الدستور . ولا أبالغ لك اذا قلت ان حراس جهنم ربما كانوا أخف وطأة على الذين دخلوها من الرؤوس الانكليزية التى دخلت في مصالحنا وهي جاهلة للغتنا وعوائدنا وأعمالنا ؟ ؟

* * *

هذا كلام مصطفى كامل المصرى الذي القاه بترو وتبصرة ولو انه احتد فى الجزء الاخير حدة تدل على قوة الوطنية عند المصريين وانهم استفادوا كثيرا من الدروس التى تلقوها على أساتذة منا . . . » اه

ما نشرت الغازيت دى طولوز هذا الحديث حتى تناقلته الجرائد الفرنسية المصورة وغيرها وهذه أول مرة ذكر فيها اسم المرحوم على صفحات الغرب بهذا الاطناب الذى شرف جنسنا ورفع ذكاءنا فوق مراتب الذكاء البشرى

فانه تلقى العلوم في النمسا والصحافة الاوربية تعرف عنه كل حسن

وقد سألتنى عن حالة الامتحان عندكم . فاسمح لى ياجناب الفاضل أن أشكر لكم عنايتكم بالامتحانات وتمسككم بالحق في كل شيء وتدقيقكم المحمود فى منح الدرجات حسب كفاءة مستحقيها حتى لا يظهر الخامل على النابه ولو اني شعرت بتعب من بعض الممتحنين ولعل تألمهم من تمضيتى الامتحان أمام كليتهم بعد أن رفضته كلية باريس قد تغلب فيما يظهر لى على عدلهم . واني لأصدق اذا قلت اني أستحق درجات كلها بيضاء . واذا اختصرت فى ايضاح هذه النقطة فذلك لاني لاأود الاسترسال فى هذا الموضوع بعد أن طوقت طولوزجيدى بمنة لاأنساها أبداً

اما السبب فى تمضيتى سنتين فى سنة فهو لانى وعدت شخصا أحترمه بذلك ولان ارادتي رغبت فى هذا العمل حتى أخرج من قيد الطلاب الى ميدان العمل . . . لاني متى عدت الى مصر انضم في الحال الى صفوف المحامين لاني ممن

وها هو الحديث الذى جرى بيننا وبينه :

« وجهنااليهسؤالا عن درجةاحترام المصريين لناوميلهم الينا ـ وعن حالة امتحانه الأخير ـ والسبب فى قضائهسنتين في سنة ـ وماذا يريد أن يعمل بعد بلوغه مرسى بلده ـ فقال لنا بصوت عال وطلاقة نادرة ولغة صحيحة سهلة وسرعة مدهشة مانصه :

« ان المصريين لايحترمون أمة من الأمم الاوربية المسيحية كما يحترمون فرنسا لأنها برهنت فى كل أطوارها التى لها علاقة بتاريخنا أنها بارة بالانسانية لا تريد الا الاخاء بين الأمم ونشر مصابيح العلم فوق رؤس العباد . فقد جاء الينا منكم عدد كبير بدعوة من محمد على باشا الكبير رأس الأسرة الخديوية فلم يعمل على دس الدسائس وبذر بذور الشقاق بين أفراد الامة وعناصرها بل نشر العلم باخلاص وما زال ينشره الي اليوم بواسطة جمعياتكم . بخلاف الانكليز فانهم دخلوا بلادنا باسم الخديوى والأمن فانقلبوا الى الضد محاربين سموه الذي يندر أن يوجد أمير شرقى تعلم كما تعلم



مصطفى كامل باشا

فى التاسعة عشرة من عمره

وان مدينة طولوز لتفتخر بأن تسجل فى عداد الذين تخرجوا من كلياتها شابا كهذا الشاب نقي الفؤاد متصفا بكل مايزين المرء من علم وأدب ورأى صائب

وان سكان طولوز ليميلون الى معرفة « مصطفى كامل المصرى » ومحادثته ولكنا نعلم أنه سافر بعد أن حادثناه فنكتفي بأن نقدم للقراء صورته هذه

أوجدت فى المصريين هذا الذكاء

فأمة كهذه الامة لها شهرة تاريخية كبيرة فضلاعن ميل أبنائها الى فرنسا ورغبتهم الاكيدة في الحصول على العلوم الحديثة من منابعها الفائضة لابد وان تسترجع مجدها بفضل هؤلاء الأبناء الذين نعجب بهم كثيرا ونجلهم اجلالا كبيراً

وانه ليس فى وسعنا بعد الذى شاهدناه من ذكاء « مصطفى كامل » الا ان نهنىء مصر به ونرجو له النجاح التام في العمل الذى يريد به خدمة بلاده

لان الغيرة التي شاهدناها على محياه والطلاقة التى تشير الى مستقبله الباهر والتى تدل بأوضح بيان على انه من الذين وهبوا قوة الخطابة لابد ان ترفعه الى مصاف مشاهير الرجال .

ثم لاينس القارىء انه ظاهر على سيما مصطفى كامل الصفاء التام فى القول والفعل وان قلبه لايزال طاهرا كريما وفوق ذلك فان آدابه الشرقية الجميلة وتحيات نظراته الساحرة قد هذبت علمه الغربى تهذيباً لم نره في حياتنا الا قليلا

(لم تكن الدرجات التى تعطى للطلاب في كلية الحقوق بفرنسا أرقاماً كما هو الشأن في مصر وغيرها بل هي علامات تسمي كرات وهى علي هذا الترتيب من أعلي الي أدني : (١) بيضاء (٢) بيضاء حمراء (٣) حمراء (٤) حمراء سوداء (٥) سوداء (٦) سوداء داكنة :) وهذا الشاب لم يكن من الذين قيدوا فى الكلية من مبدأ دراسة الحقوق بل هذه أول مرة له فيها . ومن يعلم أنه أمضى فى شهر يوليو الفائت امتحان السنة الثانيـة أمام كلية باريس بنجاح باهر يدهش دهشاً كبيراً لهذا الذكاء النادر . ومع ذلك لايعجب قراؤنا فان تاريخ مصر يحوى الكثير من النظريات العلمية الكبيرة التي تدل علي مبلغ تقدم العلوم والمعارف عند المصريين وسمو مداركهم من زمن بعيد . وهؤلاء اخواننا الفرنسيون الذى عاشوا فى مصر واختلطوا بأهلها وأبنائها بصفتهم أساتذة فى مدارسها قدصنفوا التآليف الكثيرة على دفائن الذكاء المصرى حتى رفعوه فوق كل ذكاء

والظاهر أن اعتدال الاقليم سبب من الاسباب التى

لان مصر وهى جنة الدنيا لاتستحق ان يداس شرفها بالاقدام ونصبح فيها نحن أبناءها الاعزاء ممقوتين غرباء ....

وأني أؤكد لك اني ماسررت بفوزي في هذا الامتحان الا لأرضى سيدى البار أخى الرحيم حسين افندى واصف وسأخبرك بمشيئة الله عند وصولي الى مصر بما لقيته من المعاكسات أثناء تأدية الامتحان . . . .

دمت لمحبك المخلص

مصطفى كامل

*
* *

وما ظهرت نتيجة امتحان طلاب كلية طولوز حتى نشرت « غازيت دى طولوز » مقالة فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ أثنت فيها على الذكاء المصرى ثناء عاطراً اذ قالت ماتعريبه :

« بين الذين نجحوا في كليتنا الحقوقية شاب مصرى لم يتجاوز التاسعة عشرة من سنى حياته هو « مصطفي كامل المصري » فقد نال فى الامتحان لأول مرة أربع كرات بيضاء

حمدا كبيرا وقد اشفق أخوه الاكبر على حالته فكتب اليه على جناح البرق ان يتروض فى باريس قليلا حتى ترجع اليه صحته وتعاوده قوته قبل ان يعود الى مصر فصدع المترجم بالامر وسافر الى باريس لا طالبا للرياضة التى كنا نرجوها له من سويداء القلب خوفا على صحته وتفانيا فى حبه ولكنه قضاها فى البحث والتنقيب وراء الكتب التى تشرح المسئلة المصرية بعد ان وقف على أسماء أشهر الكتّاب الذين رسم فى مخيلته وجوب التعارف بهم

لم يمض على تلغراف البشرى بنجاحه أسبوع كامل حتى وصل الى منه كتاب طويل جاء فيه مانصه :

« واليوم أحمد الله حمدا كبيرا وأشكره شكرا جزيلا أن فك قيد أسرى ومن باطلاقى فى ميدان الحرية فقد أصبحت حاملا لشهادة الحقوق . وقد عولت بمشيئة الله على الانتظام في سلك رجال المحاماة لأدافع عن حقوق الافراد. ولو أتاح لي الخير وأبلغنى ماأتمنى لاكون المدافع عن حقوق الأمة بأسرها امام العالم أجمع .

جزاه الله خير الجزاء

هذا وسأبعث لكم ان شاء الله بتلغراف مبشر بالنجاح متى تم ذلك والله المعين ....

طولوز الثلاثاء ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٩٤

*
* *

انتظرنا بعد ذلك بضعة أيام فجاء منه كتاب آخر كتبه في يوم الجمعة ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٤ قال فيه :

« ربما ظهرت نتيجة امتحاني في يوم ١٧ أو ١٨ الجارى فانتظروا مني تلغرافا فى مساء أحد هذين اليومين .... »

ولا تسل عما قام بنفوسنا جميعاً من فرط الشوق لتلقي أنباء الخير عنه فقدا نتظرنا بصبر نافد ورود التلغراف الحامل الينا اكرم البشائر وفيما نحن مجتمعون في ليلة ببيت سعادة الأخ الاكبر واذا الخادم يقول « تلغراف بشرى » .. فخرجت اليه مسرعا واستلمت الرسالة ثم قدمتها الى حضرة الاخ ففضها ونحن سكوت ثم تبسم معلنا نجاح المرحوم فى امتحان الحقوق الأخير نجاحا باهراً فحمدنا الله على ذلك

لشدة ألمى واعتلال صحتى لأنك تعرف الميثاق الذى أخذته على نفسى امام سيدى وأخي وكيف أعود الى مصر بلا نتيجة وأقابله ؟ ان هذا لخزى كبير !

رفضت كلية باريس طلبي وبحسن مسعى هذين الفاضلين حولت أوراقى الى كلية طولوز وقد قبل طلبي امامها بعد جدال عنيف وقع بين مديرها الشرف بهاوالمدير العامل سأحيطك به علما عند وصولي سالما فائزا اليكم

ولذلك تراني لم أعرف من طولوز غير مسكنى حيث اكدّ ليل نهار وقد سقم جسمي ولكنى سأتغلب بمشيئة الرحمن على كل شيء للوصول الى بغيتي. وقدعزمت أنأستمر كذلك أزود القريحة بما هومسطور في كتب السنة الاخيرة لاني شاعر بحرب هائلةسيثيرها المدير الشرف عليّ عندماأقع بين يديه في الامتحان أو بين يدى من عضدوه فى رأيه من الاساتذة الممتحنين . فادع الله معي وأطلب من السيدة الوالدة الدعاء الصالح حتى اجتاز هذه العقبة وأعود اليكم بقلب يجسر بكل شرف ان يقابل ولي نعمته أخاه الاكبر بل أباه الصادق

في الامر طويلا ثم ساعداه أمام كلية طولوز فنقل أوراقه اليها أولا ثم عرض طلبه على مجلس ادارتها وقد اشتد الجدال بين مديرها الشرف ومديرها العامل فالاول كان يرى فى قبول طلب مصرى لم يؤد الا امتحانا واحدا أمام كلية طولوز حطا من كرامة الكلية وعلى الاخص بعد ان رفضت طلبه كلية باريس التى لم تكن أقل من كلية طولوز قدرا . وأما الثاني وهو المدير العامل فقد عضد الطلب تعضيدا كبيرا حيث صودق عليه بأغلبية أصوات مجلس ادارة الكلية .

هنا قاسى المرحوم شدائد هائلة دفعته اليها قوة الارادة والاعتماد على النفس اذ قصد مدينة طولوز بعد ان أجيب طلبه واستأجر مسكنا لم يبرحه مدة عشرين يوما كاملة وهى الايام الباقية علي ميعاد الامتحان وقد بعث الي بكتاب من مدينة طولوز طلب فيه أشياء خاصة وقد جاء فيه مانصه :

« أما مسئلة امتحان السنة الاخيرة فقد صادفت فى سبيل بلوغها عقبات كادت تودى بحياتي ولولا اني استعنت بالمسيو دروزاس والمسيو موللر ماوجدت لها حلا غير فنائى

ناظر مدرسة الحقوق الفرنسية في مصر والمسيو مولار استاذ الاقتصاد السياسى بها وشكا اليهما الأمر واستعان بهما بعد ان شرح لهما مركزه أمام شقيقه الأكبر واخوانه الذين كاشفهم بعزيمته فأظهرا له عطفا مشهورا وأشفقا على صحته ان تمس من جانب نشاطه بسوء فنصحاله بأن يؤجل الامتحان للسنة التالية حتى لايخالف قوانين الكلية ولا يجهد نفسه اجهادا لا ينجم عنه الا الأثر السيء فى صحته .

لو كانت هذه الصدمة الجديدة صدمت قطعة فولاذ لاهامة نفس لتأثرت وتصدعت ولكن الصعوبة فى بعض الاحيان تشوق المرء الى اجتيازها لاسيما اذا كان الواقف أمامها مثل المترجم فأنه لم ييأس ولم ينهزم أمام تلك المصاعب بل أعاد الكرة وألح على أستاذيه كل الالحاح وصرح لهما بأنه ان لم يكن يؤدى الامتحان فى هذاالعام فالخطر على صحته محقق اذ هو لا يؤثر الحياة على العود الى مصر بغير النتيجة التى قصد باريس من أجلها

ولما رأى استاذاه الفاضلان تمسكه بقضاء حاجته فكرا

الشامخات أمام الاهواء والاعاصير مكبرا ارادة هي العظمة والقوة بحيث لا تعوقها العوائق ولا تصدها المقادير .

أقول لا مغاليا ولا غرض لى الا الصدق حاكيا ان تلك المصاعب لو قامت فى سبيل تيار زاخر لحولته عن مجراه وصدته عن مسراه ولكنها كانت أمام نفس ليست من طراز هذه النفوس . قامت تلك العوائق أمام نفس « مصطفي كامل » تلك النفس التى لا تنهزم فماذا صنعت ؟ كان موقف المترجم من أحرج مايكون اذ اجتمع عليه وعد واجب الوفاء وأمنية محتومة القضاء وصعوبة تقف بين الحيرة والوجل بنجوم السماء ولكنه لم يكل ولم يمل فكان مثله مثل القائد الحربي أحاطت به صنوف البلاء وصفوف الاعداء فلم يكن له بد من أحد موقفين اما الفرار اذا وجد اليه سبيلا واما التسليم اذ أجداه التسليم فتيلا ولكنه استطاع بمهارته الفائقة وعزيمته الصادقة ان يكتشف سبيلا للنجاة مما كان محدقا به من المشاق والمصاعب . فانه لجأ الى ذهنه فأعمله فيما هو بصدده فهدته صائبة الآراء الي استعانة ربه واستمداد معونة استاذيه الكبيرين المسيو دروزاس

حسن الاستعداد الفطرى أو الكسبي أو من حيث هما معا بحيث تحدث فيها ألفاظ اليأس واستصعاب الامر ذلك الاثر فتنفعل به انفعالا يجوز بها العوائق ويدني منها منال المقاصد

قابل المترجم سعادة شقيقه وولى أمره وطلب منه ان يأذن له بالعود الى أوروبا ليجوز الامتحان فرضى بذلك وسافر ثانية اليها فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٤ بعد ان خففنا عنه الحزن قليلا ورافقته الى الاسكندرية داعيا له بالنجاح وعند وصوله الى باريس قدم تواً الى مدير الكلية طلبا لتمضية امتحان السنة الاخيرة فدهشت ادارة الكلية لهذا الطلب لاعتبارات كثيرة أهمها ان ذلك مخالف لقوانينها التى لاتسمح لطالب أجنبى مهما كان جاهه ان يقضى امتحانين لسنتين في سنة واحدة أمام كلية باريس فضاقت الدنيا فى وجهه لما لم يجد طلبه قبولا من مجلس ادارة الكلية ـ ولكن هل قوى اليأس على فؤاده الكبير ؟

كلا

اكتب « كلا » وأنا معجب بعزيمة أثبت من الرواسى

فى شىء بل قضينا المدة حزنا وأنينا وبكاء ونحيبا

ولما وصلنا الى البيت هدأنا روعه وخففنا عنه ألم المصاب قليلا وقصصنا له تاريخ مرض المرحوم ووفاته

أخبرني المترجم بعد ذلك انه كان أخذ على نفسه عهداً أمام أخيه بأن يمضى الامتحان الاخير في شهر نوفمبر ولكنه لم يحضر منه شيئاً الى الآن وأنه بين عاملين يتجاذبانه ومؤثرين يتقاضيانه عامل الحزن الشديد على أخيه العزيز وعامل الوفاء بما أخذ على نفسه من عهد وقضى بانجازه من وعد ولكنه لابد ان يتغلب على الاحزان ويمضى رغم المصاعب ذلك الامتحان حتى لايقال انه تقهقر أمام ارادة صالحة كاشف بها الكثيرين من اخوانه المصريين المقيمين فى باريس وقد بلغ من ظنهم صعوبة تمثيل تلك الارادة عملا محسوساً ان أحدهم وهو حضرة الفاضل كامل بك فيضى قال له بصريح اللفظ (ان هذا مستحيل) فكانت هذه الكلمة مؤثرة فى فؤاده تأثيرا بليغا

وكذلك ينقلب التحذير اغراء متى كانت النفس من

فجاء منه تلغراف آخر هذا تعريبه

« اني مريض للغاية وفى حالة خطرة وسأبرح مرسيليا السبت على الباخرة كليوباتره فأصل الاسكندرية الخميس صباحاً ارسلوا أخي علياً ينتظرني

كامل »

فسافرت ليلة الخميس الى الاسكندرية ونزلت بأحد فنادقها وفى الصباح قصدت شاطىء البحر وسألت عن الباخرة كليوباتره فقيل لى انها وصلت فى الفجر ونزل منها كل الركاب فقصدت مكتب سكرتيرها وسألته هل بين أسماء الراكبين كان « مصطفى كامل » فقال نعم فسألته عن صحته فقال انه ضعيف جداً فاشتغل بالى به وعدت الى مصر فلم أجده قد وصل اليها ولكنى استلمت منه تلغرافاً بقدومه فى المساء فانتظرته على المحطة وكدت لا أعرفه من التغيير الذى طرأ عليه بسبب حزنه على أخيه . فأخذ يقبلنى وأقبله وكل منا يبكى بكاء مراً حتى استبكينا الرائين من هذا المنظر الاليم تركنا المحطة وركبنا الى البيت فلم يخاطب أحدنا الآخر

وكأن الله أراد أن تكون هذه الرسالة آخر مايسمعه المرحوم من أعمال أخيه « مصطفى كامل » حيث فاضت روحه الشريفة فى الساعة الثامنة مساء ذلك اليوم يوم السبت ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤

وقد جاءني الناعي بالخبر فكدت أفارق الحياة لولا لطف الله وفكرت فى الحال فى أخي صاحب الترجمة كيف يكون وقع هذا الخبر عليه وماحسبته قدوقع فانه ماوصل المؤيد باريس واطلع عليه المرحوم فى قهوة السلام (Café de la Paix) حتي سقط من طوله ولولا عناية اخوانه به وفى مقدمتهم عمر بك لطفي وأحمد بك زكى لساءت العقبى

أرسل المترجم فى الحال تلغرافا لسعادة شقيقه الاكبر هذا تعريبه

« أصحيح مانشر عن أخينا عبد الفتاح

كامل »

فأرسلنا اليه الرد

« عليك بالصبر »

المقيمين فى باريس لمأدبة حضرها النائب الشهير المسيو ديلونكل

وقد مدح جلالة السلطان فى عـدة مقالات مدحاً شائقا وقد كررنا جميعا جمـلة مرات « ليحي الخليفة لتحي تركيا . ليحي الخديوى لتحي مصر » وقـد أرسلت بذلك تلغرافا للسيد جمال الدين بالاستانة »

الى هنا يقف القلم ولسان الحال يقول

ما كان في وسعى فقد آتيته واعدني أتيت بعض الواجب

باريس في أوّل شهر سبتمبر سنة ١٨٩٤

*
* *

مانشر المؤيد فى يوم السبت ٨ سبتمبر هذه الرسالة حتى أخذتها وقصـدت المرحوم الدكتور لاقرأها عليه وأشرح صدره بعمل أخينا الصغير ولمـا دخلت عليه وجدته في الم من وطأة المرض فاردت أن أخفي الجريدة لألاطفـه ولـكن سألنى عما فيها فاخبرته فطلب منى ان أقرأها فابتدأت بقراءتها وكنت كلمـا أصـل الى نقطة من نقط الوطنية كان يظهر لى ارتياحاً كأن في كلمات المترجم بلسما لمرضه

والحضرة الخديوية واجباً فقد أرسلت بالامس رسالة برقية بلغت كلماتها ١١٦ كلمة لمحب مصر والمصريين « السيد جمال الدين » ليقدمها للاعتاب الشاهانية واليك تعريبها :

« السيد جمال الدين بنيشان طاش بالقسطنطينية

بمناسبة عيد جلوس جلالة مولانا السلطان قد دعوت عموم المصريين المقيمين فى باريس لمأدبة حضرها الموسيو ديلونكل النائب الشهير المعروف بحبه لتركيا ومصر وقد مدح جلالة السلطان فى جملة مقالات شائقة منها واحدة قالها الموسيو ديلونكل وهى فى غاية الاهمية وقد كررنا جميعاً جملة مرات لتحي تركيا . ليحي الخديوى . لتحي مصر »

ولما علمت اليوم ان سمو خديوينا مقيم بكورفو أرسلت له تلغرافا بلغ ١٠٩ كلمات واليك ترجمته :

« سمو خديوى مصر بكورفو

مولاى الجليل

بغية منى فى اظهار اخلاصنا للعرش الشاهاني دعوت أمس بمناسبة عيد جلوس جلالة السلطان اخواني المصريين

لتحى دولة « عثمان » التي بلغت
من السمو مكان الشمس والقمر
وليحى للملك بدر الملك موئلنا
« عبد الحميد » حميد الرأى والفكر
ولتحى « مصر » وأهلوها بحكمته
ويبلغ « النيل » مايرجو من الوطر
وليحى « عباسنا » المحبوب مرتقياً
اوج المعالى بحسن الفكر والنظر

وعلى ذلك تم الاحتفال بين التهليل والتصفيق والسرور والابتهاج وعندئذ جاءني أحد محررى شركة هافاس التلغرافية وأخذ منى كل التفصيلات لنشرها في الجرائد

ولما حان وقت الانفضاض استأذن حضرة النائب فشيعناه بما يقتضيه مقامه السامي وذهبنا جميعاً الى السفارة العثمانية فلاقانا حضرة سكرتيرها أحسن الملاقاة وأكرمنا أجل الاكرام حيث مكثنا بها قليلا ثم عدنا من حيث أتينا

ولما كان ارسال نبأ هذا الاحتفال الى الاستانة العلية

الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وألقى خطاباً بليغاً ذكر فيه ما كان للدولة العلية من القوة والمكانة فى الاعصر الماضية وما سيكون لها فى آتي الايام من المستقبل الكبير بهمة سلطاننا وخليفتنا الكريم ثم أثنى على النائب الفاضل وشكره شكراً جميلا وحمد مصر وشبيبتها ونهضتها ودعا للخليفة بطول العمر والبقاء ولسمو العباس بالحياة الطيبة ونيل الآمال . ثم قام بعده حضرة النائب وألقى خطبة أنعم بها من خطبة أثر بها فى قلوبنا وجمع نحوه أفئدتنا فهو والحق يقال خطيب مصقع حكم الكل بقوته وعظيم تأثيره واني سأفرغ لخطابه رسالة خاصة اذ انه يشتغل الآن بكتابته بقلمه المجيد

وما فرغ من خطابه الرشيق حتى قمت وشكرته بالفرنساوية شكراً يليق به وبمقاله وكذلك شكره حضرة مواطننا الفاضل « حلوه أفندى » وكافة الحاضرين

ولما أخذت الحفلة غايتها وجاءت الساعة الرابعة بعد الظهر قمت واختتمتها بالابيات الآتية

المصريين على الاجتماع وعيد اظهار حبهم واخلاصهم لخليفتهم وعيد تشرفهم بالاجتماع مع نائب فاضل كامل يكفي قبوله لدعوتنا على الدلالة بانه من المحبين لنا المخلصين لمصرنا تلك فهي وحقكم أعياد عديدة ظهرت في شكل عيد واحد اتفقت فيه الاحساسات وتوافقت الشعائر فلا بدع ان قلنا جميعا «ليحى الخليفة ليحي الخليفة»

واني أقتصر فى هذا المقام على ان أقول لكم اننا معشر الشبان مستقبل أوطاننا وبيدنا سعادتنا وشقاؤنا وان لمصرنا حياة ستلبسها بعد قليل من الزمان فان شئتم ان تسعدوا هذه الحياة فلتتحدوا جميعاً ولتعملوا بسكون وحكمة حتى ننال بغيتنا ونسعد بلادنا

هذا واني أسألكم ان تشكروا هذا النائب الذى باجابته لدعوتنا أثبت مكانة حبه لنا واخلاصه لنيلنا وان تقولوا « ليحى الخليفة لتحى تركيا ليحى العباس لتحى مصر أبد الزمان »

وما جلست بعد الخطاب حتى قام صديقي الاستاذ

فكان لها أحسن تأثير بيننا اذ دلت حقيقة على ان عموم المصريين وان ابتعدوا عن بعضهم ونأى مزارهم فانهم متحدون قلباً واحساساً

وما جاءت الفاكهة فى آخر الطعام حتى قمت واقفاً وقلت بلغتنا الشريفة العربية « وحضرة النائب يفهم لغتنا حق الفهم »

أحبائى الاعزاء

انى أهنئكم وأهنىء نفسى بهذا الاجتماع السعيد الذى نتقاسم فيه سرورنا بمجيء عيد جلوس جلالة سلطاننا الاعظم على الاريكة العثمانية واني لاأستطيع أن أقدر لكم ممنونيتى من اجابة دعوتي كما اني لاأقدر السرور الذي يختلج فؤادى وغاية ماأقوله ان ما تشعرون به من الارتياح والانشراح هو عندى فالاحساسات واحدة والشعائر متوافقة لااختلاف فيها

وليس عيدنا هذا فى الحقيقة عيداً واحداً بل أعياد متعددة عيد جلوس أعظم الخلفاء العثمانيين وعيد اتحاد

اليوم ٣١ أغسطس » حتى شرفنى المصريون بالملابس الرسمية فى داري التي كان يخفق عليها العلم العثماني الجليل فاستقبلتهم بما يليق بمقامهم من التجلة والاحترام وما جاء وقت الزوال حتى جاءت العربة المقـله لحضرة النائب المفضال « الموسيو ديلونكل » فاستقبلته من باب البيت وصعدت معه الى قاعة الاستقبال حيث قدمت له اخوانى واحداً بعدواحدفشكرهم وأظهر ممنونيته من التعرف بهم ثم انتقلنا الى قاعـة الاكل فأجلستهم فى المحلات التى أعددتها لهم ودارت أصناف الطعام ودار حلو الـكلام وبينما كنا نتحدث مسرورين من هـذا الاجتماع السعيد واذا برسالة برقية وردت باسمي من حضرة مواطننا الـكامل محمـد بك حسنى يكن بالنيابة عن جميع المصريين المقيمين الآن فى دييب واليك تعريبها

« ان قلوبنا معكم ترسـل الدعاء للسفارة التركية ومصر وجلالة السلطان وسمو الخديوى

« بالنيابة عن المصريين »

(حسنى)

لمصر وأهلها وقد أعقبنى الكثير من الخطباء المجيدين أذكر منهم صاحبنا الفاضل محمد أفندى أسعد فانه موافقة لرغبة صاحب الحفلة قام وألقي خطبة شائقة بدأها باللغة الفرنساوية وختمها باللغة الشريفة العربية داعياً لجلالة السلطان الاعظم والخديوى الاكرم وكذلك قام حضرة الماجد حسين أفندى صبرى ونطق بمثل هذا المعنى والناس منشرحون من رؤية المصريين في صدر القوم يظهرون اخلاصهم المفرط لجلالة الخليفة ومزيد تعلقهم بسدته الشريفة أبقاه الله حجة للانام وكعبة للاسلام وقد انتهت الحفلة على مايرام بعد ماقام حضرة الفاضل محمد أفندي أسعد ونادى بصوته العالى « باد شاهم جوق يشا » فنطق الكل بما نطق حضرته به مصفقين له مظهرين الفرح والرضاء

وقد انتقل القوم بعد ذلك الى قاعة أخري أعدت للرقص والغناء وهكذا دام الحضور فى السرور والانشراح قائمين قاعدين حتى أشرقت الشمس وتنفس الصباح

وما جاءت الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى «أمس

حرفيا :

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس زائراً ان يظهر بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن كافة مواطنيه احساسات الحب والاحترام المتبادلة التى تربط المصريين بالفرنساويين وان يؤكد لكم كل التأكيد ان المصريين لا ينسون جميلا بل يذكرون كل مايؤديه لهم الغير من الخير

وانا معشر المصريين نعد سعداء الطالع لرؤية الفرنساويين يحتفلون بمزيد الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل القدر « عبد الحميد خان الثانى »

واني باسم جميع المصريين الذين علقوا بجلالته كل آمالهم أسألكم أن تشربوا على صحته واني واثق من انكم توافقوني كل الموافقة اذا سألتكم ثانية ان تعقبوا الشرب على صحة الخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمى باشا »

هذا ماذكرته أمام العموم وما كنت أتم جملة حتى توضع الراحة على الراحة ويدوى التصفيق من كل مكان بعلامات الاستحسان ويعلم الله ان استحسانهم لما أقول حب منهم

مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام

وما بدىء بالفاكهة حتى ابتدأت الخطابات وقام الخطباء البلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها فى الشرق والغرب وما لها من بعد النظر فى السياسة متخلصين من ذلك لذكر روابط مصر الحالية الوثيقـة العرا مع الدولة العثمانية مادحين سمو العباس أحسن مدح مثنين عليه أجمـل الثناء وقد كان في مقدمـة الجميع المسيو « ميل فو » أحـد النواب السالفين فقام وحمد الحاضرين وشكر الداعين وذكر السلطان ذكراً جميـلا وتكلم على مصر طويلا مما كان له حسن الوقع عند العموم

ثم أعقبه الواحد بعد الواحد حتى وصلت نوبة الـكلام الىّ وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الـكتاب الفرنساويين المجاورين لى وقال « ليصغ الحاضرون لخطابة صاحب جريدة (المدرسة) المصرى » فوقف كل من بالمـكان وصفق تشـجيعاً للخطيب ولقـد صعدت على كرسى والقيت خطابا بالفرنساوية كنت كتبته من قبـل واليك ترجمتـه

وودت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فلم يمض الا قليل حتى دعا مواطنى الذين لم يتأخروا عن الذهاب فى الميعاد المحدود فما جاءت الساعة السابعة الافرنكية من مساء الخميس حتى أقبلت علي محل الاحتفال العربات من كل جانب والمصريون فيها كالبدور يتلألؤون نوراً وبهاء وهم بملابسهم الشرقية الرسمية زينة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمكث قليلا بعد دخولنا حتى دعينا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت فيها الموائد العديدة جلس عليها نحو الثلثمائة شخص كل في مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قليلا لاشتغالى بالتكلم مع أحد رجال المطبوعات فجاء حضرة الكاتب الشهير المسيو شينيل أحد محررى (الجرنال) وأجلسنى أمامه وكان على مقربة من يمينى « نورى بك » أحد كبار رجال الدولة العليـة وعلى يسارى جملة من أصحاب الجرائد الخطيرة وقد بدىء بالأكل فى الساعة الثامنة واستمر لنحو العاشرة والقوم يتحادثون حديث الحب والوداد وقد شنفت الموسيقى أسماعنا بالسلام العثماني والدعاء المرضى الشاهاني

الملية ماملأ فؤادى سرورا وجعلنى أقضى الليل والنهار في تقبيل كتاباتهم وأتضرع لله سبحانه وتعالى أن يكثر في مصر من أمثالهم ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديوينا المحبوب

ولما كنا نود ان يحضر هذه الحفلة رجل من كرام الفرنساويين المخلصين لمصر المدافعين عنها حتى يعلم كل انسان اننا لا ننسى الجميل أبداً واننا نعترف لمن يحترمنا بمزيد الفضل دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم الموسيو فرنسو ديلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها وشدة دفاعه عن مصالحها وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه الله بكل سرور وامتنان

وقد كان زارني (صاحب جريدة الشرق) عند حضورى الى باريس وأخبرني أنه سيحتفل فى مساء الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ لعيد الجلوس المأنوس كجارى عادته السنوية وأنه سيدعو كل المصريين لخدمته أطيب الحمد

خليفة ملك بعد له الرقاب وجمع اليه الافئدة الا وهو جلالة السلطان الغازى « عبد الحميد خان » اذ لاشك ان المصريين هم أصدق الامم جميعا للحضرة السلطانية وأول المخلصين المقدرين لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز وخديوينا المحبوب وقد ازداد تعلقي بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى أراد الله اظهاره من القوة الي الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل الاستحسان وأقروا جميعا بأن هـذا العمل واجب وانه لايلتى من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاءً فشرعت متوكلا علي الله وقلت فى نفسى لاشك ان حبنا لجلالة الخليفة أمر مشهور وان احتفالا مثل احتفالنا سيثبت لـكل انسان ان فى المصريين احساسا صادقا يستطيعون اظهاره للوجود واعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدواً ماكراً أو حسوداً غائراً

ولذا أرسلت لـكل اخوانى المصريين أدعوهم لمشاركتى فى هذا الاحتفال السـعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور وانشراح مظهرين لي فى اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية

الى بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام

باريس فى ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٤

« مصطفى كامل »

كنا نقرأ هذه الرسالة فى تلك الليلة والمرحوم يقيم في باريس الاحتفال بعيد جلاله السلطان لاول مرة جرى فيها احتفال من هذا القبيل وقد جاءت تفصيلات هذا الاحتفال العظيم فى رسالة نشرتها جريدة المؤيد والاهرام فى عددها الصادر فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ كما ان التلغرافات العمومية تناقلت علي لسان البرق نبأ هذه الحفلة مما كان له دوى كبير فى الدوائر السياسة وهذه تفاصيل الاحتفال

الرسالة السادسة

﴿ الاحتفال بعيد جلالة السلطان ﴾

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب موسم عيد الجلوس المأنوس وأناأ فتكر فى اقامة حفلة خاصة بالمصريين يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد الذى يذكرنا جلوس

اقامته الحكومة البلجيكية تخليداً للواقعة وتذكاراً (لولنجتون) يصعد اليها بسلم كثير الدرجات صعدنا وشاهدنا الساحة زمناً مديداً فلم يكن ليدهشنا فيها شيء لأنها لا فرق بينها وبين سائر الغيطان الا أننا تذكرنا غابر الايام وسالف العصور وتلونا فى عالم الاقطار صحف التاريخ فبدت لنا الحرب بأبشع صورها وأقبح مناظرها ووددنا كما ود قبلنا من طلب للانسان غايات النعيم لو هلكت الحرب وعدم التباغض وأصبح التاريخ يقص أنباءهما كما يقص نبأ ثمود وعاد ولكنها أمنية بعيدة التحقيق فلقد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء القائم ذا قانون مسطور وناموس مشهور يقرأه القارىء فى علاقات الدول وروابط الممالك فى القانون الدولي فهو قسم ليس بالشيء اليسير

ولقد لبثنا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى (خزان الدماء) مدة ساعتين ونحن نعيره نظرة ونعير الليث نظرات ثم عدنا الى المحطة والاطفال تجرى خلف العربة تطلب الاحسان (كالشحاذين فى طريق الاهرام) حتى اذا ما بلغناها سافرنا

الصحيح ولم تدر حقيقة وجودها الا مساء يوم واترلو فان تلك الساعة الحمراء (ويسميها الحمراء لاحمرار الافق بها) أوقفت كل دولة أوروبية على أنها كفرنسا مستقلة لا يجسر ذو أمل مثل نابليون على مهاجمتها)

وبديهي أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم تعد تهاب القتال أو تخاف المذابح البشرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة واترلو التي سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء

ومن ثم اكتسبت واترلو شهرة لا تجارى على انها أرض جرداء وان كانت اليوم خضراء فلقد أصبحت ملتقى السياح يأتونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتها وقد زاد تواتر الزوار اليها من يوم وصفها الكاتب الطائر الصيت (فيكتور هوجو) في مؤلفه الميزرابل (البؤساء) ولذا عددت زيارتها واجباً لاسيما وبينها وبين بروكسل مسافة يقطعها البخار في نحو أربعين دقيقة

وصلتها بعد الظهر بساعتين صحبة رفيقي العزيز وقصدنا ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء في وسطها تمثال ليث

وزمن الشقاء والعنـاد واستغفر لربه من دم اسالته الاطماع وأهرقته محبة الفخار فسمع اذ ذاك من دوى المدافع وصوت المواقع انه أراد من الشقاء هنـاء وطلب من الدماء عـلاء فاعتدى على الانسان فى كل بقعة ومكان حتى شكـته لربهـا صم الـكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على عباده الي (واترلو) رجالا اسعدوا الامم بانهزام مشقيها وأراحوا العباد بالتغلب على متعبها ومبليها فهرب من الفرنسيس رجال طالما هرب الدهر امامهم وفر من وجوههم خيفة الايقـاع به والاعتداء عليه على أنه مجرى الايام وممر الحوادث

نخسف هذا البدر العـالى والـكوكب المتلالى فى يوم مشهور كان من اكبر أيام التاريخ وأعظمها فيه فازت أوروبا المتحزبة بالقدح المعلى على حين انخذال فرنسا على يد رجلهـا الخطير وفارسها الشهير الذى طالما نصرها واعلى شأنها ولولا واترلو لبـاتت به فرنسا سيدة أوروبا المستعمرة لهـا النافذة الامر فيها المتصرفة فى أقسامها تصرف المالك الحر فى املاكه ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها

الكبير والطود الخطير الذى اهتزت له الارض من مشارقها الى مغاربها ولهجت بذكره الالسنة أصغرها واكبرها فانتقته الحروب فارسها والنصرات نائلها والاوطان حاميها وناصرها وجرت الايام طوع بنانه والحوادث رهين مراده فلم تستطع مخالفة ولم تقدر على معاكسة بل دام رب السيف والقلم وامير الممالك والعواصم أمره الامر وارادته الفعل والنهى وجرت مشيئته كمشيئة الاقدار وبغيته كبغية الايام والامصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميدانها المشئوم المنحوس تعلمه بافول بدر سعوده وتنذره بغروب شمس علائه فجندت له الجنود والجيوش وجمعت الاسنة والرماح وقابلته مقابلة العدو الالد والخصم الاشد ونظرته نظرة الدهر لعظماء الرجال وكبار الابطال واحتقرته احتقار الفيلسوف لرجال الحرب أمثاله ومهرقي الدماء اشباهه فهزمت منه أقوى الرجال قلباً وأشد الفرسان مراساوأعظم العظماء فكراً ورأيا فطأطأتلك الساعة رأسه وعلم أنها ساعة الانقلاب وان الزمن زمنان متناقضان زمن السعود والاسعاد

جاء يوم السبت اول سبتمبر سنة ١٨٩٤ حيث كان المرحوم الدكتور فى حالة تبشر بشفائه فتاقت نفسه لمطالعة جريدة الاهرام فانتظرت وصولها ليلا وأحضرتها اليه وبعد ان قلبتها رأيت فيها رسالة للمترجم على « واترلو والمذبحة البشرية » فقرأتها على المرحوم فاخذ القلم وكتب لاخيه كتاباً شكره فيه على مثابرته على العمل أما الرسالة فهي بنصها

الرسالة الخامسة

(واترلو والمذبحة البشرية)

« حييت الي واترلو أن أحدثك اليوم بحديث الاولين وأنبئك بنبأ السالفين وأقص عليك أحسن قصص التاريخ فاذكر لك حوادث الرجال مع الايام وحوادث الايام مع الرجال وأشهدك هذه الاعمال الغراء وتلك المآثر الشماء التى فاخرت الشهب والسماء وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ مجد هذه الايادى البيضاء من أن يراق عليه دم الحسد وانكار العلاء واطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل

الجنود في جميع حركاتهم وسكناتهم

هـذه رسالتي على معرض انفرس كتبتها ليقف القراء على مابهذا المعرض الخطير من المعروضات ولم أستطع الشرح والتفصـيل لضيق الوقت ولان كل شيء في المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ولست أقصد في رسائلى شيئاً آخر غـير مايراه العيان علي قدر الامكان حـتى تكون الرسائل كصور المصور تظهر للرائي من الاشياءمظهرهاالصادق قياما بواجب السياحة الذى يفرض على السائح (كما يقول العلامةبسكال) ان يقرن واجب الرؤية بواجب الـكتابةوالاخبار

والقارىء لهذه الرسالة الرابعة يرى ان أوروبا تمثل فى هذه المعارض الخطيرة اكبر الاعمـال وأشرف الخصال الدالة أوضح دلالة على مقام الانسان واما الشرق (ويااللاسف وطول الخجل) فلا تمثله الا قهوات للرقص جمعت فى باطنها أسفل الناس واوضع المخلوقات والسلام

انفرس فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٤

مصطفى كامل »

وشدة غرامهم بالصناعة

وأمام قسم المانيا قسم انكلترا وهو فائض بالمصنوعات الحديديةوالمعدنية التي نذكر منها أنواع العجلات والفوايسبيد التي لاتوجد في غيرها والتي لايستعملها في الغالب الا أهلها وآلات الكتابة ومطابع اليد التي تصدرها لأغلب البلاد وبه غيرذلك المشروبات الروحية بأنواعها ونخص بالذكر منها الوسكي المملوء به قسمها وهي مشهورة بصناعته من عهد بعيد

ويلي هذا القسم البريطاني قسم كندا وكل مابه من محصولات زراعية عديدة الانواع

وتنتهي المخازن كلها بقسم الفنون الحربية الذى يأتي بعد قسم كندا ويشتمل باطنه على المدافع القديمة والحديثة والاسلحة والآلات الحربية التي لم تخترع الا للجمع بين حماية الانسان وسفك دمه . وفي وسطه ترى عموداً من الاسلحة القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان العصور الخالية

وبجوار هذا القسم العسكرى ترى منظراً حربياًبه صور

الباب العام لكل المخازن ولا يرتاب القارىء فى أن معروضات هذا القسم اكبر وأعظم من معروضات غيره فهو حقا المقصود بالذات فلقد تقدم فيه وحده ٤٠٠ عارض وعرضت فيه أنواع الفحم الحجرى (ولا يخفى عن القراء ان بلجيكا تعد فى مقدمة البلاد التى يستخرج منها الفحم الحجرى) والمعادن المتنوعة والعربات الجمة وأمتعة الزينة التي تفوق الحصر والعد والروائح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول ان فيه أجمل المصنوعات البلجيكية وأدقها

وفى آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقيم القصر الهوائي الذى طالما حدثتنى نفسى برؤيته والتمتع بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكننى عند ماوصلت اليه تنفست الصعداء وعلتنى حسرة وكآبة لعدم فتح أبوابه للآن فتركته متمثلا بقول القائل « ما كل مايتمنى المرء يدركه وسرت فى هذه المخازن الهائلة متنقلا من بلجيكا الى المانيا حيث رأيت فيها مجموعة مارأيت فى غيرها من أحقر المصنوعات وأخطرها مما يدل على اجتهاد أهل هذه البلاد

ويلي كل هـذه الاقسام من جهـة اليمين قسم النمسا والمجر وبه غير رسم (فيوم وتريسنا وبحـيرة بلاطون) كافة أنواع الملابس النمسوية (التى نلبس منها) والحلل والجواهر النفيسة

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطباق الاسلامبولية الجيـدة والمنسوجات التركيـة الثمينة وبعض المصنوعات الشرقية

ثم قسم ايطاليا وأفخر مابه التماثيـل الصغيرة التى من الرخام الابيض والحرير المختلف الانواع ثم قسم الروسيا ويشتمل على أجناس الفراء الثمينة التى يعتبرها الروسيون أنفس مصنوعاتهم

وبجوار هـذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات مدائنها المشهورة فهو يشتمل على أمتعة المنازل وأشياء الزخرف والزينـة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال وبالجمـلة كل شيء امتازت به فرنسا عن غيرها ولا تنس الحرير الليوني فانه زينة القسم وحليته

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبـة التى بهـا

ثم قسم المستعمرات الفرنساوية وبه معروضات الجزائر وبعض بلاد الشرق الاقصى

ويأتي بعد هذا قسم أمريكا وبه من لوازم الاثاث وأدوات الكتابة والطبع شيء كثير

وعلى يمينه معروضات لسيبيريا والعجم وبلغاريا وعلي يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسمبرج واسوج ونروج ويلي كل هذه المعارض التي يضيق المقام عن شرح معروضاتها قسم السياحة وبه العدد العديد من الخرائط والرسوم والاعلانات المتعددة من قبل كافة الشركات البحرية وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا تمثل صور المراكب والسياح فيها وقاعات النوم والاكل وصور السفائن الكبيرة والصغيرة وهي في وسط البحر تلعب بها الامواج وصورها وهي داخلة الميناء وخارجة منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر ويطرب الفكر

وعلى يمين هذا القسم البحري ترى قسم اسبانيا والبرتغال وعلى يساره سويسرا ورومانيا

اليسار بين أشجار دانية ظلالها متدلية أزهارها تراها فى الليل وقد انتشرت الاضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدر والمرجان وزينت بزينة المهرجان نخطفت الابصار بحللها وسلبت العقول بدلها وجمالها

متى زرت كل المعارض الصغيرة (أو المعترضات على رأى بعضهم) تجد أمامك آخر ضلع اليمين فى زاوية المخازن وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الاقسام اتساعاً قدرت مساحته ب ٢٢٠٠٠ متر مربع ومتى دخلت من بابه سمعت دوياً اشد من دوى المدافع وشاهدت نوراً وناراً يظهران من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان هذا القسم أهم أقسام المخازن وأكبرها فانما هو أول قسم يمثل الصناعة البلجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصاً في سبك الحديد وصناعة الآلات الضخمة

ويلي هذا القسم قسم هولاندا ومستعمراتها وبه عرضت الشكولاتا وأنواعها واللوز الهندى والهندباء والقهوة والسكر وما يحاكى ذلك من الاشياء التى تفردت بها البلاد المنخفضة

مختلفة ومساكن سودانية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة. وكهوف من النقش كبيرة

وعلى يسار هـذه القرية بنيت سراى الكونغو وهى. لم تفتح للآن

وعلى يمين القرية ترى متحفا للفنون الجميلة خلفه متحف آخر لا يمتاز عنه الا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل أهم الدول الاوروبية

وتحت المتحف الاول معرض الحيوانات البحرية المختلفة والاسماك المتنوعة السابحة فى المياه كسباحتها فى البحار

وخلف هذه المناظر الجميلة تري قبة طائرة كقبة المعرض الليوني بجوارها مكان متسع الارجاء والانحاء أقامه أحـد الضـباط الامريكان المسمى بويتون وجعله أشـبه بالجبال الروسية من حيث ارتفاع بعض نقطه وانخفاض البعض الآخر الا أن هناك بركة تسـير فيها السفن صاعدة نازلة كأنها العجلات فى جبال الروس

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكاناً فسيحاً تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدق مصنوعات العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حى مدينة انفرس القديمة المعتبر عند البلجيكيين أكبر آية فى المعرض لكونه يمثل لهم هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وزيهم وشكلهم فى القرن السادس عشر

والداخل في هذا الحي يرى شكل مدينة انفرس القديمة وأبنيتها المنخفضة الغير المنتظمة وكنائسها العتيقة ومدافنها ومثاباتها (وبرصها) وأسواقها وما يشابه ذلك مما يمثل الايام الغابرة وأهلها أحسن تمثيل لاسيما عند ما يرى الزائر كل ما بالحى من رجال ونساء زيهم الزي القديم وخطابهم اللغة الفلمنكية المهجورة

وخلف هذا الحي ترى منظر جبال الالب وعلى قممها الثلج المستديم وتحتها الرياض النضرة والحقول المزدهرة مما يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التي يسجد لهامتها السحاب

وبعد هذا المنظر البهيج تري قنطرة نصف مستديرة تحتها قرية الكونغو وهى قرية سوداء تشتمل على أكواخ

رأس زاوية المخازن) وهي سراى كبيرة جميلة بها قاعة متسعة معدة للاحتفالات الرسمية التى تقام فى المعرض (أقيم فيها أخيراً احتفال الجرائد) وهي تسع ستة آلاف شخص وبجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر مطعم فى المعرض

وامام هذه السراى ترى عموداً مرتفعاً تخفق عليه الراية البلجيكية كتب عليها بالفرنساوية (كمريخ) أقامته الشركة المسماة بهذا الاسم اعلاناً للعموم بانها أول شركة بلجيكية تستخرج عصارة اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق الستين مترا وقد علمت ان ما انفق عليه يكفي لان يكون رأس مال لشركة مهمة مما يدل على ثروة شركة (كمريخ) وانه لا يضرها انفاق مبلغ طائل كالذى صرفته على اقامة هذا العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها

وقد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بلجيكى شهير اشتغل زمناً طويلا فى البحث عن وسائل تحسين عصارة اللحوم

شيئا آخر غير الرقص والغناء

وبجوار الشارع المصرى قهوة رقص مراكشية امامها حى الجزائريين والتونسيين وبه ملعب جزائرى وباعة تونسيون وجزائريون وفى وسط هذا الحي أقيمت فسقية كهربائية تضاء كل ليلة

ويأتي بعد حي الجزائر المعرض التاريخى للبلادالبلجيكية وبه اثنا عشر منظرا يرى منها الزائر ان البلجيكيين يعتبرون مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التي نشأ عنها استقلال بلادهم وتمتعهم بحريتهم وأهم هذه الصور صورة هياج الناس من مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) وصورة دخول ليوبولد الاول ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب (لاكن) وصورة تحليفه اليمين وصورة الاحتفال بالسنة الخامسة والعشرين من حكمه الى غير ذلك من المناظر التى تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أيامهم

هذا أهم مايراه الزائر فى جهة اليسار وأما جهة اليمين فاحق شيء بالذكر فيها سراى الاعياد (الموضوعة فى تجويف

والسكنات

وبعد المعرض الانامى يأتي الشارع المصرى وبه الباعة المصريون وسائقو الحمير الذين يتعاطون الحشيش فى كل وقت حتى فى هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة رقص مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان تكن زارتنا الحسرة من زيارتها ورؤية بناتها

هذه هى مشتملات الشارع المصرى وأماهيئته العمومية فمصرية لاتختلف عن هيئة أكثر شوارعنا القديمة

ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا حيث لا يري أمامه الا نقيصة تنطق بتأخرنا وتعلقنا بدنايا الامور مما يجعلنا نستنهض همم كبار تجارنا لتشريف هذه المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وأنسجتها عوضا عن عرض هذه النقائص الظاهرة للعيان

وامام الشارع المصرى معرض للزجاج وبجواره سراى شرقيـة بها قهوة رقص عربيـة (كأن الشرق لم يشتهر الا بالرقص) أقيم امامها محـل بدوى به بنات عربيات لا يأتين

يبيعها جماعة من أصحابها وبجوارهما ملعب (سورى) كملاعبنا المصرية يليه منظر خلوات أفريقيا الوسطى وبها ترى السائح الشهير (استانلي) جالساً بين الاعشاب الجمة والاشجار المختلفة يتحدث مع أمين باشا الالماني فى شأن العودة الى مصر والاهلون منتشرون رجالا ونساء

وعلى يمين هذا المنظر الافريقى ترى ملعباً اناميا كالملعب المقام فى معرض ليون زرته فى الليل مع رفيق وحضرنا فيه تمثيل رواية لاأضن على القراء بذكر ملخصها الذى وزع علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الانام بنتا جميلة أرادها زوجا لاحد أبناء الملوك المجاورين له وكان لهذه البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر لهما مكيدة ودعاهما لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعدامهما لولا ان جاءت أمه واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم مهرجان الزواج كما أراد زوجها) هذه هى أجل رواية لديهم يعتبرونها مثالا للبلاغة حضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم المقطع الذى يجتمع مع لغة الحيوانات العجم فى أغلب الحركات

المعروضات بحسنها وجمالها

وأما معرض انفرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه في الحقيقة معرضاً دولياً تنقسم مخازنه (التى تشابه من معرض ليون القبة الجامعة لاحتوائها على أهم الاشياء المعروضة) الى جملة أقسام فى كل قسم منها معروضات دولة من الدول حتى صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية من التقدم في التجارة والصناعة فهي تعتبر المعرض نفسه وما تعداها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليوني

ولهذا المعرض الدولى البلجيكى جملة أبواب منها باب متسع هو أهمها متى دخل منه الانسان رأي أمامه قبة صغيرة جميلة الشكل مختلفة الالوان بها باب المخازن الموضوعة بجوار بعضها تحت سقف من الزجاج محكم الرقع المكونة جميعها الزاوية منفرجة عرضت فى انفراجها زوائد المعرض ذات اليمين وذات اليسار

وأول شيء يراه الزائر علي يساره من هذه الزوائد حى الترك وحى السوريين وبهما بعض المحصولات التركية والسورية

الارتقاء ولتحى العلوم والعلماء

تلك توطئة للكلام عن معرض انفرس الذى سارت من أجله الركبان وطبق ذكره الممالك والبلدان فزاره من دانى المواطن وقاصيها عدد يفوق عدد سكان انفرس على كثرتهم وتزاحمهم مما جعله أسمى مركزاً من معرض ليون الذي لم يعبه الا قلة القصاد وان كان يماثل معرض انفرس فى اتقانه بل ربما فاقه فى بعض أجزائه

وكلا المعرضين كبير الاهمية عظيم الشأن جم الفوائد والمنافع لا يكاد يختلف أحدهما عن الآخر فى المكانة لولا وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض ليون بقبة السماء الجامعة لشتات المعروضات وأنواع المصنوعات وبمعرضه الاستعمارى الذي في زيارته دراسة ثابتة لأحوال الشرق وصنائعه وتجارته مما يتعسر رؤيته في معرض آخر

ومما جعل المعرض الليونى اكثر بهاء من معرض انفرس البحيرة الجميلة التي جاءت فى وسطه تسير فيها المراكب بالزوار فتنزههم فى هذه اللاجة البيضاء بعد ان نزهتهم

وتقدماً وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال بل ازدياد الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء للعمل

كل ذلك فى هذا العصر المضىء عصر ازدهار العلم ونمو الاختراع ولم تتعد نحن ماانحن عليه من الخمول والسكون ولم تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر بل دام النشاط فى بنيه يحافظون عليه ويحافظ عليهم ودامت الدعة في أهلها يرحبون بها وترحب بهم والشرق يبكى الديار والاوطان حتى هب من مصر الرخاء وبلد الهناء حب الجنوح الى العمل فقامت الافكار بانشاء معرض وطنى انشرحت له الصدور وان لم يكن بالمعرض المشكور الا انه بداية الخير وعنوان الرجاء

فليهنأ المصرى به وليجتهد فى اقامة معرض تفتح له أبواب المدح والثناء وترتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى تنشط « مصر » من عقالها وهى غادة الشرق والغرب وتقوم من رقادها وهى عروس العلم والادب فتتم اذ ذاك الخيرات والبركات ويقول الشرق لايام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعش

الرسالة الرابعة

﴿ معرض انفرس ﴾

« اهتدت أوروبا فى العصر الحاضر الى المعارض اهتداءها لاعلاء شأن التجارة والصناعة وزيادة البحث والتنقيب فى وسائل الارتقاء واضاءة الافكار بأنوار العلوم والمعارف فأنشأتها في كل صقع وواد واقامتها فى كل بلد وناد وظهرت كل دولة من الدول تنافس اخواتها بصنائعها المتفردة بها وتجارتها المميزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار وضاقت الفسحات على رحبها حتى فازت بالشرف الرفيع والفخار الكبير فسرّت الامم ببلوغها مرامها من الكسب وعلو الصيت ونال العارضون مطالبهم من الشهرة والارباح ونزه الزائرون منهم النواظر فى هاتيك المناظر العديدة الانواع المتسابقة نحو الاحكام والابداع الناطقة بدقة الصناعة ومهارة الصناع فنشأ عن ذلك حب الدأب على العمل والولوع بالتسابق والمجاراة مما زاد أوروبا ارتقاء

اليها برسالة على بلجيكا وعاصمتها . أدامك الله لاخيك المخلص

مصطفى كامل

*
* *

وماجاءشهرأغسطس حتى كان شقيقنا المرحوم الدكتور عبد الفتاح فتحي طريح الفراش أثر اصابته بمرض التيفوس ولما كان شديد التعلق بالمرحوم كثير الحب له كان يكرر عليّ كثيراً أن اكتب اليه طويلا وأن لا أخبره بمرضه حتى لا يتكدر في غربته ولا يجزع وكان المترجم يسألنى كذلك فى خطاباته العديدة عن صحة شقيقه فكنت أتحايل فى كل خطاب على اخفاء مرضه حتى جاء يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس فقرأت للمرحوم الدكتور القسم الاول من الرسالة الرابعة التى كان بعث بها المترجم لجريدة الاهرام على معرض انفرس فكلفنى أن أكتب للمرحوم شكرا من قبله وأشرح له انه مريض قليلا فكتبت اليه كتاباً وقد جاء منه الرد وكله تعطف أخوى وحنان نادر أما وصف المعرض فقد نشر بعددي الاهرام ٤٩٩٨ و ٥٠٠٠ وهذانصه :

مسائل خصوصية عائلية ما نصه :

« رأيت فى مدينـة بروكسل عاصمة بلجيكا » وهي المدينـة الزاهية الزاهرة (ولكنها على كل حال لم تكن فى نظرى أحسن من مصر الا أن حكومة هـذه أهلية تعمل بقلب أهلي . وحكومتنا مختلطه تعمل بقلب الانكليزى) كل ما تصبو اليه النفوس الكبيرة من عز وسؤدد لبلادها ووطن آبائهـا وأجدادها . وقد علمت بعد الخبرة أن رقى القوم هنـا مسبب عن صفتين لازمتين لـكل أمـة تريد أن تنهض بنفسها الى سلم الرقى . وهما حب الاطلاع . والاعتماد على النفس . فان النـاس هنا وعلى العموم فى كل أوروبا يبحثون ليـل نهار عن أسرار الطبيعة معتمدين على أنفسهم (ومن جد وجد) . فسل الله معى أيها الاخ المحبوب ان نصبح سادة فى بلادنا لتعود مصر الى ما كانت عليـه من رفاهية ومجد حتى نقدم للعالم معارض أفخر ممـا رأيته وتنظم مدائننا نظاما فوق ماشاهدته . ان الله على كل شىء قدير

وفى الختام أرجوك ان تقرأ جريدة الاهرام فقد بعثت

يرى من هذا المتنزه بقعة من الارض خضراء بها الاشجار الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب انه قد فصل عن هذا العالم وانتقل الى عالم آخر كله جمال وبهاء ولست بقادر على وصف هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هي الاتقان أو فوق الاتقان وانى لى بلوغ هذا المبلغ من البيان ولست في بديع الانشاء بسحبان

وأما غابة اكلبر فلا تختلف فى صفاتها وحسن نظامها عن غابة بولونيا بل ان شئت فقل انها غابة بولونيا البلجيكية

وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها وجمالها جميع العواصم أوربية وغير أوربية والسلام

بروكسل في ٢٢ يوليه سنة ١٨٩٤

مصطفى كامل »

*
* *

فى هذه الاثناء أرسل الي رحمه الله كتاباً كما أرسل كذلك لكل شقيق من أشقائه

وقد قال فى هذا الكتاب بعد التحية والتسليم وذكر

حية وبها غير ذلك من الاحجار المختلفة والمعادن المتنوعة ماتستلزم رؤيته أياماً عديدة

ومتحف الاسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات الحرب المختلفة مايقف منه المدقق على ناموس القتال وعدده في كل زمان ومكان

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جداً وكلها شاهقة جيدة البناء . ولا عجب اذا كانت كنائس البلاد البلجيكية أرفع وأعظم من كنائس سواها فقد اشتهرت بين الامم المعاصرة المجاورة لهابتمسك أهلها بالدين تمسكا زائداً

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لاكن) ومتنزه (غابة الكمبر) أما متنزه لاكن فموقعه وحيد فى المدينة وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراي للملك يقيم بها في فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لانها حرقت بأكملها ولم يبق منها الا أثر صغير يدل عليها وامام هذه السراي تمثال ليوبولد الاول أبو الملك الحاكم وخلف هذا التمثال غيط الملك ومتى وقف الانسان امام التمثال فانه

وبالمدن تماثيل جمة أقيم أغلبها لعظماء الرجال الذين خدموا استقلال البلاد البلجيكية سواء كانوا من أبنائها أو من غير أبنائها وأشهر هذه التماثيل عمود المؤتمر وهو عمود مرتفع على قاعدته أربع تماثيل وداخله سلم حلزوني تبلغ درجاته ١٨٤ درجة توصل الى قمته التي يرى منها الانسان المدينة كلها وقدشيد هذا التمثال تذكاراً للمؤتمر الذى عقده أكابر رجال الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠ وأعلنوا فيه استقلالهم وانفصال بلادهم عن هولانده

ولهذهالعاصمةالزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب ومن المكتوبة ٢٠ ألف

وبها من المتاحف العدد العديد نذكر منها متحف التصوير والنقش القديم والحديث الجامع لغرائب الصور العتيقة والحديثة ولكن أغلبها صور دينية متقنة أحسن اتقان

ومتحف التاريخ الطبيعى وبه عدد كبير من الحيوانات المصبرة بين كبيرة وصغيرة ومفترسة وداجنة وكلها تحسبها

هيبة العدالة ومكان الانصاف سراى مساحتها ٢٦٠٠٠ متر مربع وارتفاع قبتها وحدها ٩٧ مترا وثمنها قدره ٤٥ مليونا من الفرنكات بابها فريد فى احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى الداخل منه على اليمين سلما بأوله تمثال ليكورغا الشاعر اليوناني وديمستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال أولبيان الشارع الروماني وشيشرون خطيبها وفيلسوفها. يصعد الصاعد من السلمين الى ساحة السراي المشتملة على سبع وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ومائتين وخمس وأربعين لموظفي المحاكم وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها اتساعا وارتفاعاً قاعة الاستئناف الاولى والثانية وقاعة النقض والابرام وقصارى القول ان هذه السراى فريدة عقد آثار بلجيكا اذ انها آية من اكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر

وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة امام ساحة الخمسين وهو لايختلف فى الاتقان عن أعظم الآثار الجسيمة اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دليلا على اتمامها نصف القرن الاول من استقلالها ونيل حريتها

موقعه من المدينة

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراى الملك القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناؤهما على حالة البناء والصناعة في العصور الوسطى وبدار المحافظة قاعة عامة من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة والرونق بمكان والآثار الحديثة أجدرها بالذكر البورصة وسراى العدالة ومعرض عام ١٨٨٠

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار انها في أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة تتوارد عليها من كل صقع الالوف من التجار والسماسرة

وأما سراي العدالة فان قلمي عاجز عن وصفها وشرح جمالها وجلالها فهى سراى ضخمة عالية بها من العمد الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديدة مالا يعلم عدده الا من أعطي الانسان هذه اليد القادرة على خلق مثل هاتيك الآثار التى تسلب الانظار وتحير الافكار وماذا أكتب لك عن سراى هى مظهر الجلال والاحترام وموضع

آثارها شماء تناطح في علوها السماء بها من الرياض والحدائق من الشمال الى الجنوب . ومن الشرق الى الغرب خطوط السكة الحديدية وعربات الترامواى وبالجملة فهي مدينة بديعة فى جمالها رشيقة في حسنها واعتدالها لا يرتاب السائح ان رآها فى انها قطعة من باريز لولا هدوء حركاتها وسكون تجارتها في أهم أقسامها

وهي تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينتين متميزتين الاولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الاغنياء وفى منتصفها منتزه جميل به فسقيتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع النظارات وامامه سراى الملك (وهى محكمة البناء متقنة الصناعة) وسراى مجمع العلوم والفنون المشيدتان خلف الساحة الملكية المقام وفي وسطها تمثال (جودوفروا دوبويون) الشهير بنصراته فى الحروب الصليبيه وامام هذا التمثال فندق (البدفو) الذى اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن

فهي التى سعت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام ١٨٣٠ ومن هذا الحين ظهرت الدولة البلجيكية بين الدول الاوروبية دستورية حيث أصبحت كأتم الدول نظاماً لها مجلس شيوخ ومجلس نواب ومحاكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها الحق والانصاف

ومن يوم ان تم لها هذا الظفر العظيم ابتدأ البلجيكيون فى تنظيم بلادهم كما تهوى نفوسهم وقد تم لهم ذلك حتى أصبحت كل مدينة من مدائنهم قرة النواظر ومسرة الخواطر وأخصها بالذكر مدينة بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد بلغت من النظافة وحسن الرونق مبلغ باريز على عظمها وكبرها وتفردها بين مثيلاتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها وأغلب زائريها باريز الصغرى أو بنت باريز

وصلتها بعد ان تركت العاصمة الكبرى بست ساعات ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقة بالزيارة فسيحة شوارعها متوسطة الارتفاع مساكنها جميلة

في مقدمة المخلصين لحكومة الجمهورية المعترفين بخدمتها للعلم والاختراع

واني أرى ان حبهم للفرنسيس يعد واجباً من أقدس واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلت من شأنهم وخدمت بلادهم في القرون الخالية وفي هذا القرن الحاضر الذي لم تتم السنة الثلاثون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة منظمة قائمة بذاتها بعد ان رأت من الهولانديين أنواع العذاب

عاشت بلاد بلجيكا دهراً طويلاً تحت سلطة الرومانيين والفرنساويين والاسبانيين وتجزأت مقاطعات صغيرة حيناً من الزمن ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ودامت خاضعة لسلطانها الى ان فصلتها عنها معاهدة فينا سنة ١٨١٥ وضمتها لهولاندة يحكمها أميرها وتسوسها قوانينها ونواميسها الى أن قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الاسد بعد طويل نومه وعميق رقاده وثارت على الظلمة حكامها مطالبة بحريتها وحقوقها التي سنها لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة

وقد رأت عندئذ من فرنسا العضد القوي والسند المتين

والصناعة وشواطئها مرسى السفن العديدة التى تنقل منها الى البلاد الاخرى مااشتهر من بضائعها بالحسن والاتقان

وهي كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز عن جميعها بحمامات أوستند التى ينزل بها فى فصل الصيف أعظم الملوك والامراء وأكابر الموسرين والاغنياء طلباً للتمتع بمياهها ومشاهدة مناظرها الجميلة وحبا في استنشاق هوائها والتروض فى رياضها الفيحاء فهي سلابة للب من زارها خلابة لعقل من حل وأقام بربوعها وقد عشقها ليوبولد لاول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصراً بالغ الكتاب فى وصفه وتبيان وضعه وحسنه

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من دماثة الاخلاق ووداعة الطباع مبلغاً ميزهم عن سائر الامم الاوروبية وجعلهم محبوبين مكرمين بين الجميع فتراهم يعززون الزائر لديارهم ويبالغون في اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول الاقامة فى بلادهم والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم أكثرهم اللغة الفرنساوية ويحبون الفرنساويين حبا يضعهم

أسبوع آخر حتى نشرت الاهرام الرسالة الثالثه في عدديها ٤٩٨١ — ٤٩٨٤ بتاريخ ٣١ يوليه و٣ أغسطس من السنة المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثالثة

﴿ بلجيكا وعاصمتها ﴾

« بلاد البلجيكا هى من البلاد الصغيرة التى اشتهرت فى الوجود بموقعها الجغرافى الجميل الذى جعلها ميدانا تتسابق فيه رجال التجارة والصناعة فلذا كانت أول بلاد في العالم مزدحمة بالخلائق حيث فيها مع صغر مساحتها ستة ملايين من الانفس أى مايقرب من سكان القطر المصرى ولتجارتها وصناعتها شهرة ذائعة وصيت بعيد وبها من معامل الحديد والفحم الحجرى والورق مالا يعد ولا يحصى وبها من أشياء الزخرف ماازدحمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها وشواطىء هولانده والدنمرك وانكلترا

وبالجملة فداخلها مجال المجاراة والتسابق فى التجارة

مشرقه الى مغربه ومن شماله لجنوبه ولا أزهاره وأشجاره البديعة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على فخامته وعظمته المعروضة للقراء الكرام

ولم أستطع فى اليوم الذى أقمته بهذه المدينة التى تعد ثانية باريز رؤية شيء آخر غير المعرض الا مقتل رئيس الجمهورية فقد شاهدته ساعة سفري ووقفت به لحظة تخيلت فيها الرجل البريء المحبوب راكباً عربته والشقى كازيريو هاجماً عليه بخنجره والدم يسيل منه وهو دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب الطاهرة وهنا سنحت لى فكرة وهي انه ان دام الحال على هذا المنوال فلاشك ان القرن العشرين سيكون مرسحاً لفظائع الفوضويين ومجالا لأعمالهم التى رأينا مقدماتها ولسنا ندرى ماذا تكون نتائجها والسلام

ليون فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ مصطفى كامل »

*
* *

وقد أعجب الناس بهذه الرسالة الثانية اعجابا كبيرا وأخذ اسمه يذكر فى المجالس بالاجلال والاعجاب . ومامر

من الخشب يحسبها الزائر أفيالا حقيقية تجر العربات ولكنها تسير بفعل الكهرباء

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية متى دخلتها حسبت انك فى وسط السودان والاطفال (السود طبعاً) تأتيك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك لا تلبث قليلا حتى تندهش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية وينطقها بمنطق لطيف يستوجب الغرابة لاسيما متى علمت انهم لم يتعلموا كل ذلك الا فى زمن المعرض وعلى يمين هذه القرية قرى أخري داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية وملعب أنامى لم أسعد برؤيته لأني زرته وقت الظهر أى قبيل سفري الى باريز بساعتين حيث كان الاهلون يأكلون وقد شاهدت أكلهم العجيب لاسيماأكل الارز وهو من الغرابة بمكان

الى هنا يقف القلم عن التحرير لان ماذكروحده يكفي لمعرفة قدر هذا المعرض الفريد الفائض بالعجائب والغرائب

ولست بذاكر جماله فى الليل وهو مضاء بالكهرباء من أوله الى آخره ولا عربات الترموای الجميلة التي تقطعه من

الوجود ولا حضارة في المجتمع البشرى مادام الناس هكذا يفترس بعضهم البعض الآخر

وفي أسفل هـذا المنظر ترى بيهنزن مصورا فى جهـة جالسا على كرسيه ورجاله وأتباعه من حوله وفى جهة أخرى تراه يقتل أمه لتذهب الى الجحيم وتخبر أباه بأنه سيسلم نفسه للفرنساويين

وثالثها منظر تتويج قيصر الروسيا وهو منظر جميل جداً ترى فيه القيصر واقفاً والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته الملوكية وأمامه القسيس الاكبر وبجواره عظماء رجال الدولة والخلق مزدحم والجند مصطف بكثرة على أتم نظام مما يمثل هذا التتويج كمال التمثيل

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائي يحسب الانسان نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى أمامه قرية عربية وملعبا تركياً يشبه ملعب عبد العزيز كمال الشبه ويرى بجوارهما مكانا أشبه بسكة تمبكتو وهي عبارة عن شريط من الحديد على شكل دائرة وعليه عربات كبيرة تجرها أفيال

فرنسا العام وبه ترى الخيام مضروبة والاسرة موضوعة فى عربات المرضى المختلفة .وعلى جانبه يرى الزائر ثلاث قناطر فى غاية الرونق والبهاء

أولها منظر حرب الليل بين الالمان والفرنساويين سنة السبعين وبه يرى الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم عديدون والقوم يقتتلون كالوحوش وربما قتل الجندى أخاه الذى من جنسه ظانا أنه عدوه مما تمجه نفس كل امرىء عرف ماهية الانسانية

وثانيها منظر واقعة دجبا وهي الواقعة الشهيرة التي سالت فيها الدماء أنهاراً بين الفرنساويين والداهوميين وقتل فيها القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها ترى العبيد وهم كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شيء امامهم حتى على المدافع لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون امامهم لا ييأسون بل يطعنونهم الطعن البليغ فى كل جزء من الجسم والدم يسيل من كل الجهات بحيث ان المشاهد لهذا المنظر لابد ان يعترف في الحال بان لا مدنية فى

كثيراً عن معروضات سراى الجزائر

وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبهم الجمال كأنهم فى الصحراء

وامام سراى تونس ترى قهوة رقص تونسية زرتها في الليل فلم أر فيها الا كل قبيح مستهجن

ويلى السراى التونسية سراى الانام التونكين وهي سراى حمراء جميلة جداً مرسوم عليها صور الفيلة الضخمة وحراسها من الانامیين (وهم يختلفون كثيراً فى تقطيع الخلقة عن الصينيين) ويشاهد الزائر لهذه السراي في جهة اليمين المنسوجات والحبوب وانواع العاج معروضة بترتيب حسن وفي الوسط المكتبة الاستعمارية الجامعة لكل المؤلفات والتقارير المتعلقة بالمستعمرات وقد استفدت من زيارتها جملة فوائد. وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبونج وبه من أنواع الحرير والدخان وخشب الصباغة والاسلحة والعاج وأجلة الفيلة مايدهش الانظار ويزيد فى تيار الافكار

وبجوار سراى الانام التونكين يوجد محل اتحاد نساء

المتنوعة النفيسة وتحتوى على الاسلحة العربية والطيور الشرقية المصبرة والاقمشة البهية . وهذه السراى بنيت على مثال سراي (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف

وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد تكلمت معهم بالعربية فأول شيء سألوني عنه تقليدنا للافرنج فى الملابس فأجبتهم جواباً فى الحقيقة غير مقنع وتركتهم وخرجت

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائرين أقمشة وأشياء متنوعة جزائرية

ويلي هذه السراى سراى المستعمرات الصغيرة وهي تشتمل على معروضات السودان والكونغو وغينا والجوادلوب وليس بها شيء مهم يستحق الذكر بل كل مافيها أمتعة سودانية كالمعهودة لدينا

وتأتي بعدها سراى تونس وهي عربية الشكل جميلة الوضع بجوار بابها مأذنة فى غاية الظرف ومعروضاتها لاتختلف

وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحقد والحسد وذهبت غنيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات المستحكم بين أهلها القائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول ذلك ولا أنكر على القارىء الكريم أسفي وحزني عند رؤية هذا المعرض الاستعماري وان كنت رأيت منه معرضاً جميلا جليلا حقيقاً بالرؤية والزيارة

وكما ان أبناء فرنسا يفرحون برؤيته وأبناء الشرق يحزنون لرؤيته فلاعجب اذا اشتركت الفلاسفة مع أبناء الشرق فى حزنهم وأسفهم فهم يرون دائما فى الفتوح جريمة لاتغتفر وفي الاستعمار اثماً يبقى مابقيت الساعات والايام

معرض الاستعمار الذى وقفنا امام جسامته وفخامته موضوع على شارع واحد بحيث يسهل على الزائر رؤيته بدون تعب وانتقال كبير وأول مايرى فيه سراى الجزائر وهى بشكلها العربي الجميل وهيأتها الشرقية البديعة تشتمل على أنواع الصوف والرخام والجلود والابسطة والثمار والحبوب الجزائرية وعلى مافي هذه البلاد من الاخشاب

وفى كل هذه المناظر الاربعة الصور مصنوعة من الشمع المضاء بالكهرباء وغير هذا المعرض معرض المساعدة العمومية والاقتصاد الاجتماعي ومعرض الالات الزراعية التى ترى بجواره ملبناً به ثور من غرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلوجرام

ومما يحاكى هذه المعارض الصغيرة من الاهمية معرض السكك الحديدية وبه ترى الشريط الحديدي والقطارات مختلفة

وكذلك معرض الفحم الحجرى. ملك شركة (لالوار) فانه فى غاية الاهمية ويسر النزول فى باطنه ولكنه يتعب النفس.

ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى متفرقة حول القبة الجامعة لم أزرها لضيق الوقت ولعدم أهميتها

ولننتقل الآن الى المعرض الاستعمارى. لاشك انه يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعمارى ان يظهروا نخارهم بأوطانهم ولاغرو ان ازدادت محبتهم لبلادهم برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حقيقة قوتهم وكبير فتوحاتهم وعظيم نصراتهم كما انه يحق للشرق عند زيارة هذا المعرض ان يبكى بلاده وأوطانه ويندب قومه

للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين

وخلف القبة رأيت اشياء جمة أهمها معرض (جاكار) وجاكار هذا هو مخترع آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد البيضاء على مدينة ليون بل على العالم أجمع يراه الزائر فى اول منظر وهو يشتغل بتحسين آلةالنسيج اختراعه ويراه فى منظر ثان جالساً على كرسيه يندب ابنه الذى قتل مدافعاً عن وطنه وفى منظر ثالث يراه واقفاً والصناع تريد قتله والقاءه فى نهر الرون لانه باختراعه آلة النسيج حرمهم من كسب معاشهم فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم بنت تريد طعنه بخنجرها وخلف الجميع صديق له يريد تخليصه من بين أيديهم مما يثبت قول علماء الاقتصاد السياسى من ان الاختراع تقليل عدد الصناع وان الصناع أعداء الاختراع

وفى منظر اخير ترى جاكار واقفا فى حجرته الصغيرة الحقيرة يستقبل لازار كارنو الشهير (جد نقيد فرنسا سدى كارنو أحد رؤساء الجمهورية) مما يبرهن على ان رجال الصناعة والاختراع هم دائماً موضوع التجلة والاحترام

على القارىء اللبيب ان مدينة ليون هي أشهر مدن الدنيا بمنسوجاتها الحريرية فلذلك لا يلزمنى أن أقول ان هذا المعرض هو أجمل شيء فى مجموعة المعرض الليونى او أن وجود نظيره في معرض آخر من المستحيلات. ويليه معرض الملابس ومتعلقاتها فمعرض الصباغة فمعرض الاوراق والطباعة فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والفولوسيبيد فمعرض الكيميا وآلاتها المتنوعة فمعرض العدد والآلات فمعرض المعادن فمعرض الميكانيكة العامة فمعرض الاواني فمعرض الاثاث فمعرض الاغذية فمعرض التقطير فمعرض الانسجة

هذه هى المعارض الجزئية المشتملة عليها القبة الفريدة ولا شك أن الزائر يندهش من جسامة هذه المعارض كلها لاسيما عند زيارته لمعرض الحرير فانه يرى حقيقة أهمية مدينة ليون وكيف أنها تفوق مدن ايطاليا والنمسا وغيرهما فى صناعة الحرير بصناعها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها المتعددة التى لا توجد فى غيرها من المدائن وخارج القبة محل

بالخطوة البعيدة والشأو الكبير . فما هذا الرتاج الكبير المحكم البرقع المتقن الصنع الذي من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل ماهذه القبة العالية البنيان المشيدة الاركان الدالة بأظهر بيان على مقدرة يد الانسان . قبة فريدة فى جمالها وحيدة فى جلالها حوت من المعروضات البدائع والغرائب واشتملت على المعجزات والعجائب فلتفتخر مدينة ليون بقبتها التى أصبحت تنافس من باريز برج ايفل

ولعمرى انها لآية من الآيات التي يعجز تلمى عن توفيتها حقها وتقديرها حق قدرها

وهذه القبة دائرة محيطها واسع داخلها خمس دوائر متوازية متناسبة مع بعضها كل التناسب فى وسطها فسقية جميلة يرتفع فى مركزها عمود أحسن تشييده يصل الى نصف فراغ القبة

وهى تنقسم الى ستة عشر قسماً فى كل قسم منها معرض قائم بذاته نكتفي هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل لوقت آخر

اول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى

واضعاً يده على البيانو

ويلي معرض العمي والخرس معرض الحديقة النباتية المدرسى لمدينة ليون فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب فمعرض مدرسة التجارة العليا وتنتهى هذه المعارض كلها بمعرض مدرسة المارتينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى باحدي جهاته تلامذة من الخشب فى غاية التناسب جالسين على كراسيهم وبيدهم الكراسات يكتبون عليها مايلقيه عليهم الاستاذ وفي جهة أخرى تري تلامذة يحضرون الاحماض والغازات ومدرس الكيميا يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر الزائرين عموماً والمشتغلين بالتعلم والعلم خصوصاً

وبجوار هذا المعرض ترى محلا لاصحاب الجرائد به صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف

متى زرت كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينة ليون ونهر الرون تري نفسك واقفا امام القبة الكبيرة المشتملة فى باطنها على المعروضات الحقيقية المختلفة الانواع والاجناس ومتى جعلها الزائر وجهته يري منها صنعا بديعاً يشهد للصناعة

أما قسم مدينة باريز ففيه معرض المصنوعات المدرسية والاشغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطبية التي بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسي وأمامه مرآة يحسبه الزائر حيا وهو في الحقيقة ميت محنط . وقد زرت هذا المعرض فى الصباح وكنت وحدي داخل القاعة فحسبت هذا الرجل حارساً للمكان ولكني بعد ان زرت كلما بالقاعة رأيته كما هو لا يبدي حراكا فأخذت أتقدم منه شيئا فشيئا وهو لا يتحرك مطلقاً حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية عن متوسط عدد الزوار فى اليوم فلم يجب فلمسته بيدي فلم يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحي وانما هو شبه حي فتركته وخرجت معجباً بقوة التحنيط التي جعلتني أحسب الميت حيا مدة ساعة من الزمان

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون فاحسن ما بهما المعرض التاريخي للمدينة ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتمل على مدرسة العمي والخرس بما فيه من كتب تعليمهم وألواحهم التي يقرأون فيها وهنا نرى تمثال شاب أعمى يكتب وآخر

يمينه كما قلنا جملة سبل بينها طريق متسع عظيم هو طريق معرض اليمين ولا يلبث الزائر ماشيا فيه حتى يرى من الجانبين أبنية مرتفعة ومساكن مختلفة أما الوسط فيرى فيه فسقية في غاية الظرف بها تماثيل مصنوعة تخرج من أفواهها المياه بشكل بديع ومنظر جميل وهنا ترى أمامك قبة عالية هي بيت القصيد بل هي الغرض المقصود بالذات وأما ما بقي فزوائد أضيفت كحلية

ولننظر قبل الوصول اليها فيما على يميننا وما على يسارنا أما اليمين فأهم ما به معرض صيني وياباني صغير به مصنوعات الصين واليابان ما تعودنا رؤيتـه في بلادنا من الاقمشة البهية ذات النقوش البديعـة المصورة لاهلها آكلين متخاطبين متنزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الاقصى

وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الـكتب والصور والتماثيل ما يضيق العد عن حصره . وخلفه قبة طيارة تصعد الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كله مرة واحدة ومشاهدة منظره من أعلى . وأما جهة الشمال فأجدر شيء بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون

معرض ليون هذا موضوع فى حديقة مجاورة للمدينة هي عادة متنزه سكان ليون وفي وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة التيت دور (رأس الذهب) فيها جزر صغيرة غاية فى البهجة والحسن وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هـذه البحيرة فى وسطه فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة

فمتى وقف الانسان أمامه رآى بابه ضخماً عظيماً مكوناً من عمودين أتقن صنعهما بحيث ان الرأي لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الاهميـة بمكان وبجوار البـاب يرى تمثالا أقيم لابناء نهر الرون (الذي عليه مدينة ليون) الذين أحسنوا الدفاع عن الاوطان في حرب السبعين

ومتى دخل الزائر من هـذا البـاب العظيم يرى أمامه البحيرة وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعا متسعا أما جهة اليمين ففيها المعرض الصناعى التجاري الدولى وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاستعمارى

ولنزر أولا معرض اليمين ثم نتبع زيارته زيارة معرض الشمال متى جعل الانسان أمامه البحيرة وخلفه الباب رأى على

الوضع مبلغاً كبيراً فقضيت فيه الليلة حتى اذا ما أشرق وجه الارض قصدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع قاصداً مدينة ليون مركز المعرض الدولي الاستعماري الذى ذهب من أجله أطيب الفرنساويين عنصرا فريسة النهوض

وقد وصلتها في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبثت فيها يوماً كاملا لازمني فيه ماجد من أفاضل المصريين تمكنت معه من زيارة المعرض زيارة تامة كشفت لي القناع عن بعض أسراره العديدة التى تطلب للوقوف عليها كلها أياما معدودات

وقد أعجبني من هذا المعرض الفريد كل شىء فيه فلم يلح لي انتقاد ما بل رأيته كله محكماً فى صنعه مرتبا فى وضعه يسر الناظرين ويرضى العارضين

وبما أني فرضت على نفسى الكتابة فى سياحتى وتصوير ما يراه العيان الى القراء الكرام تصويراً يظهر لهم حالة المدنية الاوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتى هذه للكلام على المعرض بغاية الايجاز لان المقام لا يدعو الى الاطناب

وقد نشرت جريدة الاهرام نبأ هذا النجاح بمحليات عـددها ٤٩٧٦ الصادر فى يوم الاربعاء ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٤ وهذا نصه :

« جاءنا من باريز ان حضرة الاديب البارع مصطفى أفندى كامل صاحب جريدة المدرسـة قد أتم امتحانه الثاني فى علم الحقوق بنجاح باهر يشهد بذكائه واجتهاده ويسر جميع أصدقائه فمنا لحضرته خالص التهنئة »

وقد أرسل لجريدة الاهرام الرسالة الثانية من رسائل سياحته في هذا الصـيف فنشرتها فى عدديها ٤٩٧٢ و٤٩٧٣ الصادرين في ٢٠ و٢١ يوليه من السنة المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثانية

﴿ معرض ليون ﴾

« بلغت هذه العاصمة البـديعة مساء السبت بعد ان تركت البحر فى منتصف ليلة الجمعة حيث تركت فيـه العناء والنصب وطلبت الراحة فى نزل بلغ من جمال الرونق وحسن

مما يدل على انها أصبحت لازمة من أهم لوازم الوجود التى لامندوحة عنها ويا ليت للباخرة جريدة (ولو هزلية) تسلينا عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كاملات عن أخبار المعمورة بأسرها فلا ندرى منها شيئاما »

كتب بباخرة الجيروند فى ٥ يوليو سنة ١٨٩٤

(مصطفى كامل)

صاحب جريدة المدرسة

*
* *

ما نشرت هذه الرسالة حتى أخذ أصدقاؤه يعجبون به اعجاباً كبيرا وينتظرون من مواهبه العالية أن يقوم لبلاده بأعظم خدمة كما ان كل مصرى كان يترقب جريدة الاهرام ليقرأ فيها رسائله التى فيها معنى الحياة وروح الصدق وقوة الشهامة ومحبة الاوطان

نجح رحمه الله في ١٤ يوليه سنة ١٨٩٤ في امتحان السنة الثانية بمدرسة الحقوق وقد جاءنا منه تلغرافا يعرب عن هذا النجاح فحمدنا الله على ذلك وسألناه ان يهبه من لدنه فوزاً مبيناً

ولولا الثلاثاء ما رأينا الاربعاء

وأما يومنا هذا خاتمة أيام البحر فمعتـدل الهواء صحو الجو والسماء عـديم الموج ساكن الماء ليس بأقل من سابقيه لطفا وحسنا مررنا في صبيحته من بوغاز (بونيفاسيو) وشاهدنا شواطىء جزيرتي قورصا وسردينيا

وهانحن الآن امام شواطيء فرنسا البديعة الجمال ولم يبق الا القليل حتى نهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك الارض الثابتة التى عرفناها أرض الجمال والبهاء ذات الهيئات الطبيعية الجمة والمحاسن العديدة

هذه جملة نقـدمها للقراء الـكرام على البحر وما رأينا فيـه من بؤس وأنس ولم يكن يسلينا فيـه شيء آخر سوى قراءة بعض الـكتب ومشاهـدة الجزر المختلفـة والسفن المتنوعة التى كانت تمر على مقربة منا

أما منظر شروق الشمس وغروبها فقد كان من أجمـل المناظر التى بهرت السياح في أيام الصفاء

وأما اشتياق الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل اشتياق

ولاشك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال

وقد دام البحر هكذا ساكناً هادئاً يرينا من أنواع السرور ما لم نكن نظن رؤيته قبل هذا اليوم السعيدوقد توج ليله البهى بعد ان أرانا شواطىء ايطاليا الجميلة بمرورنا من بوغاز (مسينا) حيث لقينا منه منظراً بحرياً جميلا وبوغازاً خلق على أبدع مثال حليته مدينتان متقابلتان مدينة مسينا ومدينة (رجيو) يراهما المار ليلا كأنهما عروسان عليهما من الحلل والحلى ما يبهج الناظرين ويبهر الرائين وقد ظهرتا تتشاطران الخلال وتتنافسان فى الحسن والجمال تسطع منهما الانوار وهى كالدر المرصع أو كالنجوم الزاهرة فى السماء تركناهما بعد ان متعنا النظر برؤيتهما ساعة كاملة كانتا فيها موضوع الاعجاب بجمالهما الفريد وحسنهما البديع

وأما اليوم الرابع فكانه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على حال اكثر اعتدالا وأعظم جمالا فاصبح لجة من الماء ساكنة يشقها البخار شقاً ويقطعها قطعاً دون أن تبدى حراكا ولكنه مهما بالغ فى الاكرام وأحسن في الضيافة فالفضل للمتقدم

المتسع الارجاء البعيد الانحاء الحقيق بان يسمى صحارى الماء (كما يسميه أفاضل الشعراء)

واذا كان شاعر فرنسا الشهير (لامارتين) يسمى البحار مقلة الطبيعة لانهـا من وجهها كالعين من وجه الانسان فلا شك ان البحر الابيض المتوسط أحق من سواه بان يكون سواد هـذه المقلة العظمى لانه أعظم البحار أهمية واكبرها فائدة ونفعاً لما له من الايادي البيضاء على بنى الانسان فهو رائد التجارة وقائد الامم لطرق الحضارة وأصل شجرة التمدن الذي يتكرم باهداء ثمرتها النضرة للبلدان التى يختارها حسب ما يرى عند افراد الامم من نشاط وغيرة

أذكر ذلك وآسف شديد الاسف من أن هذا البحر الغزير الخيرات صاحب القوة والملك الكبير غضب على وطننا العزيز غضباً طويلا فلم يعترف لابنائه بفضـل ولم يشهد لهم بكمال حتى يهبنا الحرية الحقيقيـة والمدنيـة الصادقة ويعيد لنا مافات في سالف الاوقات من المجـد الـكبير والمقام الخطير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار فنـداويه باتحادنا

ترددها المعهود واحمرارها المشهود وقد استمر ليل هذا اليوم الثاني مخلصاً فى وداده رؤوفاً فى معاملته ولم يكفه رعاه الله لطفه الذى حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم الثالث فظهر كريم السجايا جميل العواطف رخاء ريحه صحو جوه ساكن ماؤه يكاد ينسينا ما لاقيناه من شديد التعب وعظيم النصب

وفى هذا اليوم الذى نعده نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق كان اخفاها الدوار في غرف النوم وكلها آنسة مستبشرة آمنة مطمئنة لا شيء يكدرها سوى ذكر اليوم الاول وصبيحة الثاني ولهذا نرى معنى جواب كل فرد منهم ان سألته عما لقي من النصب

هول شديد مضى ما عدت أذكره

طول الحياة لئلا يرجع الكدر

دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله قد فات ولا شك ان ما فات يدخل فى عداد الرفاة لا بعثه الله ولا أحياه . وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا البحر

اللحظات بل دام يصعد بالباخرة نحو السماء فلا نرى الا ماء وينزل بها نحو الماء فلا نرى الا سماء حتى أذعن كل السكان الى دواره وناموا متفرقين بعضهم على السطح والبعض الآخر فى غرف النوم ان رأيتهم حسبتهم سكارى وماهم بسكاري ولكنهم فى بحار الدوار تائهون لاحراك بهم ولاهم يفقهون

تلك حالة أغلب السياح فى اليوم الاول وفى شطر من الثاني والجارية لايراها من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء

وما انتصف يوم الاثنين وأخذت الغزالة تبعث أشعتها العمودية حتى ظهرت جزيرة كريد بجبالها الشامخة المتوجة بالثلج المستديم الذي يراه السائح وقت الظهر وقد انعكست عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من التبر الخالص

وقد دنت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرتها وثروتها عن الذكر فسرحنا فيها الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على أتم سكينة ونحن فى حماها على أكمل نعمة

وما احتجبت عن النواظر حتى غربت الشمس بعد

التى تقلنا فاذا هى كما عهدنا مثيلتها فى السنة الماضية بلد متسع يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل مايحتاج اليه الانسان من رفيق موافق وجليس أنيس وكتاب يشفى الهموم ويطرد الاحزان ومأكل ومشرب كما تهوى نفوس الآكلين والشاربين ومبيت لا يتعب كثيراً فهى أشبه شىء بجزيرة متحركة يصح ان يطلق عليها اسم جزيرة الجيروند وعلى من يسكنها أمة الجيروند (باسم الباخرة) الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن تربطها رابطة من الروابط غير رابطة دوار البحر ولعب الاحشاء ولكن الباخرة على كمال استعدادها بها عيب عظيم وأظنه عاماً فى كل الجوارى المنشآت وهو أنها متى توسطت هذا البحر المتلاطم بالامواج لعبت ذات اليمين وذات الشمال كما تلعب الارجوحة بالاطفال وبلعبها تلعب أمعاء من أقلته من ذكر وأنثى

وليعذرني القارىء الكريم اذا لم أستطع تمثيل حالة البحر في اليوم الاول وفى نصف الثاني فقد كان شديد الموج عظيم الريح مضطرب الحركة قوى السلطان لم يصف لحظة من

تسلب عقولنا وتخلب مداركنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية وربوعنا الباهية تغيب عن أعيننا شيئا فشيئا حتى تختفى تحت حجاب من الماء سميك وينعدم وجودها من بين الصور العينية بعد ان كانت واقعة تحت المرأى لايحجبها عن العيون حجاب لعمرى ان اختفاءها مما يدعو لسكب الدمع وضياع الرشد وباختفائها تختفى عنا أوطان يعز علينا فراقها فيها نشأنا ومنها ظهرنا وبخيرها تمتعنا واليها ترجع آمالنا فهى محط رحالنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدينا وأحبهم الينا هي بلادنا بلاد الخيرات التى لاتعادلها بلاد ولا تحاكيها ديار عذب ماؤها عزيز برها نقي هواؤها طيب مناخها تركناها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث أودعناها فؤادا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها ان تبقي دائما كما عهدناها شفوقة علينا ذاكرة لنا حتى نعود اليها سالمين كما غادرناها بنعمة منها وافية

احتجبت عنا هذه المواطن العزيزة بعد ساعتين من خروج السفينة من البوغاز فأجلنا الطرف فى انحاء هذه الباخرة

ألا أيها البحر العظيم بنا اتئد
فمصر تجلى للعيون بهاؤها

تمهل فمصر موطن العز والندى
ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها

بلادى حماك الله من كل غادر
وأبقاك للدنيا فأنت سناؤها

أغادر منك الثغر والقلب شيق
وعينى يجارى هاطل الغيث ماؤها

فرفقا بمن في البر والبحر مخلص
يرى مصر شمساً لايحاكى ضياؤها

عليك سلامى يا ديار تحية
تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل مظهرها تستوقف الابصار عند مغادرتها وتخطف الانظار ساعة الخروج من بوغازها لاسيما أنظارنا أبناء النيل حيث

ليلة فى الثغر وفي يوم الاثنين ٢ يوليو ركب المترجم احدى بواخر الشركة الفرنساوية قاصداً بلاد الحرية فودعناه وودعنا داعين له بالنجاح والسعادة

كتب رحمه الله رسالة وهو على ظهر هذه الباخرة بعث بها الى جريدة الاهرام وقد نشرتها بعددها ٤٩٦٧ الصادر فى ١٤ يوليه سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

الرسالة الاولى

(البحر)

أودع أوطانا يسوء وداعها
وأترك أمصاراً يسر لقاؤها
واركب بحراً بره موطن الندى
وأمته عم البلاد سخاؤها
يذكرني منه الصفاء مراتعاً
بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها

الحقوق مناقشة تمسك فيها كل منهما برأيه وغضب له فأسر عاصم باشا في نفسه أن يعاكس المترجم

ولما جاء الموعد أدى الامتحان فى كل علم على ما يرام ولكنه أعطي فى ذلك الفرع درجة لا تؤذن لمن يعطاها بالانتقال من سنة الى سنة أعلى ولاحظ الاساتذة جميعاً أنه ظلم ظلماً مبيناً . فأبى شممه الا أن يترك مدرسة الحقوق الخديوية ويمضى امتحان السنتين الباقيتين له في مدرسة الحقوق الفرنسية فى سنة واحدة وهى سنة ١٨٩٤ لينال شهادة الحقوق قبل أقرانه طلاب المدرسة الاميرية بسنة وكاشف أخاه بهذه النية فأقره عليها على ما فيها من الاضرار بصحته ولكن الارادة القوية تصنع كل شيء ولا تعوق المرء عن عمله مهما كلفه من ضياع الصحة والنفيس

ثم قصد السفر الى فرنسا فرافقه الى الاسكندرية يوم الاحد أول يوليو سنة ١٨٩٤ حضرات أشقائه حسين بك والمرحوم الدكتور عبد الفتاح فتحي وكاتب هذه السطور ومعنا الكثيرون من الاقربين والاصدقاء وقد أمضينا

لزيارته كأننا كان لهم قريناً في المدرسة أو رصيفاً فى العمل ولا عجب فان الله تعالى اذا أراد تبجيل امرىء وهبه عقلا كبيراً وقلباً شريفاً وروحاً علية تحبب الناس فيه وتجذبهم اليه

ومما قصه علي رحمه الله أنه كان يأخذ الجرائد معه فى المدرسة وينتهز لقراءتها فرص الفسحة وبعض الحصص حين يحتدم الجدال والمناقشة بين التلميذ والاستاذ . وقد ناداه مرة حضرة استاذه الكبير صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حسونه النواوى (شيخ الجامع الازهر حالا) ليفسر قضية من قضايا الشريعة الاسلامية فاعتذر من عدم الجواب لاشتغاله بما بين يديه من الجرائد اشتغالا عاقه عن الاصغاء لصوت حضرته فمشى الاستاذ الى حيث كان جالساً وراٰه منكباً على مطالعة ما معه فقال له أراك تشتغل بالجرائد كثيراً فهل تريد أن تكون بعد الدراسة صحافياً فسأله المرحوم المعذرة ولم ينثن عن متابعة القراءة

وقد وقعت بينه وبين المرحوم حسن باشا عاصم بمنزل المرحوم لطيف باشا سليم قبيل الامتحان العمومي لمدرسة

وكان يقول له أديب وقته المرحوم الشيخ على الليثى انك أوتيت ذكاء يقرب منك البعيد ويظهر لك الخفى وحجة بها تسكت من ناقشك وتفحم من جادلك ويقص عليه أحاديث الصبا وسير عدل الملوك في صفائهم وجورهم فى غضبهم ونحو هذا مما حبب اليه التعلق بكبار الاعمال

وعرف أيضا فى تلك الاثناء سعادة الهمام المفضال محمود باشا شكري فالتقت نفساهما وتبادل الاثنان الاحترام : فهذا يكبر فى ذاك وقار الابوة وذاك يكبر في هذا نجابة البنوة

وقد رسم المترجم لنفسه أثناء اختلافه الى من تقدمت معنا أسماؤهم خطة من يسمع ليتعلم فكان يسمع أحاديثهم طويلا ولا يتكلم الا قليلا حتى اذا درس الامور ومارس ما هناك أصبح هو المتكلم وغيره السامع . وقد استفاد فوائد جليلة من هذه المخالّة لان ساعة واحدة فى مجلس من أمثال تلك المجالس تفيد المستفيد مالا يصل اليه فى سنين

ومن دلائل ما كان يلقاه منهم جميعا من الاحترام والاجلال انه كان اذا غاب عنهم أياماً قلائل قصدوا بيته

عظيم الامل كريم السجايا جليل المناقب فاضلا غيوراً ووطنياً مخلصاً وقد حفظ له التاريخ سيرة عاطرة وصفحة مذهبة وله من المناضلات لمصلحة الوطن فى مجلس الشورى ما يشهد له بصدق الغيرة وبعد النظر . وتعرف كذلك بنجله الوطنى الماجد والسرى الامثل عبد اللطيف بك الصوفاني الذي يشبه أباه الشبه كله في صفاته الممتازة . كما عرف غير من تقدم ذكرهم المرحوم حسن باشا عبد الرازق عضو الشورى عن مديرية المنيا معرفةوثيقة العرى وطيدة الدعائم واختلط به اختلاطاً كبيراً وكان يحترمه كثيراً لانه وقف منه على حقيقة وطنية باهرة . كان يجتمع بهؤلاء الرجال كلهم أو بعضهم كل يوم ويناقشهم فى مسائل عديدة ولسان حال الجميع اذ ذاك جريدة (المؤيد) التى كانت الجريدة الاسلامية الوحيدة كما كانت على جانب عظيم من الوطنية وصدق الجهاد والاخلاص في الخدمة مدافعة عن مصالح الامة لا بأحرف من مداد بل بأحرف من نار تارة وبأحرف من نور تارة أخرى

وقد أحبه كل الذين عرفوه وعرفهم على حداثة سنه

فانضم المرحوم الى هـذا المجتمع العظيم وهو فى السنة الثـامنة عشرة فرحاً مسروراً لانه كان لا يزال من طلاب العلم وأولئك علماء مشهورون فأخذ يكتب فى الجـرائد المقالات وينشر الاحاديث وكانت هذه وتلك شغله الشاغل

وتعرف المرحوم ببعض أفاضـل المصريين كسعادة اسماعيل باشا صـبرى الذى كان وكيلا لمحـكمة الاستئناف الاهليـة وقتئذ وأصحاب السعادة الغيورين الاماثل محمود بك سالم الذى كان قاضياً بمحكمة المنصورة المختلطة واسماعيل بك الشيمى الذى كان قاضياً بها اذ ذاك ومحمد بك مجـدى القـاضى بمحكمة الاستئناف الاهليـة ومحمد بك فريد أحد وكلاء النائب العمومي (رئيس الحزب الوطنى الآن) وصاحب الوجاهة محمود بك أنيس وحضرة المربي الفاضل محمد بك خلوصى وغـيرهم من كبـار رجال الحـكومة وصفوة رجال الامة . وتعرف كذلك ببعض أعضاء الشورى كالمرحوم احمد بك الصوفانى الذى كان وكيلا للمجلس وقد عرفه المصريون جميعاً كما عرفه الفقيد وعرفناه رجـلا كبير القلب عالى الهمة

أعمال السنة السياسية والعمرانية

السنة الأولى
١٨٩٤

فى هذه السنة والى الفقيد زياراته لصديقه فؤاد بك سليم بمنزل المرحوم والده فى سوق السلاح حيث كان مجتمع أعضاء الحزب الوطنى لأنه كان من ذوي النفوس الكبيرة العالية فضلا عن تضلعه من العلوم والمعارف على اختلاف أصنافها ونظره البعيد فى عواقب الامور الى ماتحلى به من الصفات الكريمة والمزايا السامية العظيمة ولأنه (أي المغفور له لطيف باشا سليم) كان يرى أنه لابد من تكوين حزب منظم يعمل لصالح البلاد ويدافع عن سمعتها وكرامتها أمام أوربا عامة وفرنسا خاصة . وكان هـذا الحزب العظيم يضم بين أعضائه الصحافي الماهر والخطيب المفوه والقاضى العادل والقانوني البارع وكلهم كانوا من خيرة رجال مصر

لأن كثرة النقود ربما أفسدت عليّ أمرى فضحك المدير وقال : « ان العاقل يغلب الشيطان » فاذا كان جيبك مملوءاً بالنقود وارادتك قوية بحيث تعتصم بها نمسك من الزلل المعرض له من كان مثلك كنت مثال الكمال أما اذا كنت مستقيما وأنت صفر اليد من المال فالفضل فى هذه الاستقامة لجيبك لا لرأسك . ثم لم يكد يمضى على ذلك شهر الا وقد زيد مرتبى مائة فرنك فى الشهر فأصبح خمسمائة فرنك وقد أدركت أن الاستقامة أكبر رأس مال . وما أعظم رجلا يملك مالا وعفة فى آن » . ثم التفت المرحوم الى المترجم وقال له : انصح لمن تقابله باتباع ما أنت عامل به من هذه النصائح الحكيمة وقص على اخوانك حكايتى هذه فانما الحسن من القصص ما كان محيياً للفضيلة مميتا للرذيلة : ثم أمر وكيله أن يرافق المترجم الى مكتبته الخصوصية ليختار منها أى كتاب شاء فسار اليها واختار كتاب (نفح الطيب) وانصرف مثنياً شاكراً مشيعاً بنظرات الاكبار

فأجابه : نعم . فقد أعطاني أخي الذي يحبني حبا جماً فوق ما كنت أريد من المال حتى انني عدت ومعي الشيء الكثير مما أخذت مع أنني قضيت مدة اقامتي هناك في أحسن الفنادق وركبت في ذهابي واياي أحسن البواخر فضلا عن اني اقتنيت كثيراً من نفائس الكتب التي تعينني فيما أنا بصدده ولم أنفق في غير ذلك درهما لانني طالب علم وأدب لا عاشق لهو وطرب

فارتاح ضمير ذلك الوزير الكبير لهذا الكلام العذب وقص على الحاضرين حكاية تشبه ماسمعوه فقال :

« أرسلتني الحكومة المصرية في عهد المغفور له محمد علي باشا رأس الأسرة الخديوية مع من أرسلت الى أوروبا لادرس فنون أركان الحرب وجعلت لي مرتباً شهريا قدره أربعمائة فرنك فكنت أحمل في جيبي مئتين وأبعث الى أهلي بالمئتين الأخريين ولما وجدت النقود كثيرة في جيبي ملت الى رؤية محلات اللهو وكاد الشيطان يوقعني في شركها فقصدت مدير الارسالية في الحال وسألته أن ينقص مرتبي

وقد سر الوزير سروراً كبيرا وأكبر الحاضرون — وفيهم من لم يكن يعرف المترجم بعد تلك الفصاحة التى كانت تفيض على لسانه وتلك الغيرة التي كانت تفيض من قلبه فقال له الوزير:

أصبت يامصطفى فيما قلت. ولا تنس أيضا أن أممامن أمم أوروبا لم تصل الى ما وصلت اليه اليوم الا بعد أن أهرقت دماؤهم فى سبيل الحرية فسرت فى الحقول ومنها تغذت النباتات التي يأكلونها وبها تضمخت الارض التى يسكنونها. فذلك الدم الذى يجري في عروقهم سواء كان من النباتات أو من أصولهم انما هو دم الحرية المشتراة بالانفس ودم المجد المفدى بالارواح. وانى يابنى أتمنى من صميم فؤادى أن يكون كل الذين يسافرون الى أوروبا من أبناء مصر مثلك يغوصون على الحقائق ليعودوا الى وطنهم المحبوب مزودين بها ويطالبون بحقوق البلاد لايخشون مستبدا غاشما ولا يخافون مغتصبا ظالما.

ثم قال له: هل كان فى جيبك نقود كثيرة عند ماسافرت ؟؟

التشجيع عند العامل من أى طبقة كان ولذلك ترى كلا منهم مجتهداً فى عمله فلا تشرق الشمس فى صباح كل يوم الا وقد انضجت القرائح اختراعاً أو أقامت الايدى عملا جليلا أوخططت العقول نهجا صالحا لمشروع صالح . أما نحن وصبراً جميلا يامصر فكما تعلم اذا طلب أحدنا من الحكومة طلبا تعادى الطالب واذا رأت فكرة حميدة تشتغل بتحقيقها الامة خلقت العراقيل وأوجدت الموانع حتى لتكاد هذه الامة العزيزة أن تختنق بغاز هذه السيطرة الغاشمة ومن شأن السلطة الاستبدادية أن تقتل المواهب والملكات وتخنق روح النبوغ فى الطبقات المستنيرة حتى تحكم خشبا مسندة لا أشخاصا يعقلون . وقد انفرجت مسافة الخلف بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة بهذا السبب وصارت الامة فى ناحية والحكومة فى ناحية . ولكن هذه الحالة لن تستمر طويلا وان لكل باغ مصرعا »

قال هذه الجملة الاخيرة وقد ظهرت الغيرة والحمية على وجهه فى صورة تدل على ماقام بنفسه اذ ذاك من الحماسة والتوقد

ألقي هذا السؤال وقد غمز بطرفه بعض القريبين منه كأنما هو كان يبغى أن يسمعهم من حيث لا يتوقعون صوت المترجم وهو يرتجل القول ارتجالا ويرسله على البديهة ارسالا: فنهض من مجلسه وقال مامعناه :

« تسألني ياسعادة الوزير لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن وأنت العليم بسبب التأخر عندنا وأسباب التقدم عندهم ؟؟

انهم تقدموا لان الحكومات هناك تشعر بما على عاتقها من المسؤلية امام الامم فلا تهضم لهم حقاً ولا تخلف معهم عهداً ولا تضن عليهم بمعونة ولا تستهين بما عليها من الواجبات وسعادة الوزير يعلم أن الهيئة الحاكمة فى كل مملكة من ممالك أوروبا قطعة من الهيئة المحكومة بينهما تأثر مشترك وحب متبادل . والحكومة خادمة للشعب لا سيدة عليه وكفي . فالكل هناك يعملون لمصلحة الوطن ووسائل التشجيع والتنشيط عندهم موفورة فالصانع المخترع يجازى والزارع المجتهد يجازى كذلك كما يجازى المؤلف المبتكر والعامل المبتدع وكل من يقوم بعمل عام . والمكافأة كما لا يخفى على أحد رأس مال

من التحصيل بسرعة ويعود الى وطنه المحبوب فيخدمه بما أوتي من عزم متين ورجاء مكين

وقد زار على أثر عودته المرحوم علي باشا مبارك وكان بيت هذا الوزير الكبير كما سلفت لنا الاشارة اليه منتجعا لرواد الفضل وشرعة لوراد الأدب . فلما دخل عليه هنأه بنجاحه الذي اتصلت به أنباؤه ثم سأله في ذلك الجمع المكون من خيرة رجال العصر قائلا :

ماذا رأيت يامصطفى فى أوربا ؟ أرأيت الناس هناك يسيرون على رؤوسهم وأرجلهم فى السماء وهل أرضهم من تبر وأرضنا ترب أم هم خلق آخر غير هؤلاء الخلق ؟؟

فأجابه المترجم جادا لاهازلا : كلا ياسعادة الوزير ـ فانى رأيت الناس هناك يسيرون كما نسير ولعل أرضنا أزكى من أرضهم تربا وأوفر خصبا وهم من حيث التكوين خلق مثلنا ... وانما (وأراد أن يسترسل فى بيان ماهناك) فقال له الوزير :

أتعرف اذاً لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن ؟ ؟

عاد رحمه الله من أوربا فى ٢ أغسطس سنة ١٨٩٣ مع الكثيرين من الذين سافروا معه لتمضية امتحان الحقوق فى باريس وقد حدثنا أكثرهم أنه كان هناك فى حياته الاجتماعية مثال النزاهة والكمال منصرفا عن اللهو غير ماد طرفه الى مستنكر ضنينا بقوته العقلية وقوته الجسمية أن ينفق أقل جزء منها فى غير التحصيل ولم يكن همه بعد أن يفرغ من دراسته كل يوم الا أن يزور مكتبة أو يتفقد معهداً أو يحادث ذا رأى فيما يتعلق بأمور بلاده وما هو قائم بنفسه نحوها من الاماني العظيمة والآمال الكبيرة وهو في كل حركة وسكنة ناظر بمنتهى الاعجاب الى تقدم القوم فى فنون الحضارة ورقيهم فى المعارف والعلوم متمن لمصر العزيزة مايتمناه لها كل وطنى صادق الحب مخلص الولاء مقتبس في غدواته وروحاته ما كان يأمل أن يفيد به أمته ووطنه فائدة كبيرة . وكان فى أثناء هذه المهاجرة فى طلب العلم لا يفتأ يذكر مصر ويمجد مصر ويدل على شرف مصر وهو اليها جم الحنين موفور القسط من الشوق يتعجل الايام ليفرغ

ديار العلم لترى نشاط القوم ومعدات حياتهم مما أسأل الله أن يهيء قومنا وبلادنا الى مثله

انك تعلم أيها الشقيق العزيز أن تعداد الامة الفرنسوية كتعداد أمتنا العزيزة خمس مرات ولكن لو علمت ان عدد طلاب الحقوق هنا فى هذا العام بلغ سبعة آلاف طالب فرنساوى وعندنا مائة وأربعة وثلاثون فقط لعرفت سر ارتقائهم وندبت سوء حظنا والسبب راجع الى اهمال حكومتنا أمر نشر العلم الذى هو ميزة الانسان عن كل المخلوقات بينما تحتم الحكومة الفرنسوية أن يكون التعليم الابتدائى اجباريا

اني تعرفت هنا بطلاب روسيين وبولونيين ويابانيين فرأيتهم جميعا منكبين على العلم ولكنى أؤكد لك ان المصرى أقواهم عارضة وأعلاهم ذكاء ولا ينقصه الا الارادة التي هي أس النجاح

اني سأعود بمشيئة الله على الباخرة الفرنساوية فى ١٧ أغسطس المقبل لأكون عندكم فى ٢٣ أو ٢٤ منه »

باريس فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣

يوم الجمعة ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٣ ليقضي الامتحان الاول بمدرسة الحقوق الفرنسوية في مدينة باريس وسافر معه شقيقه سعادة حسين بك واصف . وقد كنت فى جبل الطور وكان أخونا المرحوم عبد الفتاح افندي فتحي مريضاً اذ ذاك . ولما وصل الى باريس استقبله على المحطة هناك الكثيرون من أصدقائه وفي مقدمتهم صاحبا العزة محمد علي بك دولار (مدير ادارة الاوقاف الآن) وكامل بك فيضى (القاضى بالمحاكم حالا) وقد رافقاه الى شارع مالبرنش (Rue Malebranche) حيث نزل فى فندق شهير مع اخوانه الطلاب وهذا الشارع من الشوارع التى يسكنها الطلاب . وقد بعث الي من باريس بكتاب وصل الى فى الطور (وكنت أود أن أنشره برمته لولا أنه تأكل ولم يبق منه الا القليل) وهذه صورته :

« لم أكتب لك قبل تأدية الامتحان لانى اكتفيت بما كتبته لسيدى العزيز وأخى البار الرحيم ولاني رأيت ان أبلغك نتيجة امتحانى فكتبت هذا لابشرك بنجاح باهر وبجودة صحتي وكنت أود أن تكون معي في هذه الديار

يدهش نبوغه الفائق وجلاله المصدوق كل حسود مكابر . فليقولوا فينا ما يقولون وليكتبوا عنا ما يكتبون فان أمامنا من تاريخ المترجم وشدة تعلق المصريين بحبه ما ينطق بافصح عبارة وأظهر قول أننا قوم أهل لكل تكريم

ثم ايه يا مصر لقد نشأ بين ربوعك وظهر وسط جموعك من كنت حديثه العذب فى الغدو والرواح وشغله الدائم فى القيام والقعود وموضع تكريمه كلما كتب مناضلا او خطب مفاخراً فمجدى ذكره الى آخر الزمان

أكثر المرحوم بعد ذلك من القاء الاسئلة الكثيرة على من يعرفهم من الذين سافروا الى فرنسا أو درسوا بها ليقف قبل سفره اليها على أحوالها حتى يكون مزوداً ببعض مايساعده على المعيشة فيها والوقوف على أسرارها حيث كان موعد سفره اليها قاب قوسين أو أدنى

وقد سافر المرحوم لأول مرة الى أوروبا وهو فى الثامنة عشرة من عمره على احدى بواخر الشركة الفرنسوية البحرية

ينتظر من مثله الا نهض به ناشط الكاهل وكذلك القوى الآمل فلا جرم بعد هذا أن كان حجة بالغة على من يتهمون طبيعة المصرى بالكسل والخمود والانصراف عن الجد الى الهزل وما شاكل من النقائص ولقد قام بين ظهرانينا من قبل ولا يزال يقوم من بعد من يدلون العالم أجمع على أن قول اللورد كرومر الذى هو أخبث عدو وألد خصم للامة المصرية « فطر المصرى ذكى الفؤاد » هو لا غيره فى كلامه القول الصحيح الصريح حتى ولو كان اراده منه فى صورة تشعر بالتهكم وقلب الكلام

سائلوا تاريخ النابغين فى الامم الشرقية هل كان حقيقة عقيما فلم يرد فيه من أسماء الكبراء وعظماء النفوس من يكادون يبلغون ما بلغ اليه المترجم من العظمة والهمة والدعوة الى الحياة وبث معانيها فى صدور اليائسين ؟؟

لقد حاولوا أنصفنا الله منهم أن يلصقوا بنا كل تهمة بل هم لم يعفوا من تهمهم شيئاً في مصر حتى طقسها وطبيعة أرضها وقد حسبوا أن النيل المبارك لا يظهر تحت سمائه من

وما كان في مقـدرة مصرى أن يصنع فى تلك السن أكثر ممـا تقدم ذكره بل حسب العامل وقصاراه أن يؤدى صنفا واحداً من أصناف هذه الاعمـال اذ لـكل سن دائرة من العمل قل أن يتخطاها وانمـا الموفق من يجوز حدودها ويجوز معها حدود سواها

ايه يا أعداء مصر وسمعا يا حساد جلالها هذا فتى منها نهض بالامس والالسن معقودة عن التحرك والاقـلام مضروب عليها ان لا تسطر والخواطر في أسر من الرعب ولـكنه أطلق لسانه فـكان كما قال المتنبي :

ودع كل صوت غـير صوتي فانني
أنا الصادح المحـكي والآخر الصدى

واخترط قلمه من غمده فـكان كما قال القائل :

أيصيبني صرف الزمان وفى يدى
قـلم كتاب الليث حـين يضـام

وأرسـل وهو غض الشباب صوته بين سطور مجلته ورفعـه حتى اخترق نوافذ غرف جمعيته ولم يترك شيئاً كان

ثم ماهذه المزايا السامية التي رفعت صاحبها الى مصاف كبار رجال التاريخ ؟ ؟

الا ان نفساً تعين صاحبها على اظهار ماتقدم بيانه من الأعمال فى مثل تلك السن التي يكون الشاب فيها أقرب الى الهزل منه الى الجد والى السأم من العمل أقرب منه الى الرغبة فيه لنفس ممتازة لا كسائر النفوس واذا لم يتفاضل الناس بالأعمال التي هى مزايا النفوس وبالهمم التي هى مزايا القلوب فلم يبق مما يتفاضلون به غير المحتد والمال وما شاكل

قد يخطر لانسان أن يقوم بعمل ويمنى نفسه بقرب نجازه ويتعلل بالزمان والمكان والسعة والضيق وما أشبه وينتحل لنفسه ألف عذر وعذر فيرضيها وترضيه ولكن الوطن العزيز ليس فى حاجة الى من يقولون القول لا يتبعه فعل بل نحن كما قال الامام علي كرم الله وجهه « أحوج الى رجل فعال منا الى رجل قوال » وما بالتعلات والاماني تخدم البلاد ولكن تخدم بالروية والاقدام والنهوض بأعباء الاعمال الجسام

الله من قوة العزيمة وقوة النشاط أن يؤلف ويخطب أو يدرس ويكتب أو ينشىء مجلة ويؤسس خطة ويكوّن جمعية ولكن أين من يجمع بين هذه الاعمال كافة في ظروف مثل تلك الظروف كان فيها كل عمل منها خليقا أن يعاون عليه صاحبه بضروب التشجيع والاقبال ؟؟

انا نذكر كل ذلك كله فيضطرب القلم بين الأنامل من لوعة الحزن ونار الأسى وأخيراً نلجأ الى الصبر الذى هو الدواء الشافي والملجأ الاخير

نذكر أن الامة التى لايزال رزؤها بفقد المترجم جديدا قد فقدت بوفاة بطل أبطال الوطنية المصرية فتى كان فى السادسة عشرة من سنى حياته يكتب ويخطب وينشىء ويؤلف ويضع خطة ويعقد جمعية ويدرس دراستين ليلية ونهارية فنكبر على القضاء هذا المصاب الأليم

ليت شعرى ماهذه الهمة التى كانت تملأ ذلك الصدر الرحب وما ذلك العزم الذى كان مستقرا فى تلك النفس التى كانت لاتكل ولا تمل ولا تستكبر كبيرا ولا تستبعد بعيدا

وانه اذا لم يكن فى استطاعة الانسان أن يعيد الايام الخالية بذاتها ليجتلى مايشاء فى مرآتها فان في مقدور البصيرة الباصرة والذاكرة الحاضرة أن تصور مافيها تصويرا يقربها من الاذهان ويدني منالها من الافهام الى الحد الذى يعين عليه الامكان

ليت شعرى من أى طراز هذه النفس وماذا يقول الواصف لتلك الهمة وبأى قلم يكتب آسف كاسف البال يذيب الحزن والحزن يكاد يذيبه ويدعو الماضى والمكرمات تجيبه وأى كتاب يسع وصف أحاديث تلك المفاخر والهمم وأنباء تلك المآثر وغوالي الشيم ؟؟

اللهم أعنى بحولك وطولك ووفقنى بامدادك واسعادك عسى أن أستطيع قضاء حق التاريخ فانه المقضى اذا ضاعت الحقوق ولا حول الا بك ولا قوة الا بعونك

رأى القارىء مما مر به كيف أن مصريا فتيا استطاع فى آن واحد أن يجمع بين أعمال كثيرة كل منها جدير أن يتعاون على اظهاره وينقطع له اكثر من رجل . نعم ان فى معاصرينا من شيب وشبان كثيرين يستطيع كل منهم بما أتاهم

أعد أيها التاريخ على الذاكرة عهد تلك المقدرة النادرة والاحاديث العاطرة فان نابتة اليوم تحب أن تستفيد من آياتك الصادقة وعظاتك الناطقة وكرر على السمع أيها اليراع ذكرى عظمة أصبحت تتناقل سيرتها الركبان ويضوع عبيرها فى كل آن

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديثاً لا يزال عندى جديداً وان مضت عليه السنون وكرر أيها اليراع على السمع أعذب مايروى وأحسن مايسمع وألطف مايقال وأفضل مايكتب وكن فيما تكتب كما عهدت أولا وآخرا ذلك الناقل الامين فالاحاديث أمانات

أعد أيها التاريخ على الذاكرة ذلك الذكر المحبب فما أحلاه عندى وماأطيب وكرر أيها اليراع على السمع كرام الانباء فان من قارئيك كرام الابناء وجل فى ميدان الحقيقة ماتجول فانك والله عليك شهيد مازلت الصادق الصدوق

أجل : كرر على السمع أيها اليراع وأعد على الذاكرة أيها التاريخ فالمقام مقام دراية مأمولة الفائدة مرجوة العائدة —

هنا : بعد أن وضعنا تحت نظر القارىء الكريم نموذجاً من رسائل المترجم فى السياسة وأشرنا الى ما كان يلقيه من الخطب فى الجمعيات التى أسسها وجئنا بنص كتاب له صغير في موضوع تاريخى خطير ونشرنا فصولا من مجلة المدرسة فى مواضيع شتى نقف هنيهة لنستجلي همامة تلك النفس ونعيد على الذاكرة صورة تلك الهمة المتمثلة فى ذات والقوة العظيمة التى أودعت انسانا واحدا ليعرف من يشاء أن يعرف كيف تسنى لشاب وهو فى السادسة عشرة من سنى حياته أن يؤلف كتباً ويؤسس جمعيات ويلقي خطبا ويكتب رسائل وينشىء مجلة وهو مع ذلك يطلب علم الحقوق فى مدرسة نهارية وأخرى ليلية ويناقش الخصوم ويفند الدعاوى ويجمع قلوب أهل طبقته على وحدة الهوى ويشتغل بتمهيد السبيل لوضع أساس هذا البناء العظيم

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديث هذه السيرة الفيحاء فانك أنت الامين على السير وكرر أيها اليراع على السمع ذكري تلك الهمة الشماء وأفض فيما شاء الله من العظات والعبر

الفؤاد ») لما سمع أن في النشء المتخرجين من هذه المدارس نابغة واحداً أو متعلما ذا مواهب علية ومدارك سامية . .

ونحن لا نريد أن نطيل في بيان ما في هـذا النظام من الخلل والاضطراب الذى لا ينشىء ملـكة ولا يعين على ظهور موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب في هذا الموضوع أمس واليوم في هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات ضخمة . ولـكن نريد أن نقول ان هذه الحـكومة ستذوق من فوضى هذا النظام مرارة لا تساغ فاذا شاءت الامة أن تحسن صـنعاً فلتضاعف همتها في تكثير دور العلم ومعاهـد المعارف فوق الهـمة الحالية فان الامة التى لا تخدم نفسـها لا يخدمها أحد . وهذه الحـكومة التي يقلبها الاحتلال بين يديه ذات اليمين وذات الشمال محال أن تقترن ارادتها بالخير والحسنى واذا اقترنت وهذا بعيد لم تجد من نفسها انبعاثا على تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لا تأثر مشـترك بيننا وبينها وانمـا هى قطعة شلاء لا تحس بمـا به نحس ولا تتأثر بما به نتأثر

وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا فى عصر نحن فيه أحوج الناس الى أمير مثله قد وهبه الله من الحزم والثبات ما تتحقق به آمالنا وتنجح مقاصدنا بمن الله وكرمه

*
* *

لاتجد بين المواضيع التى تجرى على أسنة أقلام الكتاب وأطراف ألسن الخطباء وفي خواطر المفكرين موضوعاً أجدر من هذا الموضوع بالعناية وأحق بالالتفات . فانه يكاد يكون الجوهرى بين سائر المواضيع

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية أن تعنى ببث أشعة العلم فى الافهام كل العناية . ونحن اذا نظرنا نظرة عامة فى هذا الشأن عندنا وجدنا مايضحك ويبكى :

وشر البلية مايضحك

فلماذا لاتستاء كل نفس لما هو مشاهد محسوس من النظام التعليمى الحاضر ؟ ؟ انا نقول ولا نخشى لومة لائم انه لولا مافطر عليه المصرى من الذكاء المفرط بشهادة التاريخ والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصرى ذكى

رغبة المصلحين الذين لو سلمت نياتهم لما كانوا هم الباعث على اطراد هـذا الخلل العظيم بمـا يلقونه من العثرات فى سبيل تقدم المعارف فى هذا القطر وفضلا عما تقدم فان هنالك طامة كبرى على المعلمين الوطنيين وهى جعل رواتبهم قليلة جداً بالنسـبة لرواتب المعلمـين من الانكلـيز الذين امتازوا بهذه النعم المصرية فقضوا على الوطنيين باليأس من اجتهادهم والقنوط من مستقبلهم فضعفت فيهم الآمال وتثبطت الهمم وسرى اليأس لغيرهم فاقعدهم عن الاهتمام بتضييع الوقت العقيم للاستحصال على وظيفة التعليم والانخراط فى سلك المعلمين كما هى الحـال في المتعلمين أيضاً الذين يفنون زهرة العمر في سبيل تحصيل العلوم التى تؤهلهم لخدمة الحـكومة ونفع الوطن العزيز وعند ما يقصدون لهـا باباً يجدون دونه من الموانع سداً قـد أحكمت وضعه يد الغـايات فيتولاهم اليأس ويستولى عليهـم الخمول وهـذا مما ليس لتلافى ضرره المحسوس الا همة مولانا العباس الذي أرانا من حبه لصالح أمته ورغبته فى ترقية شأن المعارف فى البلاد ما لا بد معه من

المصرية لهذا السبب بمثابة مدارس لغات لا مدارس علوم وفنون وهو أمر قد نشأ عنه من المضار ما يضيق دون ذكره وتعداده المجال الآن وسنفرد له كلاما خاصاً ان شاء الله

ولو سئل المصلحون الذين ينظرون لانتشار لغتهم الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن الاسباب الداعية لوجود معلمين من غير أبناء البلاد يقولون بعدم كفاءة المصرى لتولى أمر التعليم وعدم أهليته له وهو قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحقيقة تخالف ذلك وهي ان من ترشح سنويا لوظيفة التعليم من الوطنيين قليل جداً بالنسبة لحاجة المدارس الوطنية التى تفتح أبوابها اضطراراً لقبول معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن تدارك هذا الخلل بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستى المعلمين الحاليتين وهما دار العلوم الخاصة بمعلمى الفنون العربية ومدرسة المعلمين التوفيقية الخاصة بمعلمى العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق المدرستين المذكورتين لدرجة تخرجان بها من المعلمين سنوياً من به الكفاية للقطر والاهلية التامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف

نجاح الممالك المتمدنة فى أصول التعليم ورقى أهلها فى المعارف والعلوم الى درجة لم تنلها الامم من قبل

ولسوء الحظ ان ديارنا المصرية مع كونها في مقدمة الممالك الشرقية التى أدخل اليها التعليم من عهد المغفور له محمد على باشا بطلها المشهور وكان من المنتظر أن نرى نتائجه التدريجية واصلة فى هذه االسنين الى حد الكمال مشمولة بعناية الدولة المحتلة التي لم تبن دعائم احتلالها الا على كلمة الاصلاح نرى الحالة فيها بالعكس لما هو ملم من الخلل الظاهر بنظام المدارس مما حرم المصريين من الوصول الى الغرض المقصود منها والتمتع بفائدتها الحقيقية . اللهم الا مايتلقاه أبناؤهم من بعض اللغات الاجنبية التى أصبحت بها المدارس المصرية داراً للمناظرات السياسية لاسنادأمر التعليم في جلها ان لم نقل فى كلها الى معلمين يخالفون التلامذة لغة ومشربا وقد جعلوا عنايتهم بث مبادىء جنسيتهم بين الاولاد واجتهادهم فى تعليمهم اللغة التى ينتمون (أى المعلمون) اليها دون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون فكانت المدارس

المنافع الادبية والمادية التي تعجز عن حصرها العقول وتبهت عند النظر اليها الابصار وهو مادعا حكومات الشعوب المتمدنة الى ألاّ يتركوا واسطة من وسائط اتقان التعليم الا اتخذوها ولا وسيلة ناجحة لبث روح المعارف الا استعملوها ولما كان حسن مستقبل البلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين ونجاح هؤلاء معقودا بنواصي المعلمين وكلما توفرت في المعلم شروط اللياقة التي تؤهله لأن يقوم بتعليم المثين من أبناء بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشر بين الامة نفعه العظيم فقد رأت تلك الحكومات ان الواجبات الاولية جعل المعلمين من أفاضل الرجال الذين حنكتهم التجارب وهذبتهم التربية فاستكملوا أسباب الفضائل وأهلوا لنيل هذه الوظيفة المهمة التي يتوقف على استيفاء شروطها في المعلم الحياة الادبية لالوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ليمارسوا فيها الاصول التي تؤهلهم الى تولي التعليم وتجعل بهم الكفاية للقيام بواجب التربية والتفهيم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من

فى ذلك الوقت ياورا لسعادة ناظر الحربيـة لانه من الضباط المستنيرين المتمكنين من اللغات الاجنبية الواقفين علي أسرار كثيرة من أعمال الاحتلال الانكليزى

وقد جاءني يوما رحمه الله وقال لى ان من أكبر أماني ان يكون لى مدرسة أعلم فيها الناشئين لان المجلة لا تكفى وحدها لتهذيبهم ولذلك قد كتبت هـذه المقالة فى جريدة الاهرام ودفعها الي لاقرأها وقد نشرت فى عددها الصادر يوم الخميس ٢٠ ابريل سنة ١٨٩٣ وهذا نصها :

المعلمون والتعليم في مصر

ان تعميم التعليم من أهم الاسباب الداعية لنمو العمران القائمة به حياة الممالك والبلدان خصوصاً فى هذا العصر الذى أصبح التعليم فيـه من الحاجيات بعـد اذ مرت عليه عصور اعتـبر فيها من الـكماليات حتى انا لـنرى الممالك المتمدنة تتسابق فى ميادين المعارف الآن تسابقاً لم نعهد له نظيراً بين الامم فيما غـبر من الازمان لما عاد عليها بسبب ذلك من

مؤلف ومجلة وآماله في المستقبل واهتمامه بالكتابة والخطابة حتى تخيلت اني لست امام أخى الصغير الذي أعرفه من قبل بل امام بحاثة كبير وعلامة خطير . وقد قلت له يومئذ على ما أتذكر «اني أود أن اكون معك فى عملك هذا حتى لا أحرم من رؤيتك وا كون عضداً لك فى هذه الخدمة الوطنية الكبيرة «فقال لي » انه سيأتي يوم يكون فيه كلانا بجوار الآخر نعمل باتحاد لخير هذه البلاد العزيزة وهذه الامة الكريمة المحبوبة »

كان يزورني المرحوم كل يوم بقشلاق عابدين لقربه من مدرسة الحقوق لنتناول الغداء معاً حيث كان يرد الينا من المنزل وكان يناقش الضباط كثيراً في مواضيع سياسية وعمرانية ويضرب لهم أحسن الامثال عن حالة الجندي المصري وما حازه من الفخر في الحروب الاخيرة التى توجت تاريخ المصرى بالمجد الدائم وكان يذكر منها حرب الوهابيين وكريت وعكة وغيرها وكان اكثر الضباط مناقشة له حضرة اليوزباشى محمد افندي صدقي الطوبجى الذى كان

مصرى لتحى مصر وليحي المصريون وما ذلك اليـوم ان شاء الله ببعيد

وفى مساء يوم الأربعاء ٢٩ مارس سنة ١٨٩٣ ورد اليه تلغراف منى حيث وصلت من سوا كن مع الاورطة الاولى البياده الى مدينة السويس فلم ينم ليله لشـدة فرحه وفرط سروره بلقيا أخيه وزميله الذي غاب عنه سنتين كاملتين كانت فيهما تتمثل صورة كل منا أمام الآخر فى كل حال

وما وصل بنا القطار فى فجر يوم الخميس ٣٠ مارس الى محطة القاهرة حتي سمعت من ينادينى فتركت الواجب العسكرى لاضمه اليّ ضمة الذى يستقبل روحه العزيزة وأمنيته المرجوة. ولم يشأ ان يتركنى وسار معى الى ثكنة الجنود حتى اذا ما نفضت عن كاهـلى ذلك الواجب المقدس عـدت معه الى البيت وقضينا يوما من أحسن أيام الحياة حيث أخـذ يسألنى عن طقس السودان وحالة أهله وشهامتهم وعوائدهم وما لقيتـه من الاتعاب في مناوشات العـدو ثم عرض عليّ أعماله من

من أفراد هذا العنصر لا ارتباط بينه وبين الآخر . ولا تجد شعبا من الشعوب معرضا للفناء مثل الشعب الذى يضيع روابطه ولا يبقى على جوامعه . والتاريخ يحدثنا عن كثير من الامم التى لم يبق لها أثر فى الوجود وفي مقدمة العوامل التى قصرت أعمارها وأذهبت آثارها انحلال الروابط والجوامع

فلتعرف هذه الحقيقة الناصعة كل أمة تحرص على الحاضر والمستقبل . ولتكن كل أمة محبة للبقاء والعزة والسمو قوية الجانب بالاتحاد والائتلاف فانه لا بقاء ولا عزة ولا سمو لامة فرطت فى جامعاتها بل هى قصيرة العمر وان طالت عليها الايام

ونحمد الله أن أمتنا المصرية عرفت هذا الواجب منذ زمان طويل وظهرت فيها آثار الاحتفاظ بالجوامع فى كثير من الشؤون . فنحن نحيي هذه الالفة المكينة بين عناصر الامة ونأمل أن تزداد آثارها تجليا وظهوراً على مر الايام وياهناء هذه الامة يوم يجىء عليها اليوم الذى تكون فيه من الائتلاف والاتحاد كانها فرد واحد . هنالك يقول كل

الجامعة التى لا فرق لديها بين تباين الاجناس وتعدد المشارب فى جانب اتحاد الغرض الذي يسعي اليـه الجميع الا وهو جر النفع ودفع الضرر

* * *

قال المترجم « من نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة قامت على الارض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا بعلة تفريق أجزائها الملتئمة وانفصال أعضائها الملتحمة » وهو قول حق يؤيده العـقل ويثبته البرهان ويعززه الواقع ولا بيان بعد العيان

ان الامة التى لا تتماسك أجزاؤها ولا تتلاحم أعضاؤها لا تعيش طويلا ولا تبـقى الا قليلا وما بقاء عقـد تناثرت حباته ؟ ؟

ان الأمة لا تزال بخير مادامت متـلاحمة الاعضاء . متماسكة الاجزاء وكذلك شأن كل شيء . وكما ان الصخرة العظيمة اذ انحلت عادت ذرات لا قيمة لها فكذلك الشعب الذى يكون كل عنصر من عناصره منحلا من غيره وكل فرد

العامة القائمة بقوة الجامعة مقدمة على المصلحة الخاصـة التى هى فى جانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضم اليها من حلقات الشعوب كان ذلك أحفظ لمصلحتهم الخاصة لارتباطها بالمصلحة العامة التى انما بصيانتها تصان الاولى اذ سلامة الكل سلامة الجزء ومن نظر في تاريخ البشر لايجد أمة عظيمة قامت على الارض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا بعلة تفريق أجزائها الملتئمة وانفصال أعضائها المتحمة مما تهن معه قواها وتنفصم عروة اجتماعها فتقع فى الخسران وتعلوبها كفة الميزان فتخفض من سطوتها وتحط من قوتها فتحجم عن التقدم فى مضمار المسابقة لمن عداها من أمم الارض فيتمكن منها الوهن حيث يتمكن منها الدخيل وهناك يعز الدواء وتسوء المغبة وليس من باعث على ذلك كله الا تفريق الوحدة الجامعة وتمزيق السلطة الواعية والعاقل من نظر الى ذلك بعين الاعتبار فاطرح التعصب الجنسى وتحاشى الاندفاع مع قوة التجاذب الشعبي مائلا بكليته الى حيث تصان المصلحة الوطنية المضمونة بقوة

شعوب مختلفى المذاهب والاجناس وقد دعتهم ضرورة الاحتماء بقوة الجامعة الى الانقياد لحكم واحد والارتباط بكلمة جامعة تمسكا بوحدة المصلحة العامة التى من مقتضاها صيانة الحقوق الشعبية والاستئثار بالاختصاصات الوطنية التى انما تصان فى جانب القوة وتعدم فى جانب الضعف

وفى هذه الحال يمكن اعتبار الامم كل منها كجسم واحد أيضا مستقل فى نفسه مهما تباينت أجزاؤه وتعددت أعضاؤه فانه سليم بسلامة تلك الاعضاء مالم يتعطل عضو منه وينفصل جزء منه كاليد اذا شلت والعين اذا أغمضت فان لكل منهما اعتباراً عظيما بالجسم لقيامهما بأهم الوظايف التي يترتب عليها جلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فقدتا اضرتا به ضرراً يكون به الى جانب العجز أقرب منه الى جانب القوة فيقف بازاء غيره موقف الساكن حركة الناقص عملا الواهن قوة. ولا أدني من الخطر على أمة حاول بعض أعضائها الانفصال منها أو احتيل بانفكاك بعض أجزائها عنها بداعي تباعد الجنسية القائلة بتفريق المختلف وجمع المتشاكل فان المصلحة

المشتركه وهي مابه قوام الحياة الادبية وبقاء النوع فقد افترق غاية فتفرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة خاصة هو موليها حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع التباين بين أجزائه وعدم اتفاقها غاية كما هي عليه مبدأ مما جعل كل جزء منها قائما بذاته منفصلا عن نوعيته ولما كانت الغاية التى هي داعية التجزؤ النوعي تختلف باختلاف الشعوب والقبائل كما تقدم فقد استحال التوفيق بين مقاصد أصناف الانسان فأدى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر فكان من هذا ان رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة على الضعف

وهذا مادعا الشعوب الى تطلب المنعة بقوة التضام والالتئام بالتجائهم الى جامعة عامة تتحد بها الكلمة وتشتد العزيمة فتقوى على دفع بعضها البعض وكلما اتسع نطاق الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك ادعي لحفظ نظامهم الاجتماعي وامنع جانبا من ان تمسه يد المتغلبين بسوء ولهذا السبب قد يكون من الامم من تتألف من

وكتب في يوم الثلاثاء ٤ ابريل سنة ١٨٩٣ مقالة هذا نصها :

الجامعة

من تأمل فى المجتمع الانساني وما اشتمل عليه من الاجناس المتباينة والاجزاء المتفرقة وما بينها من التقابل والتضاد والتجاذب والتنافر ثم نظر الى حركته الدائمة وتلاطمه المستمر رآه كالجسم المركب من أجزاء متعددة وعناصر مختلفة هى مع بعدها عن المشاكلة وشذوذها عن التآلف متحدة الحركة متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته حتى انا لنرى تلك الجراثيم المنتشرة بالجسم الممتزجة منه باللحم والدم مع ماهي عليه من الحرب الدائمة والنزال المستمر الذى لا ينتهى بينها الا بظهور القوى منها ودثور الضعيف لم تكن بذلك الا خادماً للجسم من حيث هى مخدومة منه أيضا بما أعدلها فيه من المستقر الهنىء والغذاء المرىء الا ان المجتمع الانساني وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذى يقصد به جر المنفعة

لا ارادة للمصرى فى الغـالب في جانب ارادة الموظف الانكليزى صغيراً كان أو كبيراً

ان الاعمال بمقاصدها . والمقاصد مما نرى ونسمع سيئة جداً فافتحوا عيونكم أيها المصريون واعلموا أن الخصم لدود ونحن أقوياء بما لنا من الحق الذى يجب علينا جميعاً أن نستميت فى الدفاع عنه الي آخر لحظة من أعمارنا فانه لن يضيع حق وراءه من يطالب به وسواء أذعن المطالب أو لم يذعن قريباً فلا بد له فى النهاية من الاذعان

بعد ان كتبت الا التأمين على ذلك الدعاء

أراد الاحتلال فى مصر أن يصبغ كل شيء بالصبغة البريطانيـة ويدخل الانكليزية من كل باب . أو ما تراهم يحشرون في المنـاصب التى احتكروها احتكاراً شباناً منهـم حديثى العهد بالخروج من المدارس الابتدائية فى لندن وقليل منهم من نال شهادة تؤذن بالخبرة والدربة اللازمتين لـكل من يتولى عملا ادارياً بل هم يرمو ننا من أولئك الشبان بالعلل الضاربة فى كيان النظام وكيان الادارة ولا عجب بعد ذلك اذا تفشت الجرائم وسادت الفوضى النظامية في كل مكان

قالوا وأعادوا على أسماعنا مراراً وتكراراً انهم لا تتجاوز مهمتهم فى مصر اعداد المصريين للحكم الذاتي فأين بوادر ما صنعوه من مقدمات هذه المهمة الخطيرة ؟؟

انا نرى و « الاعمال بمقاصدها » أن كل شيء يدل على العكس من ذلك . فالقابضون على أزمة المصالح والمسيرون لدفتهـا ليسوا من الوطنيين ولا نغتر بتلك المناصب الضئيلة الأثر فى اظهـار كفاءة الامـة واستعدادها للحكم الذاتي فانه

مجرى أقلامهم الآن لتغرير المصرى بالاستسلام الى عوامل
اليأس والقنوط فجددوا لطنبور الغايات نغمة واختلقوا
لتضليل الاوهام فكرا جديداً وكأنهم غفلوا عن ان للمصرى
عضداً لاتوهن معه قواه ونصيرا لا يغفل عن مصلحته طرفة
عين ألا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومته الكرام
الذين هم أدرى بمصالح الامة وأحرص على حقوق البلاد من
ان تمسها يد بسوء خصوصاً ولهم من دولتنا العلية أعظم نصير
بدليل ماهو مشاهد من توثيق روابط الاخلاص بين
أميرنا المحبوب والخليفة الاعظم وما ناله سموه من جلالته
السامية من الالتفات الدال على حرصه أيده الله على المصالح
المصرية وصيانة حقوق الامة والمملكة أعانهما الله جميعا على
مابه رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب

*
* *

جزيت خيراً أيها المصرى الصادق فقد كتبت فأبدعت
اذ كشفت الستار عما هنالك وافصحت أبلغ افصاح عن
سيئات الادارة الانكليزية فى وادى النيل فلم يبق للكاتب

فان السودان لم تلتحم بهـذا القطر الا بدماء رجاله ولم تخضع للراية العثمانية الا بهـمة أبطاله وبذل أمواله وهي هى تلك الاقطار الشاسعة التى هدرت فيها دماء الشهداء لا لتكون غنيمة باردة للانكليز بل لتكون مدخرا للمصريين وملجأ واسعاً لراحة الاهلين ومصدرا لثروتهـم ومحطا لتجارتهـم وموردا لاموالهم خصوصاً فى مثل هذه الاوقات التى عم فيها ضنك الفـلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاتخـذوا السلب والنهب حرفتهم فعاثوا افسادا فى القطر الذى أصبح مهدد الامن داخلا منهم وخارجا من السودان

فأينما سرت ركب مركبا خطراً

وان قعدت فلا أنجو من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليز التي لم تكـن الا بمقاصدها ولا يسرهم وأشياعهم المتردين برداء الخيانة والرثاء إلا ان يروا مصر في حالة الضـعف والتأخر والمصريين فى وهدة الفقر والخمول حتى اننا لنراهم بعـد ذلك الاطناب فى مدح أعمال ساداتهـم التى زيفها دورنا الحـديث قد حولوا

وتمكنهم من ذلك بأقل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة وعدم اقتدارهم مع توالي سنين عشر على اخضاع شراذم متقطعة قد جعلت الغارة والسلب دأبها على أطراف الحدود المصرية ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت دماؤهم الزكية فداء للاغراض بالسودان وهم مع ماهم عليه من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل

وليس بمأسور فترجو فكاكه

وليس بمطلوق العنان فيرسل

ولعمر الانسانية والحق لو ترك الامر فى السودان لحكومتنا المصرية لأصبح الآن لها أطوع من البنان ولتمهدت فيه سبل التجارة والامن وانتعشت مصر بارتداد عضوها المفصول عن جسدها الذى لا تزال ولن تزال تتألم له اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة فى هذا القطر الافصل السودان عنه لكفاها ذلك مسودا لبيض أعمالها ودليلا على نتائج مقاصدها وأفعالها وهي كبيرة لا تغتفر فى جانب الانسانية وجريرة لا أظهر عيبا من صدورها من أمة الحرية

بأقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسة الحربية المصرية في سنة واحدة أو سنتين . والثاني حصلوا عليه أيضاً بتحويل مئات من الضباط الخبيرين علي المعاش وترقية سواهم ممن لا خبرة لهم بأمور الجندية قط حتى انى لاعرف فى مصر ثلاثة اخوة لاب واحد حي كانوا قبل الاحتلال في حالة الخمول لا يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أهم أركان الانكليز

ثم لم يكفهم ذلك حتى اشرأبوا الى الحربية فاتاحت لهم الظروف ان تولوا أمرها وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا القيادة العامة (السردارية) ومعاونيها برجال منهم فاصبحت الجندية المصرية آلة فى يديها تديرها كيف تريد وتمحو من دفاترها ما تشاء وتثبت وتقذف بها تارة الى الحدود وأخرى تفرقها في أطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية واطفاء شعلة المهدوية التى لا تخمد مرة الا أثيرت أخرى

ومن الغريب استيلاء الانكليز بشراذم قليلة على الاوغنده وما والاها من الاقطار الافريقية وتوغلهم فى تلك المجاهل لاخضاع برابرتها الاسود لراية الحرية والتمدن

الداخلي من القطر بزيادة اللصوصية والجنايات ما لا يحتاج الى بيان لوقوعه تحت الحس ومشاهدته بالعيان

وأما الجندية فانهم منذ الاحتلال أخذوا على أنفسهم اصلاحها اصلاحاً موافقاً للنظام والانتظام واشترطوا ادخال بعض الضباط الانكليز فيها ليتم بواسطتهم المرغوب كما هو المعلوم الا أنهم تعدوا مع الاستمرار قاعدة الانصاف في هذا الامر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكري فى القطر لا لزوم لوجود عسكرى مصري يقوده ضباط وطنيون صادقون لوجوه عدة نضرب صفحاً عن ذكرها الآن فجعلوا يولون على قيادة الفرق من أبناء جلدتهم الضباط الكبار لتكون الجندية طوع أمرهم

ثم رأوا أن من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار أيضاً ان لم يكونوا منهم فممن تربوا على المبادىء الانكليزية أو ترقوا بواسطة الانكليز لكى لا يخدموا الحكومة والوطن بل يخدموا الاغراض فالاول تيسر لهم بواسطة المدرسة الحربية فالتلميذ الذى لا يحصل على الشهادة في غير مصر

فشرعوا في عزل من أرادوا من ضباطه الوطنيين واستبدالهم بضباط انكليز يجهلون أحوال البلاد وعوائد الاهلين وأخذوا ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية تارة والمديرين أخرى وأخيراً تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التي أصبحت في أيديهم آلة صماء تديرها يد الاغراض كيف تشاء فنشأ عن عملهم هذا ثلاثة أمور . أولها حصر سلطة المديرين في جباية الاموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة تسلطهم على البوليس وناهيك بما ترتب على ذلك من زيادة جرأة الاشقياء على انتهاك حرمة القانون وعدم تهيب الحكام بسبب ضعف نفوذ المديرين . وثانيها استحواذهم على قوة البوليس المتوقف عليها تقرير الامن العام وما ظنك بعد هذا بالامن وما هي حجة الاحتلال ؟ . وثالثها زيادة الارتباك في الاعمال وعدم استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بامور البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الاهلين حتى تسبب عن ذلك جميعه من الخلل العام في ادارة البوليس وفقدان الامن

المحتلين الا المن علينا بالاصلاح وهو وان حصل فى بعض الشؤون فانما ضرره لا يوازى ما يستفيد منه المصلحون فانا لو نظرنا الى نتائج أعمالهم التى أجروها فى هذا القطر منذ بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أتت بفائدة على القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم هذا اذا لم يقابلها من الضرر مايوازي النفع أو يزيد عنه أضعافاً ولنكتف الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك الاصلاح وما نشأ عن تداخل المصلحين فى شؤونها من الضرر أو النفع لنرى ما هى النتيجة التى عادت على القطر من هذا التداخل والاصلاح فنقول

فاما البوليس فانهم رأوا ان ادخال الاصلاح عليه وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بتداخلهم الكلى فى أموره واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق للغرض لا لمصلحة البلاد التى لا تتأتى الا بواسطة رجالها الخبيرين بأحوالها وعوائد سكانها فسنوا له اللوائح المتعددة ورتبوا النظامات المتباينة وساعدتهم الظروف فى التداخل

العظيمة التى ترتكبها هذه الحكومة لاتغل يدها عن تعميم التعليم كما هو الواجب عليها فقط ولكن بمحاولة تقليل عدد المتعلمين من المصريين بتلك الضرائب الفادحة التى تضربها على طلبة المدارس فضلا عن العراقيل التى تقيمها فى وجوههم بضيق نطاقها وأسباب أخري لامحل لذكرها هنا وهي معرضة عما يقال لها ولكل أمر غاية ولكل أجل كتاب

وكتب مقالة فى يوم الاربعاء ٨ مارس سنة ١٨٩٣ هذا نصها :

الاعمال بمقاصدها

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزاء من زيد أو تقربا من عمرو بل هو الحق يضيق به الصدر فيعلنه اللسان وهو ولئن سر قوما فانه يسيء آخرين لكن لا سكوت مع الحجة ولا عي مع البرهان فاننا معاشر المصريين قد مضى علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ولم نستفد من

القول الفصل ولم يذر بعده مجالا لقائل ؟

نقول تعميم التعليم . ونكتب فى تعميم التعليم . ونتمى تعميم التعليم . والحكومة المصرية التى يجب أن تسمع هذا الصوت مثل غيرها كأنما فى آذانها وقر فهى لا تسمع وكأنما على قلبها قفل فهى اذا سمعت لا تستطيع أن تعقل !!

علمت هذه الحكومة المضروبة مثلا فى الحكومات أن تعميم التعليم فضلا عن كونه واجبا على الهيئات الحاكمة القائمة به قياماً محمودا يعود عليها بأثير الفوائد اذ هو وحده الكفيل بتقليل عدد الجرائم وتوثيق عرى الأمن وتوطيد دعائم النظام ولكنها لا تريد أن تقتدى بغيرها من الحكومات الرشيدة لئلا يأتي عليها قريباً ذلك الوقت الذى تكون فيه كل الرؤوس عاقلة وكل العيون مبصرة فتبين سيئاتها للناظرين واذ ذاك تسقط فى نظر الرأى العام من عالى مجدها ويتولى هو اقامة حكومة عادلة لا تميل مع الاهواء ولا تنى فى نشر لواء العلم فى كافة الارجاء

وطالما كتب الكتاب وخطب الخطباء مبينين الجريمة

ومقراً لاعظم الامم قوة وأسماها علما ومدنيـة حتى توالى عليه من عصور الشـدة والرخاء مالم يتـوال على مركز فى القسم المعمور

ولا شبهة فى أن الله تعالى سخر فى هذا العصر لبقاء أهمية هذا المركز وسلامة عناصره واحياء شعوبه من وهب من قوة العـلم والحـكمة وعظيم السياسـة والقوة ما جعـل الابصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه الا وهو فخر آل عثمان وفريدة عقد السلاطين العظام مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان أيده الله بايده الاسنى وأمده بعونه العظيم ومتع الامة والبلاد بطول بقائه وأجرى على يديه من الخير ما به رفعتها ان الله كريم مجيب

*
* *

هذا قول الفقيد فى المدنية وتعميم التعليم فماذا عسى أن أقول فى شرحه والقول واضح جلى وماذا أقول فى التعقيب عليه وقد أخـذ هو الطريق على من يكتب بعـده فى هذا الموضوع اذ وصـل بين أطرافه أحكم وصل فجاء قوله فيـه

واستعمال وسائل أعم فائدة لما ان الوسائل المتخذة لذلك الآن سواء كانت جبرية أو ترغيبية غير وافية بغرض أمير المؤمنين الذى من مقتضى ارادته السامية تعميم التعليم بين جميع طبقات الرعية بدون استثناء والواسطة لذلك سهلة سنبسطها برسالة تالية ان شاء الله . وأملنا بالله وبعناية الخليفة الاعظم أدام الله ملكه ان نرى قريبا من نتائج حكمته ومزيد سهره على مصلحة رعيته مايجعل المملكة العثمانية في مقدمة الممالك الشرقية في مسابقة الامم الاوروبية بدليل ما هو مشاهد في جميع العثمانيين من ترقى الافكار وعظيم الانتباه ومارزقوه من صفاء الخواطر وقوة الضمير ولاسيما وهم فى مركزهم من الشرق يساعدهم على نيل الغاية أولا بسبب قرب اتصاله بالغرب وتيسر تلقيه لموادالمدنية مباشرة بدون كثير عناء وثانياً لتوسطه بين بقية الممالك الشرقية والقارة الاوروبية وكونه بهذه المزية نقطة الاتصال التجارية بين الجهتين وهو لذلك مركز كان له من الاهمية فى كل جيل من الاجيال ماجعله منبت الرسل ومهبط الشرائع والوحى ومظهر المدنية ومطمح أنظار الفاتحين

وبالاجمال فما ذكرناه هو أقل ماترتب على تعميم التعليم وحرية الجرائد فى أوروبا فضلا عما نتج عن ذلك من توسع الشعوب الاوروبية فى جميع الفنون العلمية وترقيتهم من المدنية الى درجة جعلت الشرق بعد ذلك المجد الباذخ فى حاجة للغرب حتى بالضروريات الحيوية وهذا لعمر الحق انذار كان لنا

واننا ليسرنا معاشر العثمانيين مانراه من جلالة مولانا أمير المؤمنين الذى أحيا فى قلوب الامة الضعيفة الامل وأعاد للشرقيين أيام الخلفاء الاول من الاهتمام بهذين الامرين العظيمين وأخصهما تعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائقة بانشاء المدارس ونشر العلوم والمعارف فى جميع انحاء السلطنة السنية حتى اننا لذى المدارس التى أنشئت فى عهده السعيد على مصرف الحكومة لاتقل مادة التعليم فيها عن مثلها من مدارس أوروبا وذلك مما يبشرنا بكل مستقبل حسن انشاء الله تعالى الا أنه يعوزنا لتدارك خطر المدنية الاوروبية والوصول الى الغاية المطلوبة سلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعة

الثانية لأعمال العمال في الهيئة الحاكمة لا يقافهم عند حد الواجب وتطهيرهم من درن الغرور فتراهم محاسبين بسببها على كل مايصدر عنهم من الأعمال متوخين طرق الحكمة في كل حركة وسكون فلا يتجرأ أحدهم علي أى عمل يخالف مبدأ الاستقامة ويضر بصالح الشعب والمملكة مادامت الجرائد الصادقة معدة صفحاتها لقيد أعماله ونقد أفعاله خدمة للحق وقياما بالواجب حتى تبودلت الثقة لذلك بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة فتساعدتا علي كل مامن شأنه جلب المنافع العمومية والاستمساك بواجب الحقوق الوطنية وأصبحت الجرائد لدى الشعوب المتمدنة من أهم ماتدعو اليه الحاجة وتقوم به حياة الشعب الادبية وتدور عليه رحى السياسة فهي مجرى أقلام الكتاب ومطمح نظر الساسة ومنعكس أشعة أفكار العلماء وبها تعلن جلائل الأعمال وتشهر مناقب الرجال كما ان فيها تعدد الحسنات وتحصر السيئات فهي لذلك مصباح الاسترشاد ومرقاة الافكار وداعية الرهبة والتهذيب والباعثة على الرغبة والنشاط

كالمسألة البانامية فى فرنسا ومسألة مصارف التوزيع فى ايطاليا ومسألة السلاح فى المانيا فانها جميعا لم تصدر الا عن أعاظم رجال تلك الامم المتصدرين فى الهيئة الحاكمة الذين لم يتوصلوا الى المناصب العالية التى وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم وكفاءتهم للرئاسة ومع ذلك فحيث تحرر علمهم عن الفضيلة فعملهم كان مخالفا لها أيضا الا أنهم لما كانوا فى هيئة حاكمة لم تستأثر بالعلم دونه الهيئة المحكومة فقد افتضح أمرهم وكشف الحق سترهم فجوزوا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم ولو صدر عنهم ذلك فى شعب عم فيه الجهل وانفردت حكامه بالسلطة والعلم فاستعملوهما فى سبيل الغاية لما أصابهم شىء من ذلك مهما تمادوا فى سلب الامة وخراب البلاد

ومما اعتبر من أركان المدنية الغربية وأهم أسباب انتشار المعارف لدى الشعوب الاوروبية حرية المطبوعات وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة المدنية والعلم خير قيام وكانت هي الوصلة الحقيقية بين الحاكم والمحكوم لبث الاولي لانوار الفضيلة والعلم بين الناس ومراقبة

تضعها يد الاغراض حيث شاءت

اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لابد ان تكون عالمة والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفضيلة أو العمل يؤدى بصاحبه الى استعماله فى غير وجهته فى كثير من الاحيان فاذا استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم أفرادها غير مقرون بالفضيلة وهو الاغلب يتصرفون بمصالح الرعية تصرفا لايحتمل اتيانه بنتيجة حسنة قط

وأما اذا كانت مبادىء العلوم عامة بين أفراد الهيئة كما هي لدى الهيئة الحاكمة فلا يمكن للاولى ان تستعمل علمها باية وجهة يتأتي عنها ضرر الثانية مادامت مشاركة لها في العلم ورقيبة عليها فى كل عمل الا في بعض أحوال خفية ربما يتعذر وقوف العامة عليها

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل ان تجتمع الفضيلة والعلم الا بما استثنى منه أفراد يعدون على الانامل فى كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ولا حاجة بنا الى أن نستدل علي صحة ذلك باكثر المسائل الاختلاسية الراهنة

الـكثيرة حينما تغيرت الاعمال وساءت نيات الرجال فتقلص ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغير وجهته وحملوه على غـير محمله فشوهوا وجه الفضـيلة وكانوا سببا لتداعى أركان العلم وزوال صولة الملة فتلاعبت بالأمم الشرقيـة من ذلك الحين أيدى التفريق وعم بينهـم الجهل ومازالت بهم الحال بين ادبار واقبال حتى قضى على بقيـة مالديهم أو كاد بقيام الامم الغربيـة وظهور المدنية الاروبية التى تأسست على قواعد احفظ لثباتها وأضمن لاستمرارها وأهم تلك القواعد تعميم التعليم بطرق سهلة ووسائط مقبولة كافلة لحسن مستقبل الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجية مانراه الآن من انتشار المبادىء العلميـة بين جميع طبقات النـاس من أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة فى كل عمل مقتضاه جر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنـه ولا يخفى مايترتب على ذلك من الاهميـة التى أقلها مراقبة أعمال الهيئـة الحاكمة والزامها بالسـير على طريق السلامة فى جميع الاحوال لئلا يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحـكومة آلة صماء

اذ لم يترك الخلفاء فى عصرهم وسيلة من وسائل تعميم التعليم الا اتخذوها ولا طريقة لبث أنوار المعارف الا سلكوها فشيدوا المدارس ورتبوا لها المرتبات وتقدموا لاهل الفضل بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبوا الناس فى الاقبال عليها والاقتباس من فوائدها فراجت سوق العلوم وأينعت رياض الفنون وكثرت التآليف والتصانيف فعمت الرغبة فى العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك وعمروا المسالك وأصبحت الامة العربية في أقل من جيل وقد ملأت الخافقين دينا ولغة وعلما وأدبا وسياسة وغير ذلك من الامور التى هى نتيجة تعميم التعليم ومثابرة الخلفاء على بث روح المعارف والعلوم بين الناس وانتقائهم لترويج مقاصدهم وادارة مهام الاعمال خيرة الرجال وأفاضل الناس ومشاركتهم فى كل عمل لفطاحل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك العربية في أيام زهوها محفوفة بأهل العلم مشيدة على دعائم النجاح مشرقة بأنوار الفضيلة والفضل

نعم ذلك لم يدم للشرق لكن لما طرأ عليه من العوارض

تدرجت فى مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق تزاحم فيها الشعوب الشرقية تزاحم الورود على الماء الزلال فاستكملوا أسباب الترقى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة والنجاح فشيدوا الممالك وعمروا الامصار وأقاموا للتمدن بقوة الحياة الادبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها عاديات السنين والايام لو لم يكن النقص مقارنا للكمال والدهر لايستقيم على حال

اذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

حيث عبثت بهم بعدذلك يد الاستغراق فى نعيم الرفاهة والتلهي عن المعارف والعلوم بالتحاسد الذميم فتطرق الى نظامهم الخلل وأخذت عوامل الانقسام والتقهقر تتوالى على الشرق وما زال يضعف نوره وتتراخى قواه حتى ظهور الاسلام وقيام الامة العربية بخدمة المدنية والعلم خير قيام . اذ عاد مظهر المشرق وقتئذ بمظهر جديد ودبت فى عناصره روح الحياة فاستقامت له الاحوال وتحلى من المدنية بحلل البهاء والكمال

بسم الله الرحمن الرحيم

كان المرحوم مع تحريره مجلة المدرسة واشتغاله بالتأليف وقيامه خير قيام بتأدية واجبه المدرسى لا ينثنى له عزم ولا يتأخر لحظة عن نشر المفيد من رسائله الفائضة غيرة المملوءة حكمة فى جريدة الاهرام الغراء فقد كتب مقالة فى عددها الصادر فى يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٣ هذا نصها :

المدنية وتعميم التعليم

« مهما بحثنا فى تواريخ الامم ونظرنا فى آثار الانسان لا نجد أمة عظيمة قامت على الارض وتوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم ولا نرى أثرا جليلا الا وينبئنا عما لصاحبه من القدرة وما كان عليه من علو الهمم . هذا المشرق لقد مضى عليه فى عهد شبيبته وزمان زهوه ونضرته أجيال

مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعاً

سيرته وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل
سياسية
وعمرانية

"أحرار في بلادنا
كرماء لضيوفنا"
مبدأ الفقيد

الجزء الثاني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



مصطفى كامل باشا

فى الثامنة عشرة من عمره

أنت بالله عزيز لك بالله انتصار

(نشيد الحدود)

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناب العالي الى الحدود ولحنته الموسيقى هنا وضربته وأنشدته العساكر في كروسكو عندما شرفها ركابه السعيد

السعد أقبل والمنا مذ زارنا عباسنا
والبشر قد وافى لنا بركابه السامى المقام
شرفت يا بدر السعود فاستبشرت أهل الحدود
وبدا على وجه الجنود فرح يدوم مدى الدوام
فاكرم بجندك يا أمير فلامرك السامى أسير
ولقطره أسمى نصير واهنأ به يا بن الكرام
واحكم عبيدك والبلاد بالعدل دوماً والرشاد
واسلم ودم ياذا السداد واسعد بمصرك فى سلام

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ﴾

سادجة خاليـة عن كل شيء قابلة لـكل ما ينقش عليهـا فان نقش الخير عاش الصبي سعيداً موفقاً للخير وان نقش الضلال عاش عيشة الضالين المضلين عليهم غضب الاله الى يوم الدين والسلام

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

مظهر الاوطان مجد وعـلاء وفخار
وزمان النيل سعد ورخاء ويسـار
رفعت مصر محلا هو للشرق منـار
وتحلت وتجـلى لمعاليهـا نهـار
قامت الآثار فينا بعدان طال السرار
كشفت مجداً دفينا ليس يعلوه غبـار
يابني الاوطان فخراً فمعاليكم كبار
وتلقوا العصر حرا لكم فيـه اشتهار
جازت النجم الاريك وعلا التاج ازدهار
أنت عباس المليك كيف لا ترقي الديار
لك مصر ياعزيز ولك النيل مسار

الشريف ولا غرابة في أن كل ما خالف مبـادىء الدين فهو قبيح وضلال محض ومتى سار على هذا الطريق الحميد يعيش حينئذ مهنأ البال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحينئذ يقال انه قد تمهدت له سبيل الهداية وتمت له السعادة وبلغ ذروة المجد والسيادة

وأما من تربى على المبـادىء الفاسدة واشتغل بالرسوم العاطلة فانه متى شب يشب فاسد الاخلاق عـديم التهذيب تسول له نفسه أن يعمل كل قبيحة ويأتي كل رذيلة فاذا سمع ولو من بعد ان أناساً متمسكون بأطراف الدين ناهجون فى كل أمورهم منهج اليقين رشقهم بنبال ملامه واستفظع الامر واستقبح أحوالهم وندد بأعمالهم وربما جاهر لهم بالعداوة

وانا نسوق القول فى هذا الموضوع ونحن فى أمل أن ينتبه أولو البصائر الى تربية أبنائهم على مبادىء الدين الحنيف وتثقيف عقولهم بأحكامه الشريفة وحكمه المنيفة والا فهم يكونون سبباً حقيقياً فى خسرانهم طول حياتهم ولا بد أن يتقرر عند الآباء أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة

الضلالة في عقول الاحداث حيث الآباء تتنافس في البحث على أعظم المدارس الافرنجية سواء كانت في داخل البلاد أو خارجها ويدخلون فيها أولادهم قبل أن ترتكز فى مخيلتهم قواعد الكتابة العربية التى تعلموها في زمن الطفولية فما يلبث الطفل زمناً غير بعيد حتى يرتد وتضمحل أفكاره

فليعلم كل انسان عاقل أن التربية فى الصغر رأس مال الانسان واليها يرجع ادراكه ومنها يلتمس الفضيلة فى جميع ما أشكل عليه من أموره ولذا نرى الانسان الذى تربى على مبادىء فاضلة وتغذى بلبان المعرفة الحقة والاصول الصادقة ونشأ فى حجر الادب والمكارم وتحقق بحقائق الدين وبنى بنيان عقله على أساسه المتين وعول فى كافة أحواله على ما حكم به وأجازه وأباحه وأجهد نفسه فى العبارات القولية والفعلية يكون انساناً كاملا مهذب الروح عظيم القدر رفيع الشأن ومتى أتم معرفة العلوم الفقهية لا بأس من اشتغاله في العلوم الطبيعية والفلسفية وغيرها باحثاً عن وقائعها وأسرارها فيأخذ منها ما يراه حسناً ويترك ما يخالف مبادىء دينه

فى المجاهدين (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) واعلموا وتيقظوا ان خالقكم جلت عظمته وعظمت قدرته يقول (ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم) والسلام على من اتبع الهدى والباقيات الصالحات خيروأبقى والعاقبة للتقوى

﴿ آفة التربية ﴾

(لحضرة النبيه اللبيب حسن افندى شاكر التلميذ)

(بمدرسة دمياط الاميرية)

قد استعصى تذليل أوابد السعادة الابدية والحياة السرمدية وانحلت قوى الاستعداد لعدم انطباع صور الحقائق فى صحف أفكار أبناء الزمان حيث ضلوا عن طريق أهل التحقيق والعرفان فاحتجبت عنهم الفضائل والمعارف وانعكست أنظارهم فى مرآة الرذائل وذلك لما استحدثوا بسوء التصرف فى تربية أولادهم على المنهج القويم فاصبحوا وقد بثوا روح

حينما أخبرهم بذلك حيث كانوا يرونه بقياساتهم الباطلة كالمستحيل والله على مايشاء قدير

فياايها المؤمنون بآيات الله لاتكونوا من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه واعلموا ان دينكم الاسلام سيحيط باقطار الارض وتنبسط أنواره على البسيطة (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) وماذلك على الله بعزيز. فلا تلقوا أسماعكم الى الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون المؤمنين الى القعود ويمنعونهم عن نصرة الدين ويظنون في الله ظن السوء ولا يقولون الا بالظن ويضربون لكم أمثالا ما أنزل الله بها من سلطان ويبحثون عما لا يعلمون. فيااخواني هلموا لنصرة دينكم ولا تغيروا مابأنفسكم من المجاهدة في اعلاء ألوية الدين ببذل الأموال والانفس حتى لايغير الله مابكم من الشوكة والعظمة والقدرة والسيادة ولا تنقضوا عهد الله حتى لاينقض عهده تعالى شأنه (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم) فانفقوا فى سبيل نشر بساط ديانتكم ما استطعتم (وجاهدوا فيه حق الجهاد واستمعوا قوله تعالى

بل يفدون أنفسهم فى سبيل نشر دينهم حيث يهاجرون من قطر الى قطر ومن بلد الى بلد متكبدين مشاق الاسفار راكبين مهاوى الاخطار فرحين نشيطين غير مملين فكم لله من قوم مجاهدين وهم أيقاظ وكم لله من أناس قاعدين وهم رقود .

عباد الله المسلمين اعلموا ان الشيطان يعدكم الذل والخيبة ويلقى في قلوبكم اليأس ويملأ صدوركم من الوسوسة لكى يخمد حرارة ايمانكم فتقعدوا عن نصرة دينكم الحق واعلموا ان قد جعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا فلا تتبعوا خطوات الشياطين ولا تكونوا عن نصرة دينكم قاعدين . أيها المسلمون العاكفون على باب اليأس والظنون أليس الله قد وعدنا النصر أليس الله يقول (ويأبي الله الا ان يتم نوره) أفليس وعد الله هو الحق . ألا ترون انه قد ظهر جل ماأخبرنا الله به بلسان نبيه نبي العدل والرحمة . هل نسيتم الاكاسرة وشوكتهم والقياصرة وقدرتهم فكيف فتح الله تعالى أبواب قصورهم الشاهقة وحصونهم الشامخة المشيدة على المسلمين . والمنافقون كانوا يظنون على رسولهم ظن السوء

بالمهاجرة اليهم ومن لا يقدر عليها فليساعدهم بالمال ليستعينوا به على نشر دينكم وان بخلتم ببذل قليل من أموالكم في سبيل رضاء رازقكم وخالقكم فعلى الاقل عاونوهم بابكار أفكاركم فارسلوا اليهم مقالات ورسائل تحتوى على أصول دينكم وتكشف القناع عن وجوه ربات حجال شريعتكم الزهراء حتى تستنير بأنوار الاسلام قلوب تلك الاقوام الذين لم يعلموا من ديانتكم الا مادس لهم أرباب الغايات ووسوس لهم أعداء الحق ولا تقولوا قد ذهبت أربابه اذ (كل من سار على الدرب وصل) . يااهل الغيرة والحمية ان كنتم لا ترون بعيون بصائركم الجنة وما فيها من نعماء الله الباقية والجحيم وما فيها من نقمات الله الدائمة ولا ترجون تلك ولا تخافون هذه فلا جرم ترون بأبصاركم المكاتب والمطابع الدينية التى قد أسست فى بلادكم وتسمعون دوى المبشرين المنتشرين فى مدنكم كانتشار الجراد فى الحمى وتقرءون الجرائد والرسائل الشهرية والاسبوعية المؤسسة لبث النصرانية بينكم وتشاهدون الجمعيات الدينية وتظاهرهم فى نشر ديانتهم وهم لا يؤثرون أموالهم على ذلك

الله الحنيف بعالم التمدن الحديث

وبعد ان بلغ مراده حضرة الميرزا من سفره السعيد عاد الى مصرنا العامرة وكتب رسالة أتي فيها بما يؤيد صحة اسلام القونصل وأنه يجب على كل مسلم ينطق بالشهادتين ان يساعده على قدر استطاعته

ولما كانت رسالة حضرة الميرزا الفاضل فى غاية الاهمية وواجب على كل من له أدني المام بالقراءة والكتابة ان يطالعها رأينا ان نتحف القراء بخاتمتها لما فيها من الفوائد الجمة . قال أكثر الله من أمثاله :

(أيها المؤمنون الذين يعلمون أوامر الله فيعملون بما أمرهم الله به والذين لا يلهيهم تكاثر الزخارف الفانية عن ربهم ولا يشغلهم التفاخر بما سيفنى ويزول عن نصرة دين الله واعلاء كلمته اعلموا وفقكم الله ان أرباب الهمم فتحوا لكم أبواب بيت معالم دينكم وسبل نشر معالى شرعكم فسارعوا الى نصرة دينكم على حسب وسعكم وقدرتكم فمن يقدر منكم على مساعدة اخوانه هؤلاء بالمهاجرة الى تلك الاقطار فليساعدهم

﴿ الاسلام فى أمريكا ﴾

ما انتشر خبر اسلام (الكسندر روسل وب) الذى كان قونصلا من طرف دولته (الممالك المتحدة بامريكا) في منيلا من جزائر فيليبين من أعمال الهند حتى كثر القيل والقال وذهبت الناس فى شأنه مذاهب شتى فمنهم من يقول انه يريد باظهار اسلامه ان يدس دسيسة للمسلمين ومنهم قائل انه قد اختل شعوره وغير ذلك مما يحاكى هذه الاراجيف التى لا يصح القطع بها مطلقا وقد استمرت الناس تخبط فى هذا الامر خبط عشواء حتى قام من المسلمين حضرة العلامة الفاضل صاحب الهمة المشكورة الميرزا عبد الرحيم أفندى الآلهي التبريزى الأهري وتوجه الى أمريكا حيث ألقى عصاه بمدينة نيويورك التى بها القونصول المهتدى وأقام بها مدة ثمانين يوما تباحث فيها معه كثيراً ومع من أسلم غيره وبحث ودقق البحث فى أحواله ونواياه حتى علم أنه على هدى من ربه وأنه مسلم يجاهد كل جهده فى نشر دين

ليلة ١١ من شهر بؤنه القبطى . ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته فى نحو ١٥ من أغسطس و ١٠ مسرى ويستمر في الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ توت وتنتهى الزيادة عادة فى يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويستقر على ذلك نحو سبعة عشر يوما تقريبا ثم ينقص بالتدريج وينحصر في مجراه الاصلى مدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر فى النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقي على الحالة التى هو عليها تقريبا الى الانقلاب الصيفى .

وأحسن زيادة للنيل فى العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنتيمتراً تقريبا فوق عادة انحطاط الماء فاذا كانت الزيادة كثيرة جداً تسبب عنها الغرق واذا كانت ضعيفة جداً حصل منها الشرق وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرق الكيماوية فى وقت نقصانه أنه يشتمل على مقدار يسير من موريات الصودا وهو خفيف جداً وطعمه لذيذ ولذلك فهو أنقى من ماء نهر السين بباريز خمس مرات

يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين الفرعين ترع كثيرة لرى جميع أراضى الوجه البحري .

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر الابيض المتوسط بين رشيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون فرسخا وارتفاعه خمسون فرسخا . وهذا المثلث يسمي باسم دلتا عند الاوربيين . وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة شكله لحرف دلتا اليوناني وهو حرف الدال . وهو مكون من مديريتى المنوفية والغربية الآن .

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دورية ببلاد الحبشة والسودان فاذا لم تنزل الامطار فى سنة من السنين بكثرة نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما نقص من الامطار . وتبتدىء الامطار الدورية المذكورة من شهر مارث لكن لايظهر أثرها فى نيل مصر الا فى شهر يونيه الافرنكى وهو شهر بؤنه القبطي . ومنشأ هذا التأخر طول المسافة التى يقطعها الماء وماتبتلعه الرمال بحافته التى يمر فيها الى أن يصل مصر . ويري المصريون ان النيل يأخذ فى الزيادة عند نزول النقطة

وبلاد النوبة تكثر فيها الشلالات المعطلة لسير السفن الجارية فى النيل المتوسط . فمن (رشيدي) الى (أم دراس) ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادي حلفا) .

وأما النيل الادني أو نيل مصر فيبتدىء من جزيرة (فيله) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الاصلية . وعلى بعد ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلال اسوان وهو آخر الشلالات ومن اسوان يجرى النيل عموديا تقريبا على مجراه الاصلي حتى يصل الى دندرة ثم منها الى القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة ويمر بمدن متعددة وقرى جمة ويروى جميع أراضي مديريات الوجه القبلي الى نهاية مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترع الخارجة منه وينقسم عند القناطر الخيرية الواقعة فى شمال القاهرة على بعد خمسة فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربي يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الاكبر

بلاد الحبشة ويتجه نحو الشمال الشرقي ويختلط بجملة نهيرات متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دنبعة من جنوبها ويخترقها ولسرعة جريانه لاتختلط مياهه بها وبعد خروجه منها يكون شلال (الاطه) ويمر غربي بلاد (سنغالا) ويقطع ثلاث شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها سهولا واسعة وهناك تنصب فيه عدة مجارى . وهذا النهر مع ماينصب فيه من المياه لو لم يتصل به النهر الابيض لكان ضعيفا وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضيع في الرمال. فان مياه النهر الابيض تبلغ ثلاثة أضعاف الازرق

وأما النيل الاوسط فيجري مستقيما من الخرطوم مخترقا معظم بلاد النوبة الى قرية (جيرى) ثم يرسم قوس دائرة وينتهي الى جزيرة (مقراط) وفى شاطئه الشرقي بالقرب من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطبرة) أو (عطبرة) ثم يجرى من جزيرة (مقراط) الى الجنوب ثم ينعطف الى الشمال الشرقي راسما قوس دائرة الي جزيرة (بلاق) أو (فيله) المتقدم ذكرها مخترقا بلاد دنقلة

وسميت فيكتوريا نيانزا باسم ملكة الانكليز عند اكتشافها بمعرفة القبودان سبيك الانكليزي سنة ١٨٥٨ ب.م. وحدها الجنوبي فى ٣١ درجة من الطول الشرقي و٧ درجات من العرض الجنوبي ويصب منها فى هذا الحد فرع متكون من السيول كثير الاوحال . وعرضها فى الجزء الجنوبي منها من ١٢٠ الي ١٤٠ كيلو متراً وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء

ويتضح من الاكتشافات الحديثة ان النهر الابيض يخرج من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع فى فرع واحد يتجه نحو الشمال الغربي ويكون شلال (جاربو) ويروى بلاد « باري » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع ويصب فيه جملة فروع أخر متكونة فيها السيول وأهمها (كيلاك) الآتي من غربي السودان الوسطي بعد انصباب بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتي من شرقى بلاد الحبشة . وطول مجرى النهر الابيض من منبعه الى الخرطوم حيث يجتمع مع النهر الازرق يبلغ أكثر من ٢٣٠٠ كيلو متراً

وأما النهر الازرق فمنبعه بين الثلوج المحيطة بجبال القمر

من الخرطوم فى بلاد النوبة الى مصر فالبحر الابيض المتوسط ويصب فيه

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل الاعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم. ثانيهما يسمى بالنيل الاوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من الخرطوم الى جزيرة بلاق المسماة جزيرة فيله وقصر أنس الوجود وهي جزيرة فى النيل قبلي شلال اسوان بنحو ١٠ دقائق - ثالثها يسمى بالنيل الادنى أو نيل مصر وهو من الجزيرة المذكورة الى البحر الابيض المتوسط. أما النيل الاعلى فيتكون من نهرين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم ويقال لاحدهما النهر الابيض وثانيهما النهر الازرق ويسمى كلا منهما بحراً عند أهالي الجهات المارين بها. فالنهر الابيض يعتبر كأنه الاصل الحقيقي للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة في جنوبي بلاد السودان تسمى بحيرة (أوكيريفى) على حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة وهذه البحيرة تسمي نيانزا أيضاً أى الماء العظيم عند أهالي البلاد المارة بها

الى الكلمات المخطط تحتها و ننصح الناشئين بأن لا يلتزموا السجع في كتاباتهم

الجزء التاسع

(جمادي الثانية سنة ١٣١١)

(منابع النيل)

اطلعنا في العدد الثامن من جريدة « المهندس » الغراء على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضال سعادة علي باشا ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقاً نأتي بها هنا افادة للقراء الكرام واثباتاً لما يقوله كل وطني صادق من أن مصر والسودان توأمان حقيقيان في انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة قال حفظه الله

ان نهر النيل يتكون من نهرين آتيين من أقصى بلاد السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الابيض والنيل الازرق ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهراً واحداً يجرى

وأنت لا تعرف الخطأ من الصواب وكيف تدبر أمور أموالك ومعيشتك وأنت غر جاهل . عليك عليك بالعلم فانه حلية العقلاء ووشاح الفضلاء

« النسيب » — حقيقة حقيقة ان ماقلته هو عين الصواب واني من الآن فصاعداً سأطلب العلم والادب وأعتنى بعموم فروعهما خصوصاً باللغة الشريفة العربية حيث انها لغة أجدادى فارجوك دوام الحضور عندى لاقتبس من نور علمك ما يفيدني

« الأديب » — الآن قد حصحص الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا نعم ان العلم شريف الغاية سامي القصد فعلينا معشر الاخوان بالاجتهاد فى تحصيل العلوم والآداب لننال مانا له آباؤنا القدماء من الشرف الجليل والمجد الاثيل

(المدرسة) نلاحظ على كاتب هذه الرسالة وكثير من أمثاله ان الكاتب اذا تكلف السجع يكون قد قتل ذوق عبارته بنفسه وأمات بهجتها بقامه كما اننا نستلفت أنظار القراء

أقبل على العلم واستقبل مقاصده
فأول العلم اقبال وآخره

« النسيب » — دعنى أيها الاستاذ من العلم ومحاسنه فانه لايحتاج اليه انسان مثلي غنى فاني أتمتع بمالى وأنفقه على خدمي وأتباعي ولا ينفعك اليوم الا الجنيه الرنان الذى تجلس به فى أى مكان وتقضى به مصالحك فى كل الايام ويرتفع به صيتك بين الانام واصغ لمن قال :

حياك من لم تكن ترجو تحيته ... لولا الدراهم ماحياك انسان

فاترك العلم واجعل فعلك مطابقاً لفعلى

« الأديب » — قاتلك الله جهلت ولم تدر انك جاهل كيف تفضل النار على الجنة ولكن اذا أراد الله بعبده خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة واذا اراد به شراً حبب اليه المال وشغله بدنياه ولله در من قال :

ياخاطب الدنيا الدنية انها ... شرك الردى وقرارة الاكدار
دارمتى ماأضحكت في يومها ... ابكت غداً تباً لها من دار

كيف تجالس الامراء فى مجالسهم اذا تباحثوا فى علم

معتبر والعالم بدون غنى بعلمه مفتخر فاسمع من قال وأجاد

حياة الفتى والله بالعلم والتقى　　اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
فكيف تفتخر بغناك وحسبك ونسبك

« النسيب » — أستاذي النبيه وسيدي الغير السفيه

ماقائدة العلم

« الأديب » — أيها الشاب النبيل ان فائدة العلم تنوير أذهان طالبيه فهو المؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة تجالس به الملوك والامراء وهو حلية المرء وكنز لا يفنى بعكس كنزك فأنه يفنى وقد قيل

لكل شيء زينة فى الوري　　وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه　　فيناوان كان وضيع النسب

وقال نبي الرحمة نبينا عليه الصلاة والسلام (خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل)

العلم أنفس شيء أنت ذاكره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية العدد الآتي

﴿ اهتمام بعض الناشئين بالانشاء والتحرير ﴾

يسرنا ان بعض الناشئين مهتم بالانشاء والتحرير كثيرا ومن هؤلاء الناشئين تلميذان نجيبان أحدهما أسيوطي وثانيهما دمياطي فقد أرسل لنا أولهما بمحاورة بين نسيب وأديب وثانيهما بمقالة عنوانها « آفة التربية » وقد رأينا ان ندرجهما على الترتيب كما اننا لا نضنّ على غيرهما بهذه المزية متى أرسل الينا شيئا من منشآته

والى القراء محاورة حضرة النجيب المثقف محمد أفندى قدرى التلميذ بمدرسة أسيوط الاميرية :

« النسيب » — انا الفتى المحترم أنا الحسيب المحتشم انى بنسبي مشرف عن جميع الشبان وبحسبى محترم فى جميع الأكوان

« الأديب » — أخى لا يغرنك هذا الكلام واسمع منى ما أقول لينفعك مدي الايام : ان الفتى بدون علم غير

المنوفية والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة وجرجا من خمسة والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنا واسنا من أربعة ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط

(شروط عضوية مجالس المديريات) لايجوز انتخاب أحد لعضوية مجلس المديرية مالم يكن بالغا من العمر ثلاثين سنة كاملة على الاقل وله معرفة بالقراءة والكتابة وممن يدفعون مالا مقررا على عقارات أو أطيان فى نفس المديرية قدره خمسة آلاف قرش سنويا على الاقل ويكون دفعه لهذا المال من منذ سنتين بالاقل ويلزم زيادة عن ذلك ان يكون اسمه مندرجا في دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالاقل وان لايكون موظفا بالحكومة ملكيا كان أو عسكريا وان لايكون عضواً في مجلس مديرية آخر

(مدة العضوية) تعيين أعضاء مجالس المديريات هو لمدة ست سنوات ويصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة

الى هنا انتهي مايتعلق بمجالس المديريات وموعدنا

الصداقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين

والمدير هو رئيس المجلس وله رأى معدود فى مداولاته ويجب على باشمهندس المديرية الحضور فى جلسات المجلس وله رأى معدود أيضاً

وجلسات المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة فيه قانونيـة الا اذا حضره أكثر من نصف أعضائه . ولا يجوز لاى مجلس مخابرة غيره من المجالس في تحرير أو نشر محاضر أو منشورات

(فض المجلس) لايكون فض أى مجلس الا بأمر من سمو الخديوى ومتى فض يشرع فى انتخاب جـديد يكون فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس

(تشكيل مجالس المـديريات) — تتشكل مجالس المديريات من عدد من الاعضاء يختلف بين ثمانيـة وثلاثة حسب كبر المديرية .

فمجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء ومجلس مديرية أسـيوط من سبعة وكل من مجلس مديرية

وباحـداث أو تغيير أو ابطال الموالد والاسواق فى المديرية وما أشبه ذلك

ويجوز لمجلس المديرية ان يبدى رأيه فى عمليات الطرق والملاحة والرى وفى مشترى أو بيع أو ابدال أو انشاء أو ترميم المباني والاماكن المخصصة للمديرية أو للمجالس أو للسجون أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفى تغيير استعمال تلك المباني أو الاماكن وله أيضا ان يبـدى رأيه في جميع المسائل التى تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة

وأخيراً يجب على مجالس المديريات ان تنتخب أعضاء مجلس شورى القوانين كما سيبين فيما بعد

(التئام مجالس المديريات) لا يلتئم أى مجلس من مجالس المديريات الا بمقتضى أمر من الحضرة الفخيمة الخـديوية يصدر بناء على طلب المدير ويتعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته ويجب انعقاد مجلس المـديرية مرة فى كل سنة بالاقل وفى اليوم المحدد لاجتماع مجلس المديرية يتلو المدير عليـه أمر الانعقاد ويحلف أعضاء المجلس المستجدون امام المدير يمين

ثانياً مجلس شورى القوانين

ثالثاً الجمعية العمومية

وسنتكلم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب حتى اذا ما تم الكلام عليها توجناه بكيفية انتخاب أعضاء كل منها

﴿ الفصل الأول ﴾

﴿ فى مجالس المديريات ﴾

(اختصاص مجالس المديريات) يختص كل مجلس من مجالس المديريات بالنظر فى جميع الامور التى يكون من ورائها فائدة للمديرية التى هو مجلسها

فلمجلس المديرية ان يقرر رسوما فوق العادة لصرفها فى أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذياً الا بعد تصديق الحكومة عليه

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية فى المسائل التى تتعلق باتجاه طرق المواصلات برا وبحرا والاعمال المتعلقة بالرى

والتنفيذ فهى بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعيـة مكونة كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الامة بأسرها . ولقد قال فى ذلك أحـد فلاسفة اليونان ما معنـاه (ليس لامة من الامم ان تعد نفسها أمة الا ان كان لها مجلس ينوب عنها فى وضع اللوائح والقوانين التى تحكمها)

ولمـا كانت الامة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغه الامم الاخرى الاوروبية والامريكية كانت قوتها التشريعية أقل فى الاختصاص من قوى هاته الامم التى عمت الحرية فيها جميع الافراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية فى وضع لوائح وقوانين ومشروعات انما لاتـكون تنفيذية الا بتصـديق مجلس النظار وسمو الخديوى عليها

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامى المصرى الصادر بسراى عابدين في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية الموافق أول مايو سـنة ١٨٨٣ أفرنـكية وهو يشتمل على تشكيل ثلاثة مجالس

أولا مجالس المديريات

﴿ الباب الثاني ﴾

(القوة التشريعية)

علم القراء مما ذكرناه سالفا ان الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية وان القوة التشريعية هى أهم القوتين لانها هى التى تسن القوانين واللوائح وهى التى تضع نظامات الحكومة الداخلية وبمعنى آخر نقول ان القوة التشريعية تعد كآمر والقوة التنفيذية كمأمور يجب عليه اطاعة أوامر آمره

وليس للقوة التشريعية فى البلاد شكل واحد فهى تختلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهى تابعة لدرجة حضارة الامة فمتى فازت الامة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتعة بقوة التشريع الحقيقية لاراد لما تسن وتضع وبعكس هذه الامة التى عم الجهل أبناءها وتحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك بيديه كامل التشريع

الجزء الثامن

(جمادى الاولى سنة ١٣١١)

﴿ الجواهر السنية ﴾

في نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا ان نشرنا بالعدد الثاني والثالث والرابع ملخص الباب الاول من كتاب (الجواهر السنية) تأليفنا وبعد ذلك لم نكتب منه شيئا فى العدد الخامس والسادس والسابع فظن الكثير اننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه فى الجريدة كما وعدنا بذلك في العدد الثاني الا انه اجابة لطلب العدد العديد من الافاضل ونظراً لكوننا لم نفتكر أبدا في عدم نشره بالجريدة قد شرعنا فى درج بقيته شيئا فشيئا ولذلك فانا نخصص الكلام فى هذا العدد وتأليبه على القوة التشريعية فنقول

هو الى أميركا وان زوجته بعد ان أقامت شهرا ونصفا فى عاصمة الفرنسيس سافرت الى مرسيليا لأجل العود الى أميركا وعند ركوبها الوابور أشعرت زوجها تلغرافياً بتوجهها وقد غرق هذا الوابور فى أثناء مسيره وهكذا غرقت حرمته مع خادمتيها

ولدى التحقيق ظهر ان هذا هو السوار الذى اشتراه المسيو اسميت الى زوجته ولا شك بأن العظمة التى وجدت في جوف الحوت هى من عظم امرأته وقد طلب مشترى السوار مع العظمة بقيمة مائة وخمسين ألف فرنك لأجل ان يكونا عنده تذكارا لحرمه فدفع ثمن السوار مائة وخمسين ألف فرنك الي الجوهرى ودفع خمسين ألف فرنك الى ذلك التاجر الذى اشترى الحوت وأما ذلك الصياد المسكين فما أصابه ربح من صيده الا $\frac{1}{7}$ من قيمة الحوت

فدفعوا له قيمة مائة وعشرة آلاف فرنك الا انه تردد بقبول هـذه القيمة لاعتقاده بأنه يساوى اكثر منها ثم عرضه على جوهرى آخر وساله عمـا يساوى من المبالغ وبعد ان فحصه جيداً ودقق به قال انه يساوى مائة الف فرنك الا انه تبـين له بأن ناقل هذا السوار يجهل قدره وان له سراً خفياً أو انه لابد ان يكون مسروقا فعرض الامر لنظارة الضابطـة (الداخلية) فاستحضرته واستنتقطته عن هذا الامر فعرض المسأله كما هى فما اكتفت بذلك بل راجعت قيود البسابور (البسابور هى كلمة فرنساوية معناها تذكرة التصريح بالسفر خارج مينا القطر) تذاكر المرور وفهـم من ذلك بأن حرم المسيو اسميت أحد أصحاب البنوكه فى أميركا كانت اشترت هـذا السوار بقيمة مائة وسـتين ألف فرنك بمعرفة زوجها فعرضت المادة تلغرافياً على زوجها فورد منـه الجواب بأنه حضر الى باريس مع زوجته وخادمتين لاجل زيارة معرض ١٨٨٩ وبعد ان أقام أسبوعين فى باريس قضت عليه أشـغاله ان يعود بسرعة الى أمريكا فترك زوجته في باريس وسافر

فالحر لا يرضى المقام بمكانة فيها يضام
والذل تأباه الكرام والعز للعليا رهين

فاسموا بمصر الى العلا لننال ما قد أملا
ونسود من بين الملا ونفوز بالنصر المبين

شذرات

﴿ حوت ﴾

﴿ ثمنه مائتا الف فرنك ﴾

جاء بجريدة « طرابلس » الغراء تحت هذا العنوان ما يأتي :

« اشترى أحد مستخدمي زيت السمك فى مرسيليا حوتا من أحد الصيادين بقيمة سبعين فرنكا وبعدان نقله الى محله شق قلبه فوجد فيه عظم انسان مع سوارذى قيمة فاخذه وحفظه مدة ثم باعه بقيمة ٧٠ الف فرنك الى أحد الصاغة فأخذه المشترى وتوجه به الى باريس وعرضه على الجوهرية

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

(النشيد الثاني)

أهل المودة والسنن ... هيا لكى نعلى الوطن
ونعيد مجداً قد دفن ... وتفوز بالنصر المبين

هيا بجد واجتهاد ... نسعى لندرك ذا المراد
هيا ولا تبغوا العناد ... فالوقت جاء ولا معين

أنتم بنو النيل السعيد ... ذي العز والخير المديد
فاحموه بالجد المزيد ... فبكم بنيه يستعين

أنتم بنوه فما لكم ... لا ترفعوا ما قد هدم
وعزيز (مصر) أمامكم ... (عباسنا) الحصن الحصين

هذا الامير بجده ... وبحبه لبلاده
قد نال كل مراده ... وغدا على (مصر) الامين

فتشبهوا يا قومنا ... بفعال روح بلادنا
كيما نكون جميعنا ... لثياب عز لابسين

ومدير الافعال الانسانية التى لا يمكنه القيام بها كلها مرة واحدة بل يدبر الامور أمراً أمراً ولذلك فهو عاجز عن أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك أن الاشتغال بالمطالعة فى الطريق أمر يضر كثيراً ويلزم تجنبه

وزيادة على ما ذكر فاننا لو نظرنا الى السبب الذى يحمل التلميذ منكم معشر الابناء على المطالعة في الطريق لعلمنا انه عدم مذاكرته ليلا وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا ما لا يصح وقوعه من امرىء رغب المعالي وطلب شرفاً رفيعاً وقصارى القول انه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة وأن تعملوا بقول الشاعر

بقدر الكد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى
يغوص البحر من قصد اللآلى ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير جد أضاع العمر فى طلب المحال

ان أعمل به حقيقة وبذلك تنال الاجر العظيم وأنال سعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة

شوقى ـ بما أنك قد اهتديت الى طريق الصواب فسأوقفك فى كل مقابلة على بعض مايهمك من المبادىء الشريفة وعلى الله التوكل فى كل الامور

﴿ المطالعة فى الطريق ﴾

قد رأينا الكثير من تلامذة المدارس الابتدائية يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحا للمدارس ولما كان فى هذا الامر ضرر عليهم أردنا سياق النصح لهم حتى يعلموا اضراره فيرجعوا عنه :

تعلمون جميعاً معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة صباحاً هى الساعة التى يهرع فيها أغلب الناس بحثاً على معاشهم ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك وجب على كل مار ان ينتبه فى سيره خوفاً من لحاق الضرر به وكلكم يعلم أن العقل هو سلطان الجسم ورئيس الحركة

جمع الاموال ولا كنز الدنانير بل هي في راحة الخاطر وارتياح الضمير فرب ذي مال كثير لا ينام من الليل ساعة لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملاكه وما عليه وما له ورب فقير ذي خصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر لاشاغل يشغله عن عبادة الله والقيام بواجباته

اذا علمت ذلك وأضفت الى علمك هذا ان راحة الضمير وسكون السريرة لايكونان الا بطاعة الخالق والعمل بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيام نحو الاهل والوطن بالواجب كل هذه الامور التي أرشدنا اليها الدين القويم رأيت انك مخطيء أولا في قولك ان السعيد هو من جمع الدنانير وثانيا في عزمك على الاختلاس ذلك الامر الذى لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار الدين والشرف

فهمى — لقد تبين لي من قولك هذا ياأخى ان أعظم هاد للانسان في حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم فاوعى فهل لك ان ترشدني الى مبادئه الشريفة حتى يمكنني

واحداً فهل لك ان تسمعه وتجيبني عنه

فهمى ـ سل عما تريد تجدني لك مجيبا بقدر ما أعلم

شوقى ـ وما بغيتك فى ان تكون ذا ثروة

فهمى ـ لكى أعيش عيشة راضية

شوقى ـ وهل تظن ان العيشة الراضية فى الثروة

فهمى ـ نعم

شوقى ـ وماذا تريد أن تعمل لتكون ذا ثروة

فهمى ـ بما انك قفلت امامي باب السيميا فليس لي حيلة الا ان أختلس متى توظفت

شوقى ـ انه لا يسعنى الا ان أظهر لك اني آسف على أفكارك هذه التى أبديتها فانها أسوأ الافكار وأدناها وقد توصلك الى حضيض الذل ان قمت بتنفيذها

فهمى ـ انى لا أرى فى أفكاري الا صوابا فان كنت ترى انها خطأ فارجعنى عنها بدلائلك القاطعة كما أرجعتنى عن اعتقادى السابق واظهر لى الطريق المستقيم

شوقى ـ اعلم يا أخى ان السعادة الحقيقية ليست فى

وهبه الخالق لنا ليهدينا الى أقوم سبيل فاذا حكمنا العقل في هذه المسئلة وصلنا الى النتيجة التى قدمتها لك وهى أنه لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاستعملها الكثير طمعا في جمع المال فضلا عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية لاختير غير معدني الذهب والفضة للتعامل بين الناس اذ ان هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهما

فهمى — لقد أجبرتنى بقوة برهانك وصحيح دليلك على تصديق قولك وان كان فى نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد السيمياوية

شوقى — لا يجب عليك ان تعتقد بقواعد السيميا اذ انها محض تلفيق وآخر دليل أذكره لك على قولي أنه الى الآن لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على درهم واحد بل ان أغلبهم فقد القناطير المقنطرة من المال

فهمى — حقاً لقد صدقت ياايها العزيز

شوقى — اذا كنت صدقت قولى وتركت اعتقادك بالسيميا وخرافاتها لزمنى اتماماً للفحص ان أسألك سؤالا

فهمى ـ ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة في كتاب آخر غير الموجود عندى وان شاء الله سأشتريه عن قريب لكى أقف على كل أسرار العلم

شوقى ـ وهل حولت شيئاً من النحاس الى فضة أو من الفضة الى ذهب

فهمى ـ اني لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فاشتغل به في مدة الدراسة

شوقى ـ اعلم ياأخى هداك الله ان قولك مملوء بالغرور خال عن الحقيقة والدليل على ذلك ان النحاس والفضة والذهب وغيرها هى معادن طبيعية وليست صناعية ولو امكن عملها لكان سبقك الى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمثالك الذين أولعوا بحب الدنانير

فهمى ـ انى لفى غاية الاستغراب من قولك هذا فان قواعد علم السيميا معقولة مقبولة

شوقى ـ ليس في الامر مايحير الفكر أو يدهش البال فان كل مسئلة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذي

﴿ محاورة بين صديقين ﴾

شوقي ـ عم صباحاً [illegible] ـل الوفى والصديق العزيز

فهمى ـ أنعم الله صباحك سيدى ومحبى الكريم

شوقي ـ قد مضت الاجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت مشتغل به وقد كان يمنعنى عن مكاتبتك عدم وقوفي على حقيقة عنوانك فما السبب فى عدم مخاطبتك اياى

فهمى ـ ان السبب الحقيقي الذى منعنى عن مخاطبتك هو السبب الذى منعك عن مخاطبتى

شوقي ـ ولعلك تكون اشتغلت بشىء مفيد فى هذه المدة الطويلة

فهمي ـ نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيمياوية وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلنى من أكبر الناس ثروة وأكثرهم مالا

شوقي ـ وأظنك تعلمت أيضا تحويل الذهب الى ماس

منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة فى العالم فى قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفى الصناع مؤنة البحث والمطالعة في الجرائد . وكيفية ذلك ان أعضاء الجمعية تنقسم الى جملة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التى يمكن وضعها فى قالب روايات وقسم ثان يختار الاهم ويترك المهم منها وثالث يضع الحوادث في قالب روايات ورابع ينقحها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وثامن يجلدها وتاسع يفرقها على المكتبات والباعة و. الخ

ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحد أى ملليمين وبذلك يشتريها الصانع بثمن بخس وبتلاوتها يقف على ماوقع أمس يومه في بلاده وفى غيرها من الحوادث المهمة

هذا مثل من أمثال الاعتناء بالصناع يدلنا على غيره

ومن يتأمل فى هذا الاعتناء يرى ان احترام الصناع واجب على كل فرد صغيراً كان أو كبيراً

الا كل غر جاهل فضروريات الحياة التى هى المأكل والمشرب والملبس والمسكن قد صاغت أكثرها يد الصناعة فلها اذاً على كل موجود فضل بين يحمله على اعلاء شأنها واحترامها واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون قد نسى واجبا نعده سامى القدر خطير المقام وحقيقة فان الصناع الذين هم رافعوا لواء الصناعة جديرون بالاحترام حقيقون بالتجلة والاعتبار وقد علم ذلك أهل البلاد المتقدمة علما حقا فاحترموا الصناع واعلوا من شأنهم حتى أصبحوا فى مقدمة المبجلين وطليعة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة فقد طرحوا احترام الصانع خلف ظهورهم ولم يكفهم ذلك بل انهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم مجدا وقدرا والسبب في ذلك ظاهر كما قدمنا وهو ان احترام العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن

ففى البلاد المتقدمة وعلى الخصوص فى الولايات المتحدة للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم ان أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض الاصلي

بالصناعة والتاريخ يملي على مطالعيه تقدم الامة الاسلامية فيها وفى الزراعة والتجارة

ولم يزل للآن هذا الناموس عاماً وشاهدنا على ذلك تقدم هذه العناصر الثلاث في البلاد المتقدمة فلها بين أهالى تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم تضع الناس قدرها الا فى البلاد الشرقية على انها أولى من غيرها بالاعتناء بها

يظهر مما سبق ان مجد الصناعة والزراعة والتجارة ملازم لتقدم الامة متعلق بارتفاعها وعلو شأنها

أما الزراعة فمعتنى بها فى بلادنا اعتناء شديداً نظرا لان القيام بها أقل تعبا من القيام بأحد العنصرين الآخرين ولان البلاد زراعية بطبعها

أما الصناعة والتجارة فغير معتنى بهما وان كنا نرى لهما وجودا فهو ضعيف جدا فى جانب الواجب

ولما كانت الصناعة فى مقدمة هذه العناصر أحببنا ان نخصص للكلام عليها في جريدتنا بعض الاسطر فنقول :

الصناعة لها فى الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره

عملهم بقول الشاعر

أجارتنا انا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذى أنشقه طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم الوطنية بعيداً عن ان يسمى وطنياً أو أجنبياً ومثل هذا يعيش كئيباً حزينا عليه غضب من الرحمن ولعنة

﴿ الصناعة والصناع ﴾

كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم وماجريات الأحوال فى البلاد يعلم ان الصناعة والزراعة والتجارة هي أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وان كل أمة قطعت سبيل الحضارة لم تصل الى ماوصلت اليه الا بهذه العناصر الشريفة فهى من أهم الاسباب التى أوصلت الامة الاسلامية فى الازمان السالفة الى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين افرادها أعظم مقام وأسمي احترام وتلك آثارهم قائمة فى كل البلاد التى سكنوها تدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء

فى تلك البلاد أمراً مستغرباً ولا شيئاً مدهشاً كما يقع في بلادنا اذ ان اتحاد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لانه واقع فى وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما فى البلاد الاجنبية فما كنا نرى فى الاتحاد فرقاً بيننا وبين من يحيط بنا من الاجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم فى خدمة الوطن متحدون قلباً وقالباً ولا يختلف فى ذلك اثنان

ومن ينظر الى هذا الامر لابد أنه يستشعر باستغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ ان الوطنيين هنالك والاجانب لا يختلفون فى اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والبون بعيد

ولاشك ان من يبحث فى سبب التغاير بين البلاد الشرقية والبلاد الغربية فى هذا الامر يدخل فى دائرة الحيرة من حيث انه يعلم ان الاتحاد لازم ضروري فكل جماعة يقيمون فى بلد اما ان يكونوا وطنيين أو أجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب الاتحاد والائتلاف في خدمة بلادهم وان كانوا أجانب لزمهم ذلك أيضاً لوجوب

الدوكاو يساوي ٤٦ غرشاً مصرياً والفضية هي الفلورين وتساوى ٩ غروش مصرية وغير ذلك يوجد قطع ذهبية تساوى أربعة أمثال الفلورين وقطع أخرى تساوي ثمانية أمثالها

الجزء السابع

﴿ ربيع الثاني سنة ١٣١١ ﴾

﴿ اتحاد الوطنيين في الاغتراب ﴾

أجارتنا انا غريبان هاهنا ۞ وكل غريب للغريب نسيب

ماكان أشدنا تمثلا وتمسكا بهذا البيت مذكنا في بلاد الغربة فاننا كنا جميعا كاعضاء عائلة واحدة تم بين افرادها الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لايدع ساعة من زمنه دون أن يقابل اخوانه فيهاولو ألم باحدنا شيء مكدر وان يكن خفيفا كنت ترى الجميع قائمين في خدمته لا يألون جهدا في تأدية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تقوت عرا الائتلاف والاتحاد بيننا ومهما اشتدت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك

وبرونزية فالذهبية هى الجنيـه الانكليزي واجزاؤه وهو يساوي خمساً وعشرين فرنكاً وربعاً أي (٩٧٫٥٠ غرشاً مصرياً) والفضية هي الشلن وهو يساوى ما يقـارب الخمسة غروش مصرية والبرونزية هى البنى وهو يساوى نحو الاربع ملليمات والنقود الالمانيـة كلها فضية وهى التالر ويساوي ١٣ غرشاً مصرياً والمارك ويساوي ما يقارب الخمسة غروش مصرية

والنقود الاميركيـة قسمان فضية وبرونزية فالفضية هى الدولار وهو يساوي نحو ٢٠ غرشاً مصرياً والبرونزية هى السان ويساوي الملليمان

والنقود الاسبانيـة كلها فضية وهى الدورو ويساوي نحو ١٨ غرشاً مصرياً والبزتا ويساوى الاربعة غروش مصرية تقريباً والريال ويساوى القرش الصاغ تقريباً

والنقود الروسـية قسمان فضية وبرونزية فالفضية هى الروبل ويساوى نحو الخمسـة عشر غرشاً والبرونزية هى الـكوبك ويساوي ملليماً ونصفاً تقريباً

والنقود النمساوية قسمان ذهبية وفضـية فالذهبية هى

قرآنية وأحاديث نبوية وجمل ذوقية يرتاح لها الخاطر مثل (لك الجنة يا مالكي . عش سعيداً يا صاحبي) ويموهون على عقول السذج بان هذه الفاكهة من الجنة ويستدلون على ذلك بما هو مكتوب عليها من الكتابة الخضراء وبهذه الكيفية يبيعها المحتال بثمن باهظ جداً ويحرص عليها المشترى أشد الحرص . فليتأمل القراء الى سبك هذه الحيلة والى شدة مفعول الجهل بعقول البسطاء

﴿ النقود فى أشهر الممالك الاجنبية ﴾

تختلف النقود باختلاف البلدان ففي فرنسا وايطاليا وبلجيكا واليونان وسويسرة النقود السائرة هى النقود الفرنسويةوهى البنتو وأجزاؤهوالبنتو يساوى عشرين فرنكاً (أى ٧٧ غرشاً مصرياً وكسور المليم) والفرنك يساوى مائة سنتيم والسنتيم ليس له وجود حقيقي بل ان كل خمس سنتيمات تكون ما يسمى صلدياً

والنقود الانكليزية تنقسم الى ثلاثة أقسام ذهبية وفضية

هلمواواتركوا الشحناء منكم ... وكونوا أوفياء فذاك احرى
أليس يشيننا ترك المعالي ... تباع بغير وادينا وتشرى
ونحن رجالها وبما لديها ... من الاسعاد والخيرات أدرى
نسينا البر للنيل المفدى ... وخلنا أننا جئناه خيرا
فعار أن نسمى الذل عزاً ... وعار أن نسمى الشح برا
وعار أن نعيش بغير مجد ... ونبصر فى السما شمساً وبدرا
وعار أن يكون لنا وجود ... ويحظى غيرنا فوزاً ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزا ... ولا تبقوا بذل كى يسرا
وسيروا نحو هذا القصد حتى ... تنادوا أجمعين بعز مصرا

شذرات

﴿ النصب العلمي ﴾

أتينا فى أحد الاعداد السابقة على طريقة للرسم والكتابة على الفواكه وقد جاءنا في الاسبوع الماضى خطاب من الصعيد يقول فيه كاتبه ان فئة من الناس تستعمل طريقة الكتابة على الفواكه سبيلا للتعيش فانهم يكتبون عليها بعض آيات

هذا عن ذاك لانه عليه قوام الامور واصلاح الاحوال . والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب يكون ضرره عظيما جدا على الامة التي يشغل بين افرادها محلا فى ادارة الامور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة على ان ضرر الجاهل اقل بكثير من ضرر العالم العديم التهذيب ولما كان اسمى غرض لنا هو تهذيب الاحداث فقد عزمنا على أن ندرج فى كل عدد من أعداد جريدتنا نشيداً أو نشيدين على نمط السلاسة والتهذيب التام حتى انه بعد مضى خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجمعها فى كتاب نضم اليه بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة اساسية لتهذيب الابناء وانا لا نعدم فى ذلك العمل مساعدة الفضلاء والادباء والشعراء

والى القراء نشيداً جادت به القريحة نعده باكورة لهذا العمل

هلموا يا بنى الاوطان طراً   لنرجع مجدنا ونعز مصرا
هلموا كى نوفى القطر حقاً   نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العلياء حتى   تنال بلادنا عزاً وفخرا

المارة وانتشلتهما من هاوية الهلاك

وفى الثالث من شهر مايو الماضى رأى عند خروجه من المدرسه عربة سريعة العدو كادت أن تدهس أحد أقرانه الذى كان يسرع السير بقصد مقابلة قريب له فانجاه من الموت بخفة لا مثيل لها بعد ان اعتقد الجمهور كمال الاعتقاد ان تلك اللحظة هى آخر دقيقة فى حياة الاثنين)

هذان العملان الجليلان قد صاغتها يد تلميذ لم يبرح مشتغلا بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنة الثانية عشرة من عمره فهو جدير بان يكون قدوة حسنة لأمثاله فانه يرى فى عمله هذا خيرا كبيرا فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد مات شهيد الشفقة والمرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومة الفرنساوية قد كافأته باهدائه : نيشاني الانقاذ الخطيرين.

﴿ الأناشيد الوطنية والتهذيبية ﴾

لقد اصبح من الامور البديهية المسلم بها عند جميع العقلاء انه لابدان يكون التعليم مخلوطاً بالتهذيب بل يلزم تفضيل

الفرنساويين المولود فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لنداس واحد تلامذة مدرستها العمومية الآن

نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام فانه قد خاطر بنفسه مرتين متواليتين لنجاة شخصين كادت المنية ان تغتال حياتهما لولاه ولذلك قد أتت احدى الجرائد الفرنساوية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متقلداً النيشانين اللذين أهدتهما اليه حكومته جزاء طيب أعماله محيطة تلك الصورة بذكر هاته الافعال الحسان واليك ملخص ماجاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكيير فى العاشرة من عمره « أى منذ سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كثيف الثلج بقصد اللعب فيه ومذ كانوا فى بحر اللعب غارقين اذ وقعت قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم فى هاوية كانت تغطيها ولم يلبث الشاب ان هوى معها حيث كان يهدده الموت من كل جانب لولا ان واكيير المقدام ألقي نفسه بسرعة عجيبة فى الحفرة وأخرج رأس خليله من الماء حتى أتت جماعة من

أفادهم ذلك المجتمع السعيد اكثر مما أفاد غيرهم بكثير ان يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكلوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا أموالهم فى خدمة وطن قد خدمهم اكبر خدمة وأنالهم اكبر منة ؟

لا شك اننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن خدمة صادقة مبدأ لنا وصلنا الى أسمى مقصدنا وأدركنا ضالتنا المنشودة

فيجب علينا عموماً ان نقتدى بأعمال أميرنا الجليل الذى قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وان تجعل الكبار فى مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الابناء وان تنشأ الاحداث على هذه المبادىء الشريفة وليعلموا علم اليقين ان عليهم حياة البلاد وانهم رجال المستقبل وان زمنهم نفيس فلا يصرفونه الا فيما يجديهم نفعا والسلام

(تلميذ مقدام)

نعنى بذلك « جول واكيير » ابن أحد الصناع

بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصداقاً لقولنا هذا قال أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقة كل الرسوخ (ان الهيئة المحكومة هى سيدة الهيئة الحاكمة ولا عكس) اذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية التى هى واد عزيز عميم الخيرات كثير البركات قد خصه الله بمزايا لم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقراً للنزلاء الذين قد نضبت بحار خيرات بلادهم عن أن تسد حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخير الجزيل والبر الجليل والى ماأديناه له من النفع نرى انالم نأته بذرة مما أتانا هو به فانه قد أصابته الأمراض وحاقت به لادواءواشتد أنينه وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لانسمع اقوله ولا نلبى نداءه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمته

أليس من الواجب علينا عموم المصريين ان نتحد قلباً وقالباً فى الاخلاص الوطنى وان نترك الحقد والحسد من بيننا وان نعمل جميعاً على تقدم البلاد وراحة العباد ؟

أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصاً الذين قد

الهيئات الحاكمة فى هذه المجتمعات هي القائمة وحدها بالاعمال وهى الساعية دون غيرها فى تقدم الشعوب ومن النادر ان نرى بين أفراد الامة من يقوم فيعمل عملا جليلا يعود علي المجتمع بفائدة أو نفع

وغير خاف أن الامة فى كل هيئة اجتماعية هي التى عليها مدار العمران وهي أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه اذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب علي الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لان ما تراه هذه صواباً تراه تلك خطاء نظراً لانغماسها فى الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى اذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة بالافكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع يعيش سعيداً ويبقى عيشه رغداً وذلك لان الهيئة المحكومة لا تتأخر عن اسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها

من بحر علمه الخضم فكرة تنطبق على الحقيقة كمال الانطباق فيفهم منه ان من واجبات الانسان فى المجتمع ان يأتي بعمل يعود على ذلك المجتمع بالنفع والا فوجوده بين أفراده يعد ضرراً ويعتبر ذلك الشخص كسحابة حجبت ضوء الشمس فلا هى أمطرت حتى تفيد الناس ولا هى سارت حتى تترك ضوء الشمس وحرارتها يفيدان بفوائدهما الوجود

وبديهي ان هذا القول حقيقي اذ ان كل فرد يعيش فى مجتمع يجب عليه ان يؤدى لذلك المجتمع نظير مايكتسبه منه من الغذاء والشرب والملبس والغطاء والاقامة بين الامن والهناء خدمة تعادل تلك الخدمة الجليلة التى يؤديها له المجتمع فاذا قصر هذا الفرد عن القيام بهاته الخدمة المتحتمة عليه كان وجوده بين أفراد المجتمع ضرراً عليهم اذ انه يكتسب منه مايجب ان يقسم بين الافراد الآخرين الذين يؤدون للمجتمع خدامات صادقة

وانا لو أردنا ان نطبق هذه القاعدة الصائبة على المجتمع المصرى بل وعلى سائر المجتمعات الشرقيـة الحالية لرأينا ان

أمر التربية الاسلامية .

ومهما بلغ الضغط على المسلمين فى البلاد فان نور الاسلام منتشر لا يمنعه مانع أما ترى نور الاسلام فى ليفربول تلك البلدة التى كانت من عهد قريب محط رحال رؤساء الديانات المغايرة . أما ترى الاسلام فى أمريكا وما تأسس هنالك من الجمعيات الاسلامية المعضدة من أغنياء مسلمى الهند الذين سيتركون بلادهم ويرحلون الى هذه البلاد ليهدوا الناس وينيروا العقول ولا يبعد ان نرى أغلب اخواننا الموثرين الذين لاغرض لهم في الوجود الا رفعة الاسلام يقتدون باخوانهم أهل الهند . نسأل الله أن يصلح الاحوال ويهدي الضالين من أبناء آدم واز يعيد عزة المسلمين انه بالاجابة جدير

والمـرء مالم تفـد نفعاً اقامتـه

غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

من يتأمل فى معنى هذا البيت وما حواه من الحكمة الباهرة يرى ان ناظمه الفيلسوف ابا العلاء المعرى قد وهبه

الى الوقوف على علوم عديدة جعلتهم اعلم الناس طراً وأشرف الخلق جميعاً

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامى من يوم وجوده يبعث أنواره فى الآفاق حتى اهتدت أغلب الناس اليه وماترك اعتناقه الا من عميت بصيرته وعشق عقاب الآخرة

وقد يخطىء أعداء هذا الدين الخطأ الجم عند مايقولون أنه اذا كانت مبادئه حقيقية فلم لم ترتفع للمسلمين فى هذه الايام كلمة ولم سبقهم الافرنج الى التقدم ويضيفون على ذلك ان العرب لم تصل الى ماوصلت اليه الا بقوتهم وشجاعتهم لا بنور دينهم وعظيم علومهم

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن العرب قبل الاسلام وبعده هم العرب لم يتغيروا وقوتهم ثابتة لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن قبل الاسلام لاشك ان بلوغ هذه المكانة التى بلغوها ينسب الى تأثير هذا الدين الجليل وأما السبب فى عدم ارتفاع كلمتنا فى هذه الايام فهو لان أكثرنا ترك قواعد الدين فعلا لا اعتقادا وأهمل

﴿ نور الاسلام في الآفاق ﴾

الدين الاسلامى هو أشرف الاديان على الاطلاق وأجلها مقاماً وأعظمهم قدراً لانه مكون من حقائق يقبلها العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ماعملت به أمة من الامم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الامم

وأعظم شاهد على قوة نور هذا الدين الحنيفي أنه ماظهر بين الامة العربية الا وملأ نوره الآفاق وانتقلت تلك الامة البدوية من الجهالة التامة الى درجة من العلم لن ترى ولا ترى. ذلك أمر عجيب وسر غريب وتلك حكمة عالية ومعجزة تدهش الالباب

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة العالية وادراك ذلك السر العجيب فقليل من التبصر يوصلنا الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة يوصل الى معرفة علوم شتى فالعرب بفهمهم هذه المعاني الرفيعة وصلوا

أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية

ولا تسل أخيرا عن كبير حبورنا عند ماغادرنا فرنسا وايطاليا وركبنا البحر عائدين الى الوطن العزيز عند ماسالمتنا أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه فى ليال كان فيها مستكملا ثم جئنا الاسكندرية فجرا فرأينا أمامنا زينة العباس ونورها بل رأينا نوره فى البحر أسطع من ضوء القمر حيث لبثنا هنيهة نتمتع بمنظر المدينة وهي تتلألأ كأنها عروس الحي كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها تذهب حينا للامام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها لدخول البوغاز

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلا حتى جاء رئيس البوغاز وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا مجامع الزينة الباهرة فكان الفرح فرحين والسرور سرورين اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ناصر الدين والاوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك على ماتشاء قدير

البحر الابيض المتوسط . ولم نزل كذلك بين عناء وهناء مدة أربعــة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضى ميناء مرسيليا ولا تسل عمــا لحق العموم من السرور وخصوصاً الفرنسيين منهــم فانهم كادوا أن يطيروا فرحاً وبعد وصولنا بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مبــاشرة حيث وصلناها مساء اليوم التالى وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة وحسن الترتيب وكمال النظام فى جميع الاعمال ما يسره كثيراً

أما ما كنا نستشعر به فى باريس فاحساسات مختلفة فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد فى وطننا العزيز وتارة نأسف على بلدنا عند ما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الامة والحــكومة وشرف الصناع وغــير ذلك من الامور التى امتازوا بها

ولا تسل عما كان يحيط بنا من السرور عند ما نقرأ في الجرائد الفرنســية ذكر الاجــلال الذي قوبل به أميرنا المحبوب عند سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين

بل ولا تسل عن فرحنا (بالمؤيد الاغر) عند ما تأتي

عن تاريخ هذه الجزيرة كانه يلقي درساً ما . وأما الانكليزى فهو غليظ الطبع مبتعد عن الناس كثير العزلة ولذلك كان لا يرى للانكليز وجهاً في أغلب الاحيان الا وقت الاكل وأما الطليان فهم قوم لا رشاقة لهم كثيرو الوساخة يوافقهم مرض البحر كل الموافقة

وأما السوريون فاغلبهم كان من ركاب الدرجة الرابعة التي ينام أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغي السورى منهم نيل الدرهم وشرب النبيذ . وأما أخلاقهم فعنوانها الحماقة الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى معرض شيكاغو

قلنا أن البحر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك ليلته ونهاره ثم أخذ يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيبه بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تنطق أمواجه بانه رب البطش والقوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذى وهب العالم باسره التمدن وتقلبت السعادة على سواحله وهو هو

استشعرت برجوع القوة والنشاط الي علوت سطح المركب وهى تحت السماء وفوق المـاء لاستنشق الهواء فرأيت من الركاب عدداً عديداً بين الفرنسيين والانكليز والطليانيين والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين لاقصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود ثانيـة وهنا ظهرت لي حكمة النيل العجيبة وخاصيته التى ليست فى غيره وهى أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الاوطان ولذاك ترى أكثرهم لا يغـير مقره وان ضرب عليـه الذل وخيمت على منازله المسكنة ولعمر الحق لتلك مسئلة كادت تكون وراثيـة على أن كثيراً من سكان المعمورة يتنقل ليرى أحوال غيره فيتعلم حيل التعيش .

ولقد رأيت أن فى وجودي مع هذه الاجناس المختلفة فرصة عظمى للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم فعلمت أن الفرنسى منهـم رقيق الطبع لـين المعاشرة حسن التكلم يراعي فى خطابه كل الادب الا أنه قليل الثبات فتراه اذا مررنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم

فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات الأسف وشدة التعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فما أشبه المبتعد عن وطنه بطفل فصل من أمه . وقد كادت شدة الاسف تجعل البكاء مدراراً رغماً عنا ولكننا تجلدنا خشية من ضحك الافرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها رغبة فى نيل مآربهم . وما ابتدأت احساسات الاسف تقل بارشاد العقل بان الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع حتى ابتدأت الباخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال واحشاؤنا تلعب معها بالتبع كما يتحرك الرضيع في أرجوحة اهتزازية . ولم نزل كذلك مدة عانينا فيها مرضين كلاهما عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الاول منهما أقوى وأعظم اذ أن آلامه فى القلب وحده وأما الثاني ففى الاحشاء

وقد بقي البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حتى وصلت الشمس الى الربع الرابع من دائرة الافق فعدنا الى الوجود بعد أن قاسينا أهوالا لم نر لها شكلا من قبل ولما

الامتحان ومشاهدة عجائبها وتمدينها وما عليه أهلها من الاخلاق والعوائد وأحوال المعيشة العمومية وخصوصاً حالة الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقية الى غير ذلك من المسائل الادبية التي هى أسمى فى الحقيقة من الماديات بكثير . وبعد ذلك عرجنا على ايطاليا مارين باهم مدائنها مروراً وقتياً لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة الاهالي والحكومة المالية التي علمنا بالمشاهدة أنها متقهقرة من جميع الوجوه . ثم عدنا بالسلامة الى الاوطان بعد أن أخذ منا الشوق اليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التى تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصاً لاول مرة ثم نعقب ذلك في الاعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من المسائل الأدبية المهمة

(فراق الوطن لاول مرة)

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا

في أربعـة أمور « أولا » تحـديد ثمـان ساعات للشغل . « ثانياً » ثمـان أخرى للراحة « ثالثاً » ثمـان للنوم. «رابعاً» ثمـانيةشلنات كل يوم « نحو أربعين غرشا صاغا »

(متوسط العمر فى العالم)

دلت الاحصائيات الدقيقة على أن متوسط العـمر فى العالم هو ٣٨ سنة

(التجارة في فرنسا)

قد تقدمت التجارة فى فرنسا تقدماً عظيما حتى بلغ عدد التجار فيها عشر الاهالى

الجزء السادس

﴿ ربيع الاول سنة ١٣١١ ﴾

(العود احمد)

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا جزءاً عظيماً منهما ومن سابقهما فى فرنسا بقصـد تمضية

(٤) يقولون ان آسيا هى مصدر الوباء لأنه طالما زار بلاد العجم

(٥) يوجد بالقاعة أربع هرات

س لم افتتح التعليم بالحروف الأبجدية وما معنى أسمائها ومن الواضع لها

محمد الصاوى مدرس
بمدرسة التقدم
بالزقازيق

شذرات

(أطول نهر فى الدنيا)

علم ان نهر مسيسبى الموجود بأمريكا الشمالية هو أطول أنهار الدنيا فان طوله يبلغ ٤١٠٠ ميل ويليه نهر النيل السعيد الذى يبلغ طوله ٣٧٠٠ ميل

(طلبات عمال الانكليز)

تنحصر طلبات العملة الانكليز فى كل هيجان يعملونه

كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيباً منتظما به تفوق الحاصلات المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت مثلا وتكتسب في شهرك مبلغ كذا يلزمك أن توفر منه الثلث على الاقل حتى ترجع اليه عند الحاجة لان الدهر خوان ان سالم يوماً عادي أياما وان أقبل وقتا أدبر أوقاتاً فهو سلاب للنعمة لا يعلم وقت غدره ولا ساعة جفائه . لا يردعه عن بغيه الا الاقتصاد الذى هو سلاح يقاتل حادثات ذلك الزمان الخؤون والا فان حسبته بخلا ونبذته ظهريا كنت ألعوبة في يد أيامك

(أجوبة الاسئلة المندرجة بالعدد الماضى)

(١) ان نهر سيمواس القديم يعرف الآن باسم دمبرك ونهر سكامندر يعرف باسم منديريس

(٢) ان الحيوان الذى يمثل شكل الرقص والموسيقي والرسم في آن واحد هو الضب المصبر

(٣) يميز الثعلب الصغير من الذئب الصغير بالحدقة العينية فانها عند الثعلب عمودية كحدقة عين الهر وعند الذئب مستديرة كحدقة الكلب

متي ثبت فى ذهنك أنه يوجد من هو أعلم منك أما تدرى إن لاشيء على الانسان بعسير

الحفيد ـ ولكنى لو اجتهدت وصرت الأول أخاف أن الذين هم قبلى الآن يعادوننى ويكرهوننى

الجد ـ لم ذلك أأنت تكره من يتقدم عليك

الحفيد ـ نعم

الجد ـ ان هذه صفة قبيحة يجب عليك أن تتركها وأن تحب للناس ماتحب لنفسك واذا تقدم عليك أحد فكن مسروراً مادام مصريا واجعل محبة الوطن نصب عينيك آناء الليل وأطراف النهار وثبتها فى فكر من لم يعلمها حتى تنجح على أيدى أمثالك البلاد وتعيش فى هناء واسعاد

(الاقتصاد)

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة لحالة الانسان وهى صفة جليلة حميدة العواقب تحمى المرء من نكبات الدهر وملماته ولا يقصد بها التضييق فى المعايش

الحفيد ـ لتعش مصر

الجد ـ ان مشاهدتي ياولدي العزيز لمصرى نبيل تبهج ناظري ورؤيتى لوطنى نشيط تأخذ بمجامع القلب و الفؤاد كما أن مشاهدتي لآثار آبائي وأجدادي العظماء تجعل فى قلبي محلا للفرح ومحلا للترح فافرح لان تلك الأعمال أعظم من أن يأتي المعاصرون بمثلها وأتكدر لما أرى أننامعشر المصريين الحاليين لم نتبع خطتهم ولم نجر على منوالهم فأناوالحق يقال قد قصرنا فى واجباتنا فيجب عليكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا بأجل الخدم لبلادكم التى ربيتم أنتم وآباؤكم وأسلافكم فيها وتمتعتم بخيراتها

الحفيد ـ حقاً ما تقول ياسيدى المكرم

الجد ـ الآن بما أنك فهمت قولي وعلمت أنك مدين لبلادك بأشياء كثيرة ينبغى أن تكون التلميذ الاول من فرقتك

الحفيد ـ لا يمكننى ذلك لانه يوجد من هو أعلم منى

الجد ـ ومن أسبوع الى أسبوع تصير التلميذ الأخير

عنهم اذا هاجمهم العـدو ويفضل أن يعيش سيء الحظ عن أن يراهم يتألمون من مصاب ومتحداً معهم قلباً وقالباً يكون ما يسمى بالعائلة

الحفيد ـ نعم ولدي الأعز ولـكنك لم تعرفني للآن معنى كلمة الوطن

الجد ـ اصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطاباً أتي من أخيك قبل كل شيء

« سيدى وجدي الأجل

اني أتأسف كثيراً لمفارقة عائلتي التي نشأت فيها ولـكني لحسن الحظ وجدت مع زمرة من الأوفياء الذين لا قصد لهم الا خـدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التي ربتنا وعلمتنا صـغارا وهذبتنا حتى صرنا أهلا لخدمتها كبارا وأنا في موضع نهاجم فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهـل والأحباء . الضباط رفقائي هم كاخوتي وقائد الجيش كوالدى وخدمة أوطاني نبراسي واخـلاصي لأميري قدوتي فقل معي لتعش مصر »

فى هذا اليوم حفظت دروسى جيداً وأديت ما عليّ من الواجبات بكل همة ونشاط

الجد ـ ولما تعين أخوك ضابطاً هل نالك من الحبور ما نالك يوم تعيينى قاضياً

الحفيد ـ نعم اني كنت منشرح الخاطر يوم ما ترقى وودت ان أكون مثله لالبس تلك الملابس البهجة

الجد ـ قد ظهر ياولدى العزيز من أجوبتك أنك تفرح لفرحنا ولكن هل لو ألمت بنا مصيبة تشاركنا فى الكدر

الحفيد ـ أما نظرت ياوالدى الاكبر ما كنت عليه من الكدر وسوء الحال يوم مرض والدتى

الجد ـ اذاً أنت تحبنا وتفضل أن تعيش معنا عن أن تعيش مع غيرنا

الحفيد ـ لاشك فى ذلك

الجد ـ اعلم يا ولدى العزيز أن اجتماع أناس متحابين يفرح الواحدمنهم لفرح الآخرين ويتكدرلكدرهم ويدافع

خدشك فى وجهك

الحفيد ـ هو هر

الجد ـ قل الحق اني لا أظن ذلك

الحفيد ـ اني تشاجرت بالامس مع حسن

الجد ـ لماذا ؟

الحفيد ـ لانه سب والدى

الجد ـ اذاً أنت تحب والدك وتدافع عنه

الحفيد ـ لاشك فى ذلك

الجد ـ أظنك لا تحب غيره

الحفيد ـ كلا بل أحب أيضاً والدتي وجدتي وأنت ياجدى العزيز وشقيقي الاكبر على

الجد ـ أنت تحبنا حينئذ

الحفيد ـ كيف لا وأنتم أهلى

الجد ـ اذا كان الامر كذلك فأظنك كنت مسرورا عندما تعينت قاضياً

الحفيد ـ أجل وقد كنت بك معجباً ومن شدة فرحى

علمنا ذلك حق العلم فاتبعنا طريقة هؤلاء القوم الافاضل وتشبهنا بهم طمعاً فى الحصول على ضالتنا المنشودة فملأنا أعداد جريدتنا بالمحاورات المختلفة التهذيبية وقد رأينا بأنفسنا شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على مطالعتها. فبذلنا الجهد في الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محاورة جليلة عثرنا عليها فى بعض الكتب النفيسة الاجنبية فعربناها مع بعض التصرف حتى غدت ملائمة لمشربنا المصرى الوطنى

﴿ محاورة بين الجد والحفيد ﴾

وقعت هذه المحاورة فى يوم جمعة عقب الصلاة بقاعة الجد حيث كان فى راحة وقد رأى حفيده لوحة مكتوبا عليها (حب الوطن من الايمان) فابتدأ بالقول :

الحفيد ـ مامعنى كلمة الوطن ياجدى الجليل

الجد ـ هل تريد أن أفهمك معنى الوطن

الحفيد ـ نعم أريد ذلك

الجد ـ اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولا من ذا الذى

من المنافع الدنيوية والاخروية ما يعجز اليراع عن حصره . ففى الصلاة مثلا التى طالما يتأخر الكثيرون عن القيام بها فوائد جسدية ودنيوية وأخروية فهى التى تجعل الانسان مخلصا فى محبة الخالق ومتواضعاً لكل اخوانه يفرح لفرحهم ويتكدر لكدرهم طاهر الجسد والثياب فضلا عن انها تنشط الجسم وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واظب عليها. هذا ماأردنا ذكره اليوم فى هذه النبذة الصغيرة حتى لا يفتر الناس عن عبادة الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادى . والله يهدى من يشاء الى مايشاء

﴿ المحاورات التهذيبية ﴾

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها شديدة التأثير على النفس قوية المفعول ينشرح الفؤاد لقراءتها . والقارىء يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت طريقا سهلا يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا فى الوصول الى بث الفضائل فى النفوس ورغبة فى نشر الحقائق بين الامم. وقد

وينهي عن المنكر . فما بالنا معشر المسلمين لا نتبعه وقد علمنا أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا. فلنجعله نبراساً فى أعمالنا وسراجا وهاجا فى حركاتنا وسكناتنا ولا نكن كمن غره السراب فهو يغتر بأقوال الخسرة المموهين والكفرة الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لا لكل الأعصار ونقوم لا لكل الأقوام بل لنعلم حق العلم أن في اتباع القرآن الوصول الى أعلى منائر الحضارة والمدنية .

كيف لا ونحن لو نظرنا لأى أمر من أوامره أونهى من نواهيه لرأينا منه حكماً جليلة وفوائد جمة عظيمة . ولوأمعنا النظرفى تحريم الخمر مثلالرأينا فى ذلك من المنافع مالا ينكره الا كل عدو للحق عتيد فالخمر تسلب الشرف والصحة والمال تلك الأشياء التى عليها تدور رحي حياة الانسان

وكذلك الزنا فان فى تحريمه حفظا للشرف والعرض والآداب العمومية ومحافظة على عدم اختلاط الانساب وفساد الاخلاق الى غير ذلك

وفى جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيها

من فى الظلمات الى النور . كتاب أنواره ساطعة وأحكامه باهرة . تأخذ بلب من رآها حتى أن أعداءه الكافرين وحساده الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع والقانون الكافل للمعاش والمعاد . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

ألا ترى أيها القارىء النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام غلبت فئات قوية وأدخلتها فى ذلك الدين الحنيف القويم

ألا ترى كيف ان المسلمين فى صدر الأسلام ملكوا الأرض من مشارقها الى مغاربها وتفردوا بالكلمة وتوحدوا بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس لا تغيب عن أملاكهم تلك الاملاك الشاسعة والأراضى الواسعة والقصور الشاهقة والمباني العالية والحصون القوية والقلاع الحصينة مما لم تستطع أية دولة من أعظم الدول قوة واقتداراً أن تجارى دولة الاسلام فيه

كل ذلك باتباع القرآن الشريف الذى يأمر بالمعروف

(اليهود فى العالم)

لا يزيد عدد اليهود على أصح الروايات عن ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ أغلبهم فى أوروبا

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠

و ٩ بؤونه سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

(بأى كتاب نقتدي وبأى دستور نهتدى)

نقتدى بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر السموات والأرض وما فرط فيه من شيء. كتاب شريف وقرآن منيف. الحق يقدمه والنور يحيط به من كل جانب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. كتاب يكفل لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا. كتاب آياته بينات وبالحق ناطقات. تنشرح لقراءتها الصدور وينتقل بتلاوتها

يعنى أنه يكتب عـدداً مكوناً من ثلاثة أرقام متساوية ثم يقسم هذا العدد على مجموع الارقام فيكون الناتج ٣٧ دائماً وتحققنا من معرفته يجعلنا نحكم به فى كل الاحوال

(اليابانيون في التشخيص)

ليس من عادة اليابنيين اذا حضروا تشخيصاً ولم يعجبهم ما رأوه أن يهللوا كما يفعل الاوربيون بل أنهـم يديرون ظهورهم الي المرسح فينزل الستار

(الذئاب فى نروج)

كانت بلاد نروج فى السنة المـاضية محط رحال الذئاب فقد تعاظم عددها حتي أنها ابتلعت ٢٠ر٥٠٠ حيواناً منزلياً

(أعظم كلب فى الدنيا)

اشترى أحدالامريكانيين بمبلغ ١٩٠٠٠دولار(يساوى الدولار مبلغ عشرين غرشا مصرياً تقريبا)كلباً طوله متر و ١٠ سنتيمتر وثقله ٢٤٧ رطلا واسمه اللوردبوت

(٣) كيف يميز ذئب صغير من ثعلب صغير

(٤) لماذا يقولون أن آسيا مصدر الوباء

(٥) يوجد بقاعة ذات أربعة أركان أربع هرات كل واحدة منها فى ركن وتبصر أمامها ثلاثا فما عدد الهرات الموجودة بالقاعة

(تنبيه) من يجب على هذه الاسئلة نهد اليه كتاب (أعجب ما كان)

شذارت

(عدد ٣٧)

أن لعدد ٣٧ خاصية عجيبة وهو انه لو ضرب في التسع مضعفات الاولى لعدد (٣) (أى فى ٣ و ٦ و ٩ و ١٢ و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٤ و ٢٧) لنتج من كل حاصل ضرب عدد أرقامه متساوية

وبهذه الخاصية يمكننا أن نكلف أي شخص بان يكتب أى رقم من الارقام التسعة البسيطة وأن يكرره ثلاث مرات

(٥) أن أوستراليا يخترقها من الشمال الى الجنوب سلك واحد تلغرافى واصل بين مدينتين بورداردين وآديلاييد وقد مد في سنة ١٨١٧ ميلادية

(٦) يستخرج الملح اما بتبخير المياه في الاحواض الملحية واما من الصخور الملحية

(٧) يوجد بالقفص ١٢ أرنباً و٢٣ ديكاً

وقد وردت الاجوبة عن أغلب هذه الاسئلة من بعض تلامذة المدارس الابتدائية ولم يفز من بين المجيبين الا حضرة خليل افندى عفت التلميذ بمدرسة السويس الاميرية

(أسئلة أخرى)

(١) ما اسم النهرين المعروفين قديماً باسم سيمواس وسكامندرا للذين يصبان فى بحر الارخبيل وكانت بينهما مدينة ترواده الشهيرة

(٢) أى الحيوانات يمثل شكل الرقص والموسيقى والرسم فى آن واحد

من النبات يكافىء فتوصل العلامة شابتال الى استخراجه من البنجر فى سنة ١٨٠٧ ميلادية ومن ذلك نرى أن السبب فى الاختراع هو الاحتياج غالبا

(٢) تولى أمير المؤمنين هارون الرشيد يوم مات أخوه الهادى وولد ابنه المأمون

(٣) أن جماعة من النورمانديين البحريين تحت رئاسة رجل ماهر اسمه جان دى بيتنكور اكتشفوا جزائر كناريا سنة ١٤٠٢ وأسسوا بها مملكة ولوا رئيسهم عليها حيث استمر حاكما مدة اربع سنوات وبعد ثلاثين سنة من افتتاحها دخلها البرتغاليون

(٤) لم يتكلم لنا تاريخ العرب عن تفصيلات تجول تجارهم البحريين مما يجعلنا في شك من زيارتهم لبلاد اليابان وأن ما نعلمه هو أن أحد مشاهير السواحل المدعو ماركو بولو اخترق فى القرن الثالث عشر آسيا حتى وصل الى بكنغ ثم أقام بالصين عشرين سنة وبعد ذلك اكتشف بلاد اليابان وكان اسمها وقتئذ (زيبانجو)

المناصب وأجلها لأن الادب والتواضع يجعلان الانسان يعتقد في نفسه أنه أقل الناس مقاما وأصغرهم قدراً

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا افادة لاخواننا التلامذة ان بعضهم (وان كان نزراً يسيراً) يستعين في الكتابة بغيره وهو أمر قبيح وفعل ردیء يحط من قدر الانسان وينقص من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما أحسن قول القائل

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعوّل في الدنيا على رجل

(أجوبة الاسئلة المندرجة في العدد الماضي)

(١) ان السبب في اختراع السكر من البنجر هو انه لما اشتعلت الحرب بين فرانسا وانكلترا أيام حكم نابليون الأول انقطعت المواصلات بين فرانسا ومستعمراتها وكانت تستمد منها معظم سكرها فلما اشتدت الحاجة اليه أصدر نابليون الاول أمره بأن كل من يكتشف طريقة لاستخراج السكر

وبذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الذوق السليم وفى كل الاحوال فالكتابة الطبيعية أى الخالية من التكلف أعظم الكتابات مقاماً عند أرباب الاقلام

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتها بمعنى أنه لو كتب لأمير يلزمه استعمال العبارات اللازمة لذوى المقامات العالية وان كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظير وان كتب لمن هو أقل منه مقاماً فان كانت الكتابة على صورة أمر يلزمه أن يستعمل مايلزم من كتابات الرؤساء للمرؤوسين وان كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه الى صديقه

ومن أعظم مايلزم مراعاته فى التحرير الاجابة على خطاب المرسل اذا دعت الحاجة لذلك أى أنه لو خاطبك شخص « ولو كان أقل منك مقاماً » في أمر يدعو للاجابة أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه فى كل الاحوال والا تعد قليل الادب خارجاً عن دائرة المدنية وأهلها فان المرء الذى يظن فى نفسه أنه عظيم وما عداه حقير يكون فى الحقيقة جاهلا لئيما قليل التربية وان كان فى أعلى

فوق كل شرف وأن ثوب التقي أشرف الملابس وراعى أن السعادة الحقيقية فى طهارة السريرة وحسن الطوية لا فى كثرة الاموال وعلو المقام بين الرجال

﴿ الانشاء والتحرير ﴾

لا يقصد بالانشاء تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصلى هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهمها القارىء ويقف بها على قصد الكاتب . ولما كانت موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن يستعمل فى كل موضوع طريقة مخصوصة ففي الموضوعات العلمية يجب عليه أن لا يراعي غير سلامة العبارة من التعقيد وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفى الرسائل والخطابات لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن يكون بدون تكلف فى العبارة . نقول ذلك لا ننا طالما شاهدنا الكثير من التلامذة وغيرهم من حاملى القلم يدعون أن الاجادة استعمال السجع لوضع ألفاظ لا لزوم ولا معنى لها

شراع مركب وقد راقه شدة بياضه وأعجبه حسن منظره فاظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسم الوالد دون أن يجيبه بشىء حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش الطفل من اسمرار لون الشراع الذى شاهده من بعد فى أبهى أثواب البياض فلما رأى منه والده هذه الدهشة قال له لا تغتر يا بنى بظواهر الامور واعلم أن زينة الباطن خير من زينة الظاهر ولله من قال

السبع سبع ولو كلت مخالبه
والكلب كلب ولو بين السباع ربي
وهكذا الذهب الابريز خالطه
صفر النحاس فكان الفضل للذهب
لا تنظرن لأثواب على أحد
ان رمت تعرفه فانظر الى الأدب
فالعود لو لم تفح منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والحطب

فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل

حسن - جزاك الله عنى الجزاء الحسن

(زينة الباطن خير من زينة الظاهر)

لله قائل هذا القول الحق فانه حكيم متبصر نطق بالصواب وفاه بحكمة لو عمل بها الانسان في هذه الحياة الدنيا هدى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم وقليل من يعمل بها من بنى آدم . فالعدد العديد منهم يغتر بالظواهر وهو لا يدري ما تطويه السرائر . فكم من رجل لبس الحرير وتقمش بأفخر القماش وأثمن الملابس فاغترت الناس بزيه وأضحت طوع اشارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة عظيم . وكم من خادع استظهر بمظاهر المتقين بغية نيل مقاصده وحباً فى بلوغ أوطاره وهو لا يصدق بربه ونبيه . وكم من فاضل العلم شعاره والأدب وشاحه أضاع الناس قدره لقلة ما له وعدم بهائه . والشواهد على ذلك كثيرة ينقلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيها حكاية الطفل الذى كان يتنزه على شاطىء البحر صحبة والده فشاهد من بعد

حسن — في ستة أيام . . . ان ذلك زمن يسير ولكن لم لم يخلقها الله في لحظة واحدة مع انه يقول للشيء كن فيكون

عبد الفتاح — خلقها فى ستة أيام ليعلم الانسان أن التأني في الامور محمود وأن العجلة عاقبتها وخيمة

حسن — لله هذه الحكمة البالغة . ولكن قل لي يا أخى لماذا تعمل حكومة الولايات المتحدة معرضاً مثل هذا يكلفها أموالا جسيمة

عبد الفتاح — انه ان كلفها أموالا جسيمة فانه سيكسبها أكثر من ذلك لانه بسببه تروج تجارتها وتربح فنادقها وأسواقها بالنزلاء المتفرجين والاجانب المدعوين فضلا عن أنها تظهر للعالم بأسره تقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين الدول وترتفع كلمتها

حسن — لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك لنفعهم .

عبد الفتاح — اني رهين اشارتك لا أتأخر ولا أستقدم متى دعوتني لاي أمر مهم

الأمم ومصدر الفضل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه افضل الصلاة والسلام) والهند والصين واليابان

وامريكا وهى قسمان (شمالية) ومن ضمن حكوماتها الولايات المتحدة التى فيها شيكاغو و (جنوبية)

والجزائر الاوقيانوسية التى منها استراليا

حسن — الآن علمت الدنيا وأقسامها ولكن هل كل هذه الاقسام متصلة ببعضها

عبد الفتاح — ان بعض هذه القارات متصل بالآخر من نقطة واحدة انما ليست متلاصقة والبعض الآخر منفصل وبين كل قارة والثانية بحر عظيم

حسن — وما مساحة هذه القارات والبحار

عبدالفتاح — ان مساحة الكرة الارضية بما فيها من القارات والبحار يبلغ ٥١ بليون هكتار (أى ٥١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متراً مربعا) تشمل البحار ثلاثة أرباعها والقارات الربع الآخر

حسن — ولكن فى كم يوم خلقت الدنيا بأكملها

عبد الفتاح — فى ستة أيام

والنواحي تعرض في كل ناحيـة من نواحيها مصنوعات مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها

حسن ـ وما هى شيكاغو

عبد الفتاح ـ ان شـيكاغو هى احـدي مدن امريكا الشمالية

حسن ـ اني لا اعرف امريكا الشمالية ايوجد غير مصر وبلاد العرب والتركية (تلك البلاد التى درسناها فى المدرسة) بلاد اخرى

عبد الفتاح ـ نعم ياأخي يوجد بلاد أخرى كثيرة

حسن ـ اذا كان الأمر كذلك فارجوك ان تعرفني بماهية هذه البلاد

عبد الفتاح ـ اعلم ان الدنيا خمسة أقسام (اى خمس قارات) افريقيا التى منهـا وطننا العزيز (مصر) وبلاد تونس وطرابلس والجزائر ومراكش

واوروبا التى منها الدولة العلية والروسيا وفرانسا

وآسيا التى منها بلاد العرب (وهى مسقط رأس سيد

عبد الفتاح ـ اني فى خدمتك مدى الايام

حسن ـ حفظك الله وحرسك . لقد سمعت بالامس بعض الناس يقول (لقد فتح معرض شيكاغو يوم الاثنين أول شهر مايو الجارى ولابد أنه سيكون فى غاية الحسن والجلال مزدحماً بالافاضل من كل جانب) فاندهشت من سماع هذه الجملة لشدة غرابتها على سمعى فقل لى رعاك الله ماهى شيكاغو وما هو المعرض ولماذا سيكون مزدحماً بالناس. اني غاية ما أظن انه مولد كمولد بلدتنا

عبد الفتاح ـ ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه الاشياء فمعرض شيكاغو هذا هو معرض اقامته الحكومة هناك فى هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات الدنيا ويشاهد فيه عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعاظم الامراء لمشاهدته

حسن ـ اذاً هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها الاشياء

عبد الفتاح ـ نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع

التقدم والنجاح

واعلم أن حكومتنا المصرية هى من الحكومات التى منحت الشورى . ويرأسها أمير جليل هو خديويها وسيدها. تتبع دولة اسلامية عظيمة الجاه قوية حصينة الا وهى الدولة العلية الخافق على نواحيها العلم العثماني الجليل

(الى هنا انتهى الباب الأول من الكتاب وسنبتدىء بالباب الثاني فى العدد الآتي وينحصر الكلام فيه على القوة التشريعية)

﴿ محاورة بين صديقين ﴾

(أولهما صغير وثانيهما كبير)

حسن ـ (بعد السلام) قد مضت مدة طويلة لم أتمتع فيها بمشاهدة سيدي وصديقى الاجل

عبد الفتاح ـ لقد كنت مسافراً بالبلد لقضاء بعض مصالح خصوصية

حسن ـ الحمد لله على سلامتك يا أخى . أيسمح لك الزمن أن تتحادث معي قليلا

التشريعية والتنفيذية

والملكية المقيدة هى ما كانت القوتان التشريعية والتنفيذية فيها خاضعتين لسلطة الملك ومنصبه فى الغالب وراثي أي ينتقل الملك من الأب الى الابن ومن الابن الى ابن الابن وهكذا

والملكية المطلقة هى ما كان الملك فيها مطلق التصرف مصدرا للتشريع والتنفيذ

ولكل نوع من هذه الانواع أحزاب وأنصار يميلون اليه ويفضلونه عن غيره وأكثر الأنواع انتشارا وأحزاباً هو الثاني منها وهو الذى جرى عليه نظام حكوماتنا الاسلامية بمقتضى شريعتنا المحمدية من يوم ما أنزلت الى الآن. وحقيقة ان الانسان لو تأمل فى الحكومة الجمهورية لرآها عرضة للاخطار ان تقدمت خطوة تأخرت خطوات وان ارتفعت بصعوبة انخفضت بسهولة كما ان الحكومة التى فيها السلطة مطلقة للملك تكون مركزا للظلم ومحطا للاجحاف بخلاف التى استحسناها فانها مجلبة لعدل وموضع

﴿ الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية ﴾

(الباب الأول)

« أصول أولية ـ تابع ماقبله »

وقد استمرت كل عائلة منفصلة عماسواها عائشة بنفسها زمناً مديدا قضته في الصيد أولا ثم فى حفظ الحيوانات النافعة والقيام بخدمتها ثانياً حتى دعتها الضرورة للانضمام وتكوين قبائل لكل واحدة منها رئيس مخصوص . وكان ذلك الانضمام عنوانا على تشكيل الحكومات الذى ابتدأ بعد هذا الحين بقليل . والمعاملة فى ذلك العهد كانت عبارة عن مبادلة الحاصلات الموجودة عند بعض القبائل والمفقودة عند البعض الآخر ببعضها وتشكيل الحكومات استغرق اجيالا طويلة لايهمنا الآن تاريخها بل غاية مانعلمه أن الحكومات تنقسم فى هذه الأيام الى ثلاثة أقسام جمهورية وملكية مقيدة وملكية مطلقة . فالجمهورية هى ماكانت الهيئة المحكومة فيها منتخبة للهيئة الحاكمة من أولها لآخرها وفيها القوتان

فيه الانسان أما هنيئاً ان كان قضي الدورين الاولين خير قضاء وأماشقيا ان كان قد قام بضد مايجب وفى هذا الدور يوهب الأنسان غالبا النسل والذرية ونقصد بذكر ذلك أنه ملزم فيه بمزيد تربيتهم كما قدمنا

وهذا الدور هو الذى يتسنى للأنسان أن يقدم فيه أجل الخدم لوطنه العزيز ولا نقصد بذلك أن غيره من الأدوار خال عن هذه الغاية بل أنه دون غيره أكثر استعدادا لتأدية هذه الخدم

وآخر الأدوار دور الكهولة وهو الدور الذي يبلغ فيه المرء من الكبر عتيا فيستريح فيه من الأعمال ويقضيه فى معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتيه المنية فينتقل الى الدار الآخرة هنيئاً بما فعل ان كان خيراً وعليه غضب من الرحمن ان كان شراً والسلام

وغاية القول ان هذا الدور هو أهم الادوار وأجلها لماله من عظيم الأهمية وجليل المزية

ودور الشبيبة يبتدىء من غاية الدور الأول وينتهى في مابين الثلاثين والاربعين وهو الدور الذى فيه يتعلم ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولمنفعة أهله وبلاده والشاب منوط به فيه الطاعة والامتثال لاوامر أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن لا يقصد فيه الا العلم والعمل والكد والجد في تحصيل نفائس المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتمم التلميذ فى الغالب دراسته فى منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر فى تحصيل معاشه بنفسه فيعمل بما تعلم فى مدارس التهذيب . وأغلب الشبان تتم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ماذكرناه فى العدد الماضى من وجوب الاعتناء بذلك الامر وحسن انتقاء الزوجة

أما دور الرجولية فيبتدىء من غاية السالف وينتهي بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذي يعيش

أتقن وأحسن نشأ الطفل وقد تأهل لتلقى العلوم السامية ودرس الاخلاق الكاملة . وهو دور ليس على الطفل فيه واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام فى الغذاء والعقلية بعدم مخالطته الأوباش الذين يعودونه النقائص والقبائح كأن يوحوا اليه أن سب هذا ولا حرج عليك اليوم فانت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم التربية يسب كل من قابله ويفوه باسفل الأقوال وأهله ضاحكون مرتاحون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة تهاملوا فى الامر تحت حجة صغر سنه فيشب ويشيب جاهلا قليل الحظ سيء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء منه لأولاده فيكون رئيساً لعائلة أعضاؤها فى الجهل يرتعون

هذا اذا تهامل الاهل فى تربية الولد . ذلك الامر الذى هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله . وأما ان اهتموا به وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسلهم بذلك مستقبلا حسناً وحظاً وافراً بل ولنسل نسلهم وسائر الذرية

أي ٩١٥٥٤ يوميا و٣٧٣٠ كل ساعة و٦٢ كل دقيقة

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠

و١٠ بشنس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

﴿ أدوار الحياة ﴾

للحياة البشرية أدوار مختلفة يقضيها الانسان باشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهى الطفولية والشبيبة والرجولية والكهولة

فدور الطفولية هو الدور الأول الذي يبتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهي فى السنة الرابعة عشرة من عمره فيكون فيه صبياً ثم غلاماً ثم يافعا حتى اذا صار حزورا انتقل من هذا الدور الى تاليه

ودور الطفولية هذا هو الدور الذى عليه تدور سعادة المرء أو شقاؤه ففيه التهذيب المبدئي والتعليم الأولى الذى متى

يوجـد ٣٨٠ فقط ذات رائحـة منها ١٨٧ بيضاء و٨٥ حمراء و٧٧ صفراء و٣٠ زرقاء وواحدة سمراء

(الرسم على الفواكه)

لأجل الرسم على الفواكه يكفى أن يلصق بالصمغ ورق مكون لذلك الرسم على فاكهة خضراء كتفاحة مثلا . فبتأثير الضوء والشمس تستوي الاجزاء الظاهرة من الفاكهة أي الخالية عن الورق والاخري تبقي خضراء فيظهر الرسم بعد النضج مكونا للاجزاء الخضراء على الفاكهة الناضجـة ويلزم أن يكون الورق غير نافذ منه الضوء

(سكان المعمورة وأمواتها)

على حسب أدق الاحصائيات علم أن سكان الدنيا يبلغ عددهم ١٤٦٩٢٧٩٠٠٠ نفسا منهم في آسـيا ٨٢٦٠٠٠٠٠٠ وفى أوروبا ٣٥٧٣٧٩٠٠٠ وفي أفريقيا ١٦٤ مليونا وفى أمريكا واستراليا ١٢٢ مليونا

وعـلم أيضا انه يموت سنويا في العالم بأسره ٣٣ مليونا

وتسعين قدما فما عدد الديكة وما عدد الارانب

(تنبيه) - من يرسل لنا أجوبة شافية عن جميع هذه الاسئلة ترسل له الجريدة مجاناً سنتين كاملتين ومن يجب عن أكثر من النصف وأقل من الكل ترسل له الجريدة مجاناً سنة واحدة

(الزمن نفيس)

لقد عمل سكان احدي المدن الاجنبية بهذه النصيحة حيث أسس بعض أفرادها جمعية فى السنة الماضية لاضاءة المدينة بالنور الكهربائي فلم يمض من يوم تأسيسها ستة أيام الا وقد أضيئت المدينة بأربعمائة مصباح

(ألوان الازهار)

لقد شاهد أحد العلماء بالتجربة أن فى كل ألف زهرة تقريبا يوجد ٢٨٤ بيضاء و٢٢٦ صفراء و٢٢٠ حمراء و١٤١ زرقاء و٧٣ بنفسجية و٣٦ خضراء و١٢ برتقالية و٤ سمراء و٢ سوداوان وشاهد عالمان آخران ان فى كل ٤٠٠٠ زهرة

الصفر اذا اشتدت البرودة جداً فيقال عنـد ذلك أن درجة البرودة ٣ أو ٢ أو الصفر أو تحت الصفر بدرجة أو درجتين حسبما يكون

(أسئلة متنوعة)

(١) في أى بلد وفي أى سنة اخترع السكر من البنجر وما السبب فى اختراعه

(٢) أى الخلفاء تولى يوم مات والده الخليفة وولد ابنه ولى العهد من بعده

(٣) مااسم المكتشف لبلاد اليابان وفى أى سنة اكتشفها

(٤) أى القارات يخترقها من الشمال الى الجنوب سلك واحد تلغرافى

(٥) كيف يستخرج الملح

(٦) من المكتشف لجزائر كناريا وفى أى سنة اكتشفت

(٧) يوجد بقفص عدد من الديكة وآخر من الأرانب مجهول غير انه معلوم ان بالقفص خمسة وثلاثين رأساً وأربعة

تسبب حريقاً هائلا تقومه آلاف من الدراهم ورب باب مفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وعد. والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهرة ولا يجعل التواني له خليلا ولا التقصير زميلا لئلا يقع في مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم

(مقياس الحرارة)

مقياس الحرارة (ويعرف عند الفرنسيين بالترمومتر) هو آلة تصلح لقياس درجات الحرارة الطبيعية او الصناعية وهو يتركب من أنبوبة من الزجاج قاعدتها عبارة عن مستودع يملأ بالزئبق وتقسم الانبوبة الى درجات آخرها درجة ٨٠ او ١٠٠ وأولها الصفر فبتأثير الحرارة (اذا كان الجو حاراً) يتمدد الزئبق و يرتفع في الانبوبة الى درجة ٢٠ أو ٢٥ مثلا فيقال عند ذلك أن درجة الحرارة ٢٠ أو ٢٥ وبتأثير البرودة (اذا كان الجو بارداً) ينخفض الزئبق في الانبوبة الي درجة ٣ أو ٢ أو الصفر مثلا وربما انخفض تحت

أسراراً وحكماً يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها وتقصر المذكرة الانسانية عن أن تدركها باسرها منها أن صغائر الاشياء تولد كبائرها ودليل ذلك كل ما فى العالم ألا ترى أن الانسان كسائر الحيوانات كان فى المبدأ نطفة ثم علقة والنبات كان بذراً صغيراً والجماد منشاه ذرة حقيرة . ذلك ابن آدم الذى يعمل الاعمال الجسيمة ويشيد المباني العظيمة ويتسلط على سائر الحيوانات والدواب فيستخدمها اني شاء ومتى أراد بل ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانساني: أصله نطفة . وتلك الثمار اللذيذة والفواكه الجليلة والخضر وأنواعها الاصل فيها بذرة حقيقية لا قيمة لها. وهذه القصور الهائلة والدور الشاهقة التى يقطن بها ابن حواء وقومه أصلها حجر واحد بل ذرة واحدة . ومع هذا لو نظر الانسان الى الاشياء الخارجية لرأى ذلك السر وتلك السنة فيها جارية على محور الانتظام بلا اختلال . فرب رجل واحد كان سبباً فى حقن دماء ألوف مؤلفة من أكابر الفرسان ورب نزاع بين صغيرين يسبب قتالا بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان

محمود ـ كلا

عبد الخالق ـ اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن الحق وزغت عن الصدق

محمود ـ دعني من التأنيب وقل لى نصيحتك التى تحتم على سماعها والعمل بها

عبد الخالق ـ أن من رأيي أن تعمل وتجد وتستمر فى المدرسة وتداوم على طاعة الرؤساء والمعلمين . ومتى تمت الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أي شهادة البكالوريا) تدخل في أى مدرسة عالية ترغب فيها

محمود ـ لك الشكر ياأخى على ما أبديت من النصائح الجليلة الصادرة عن عقل وحكمة . وكن على ثقة من أني سأتبعها وعن قريب تراني التلميذ الاول من فرقتى ان شاء الله تعالى

﴿ صغائر الامور تولد كبائرها ﴾

لو تأمل الانسان في المخلوقات وحالتها وأصلها بل وفى سائر الامور وكنهها وأسبابها علم أن للخالق في الكون

وأنت قصدت طريقاً يضر بك أكثر مما ينفعك وهو أنك أردت أن تستعمل فى الحصول على المعيشة طرق الاحتيال والخداع (وهى لعمرى أقبح الطرق) عوضاً عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك عزمت أن تكون محاميا وهي مهنة شريفة جليلة لا يقرع بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة شريف المقاصد . لانه يناضل عن الحق لا عن ضده . هذا وانى على ما أرى أن التلميذ الذى يتمم دروسه فى المدارس ثم يتجه الى أى مهنة شاءها ينال الخير ويبلغ أقصى المراتب العلية

محمود ـ كلامك كله حكم ودرر ولكن قل لى ياعزيزى قد عزرتنى بالقول وشددت علي فى ذم استعمال الاحتيال بدل الشرف أليس القصد هو الحصول على المعيشة باية طريقة كانت

عبد الخالق ـ كيف ذلك يا أخى أترضى نفسك أن تحصل على معاشك بطرق الاحتيال بحيث أنك ترى غيرك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك سارق محتال وقاض جليل

مدرها (محاميا) واحتال على ضعفاء العقول فاسلب أموالهم وأصبح من كبار الاغنياء

عبد الخالق ـ اعوذ بالله مما نويت عليه لعمرى اني لم اسمع من مجنون احمق فى حياتي قولا مثل قولك لانه كله مبنى على الغش والدناءة. واني اخشى عليك من تنفيذ افكارك فتصبح أسوأ الناس حالا مع انك لو اتبعت نصائحى أيها الصديق لبلغت المرام ولكن اخاف ان أجهد نفسى فى القول ولا اجد منك اذناً صاغية وقلباً واعياً

محمود ـ قل تجدني لك مطيعاً

عبد الخالق ـ اقسم

محمود ـ بمن اقسم

عبد الخالق ـ اقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم

محمود ـ اقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها علي أجل فضل اني متبع نصيحتك يا أخى

عبد الخالق ـ اعلم ان الطريق السهل يوصل الى المرام بسهولة لا كالطريق الوعر فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة

محمود ـ وهل تصدق انني سيء الأدب أو مقصر في حفظ الدروس

عبد الخالق ـ واذا كان يصعب عليك ان أصدق انك سيء الادب أو مقصر فى واجباتك أفلا تستعظم اني أنسب للاساتذة والضباط الظلم والاجحاف

محمود ـ ان من البيان لسحرا لقد أوقفتني بحجتك القوية عن ان أجيب

عبدالخالق ـ ان من المقرر فى الاذهان ان الذى يلفق القول ويطلي الأمور بطلاء الخداع والبهتان لابد أن يكون كاذباً غير صادق محتالا على بلوغ أمر وأنت قد نوعت الكلام ونسبت المعلمين والضباط للظلم وهذا أمر خطير فقل لى بالله عليك ماذا تقصد وما تنوى ؟؟

محمود ـ لقد أجبرتني ياصديقي بما نطقت به على ان اظهر لك ما يكنه ضميرى وما ينطوى عليه فؤادي فاعلم اني أود الخروج من المدرسة والانضمام الى احد مكاتب المحامين لأتمرن على الاعمال وبعد ذلك افتح لى مكتباً مستقلا واكون

نشرح لك تاريخ العائلات والاجتماع

﴿ محاورة بين صديقين ﴾

عبد الخالق ـ كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور أنت من المدرسة ومعلميها

محمود ـ والله ياأخي ان حالي أسوأ حال لانه لا يمر على يوم أو يومان الا وأوبخ وازجر من الاساتذة والضباط امام جميع التلامذة

عبد الخالق ـ وما السبب فى ذلك

محمود ـ ان السبب كما يدعون هو عدم حفظى للدرس

عبد الخالق ـ ولم لم تحفظ دروسك وأنت كما أرى ذكى نبيه

محمود ـ اني أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط يكرهوننى وبودهم أن ألقي فى شر المصائب

عبد الخالق ـ ياللعجب أتبغضك ياأخي الاساتذة والضباط بلا سبب؟ لا بد أنك مسيء الأدب معهم أو مقصر فى حفظ دروسك

اذا فهمت مامر وعلمت انك ستكون يوما من الايام رئيس عائلة ورب بيت وجب عليك أن تعرف واجبات رئيس العائلة وهى :

يجب على رئيس العائلة أن يكون دمث الاخلاق يعامل جميع افراد عائلته باللطف والحسنى وان يؤدي ماعليه من الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وان يصرف في المنزل مكسبه (لان الرجل الذي يصرف مايكتسبه في اللهو خارج بيته جبان غبي) وان لايسيء معاملة زوجته

هذا مايجب على رئيس العائلة واماما يجب علي الولد فى العائلة فهو أن يخلص فى محبة أقاربه وان يحترمهم ويطيعهم وان يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع منه شيء من ذلك وان يساعدهم في كبره ان احتاجوا للمساعدة وان يحب اخوته وأخواته وان يحن اليهم ويلاطفهم وان يحافظ على شرف عائلته مااستطاع وأن يتجنب النزاع والخصام بينه وبين أفراد العائلة

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقي علينا أن

فى الصغرأى فى مدرسته الاولية التى هي أجل مدارس الحياة

هذا مايجب على الزوج قبل الزواج اما مايجب علي الزوجين فى آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة بينهما فعلى الزوج ان يحمى ويساعد زوجته وعلى الزوجة الامتثال لاوامره وعلى الاثنين ان يعتنيا أشد الاعتناء بتربية أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدة وعليهما ان يبعداهم عن الخسائس والرذائل ويقرباهم من الفضائل والكمالات وان يغرسا فى قلوبهم من الصغر محبة أوطانهم والذب عنها وعليهما ان يبادرا بادخالهما المدرسة متى جاءت السن التى فيها يتعلمون

وخلاف تربية الاطفال يجب على الزوج أن ينظم المعيشة على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوميا أو أسبوعيا أو شهريا وعلى الزوجة ان تنظم المنزل وتستعمل التوفير والتدبير غير المضر

وفى كل حال يلزم أن تعادل المصروفات المتحصلات دون أن تفوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

عليه من قبل وما هى عليه الآن فنقول:

اعلم ايها القارىء رعاك الله ان الهيئة الاجتماعية أساسها العائلة والعائلة هى اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة القرابة اوالالفة للتعاون على نيل المآرب فى هذه الحياة الدنيا فلو تأمل كل فردمنا فى هذا التعريف ونظر الي عائلات المجتمع الانساني لرأى انها تتكون فى الغالب من أب وأم واجداد واخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك فى اساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذى هو اجتماع ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون فى المعايش والنسل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج اساس الاجتماع الانساني كله ولذلك كان من اعظم العقود البشرية ووجب على المرء أن يعتنى بامره كل الاعتناء فيلزمه أن لايتأهل الا بزوجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون مراعاة الثروة أوعلو الصيت لانه لو راعى ذلك وترك اعتبار التربية والتعليم لوقع فى أكبر المصائب وأضر بنسله ضررا فاحشا حيث يشب قليل الادب جاهلا حسب ماعودته أمه

أزرق ولا تشم له رائحة الا وقت الظهر أى عندما يكون أحمر

الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برموده سنة ١٦٠٩
الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

﴿ الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية ﴾

(البـاب الاول)

(أصول أولية ـ تابع ماقبله)

ذكرنا لك في العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين هيئة حاكمة وهيئة محكومة وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك تسأل الآن عن انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من النشأة الانسانية أم ابتداؤها قريب العهد بنا فتدعونا الى التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت

(أغرب الجرائد)

يوجد بامريكا بعض جرائد تطبع على قماش بحيث انها تصلح بعد القراءة لان تكون منديلا ونوع آخر تعهدت ادارته ان ترسل الطبيب والدواء لمن يمرض من مشتركيها كما انها تدفع مصاريف دفنه ان مات . وأخرى تأدب لعموم مشتركيها مأدبة سنوية مفتخرة

(أبسط وسيلة لقطع الثلج)

ان أبسط وسيلة لقطع الثلج هو ان يوضع سن ابرة على النقطة التى يراد قطع الثلج منها ثم يضرب بيد مدية على رأس الابرة فتنقسم فى الحال قطعة الثلج الى قسمين متساويين لغاية الانتظام

(زهر مثلث الالوان)

قد اكتشف من عهد سنة تقريبا بجوار برزخ تيهو انتيبيك زهر لونه فى الصباح أبيض وفى الظهر أحمر وفى المساء

ربما لا يفهمها أحد

الاستاذ ـ كيف تقول ذلك وأنت تعلم ياولدى ان البلاد المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الافراد تقرأها كل يوم وتفهم مابها جيدا

(التقاريظ المقدسة لفضل المدرسة)

وردتنا قصيدة غراء وخريدة عذراء تحت هذا الاسم من نظم حضرة الشاعر المجيد عبد الله أفندى فريج من تغنى شهرته عن ذكر مهنته قال فى المطلع

لله أبهى مدرسة   ترعى الحقوق مقدسة
قامت على أس العلى   فيهـا العلوم مؤسسة
حوت الفنون كأنها   فيهـا اليهـا فهرسة

وفي التاريخ

فيها تواريخى شدت   نظما بشكل الهندسة
بالفخر عن صفو سما   فضل لآل المدرسة
١٣١٠   ١٣١٠

والسعى فى اتقان معرفة اللغة الشريفة العربية

التلميذ ـ وما معنى حب الفضيلة والحقيقة

الاستاد ـ معناه أن يكون الانسان منزه النفس بعيداً عن الاغراض غير الشريفة عالى الهمة يقول الحق متى وجد اليه سبيلامراعياً فى كل ذلك الآداب

التلميذ ـ وهل يا سيدى يجب علي أن أتقن معرفة اللغة العربية اكثر من غيرها واذا كان فلم ذلك

الاستاذ ـ نعم يجب عليك اتقانهـا اكثر من غيرها لانها لغتك الشريفة التى أنزل بها القرآن المعمول بها فى البلاد

التلميذ ـ واذااتقنت معرفتهاأيجب على أنأتـكلم بهادائما

الاستاذ ـ ولم لا

التلميـذ ـ كيف ذلك واني أرى أغلب الناس يتـكلم باللغة الدارجة

الاســتاذ ـ ان تـكلم الناس باللغة الدارجة لايمنع من تـكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة

التلميذ ـ لـكن اذا تـكلمت باللغة الفصحى مع العوام

الاستاذ ـ أما الكبير فيجب عليه ان يقوم بما عهداليه من الخدم بالذمة والصدق وان يسعى فى نشر المعارف وتعميم التربية والتهذيب بين الامة والدفاع عن الوطن بقدر ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه ان يعمل بقول الحكيم (حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك)

التلميذ ـ أى يحب مدرسته

الاستاذ ـ نعم

التلميذ ـ وكيف يكون ذلك

التلميذ ـ يكون بالمواظبة والاجتهاد فى الدروس والطاعة والامتثال لرؤسائه ومعلميه

التلميذ ـ ولم ذلك

الاستاذ ـ لانه متى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه في الكبر بمعارفه ومعلوماته التى حصل عليها فى الصغر

التلميذ ـ وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية في حب الوطن

الاستاذ ـ نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة

حبك له ان تسعى فى نفعه وجلب الخير اليه

التلميذ ـ وماذا يحصل لو أهمل اثنان أو ثلاثة محبته وتركوه وراء ظهورهم

الاستاذ ـ يحصل ضرر عظيم لانهم يكونون بمثابة داء تنتشر عدواه الى غيرهم فضلا عما عساه يحصل للوطن من النفع ان لم يهملوا محبته

التلميذ ـ عظيم ولكن ربما تأتي محبته بضرر جسيم للانسان

الاستاذ ـ لا بأس بذلك الضرر فأنه عند محبي الوطن ألذ شيء لانهم ينفعون آلافا مؤلفة من الناس في جانب ضرر شخص أو شخصين أو عائلة

التلميذ ـ لقد ظهر لي ياسيدى من كلامك ان محبة الوطن من أعظم الواجبات الانسانية واني أعتبر من الآن من يقصر فى محبة وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف لايكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاص لوالدته الكبرى التى ربته فى المهد صبيا؟ولكن كيف يمكن الانسان ياسيدى ان يخدم وطنه خدمة صادقة جداً

ان لكل شخص فى الدنيا عائلة مثلك غالباً يعيش فيهافمجموع تلك العائلات على اختلافها التى فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد والمنصوره وطنطا وأسيوط وسوهاج الخ وفى البلدان والقري والى غير ذلك يكون القطر المصرى الذى هو وطنك والذي يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب عائلتك التى تعيش فيها

التلميذ ـ وهل لكل شخص فى الدنيا وطن مثلى

الاستاذ ـ نعم لكل شخص وطن فيقال زيد من الناس عربي أي أن وطنه بلاد العرب وخالد تركى أى أن وطنه بلاد الترك وعمر سوداني أى ان وطنه بلاد السودان ...الخ

التلميذ ـ واذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب عليّ أن أحبه واذا لم يكن بد من حبه فكيف يكون ذلك

الاستاذ ـ يجب عليك ان تحبه لانه كأم تحنو عليك وعلى غيرك من أبنائه فجميع العائلات المكونة له تستنشق هواء متحدا وتأكل غذاء واحدا وتشرب ماء كذلك واحدا وهو ماء النيل السعيد فهم كاخوة أمهم الوطن ومعنى

الاستاذ ـ ماهذه الجملة

التلميذ ـ هى قول الحكيم (حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك)

الاستاذ ـ لم لم تفهمها

التلميذ ـ لاني لاأعرف لكلمة الوطن معنى

الاستاذ ـ وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف

التلميذ ـ يظهر لي أنها جملة مهمة

الاستاذ ـ واذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن تسألنى عنها

التلميذ ـ قد عاقنى عن ذلك مرض أحد أقاربي والا فاني مولع بمعرفة كل الاشياء لاسيما المهمة

الاستاذ ـ لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك ان لاتتأخر مطلقا عن أن تسألنى فيما يصعب عليك فهمه وها أنا أعرفك الآن معنى كلمة الوطن فأقول

تعلم جيداً ياولدى ان لك عائلة مكونة من أبيك وأمك واخوتك واخوانك وأقاربك وخدمك يعيش الجميع معا كما

﴿ محاورة بين الاستاذ والتلميذ ﴾

(ملاحظة مهمة ـ من يضع لنا من تلامذة المدارس الابتدائية المشتركين فى جريدتنا هذه المحاورة فى قالب مقالة تقع لدينا موقع الاستحسان ترسل اليه مكافأة نفيسة جداً واذا تعددت الرسائل على شرط ان لاتتأخر عن الثامن عشر من هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات لثلاثة من أوائل المجيدين

أما التلامذة الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك فيكون لهم الحق فى هذه المكافأة الجليلة ان أرسلوا طلبات الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا الشهر)

الاستاذ ـ هل قرأت جريدة (المدرسة) ياأحمد

التلميذ ـ قرأتها ياسيدى

الاستاذ ـ هل فهمت ما بها

التلميذ ـ فهمته جيداً الا انه تعسر عليّ فهم جملة مكتوبة على الغلاف

الناس وحب الانتقام وتغلب القوي على الضعيف والغنى على الفقير

من ذلك كله نري ان وجود هيئة حاكمة ضروري جدا والا تكون نتيجة الاجتماع خراباً بدل ان تكون عمراناً

وتلك الهيئة الحاكمة التى روعى فيها الصدق والامانة تنقسم الى قسمين قسم يضع القوانين والاصول التى يجب اتباعها وقسم ينفذ تلك. فالاول يسمونه (القوة التشريعية) أى التى تضع الشرائع والثاني يسمونه (القوة التنفيذية) أى التى تنفذها وذلك القسم الثاني يشتمل على قسمين قسم يحكم بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) وقسم يدير الاعمال وينفذ أحكام تلك المحاكم وهو (القوة الادارية)

اذا علم كل ذلك بقى عليك ان تعرف ان هذين القسمين العظيمين (القوة التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما محكومان بسلطة رجل واحد هو أمير القوم أى رئيس الشعب (الامة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم. واعلم ان الخديوية المصرية وراثة للاكبر فالاكبر من أولاد الامير

اليه وعدمه مستحيل لان كل حي خلق ضعيفاً لاسيما الانسان الذي بمفرده لا يمكنه ان يقوم بعمل أي شيء ولذلك يقول أغلب الفلاسفة (الانسان مدني بالطبع) أى انه طبع على حب المدنية أي الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاضد في المعاش

ولكن لما كان من أصعب الامور ان ذلك الاجتماع لا يخلو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين حكام ومحكومين أي هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضاء الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوي الفضل والذكاء حتى يمكنهم ان يحسنوا ادارة الاعمال . ولكن ربما يقوم بالفكر فى هذا الموضع ان تكوين هيئة حاكمة وهيئة محكومة اجحاف وظلم لما ان عموم الناس متساوون لافرق بينهم فى الحقيقة . لكن نقول انه لو تركت الناس لاحاكم يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر وانقضت دعائم الاكوان لما يقع من سفك الدماء بين

(الجواهر السنية)

« في نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم لكتاب عزمنا على تأليفه (لم يؤلف بعد) فى النظامات العمومية للهيئات الاجتماعية نأتي هنا على خلاصته افادة للمبتدئين

(الباب الاول)

« أصول أوليه »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه واخلائه وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى الحيوانات العجم وحالها واجتماعها واتحادها وائتلاف كل فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب وتعصبها واتحادها فى السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير لشاهد من خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيباً للخالق فى مخلوقاته الا وهو الاجتماع ذلك الامر الذى لا يتأتي انحلال عراه أو انفصام حبل اتصاله لان كل المخلوقات الحية في حاجة عظيمة

المنكر وهى التى تجلب رضاء الله على العبيد ورضاء الناس على بعضهم وهى التى تأمر بمكارم الاخلاق جميعها فتأمرنا بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل . الى غير ذلك مما ستراه بأوضح بيان

ومعلوم ان اتباع الشريعة أمر سهل هين لان نتائجها من أشرف الامور وأجلها لانحصار السعادتين الدنيوية والاخروية فى اقتفائها وها كم معشر الابناء شهر الصيام قد أقبل فحيوه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر فى طاقتكم لأنكم ان قمتم به فى الصغر تعودتموه فى الكبر وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتحظون بخيرى الدنيا والآخرة وتنالون من لدن ربكم مكانة علياء وكونوا على وفاق تام فى سائر الامور فقد قال الخالق جل شأنه وتعاونوا على البر والتقوى وقال أيضاً انما المؤمنون أخوة

الجزء الثاني

يوم الاحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ ـ ١١ برمهات سنة ١٦٠٩

الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

﴿ المكرمة الثانية ﴾

﴿ الدين ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خص من بين عبيده رسلا يهدون الامم الى طريق الخير وانزل عليهم الشرائع لاتباعها في سائر الاحوال فمن الناس من صدق هؤلاء الهادين فى فى دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريراً ومنهم من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعست حاله

وليس الواجب ان نصدق النبي فى قوله دون ان نتبع أحكام شريعته بل يجب علينا وجوبا حقيقياً ان نتبع شريعته فنأتي بما أمرنا به الله على لسان نبيه . على ان فى اتباع الشريعة المطهرة من الفوائد الدنيوية والاخروية مالا يمكن حصره مطلقا كيف لا وهى التى تأمر بالمعروف وتنهى عن

(مستعمرات أوروبا في أفريقيا)

ان مساحـة قارة أفريقيا التى تبلغ احـد عشر مليوناً تقريباً من الاميال المربعة (الميل المربع يساوى ١٦٠٩ مترا) لم يبق منها ملكا لاصحابها الا ٠٠٠ر ٥٠٠ ر٢ ميـلا مربعاً والباقى ٣٤٠ر٣٠٠ر٢ لفرنسا و ٤٤٠ ر ٩٠٠ر ١ لانكلترا و ٦٢٠ ر ٠٣٥ر ١ لالمـانيا و ٠٠٠ر ٠٠٠ر٤ لممالك الـكنغو الحرةو ٩٩٣ر٧٧٤رللبرتغالو٠٠٠ر٣٦٠رلايطالياو٠٠٠ر٢١٠ لاسبانيا

(خطة المدرسة)

لمـا كانت جريدة المدرسة لامقصد لها الا تهذيب التلامذة المبتدئين وترغيبهم فى العلوم والمعارف قد أخـذت علي نفسها ان تخصص ثلاث مكافئات سنوياً لمن يجيد ماتكلفه به من المواضيع وسيعلن عن مكافئة جليلة فى العدد الآتي

فرقا عظيما بين نمو صحة من يشرب الدخان ومن لا يشربه من التلامذة فقد شوهد بين تلميذين فى الاصل متساويين فى الطول والحجم متحديين فى المزاج والطبيعة تعود أولهما شرب الدخان والآخر بقى علي حالته الاصلية (أى أنه لا يشرب) ان نمو صدر ثانيهما أعظم من نمو صدر الاول (أى شارب الدخان) بمقدار الربع تقريبا وكذلك نمو القامة وثقل الجسم اكثر بنحو الخمس فتجنبوا شربه لعلكم بكمال الصحة تتمتعون

﴿ محاسن الاقتصاد ﴾

حسب علماء الاقتصاد بالتقريب أنه لو وضع من يوم منشأ العالم الى الآن صلدى واحد (ملليمان تقريبا) فى تجارة تربح سنويا عشرة فى المائة (أى بفرض ان المائة غرش تربح عشرة) وأضيفت الارباح السنوية على رأس المال لحصلنا اليوم علي مبلغ من الجنيهات يكفى لعمل طبقة رقيقة من الذهب تغطى سطح الكرة الارضية بأكملها فتأمل

شذرات

﴿ أسهل طريقة لقياس ارتفاع الاشجار المغروسة ﴾

(في سهل من الارض)

لقياس ارتفاع أى شجرة ظلها فى مستو من الارض يغرز بجوارها مع التوازى عصا ثم يقاس ظل الشجرة وطول العصا وظلها وبمعرفة هذه الثلاثة المعلومات يعلم طول الشجرة بمعنى انا لو فرضنا ان طول العصا ٧٥ سنتيمترا وطول ظلها متر واحد وطول ظل الشجرة عشرون مترا نقول : اذا كان متر واحد ظل ٧٥ سنتيمترا يكون العشرون مترا ظلا لعدد من الامتار يساوي ٢٠ X ٧٥ ر٠٠ أى ٠٠ر١٥ مترا بمعنى ان ارتفاع الشجرة خمسة عشر مترا (أى ان المسئلة تصير قاعدة ثلاثية بسيطة)

(نتائج شرب الدخان)

قدظهر بالبحث الدقيق فى احدى مدارس أمريكا الكلية

الامور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) فى زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئاً فى زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الانسان عن طريق الخير لان عمل الاشياء فى أوقاتها ممـدوح (وهو مايسمونه بانتهاز الفرصة) فان تأخر أحد عن ان يعمل شيئا ما فى زمنه لا يمكنه ان يتحصل على الفائدة المقصودة

وحسن التثبت أمر جليـل لاتنجح الامم الا به ومن تركه كان معرضاً لـكل أذى لانك اذا كنت رئيساً لجيش بلادك مثلاوقت دفاعك عنها وقدأقبل العدو بعسكره لملاقاتك وتركت اذ ذاك التثبت فى الامور وخفت الخطر على نفسك فهربت وتركت جيشك فقـد سلمت بيدك قطرك وبلدك للهلاك وغير ذلك من الاحوال العديدة التى تأتي للمرء (وربما لاهله وبلده) بأعظم سوء

وكما ان التثبت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الامور الوسط فلا يجب عليك ان تكون متهاونا ولا عجولا بل كن منتهزاً للفرص متثبتاً فى الامور لتنال الخير والسعود

المكرمات (انظر فى العدد الآتي الكلام على الدين وما تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة)

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضر به فالمؤيدة له هى مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثبت والمضرة به هى الاستبداد والتهاون والعجلة . فالمشورة هى صفة جليلة بها يهتدى الانسان بآراء من هو أعلم منه الى الصواب ولا يخفى ان فوق كل ذى علم عليم فاذا اقتصر الانسان على رأيه يعد جاهلا . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذى هو أكمل الناس جميعا لكى يعلمنا فوائد المشورة . (وشاورهم فى الأمر) وقد قال حكيم عربي . المشورة عين الهداية وقد خاطر (دفع نفسه فى الخطر) من استغنى برأيه

وضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه

وتجربة الامور هى صفة حميدة تعلم الانسان ما ينبغى اتباعه فى صغير المسائل وفى كبيرها فلا يخفى ان الدهر لا يبقى على حالة فتارة يكون الانسان غنيا وأخرى فقيراً فمن جرب

والعلم ثالثها والحلم رابعها　　　والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها　　　والشكر تاسعها واللين عاشيها

وهاهى نوردها لك على الترتيب :

(١) العقل

اعلم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى وهبها للانسان لكى تدير أعماله وترشده الى طريق الهداية فمن الناس من خالف عقله فخسر وندم ومنهم من اتبعه وخالف اتباع نفسه (النفس من طبعها ميالة للشر تأمر الانسان باتباع شهواته فمن خالفها نال خيراً ومن وافقها نال شراً) فربح وحمد ربه

فالعقل هو الذى يهدى المرء الى طيب الأعمال وما هو الا جوهرا حاله كحال الفضة والمعادن النفيسة ان ترك وأهمل امره ضعفت قوته وتاكسد وان اعتنى به بالتربية والتهذيب نما وعظمت فائدته وهو مصدر مكارم الاخلاق على الاطلاق فباتباعه يتبع الانسان دينه الذى هو أشرف

الاستاذ ـ هم فى المعاملة القانونية على حد سواء الا ان بين العلماء والجهلاء من جهة الاحترام والشرف فرق كبير

التلميذ ـ ولم الجهلاء جهلاء والعلماء علماء

الاستاذ ـ ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر تربيتهم وتعليمهم والعلماء بالعكس

التلميذ ـ حفظك الله لنا سندا قويما ووقانا من شر الجهل آمين

﴿ مكارم الاخلاق ﴾

ان مكارم الاخلاق هى جميع الصفات الجليلة التى تجعل الانسان عظيما موقراً محترماً محبوبا عند الخالق وعند الناس وقد اتصف أشرف الامم وروح الفضائل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الاخلاق فكان رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر أصحابه وأمته على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرمات التى ذكرها أحد الشعراء بقوله

ان المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها

الشفقة عليه متعجبا من شكل احتقار الفلاح أليس مصريا مثلنا وعزمت فى الحال على توبيخ ذلك الكبير الا اني استحسنت تأخير السؤال اليك حتى أعلم الخطاء من الصواب واعمل الخير واجتنب السوء

الاستاذ ـ خيراً مافعلت ياولدى وشراً ماعمل صاحبك الكبير لأنه لافرق بين الفلاح والاسكندرى والدمنهورى والمنياوى والاسيوطى فالجميع مصريون ملكهم واحد وقانونهم مشترك لاتمييز بين هذا وذاك

التلميذ ـ اذا كان الأمر كذلك فهل يتأتي ان أحد الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة

الاستاذ ـ لاشك فى ذلك أما رأيت ان أعظم الاساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الامراء من بلاد الفلاحين

التلميذ ـ أبقاك الله لنا قد فهمت المقصود ولكن بما ان الجميع مصريون هل يكون من الصواب ان يقول الانسان ان الحمار وسائق العربة والعالم والجاهل فى درجة واحدة

يستخدمن بالمصالح مثل الرجال

الاستاذ ـ ان قواعـد الشرع والادب تقضى بضرب الحجاب على النساء (بوضع البراقع على الوجوه) فليس لهن ان يستخدمن بالمصالح كالرجال وانما يكفي انهن يدبرن شؤن المنزل ويهذبن أولادهن

التلميذ ـ لك الشكر ياسيدى تلك مسئلة علمتها وأريد السؤال عن شيء آخر

الاستاذ ـ سل يابنى رعاك الله

التلميذ ـ كنت مجتمعا مرة مع بعض اخواني نتحدث فى مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العـمر عشر سنوات يظهر عليه انه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهـة وبينما نحن بالمجلس وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام ذلك الشاب وشرع فى حلها ولم يلبث ان نطق بجملته الاولى حتي أسكته اكبرنا بقوله :

(اسكت أيها الفـلاح أأنت مثلنا متمدن أما تحمد الله على وجودك معنا) فبهت الشاب وسكت وعندذلك أخذتنى

وان تعسر عليكم فهم شيء فاسئلوا معلميكم عنه فهم يرشدونكم الى سواء السبيل

﴿ محاورة بين الاستاذ والتلميذ ﴾

التلميذ ـ أستاذى الأعظم وملاذى الأكرم

الاستاذ ـ ماذا تطلب ياولدى العزيز

التلميذ ـ ان عندى بعض أسئلة أوقفتنى معرفتها وفي ظنى انها تفيدني كثيراً

الاستاذ ـ سل عما تريد

التلميذ ـ رأيت البارحة بيد أحد اخواني جريدة علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها منه وعند ماقرأت ماعلى الغلاف علمت ان سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جداً أهل للمرأة قدرة على الانشاء والتحرير كالرجل

الاستاذ ـ اعلم ياولدى ان المرأة مثل الرجل لها مقدرة على الفهم والانشاء وطالما رأينا جرائد وكتب من انشاء سيدات شرقيات وغربيات

التلميذ ـ اذا كان الامر كذلك فهل يمكن ان النساء

مدة حكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظاً قلبياً لا روية ولا تدقيق فيه ولو سألت أحدهم سؤالا رأيته أما ان يجاوبك بسرعة بحيث لو أوقفته فى طريقه لعطل عن الاجابه أو أجابك بجواب آخر غير الجواب الحقيقي فيصير بذلك شبيهاً برجل مرضت رجله فلقنه الحكيم ان يضع عليها لبخة عيش ففهم ان اللبخة هى الدواء الوحيد لكل الامراض فصار فى كل مرض يحيط به يضع اللبخة التى ربما أتت بمصيبة اكبر من الداء

ليس الغرض من دراسة التاريخ مثلا حفظ مدة حكم الملوك وتاريخهم بل التبصر فى سياستهم وفى حقيقة الاعمال فنرى مثلا ان هذا كان محبا لوطنه غيورا وذاك خائنا لئيما فنقتدى بالاول ونبغض ماشا كل الثاني هكذا تكون الدراسة الحقيقية والا فليس فى قدرة أحد منكم معشر الابناء ان خالف هذه الخطة ان يطبق العلم على العمل ويكون تعبه بلا فائدة ان لم نقل قد ضيع حياته دون ان يجنى شيئاً

فعليكم جميعا ان تطالعوا علومكم مطالعة الباحث المدقق

الكمالات بل عليكم عليكم ان تجهدوا كل الجهد فى سرعة الانتقال من مستوى الجهلاء الى مستوي العلماء الذين قد شرفهم الله والناس كما أنه يجب عليكم ان تحترموا الاساتذة جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم في تثقيف عقولكم وتربية أفكاركم وسعوا كل السعى فى تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن في تحصيل العلوم وأنتم أهل لذاك قبل ان تمر الفرصة فتأسفوا على مافات ولات حين مندم .

﴿ فيما يجب ان يتبع في مطالعة الدروس ﴾

كثيرا مانري بعضكم معشر التلامذة يطالع الدروس لالقصد الوقوف على حقائق الاشياء بل لتحصيل نمرة أو لنيل درجة يفتخر بها علي اخوانه فيجتهد كل الاجتهاد في حفظ ما بالكتاب على قلبه دون ان يبحث فى معناه أو يدقق في مبناه فيصير بذلك كالببغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا أغلب التلامذة فى مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيناهم تجنبوا المنهج القويم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيهم واحترامهم متوقف على علومهم لا على ملابسهم واعلم ان العلماء قسمان قسم علم وعلّم وقسم علم وما علّم ولا مرية (لاشك) فى ان القسم الاول أشرف من الثاني بكثير وهو لا يشمل على الاخص الا الاساتذة الكرام والمعلمين الاعلام فهم على مابينا أشرف الناس على الاطلاق وأعظمهم مجداً وأرفعهم قدرا يهذبون الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولا يغرنكم معشر التلامذة قلة مالهم أو عدم بهائهم فهم الذين على أيديهم تبلغون غاية عظمى وتخطون في مدارج الكمال خطوة كبرى

اذا علم مامر من القول وتأملتم قليلا الى حالتكم عند الدخول بالمدرسة وعند تتميم دروسها والخروج منها وقارنتم بين الحالتين لرأيتم فرقا بينا يوضح لكم انكم عند الدخول بالمدرسة كنتم في ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها (وهى مهد تعليمكم وتربيتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى ان المدرسة هى التى تنتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج المعارف والنجاح فاياكم اياكم ان تعدلوا عن السير في منهج

﴿ شرف الاستاذ ومجد التلميذ ﴾

اعلم ان الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم بين عالم وجاهل أى محصورون جميعاً في طبقتين عليا وهى طبقة العلماء وسفلى وهى طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام عديدة فمن العلماء من تبحر في الفلسفة ومنهم في الفقه ومنهم في النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر كما ان في الطبقة السفلى من هو أجهل من أخيه ولا شك ان المرتبة العليا أشرف كثيرا من السفلي في الآخرة والدنيا «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذ عرفوا خواص ما يحيط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا بربهم وثوقاً ولأنبيائهم تصديقا ولله من قال . العلماء في الأرض كالنجوم فى السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفني الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى دائماً في الاعصر

فما عليه الا الرجوع بها الي محل ثقته وسنده القديم صانع جواهر فكره أستاذه العليم فيستفسر منه عما أعيته معرفته وما تعذر عليه نيله واياه اياه ان يقصر فى السعي وراء التعليم والتهذيب وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه بثمن بخس ما أخاله الا حقيراً وأمره عند الاباء يسير ليس عسيراً

فعليك أيها الصبى المجد ان تستطلع أسرار تلك الجريدة التى لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتعتنى كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتي يوم تسلم اليك فيه مقاليدها وتعطى من مديرها زمام أعمالها فترشد اذ ذاك بالاتفاق مع رفقائك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدي غيرك فيما بعد وأنت كبير والله يهدينا جميعاً الى طريق الرشاد وما فيه خير البلاد انه سميع يجيب دعوة الداعى اذا دعاه

المصرية ورافع شأنها .

﴿ عباس باشا حلمى ﴾

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر الرياض لبنت السحاب حفظه الله ورجاله الكرام وأهله وذويه الفخام آمين .

لماذا انشئت المدرسة

ماأنشأت المدرسة الا لكي تكون مركزاً لجمع درر فرائد الاستاذ ومنهلا غزيراً لاتحاف التلميذ بأثمن الفوائد وأسماها . وأبهج اللطائف وأسناها . فيهدى الاول من محاسن معارفه مايجود به علينا . ويهدى الثاني من حالى العلم والأدب مانورده وما يرد الينا . وما عليه الا استقبال تلك الجريدة العصماء . والمجلة العذراء . بالترحيب والاجلال . والتردى بما تهديه له من أثواب التهذيب وطيب الاعمال والتقاط ماتتحفه به من المسائل السنية الثمينة . والنفائس النفيسة المكينة . وان تعسر عليه الوقوف على أصل كلمة أو معنى جملة أو حسن خريدة

لاتفيد الا الآباء . دون الابناء . من تثقيف عقولهم . وتنمية أفكارهم . أمر من أهم الامور الشريفة . وغاية نوالها من أكبر المزايا المنيفة لأنهم عماد دولة مستقبل الزمان . ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية فى كل آن . (من يزرع الشوك لايجنى به عنباً) رأيت ان أهدى أبناء جلدتي . وصغار بلدتي . جريدة على الأخص تهذيبية لما فى ذلك من النفع والسداد . والهداية الى سبيل الرشاد . تصدر فى كل شهر مرة واحدة الا فى شهرى محرم وصفر (زمن الصيف فى هذا العام) فلا تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء . بعد طول العناء . وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنوياً رجاء للنفع العام (والله علي ماأقول شهيد) ثمانية قروش صاغا حتى يسهل للجميع تناولها وتعم بذاك فوائدها ولنا الامل الوطيد فى مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية لنا في هذا المشروع لأنهم جميعاً رجال هممهم عالية . وغاياتهم شريفة سامية . لايبتغون الا نجاح بلادهم . وعلو شأن أوطانهم فى ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامى حمى الديار

هذا ولما كان ماصدر من أعداد هذه المجلة لا يتجاوز التسعة أعـداد بسبب ماانتابه من المرض رأينا ان نذكر أهم ماجاء فيها حـتى تكون مثالا لأعماله فى صباه . وفقنا الله الى مايحبه ويرضاه

منتخبات مجلة المدرسة

﴿ الجزء الأول ﴾

(يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ ـ ١٢ أمشير ١٦٠٩)

١٨ فبراير سنة ١٨٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله مدبر الأعمـال . في مدارس الـكمال . على محور الاعتدال . موهب الانسان . القلم واللسان . المعبرين عمـا فى الجنان .والصلاة والسلام على نبيه محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة . وصاحب الأخـلاق الطاهرة . مدينة العلم والـكرم . ومصدر الفضـل والحـكم . ﴿ وبعد ﴾ فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف مشاربها.وتنوع مذاهبها .

« مجلة المدرسة »
(بمصر)

الأحد في ١٩ فبراير ٩٣

اخي وروحي حضرة علي افندي فهمي حرسه الله
اقبل وجنتيك الفا واهديك اجمل تحياتي القلبية
ان الوالدة في اكمل صحة واتم عافية وتهديك تحيات
اشغف قلب في الوجود . كذلك الأشقاء وفي
مقدمتهم الأب البار حسين افندي
ارسلت اليك في هذا البريد مجلة المدرسة التي انشأتها
لخدمة الناشئة المصرية ونشرها واني ارجوك
ان تفيدني عن رأيك فيها
وارجوك ترسل لي تلغرافا عند مبارحتك بوردو لتطمئن سرائره
اما صحتي فهي حسنة ولا ينقصني الا مشاهدتك
الحركة الوطنية هنا عظيمة جدا يا بطل . وفي الختام
اقبل وجنتيك وارسل لاخيك المخلص
مصطفى كامل

بلغ عدد مشتركى هذه المجلة ٢٤٠٠ مشترك في مدة ثمانية أشهر فقط واكثر هؤلاء من طلبة المدارس الابتدائية وقد اشتركت نظارة المعارف في هذه المجلة بخمسين نسخة وقيمة الاشتراك السنوي فيها ثمانية قروش صحيحة . وكانت تصدر عشرة أشهر وتحتجب شهرين فى العام ليأخذ صاحب الترجمة محررها ومديرها حظه من الراحة . أما الفصول التى كانت تنشر فيها فبعضها وطنى وبعضها علمي خلا ماهنا لك من الاناشيد الوطنية التي تضرب على الاوتار الحساسة من القلوب والفصول الرائقة التى تبحث في نظام الهيئة الاجتماعية والشذرات العلمية والملح الادبية والطرائف الفكاهية والمحاورات الادبية وما شاكل من المباحث والاغراض التى تنطوى تحت لفظة « خدمة الوطن العزيز » ولم يعقه اصدار هذه المجلة عن حفظ دروسه والاهتمام بشؤونه الخاصة . وقد كتب الى عند ماأنشأ هذه المجلة كتابا هذا نصه بصورته بخط يده :

وفى يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣١٠ — ١٨ فبراير سنة ١٨٩٣ أصدر الجزء الأول من مجلة المدرسة وهي مجلة أدبية تهذيبية وطنية علمية تصدر فى غرة كل شهر عربي وقد صدرها بهذه الجملة الشريفة المغزى وهى :

حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك

وكان يديرها ويحررها كلها أولا بقلمه ثم تطوع بأقلامه كثير من الكتاب المجيدين فى ذلك العهد لمعاونته في هذه الخدمة الشريفة بما كانوا ينشئونه من الرسائل والمقالات. ومجلة (المدرسة) هذه أول مجلة أصدرها طالب علم فى مصر. وكان يطبعها في مطبعة المحروسة وهناك تعرف بالمكاتب الشهير المرحوم السيد عبد الله نديم الذي كان يطبع مجلته الشهيره (الاستاذ) هناك

ويلذ نا كثيراً على حد قولهم « وأعز آثار الغنى أثر الصبا » أن نذكر شيئاً من المعلومات عن هذه المجلة وتتبعه بفصول منتخبة من أجزائها فنقول :

الجزء الاول من السنة الاولى يوم السبت ١ شعبان

سنة ١٣١٠ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٩٣

المدرسة

جريدة علمية تهذيبية

تصدر في اليوم الاول من كل شهر عربي

الا في شهري محرم وصفر فلا تصدر

يديرها ويحررها ﴿ مصطفى كامل ﴾

قال حكيم (حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك)

قيمة الاشتراك سنويا ثمانية قروش مصرية تدفع سلفاً

ومن يريد الاشتراك فليرسل القيمة مع اسمه ولقبه ومحل اقامته

﴿ طبعت بمطبعة المحروسة ﴾

(١) بالعتق

(٢) بالترقى الى درجة الاسقفية

(٣) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة

وقد محا جوستينيان هذه الثالثة

﴿ تم ﴾

القوم حيث صرفوا بعض عبيدهم نحو حراثة الارض وزرعها مع اعطاءهم قليل من الحرية تنشطهم على العمل فمتعوهم بالحقوق الخصوصية وشرطوا عليهم ان لا يعقدوا أى عقد الا برضاهم ومنحوهم فى مقابل خدمتهم الأرض أجراً. ولكنهم مع كل ذلك لم يزالوا تحت سلطة الأسياد (التى تكاد ان تكون مطلقة). فهم فى الحقيقة يكونون طبقة بين العبيد والاحرار وتلازم عبد الحراثة هذه الصفة مادام رقا.

منشأ عبودية الحراثة — يصير الانسان عبد حراثة:

(١) بالولادة «أى يرث هذه الصفة عن أبيه»

(٢) بنص قانوني «الذى يجعل فى بعض الاحيان أمة كاملة عبيد حراثة»

(٣) بالاختيار «كأن يطلبها حر»

(٤) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة ومثال ذلك اذا استمر حر يحرث أرض غيره هذه المدة فانه يصير عبده هو ومن يولد من أولاده بعد ذلك

نهاية عبودية الحراثة — تنتهى عبودية الحراثة:

وكانوا يسمونهم أصاغر القوم فى مقابل الرومانيين (الذين هم رجال المجد والشرف) وهم أهل للاستيلاء على المناصب العالية ان رضى السيد بذلك

المعتوقون فى عهد جوستينيان

قد سوى جوستينيان بين جميع المعتوقين فما بقي لاسم الديدكتيس واللاتان جونيان فى عصره من أثر وانتهى به الامر الى ان ساوى بين الرومانيين الاصليين وبين المعتوقين المدنيين

الباب الثالث

عبيد الحراثة

لما كانت أمة الرومان أمة لا اشتغال لها الا بالحرب والأسر ولا ساعد لها الا السيف والرمح أهملت فى جانب ذلك خدمة الأرض وكثرت بنصراتها العبيد حتى أصبح أقل الرومان مقاماً يملك العدد العديد منهم ولهذه الحال تنبه

المعتوق فى الهيئة الاجتماعية

لاجل معرفة حالة المعتوق بالنسبة للحقوق العمومية كحق الانتخاب والتوظف بالوظائف العمومية والحقوق الخصوصية كحق التزوج والسلطة الابوية والهبة والوصية وغير ذلك معرفة جيدة يلزم التكلم على مالكل نوع من المعتوقين :

الديدكتيس — بما أنهم أدني أنواع المعتوقين واحطهم قدرا قرر الرومان أنهم لايطأون أرض رومة ولاماجاورها على بعد مائة ميل والا يقعون فى العبودية مرة ثانية وهم مجردون عن الحقوق العمومية والخصوصية

اللاتان جونيان — هم أحرار فى حياتهم وعبيد بعد موتهم مجردون من الحقوق العمومية وليس لهم من الخصوصية الا حق الهبة والوصية ولكى يتحصلوا على باقى الحقوق يلزمهم عتق جديد مع بقاء حقوق الموالاة

المعتوقين المدنيين — ان المعتوقين المدنيين كانوا ممتعين من الحقوق العمومية بحق الانتخاب وبكل الحقوق الخصوصية

(١) حق اكرام السيد — ان هذا الحق يجعل المعتوق بعيداً عن ان يقيم ضد سيده قضية الا بأذن من الحاكم فضلا عن أنه يرجع عبدا ان لم يعطه الغذاء الضرورى ان كان محتاجا له وللسيد ان يتزوج بمعتوقته ولو بغير رضاها

(٢) حق الخدمة — على المعتوق ان يخدم سيده متى دعاه لذلك

(٣) الوصاية والوراثة — ان السيد هو الوصى الحقيقي على أولاد المعتوق المتوفى كما أنه الوارث الشرعى

نهاية حقوق الموالاة

موت السيد أو المعتوق ينقص من حقوق الموالاة دون ان يمحيها فبموت السيد تحفظ أولاده تلك الحقوق على معتوق أبيهم وبموت المعتوق يحفظ السيد ماله من الحقوق على أولاد ذلك المعتوق الميت

ولا تنقرض حقوق الموالاة الا اذا وقع السيد أو المعتوق فى العبودية

الاولى ـ المعتوقون المدنيون أي الذين ملكوا بالعتق حق الحرية والمدنية وهم الذين عتقوا حسب الشرائط الشرعية المتقدمة ولم يقع منهم وهم عبيد ما استوجب عقابهم

الثانية ـ الديدكتيس (Didictices) وهم المعتوقون الذين عوقبوا فى زمن استعبادهم عقوبات قاسية بسبب ما ارتكبوه من الجرائم

الثالثة ـ اللاتان جونيان (Latins-juniens) وهم معتوقون أصلهم فى الغالب من البلاد المجاورة لرومه يكونون طبقة متوسطة بين الاولى والثانية

حقوق السيد على معتوقه

ان للسيد على معتوقه حقوقا وواجبات ترثها أولاده بعد موته بالسوية ان لم يخصصها لواحد منهم وهى :

(١) يجب على المعتوق أن يكرم سيده ويغذيه ان كان فقيراً

(٢) يجب عليه خدمته

(٣) للسيد حق الوصاية و الوراثة

عنده عشرين سنة على الاقل

تلك هى القاعدة الاصلية وليس لها استثناء الا فى حالة ما اذا كان السيد لا وارث له فيجوز له ان يعتق عبداً واحداً من عبيده بوصية لكى يرثه

وبعد هذا القرار بثلاث سنوات أصدر أغسطس قرارا آخر يتضمن ان السيد لا يعتق فى وصيته زيادة عن مائة عبد ويجب عليه ان يبين أسماءهم وألقابهم الا ان هذا القرار لم يبق له أثر فى عهد جوستينيان

الفصل الثالث

معاملة المعتوقين

ان معاملة المعتوقين تختلف فى العصر الاول لرومه وفى عصر جوستينيان عما كانت عليه فى العصر المدرسى . ففى العصر الاول كما فى عصر جوستينيان كانت المعاملة لجميع المعتوقين واحدة وأما فى العصر المدرسى فكان المعتوقون ثلاث طبقات ولذلك اختلفت معاملتهم

ان يعتق عبده امام خمسة بان يخاطبه (يابنى) أو يقول انه تبناه

﴿ الفصل الثاني ﴾

الموانع الشرعية للعتق فى زمن الجمهورية

لما ازداد عدد المعتوقين فى أواخر أيام الجمهورية الرومانية وكان أكثرهم غير جدير بان يصير حراً قرر أغسطس فى سنة ٧٥٧ لرومه :

أولا . من نال من العبيد عقاباً يخدش الشرف لا يملك بالعتق الا حق الحرية فقط .

ثانيا لا يملك العبد المعتوق الذى يبلغ من العمر أقل من الثلاثين سنة الا حق الحرية دون غيره

ثالثا لا يجوز للسيد الذى لم يبلغ من العمر عشرين سنة ان يعتق عبده الا اذا كان مربيه (وفى هذه الحالة يحصل العتق بقرار من مجلس مخصوص مكون من أعضاء مجلس الشيوخ ومندوبي الامة)

رابعا لا يجوز للمدين ان يعتق عبده الا ان كان مكث

ما أولاه سيده من المال (أى يحفظ ما يسمى pécule) وفى الطريقة الثالثة بالعكس. وفضلا عن هذا فان العتق فى الحالة الاولى لا يكون معلقا على شرط وفى الحالة الاخيرة يتأتى ان يكون معلقا على شرط كأن يقول السيد فى وصيته أعتق عبدى فلانا بشرط ان يبنى لورثتى بيتاً مساحته كذا مثلا

(طرق العتق فى العصر المدرسى) ـ فضلا عن طرق العتق المستعملة فى العصر الاول فانهم أضافوا اليها فى العصر المدرسى صحة العتق اذا أوضح السيد حرية العبد امام الجمهور أو أرسل له خطاباً يظهر له فيه انه أعتقه وما خالف هاتين الطريقتين يعتبرونه غير شرعى ويسمون العبيد المعتوقين بهذه الصفة لاتان جو نيان (Latins-Juniens) وهذا النوع يفقد الحرية بموته أى انه حر فى حياته وعبد بعد مماته

(العتق فى عهد جوستينيان) ـ قد أبطل جوستينيان العتق بدفتر التعداد واكتفى فى العتق بالفنديكت باظهار رغبة السيد امام القاضى وقرر ان السيد يمكنه اظهار رغبته بخطاب يرسله لعبده وعليه امضاآت خمسة شهود كما انه يصح

(١) طريقه الفنديكت (Vindicte) هذه الطريقـة هي أهم الطرق واقدمها وكيفيتها ان يأتي العبد والسيد ومعهما شخص ثالث أجنبي فيقـدم هذا الاجنبى العبد أمام القاضي ويقول «هذا العبد حر» فأما ان يصادق السيد عليـه أو يسكت فيحكم في الحـال القاضى بحرية العبـد ومن هيئة هذه الطريقة نرى انها على شكل قضية تخيلية

(٢) دفتر التعداد — ان هذه الطريقة قاصرة على كتابة اسم العبد فى دفتر تعداد الأنفس

(٣) الوصية — وهي اما ان تكون موجهة للعبد مباشرة أو للورثة وفى هذه الحالة الأخيرة يوضح فيها الوصى عتق العبد بعد موته

وللعبد الحق فى رفع الامر للحاكم اذا عضل الورثة فى عتقه.

تلك هى طرق العتق فى بلاد الرومان فى أعصرها الاول وهناك فرق بين العتق باحـدى الطريقتين الأولين والطريقة الثالثة وهو ان العبد فى الطريقتين الاولين يحفظ

عتق السيد لعبده

يلزم لذلك أربعة شروط :

أولا — رضاء السيد بالعتق ويكون ذلك بتصريحه فى حياته أو بذكره فى وصيته

ثانياً — ان يكون السيد مالكا لعبده ملكا حقيقياً

ثالثاً — ان يكون السيد قادراً علي العتق أى لا يكون قاصراً

رابعاً — أن يكون السيد هو المالك الوحيد لأنه لو كان له شركاء وعتق العبد بلا رضاهم لاعتبر هذا العتق فى العصر الأول لاغ لأن الحرية لاتتجزأ ولكن جوستينيان اعتبره جائزاً على شرط ان يدفع السيد العاتق لبقية الشركاء من المال قيمة أنصبتهم فى العبد

طرق العتق

تختلف طرق العتق علي حسب الاعصر الرومانية

(طرق العتق فى العصر الاول) — للعتق ثلاث طرق على حسب مانص قانون الاثنتى عشرة لوحة : الفنديكت ودفتر التعداد والوصية

الحقوق أعظم مما لغيره فله حق الحرية والمدنية والعائلة وأما غيره فأما لا يملك الا الحرية فقط دون المدنية والعائلة (وهذا لا يعتبر رومانيا لانه فاقد للمدنيه). واما يملك الحرية والمدنيه . ومن يفقد حق الحرية يفقد المدنية والعائلة ومن يفقد حق المدنية يفقد حق العائلة دون حق الحرية

﴿ الفصل الأول ﴾

عتق العبيد

يعتق العبد :

أولا ـ بسيده

ثانياً ـ بالحاكم ان ترأى لها ذلك

ثالثاً ـ ان أعلم بقاتل سيده أو رفع عنه مضاراً جسيمة

رابعاً ـ بمضى مدة تختلف بين العشر والعشرين سنة على قول بعض المؤلفين

وجميع هذه الحالات سهلة ظاهرة غير انأولاها تحتاج الى بيان وزيادة توضيح

(١) ـ عبيد عوقب سيدهم عقوبات قاسية

(٢) ـ عبيد تركهم أصحابهم وهؤلاء الأخيرون يسهل عتقهم حيث لاموالي لهم

الباب الثاني

﴿ فى الاحرار ﴾

(تمهيد)

ينقسم الاحرار الى قسمين: أحرار نشأوا كذلك وأحرار كانوا عبيداً ثم عتقوا . ولهذا التقسيم يطلق على بنى النوع الاول (أحرارا) وعلى بنى النوع الثاني (معتوقين) ويستثنى من ذلك . أولا ان الحرة التى لهـا علاقات داخلية مع عبد أجنبي برضا سيده تعتبر معتوقته . ثانياً من كان حراً (رومانيا) أسر عند الاعداء ثم عاد لرومـه يرجع حراً أي يكتسب مايسمونه حق العودة

وأعظم الاحرار قـدرا هو رئيس العائلة لان له من

من المال يتصرف فيه وله استرداده منه متى أراد (وهذا ما يسمى Pécule)

ولما كان كل ما يمتلكه العبد لسيده صح ان ينوب عنه في عقد العقود التي يكون السيد فيها دائنا لا مديناً

العبيد في الجمعية الرومانية

ان زواج العبد فى الاجتماع الروماني معتبر غير شرعي كما قدمناذلك فى أول الرسالة فلا يتوارث به الزوجان. والعبيد وان اعتبروا كمنقولات تتكلم الا ان الجرائم المرتكبة من الاجانب نحوهم تسبب للمذنب عقاباً. تختلف شدته حسب الأعصر. وهم ان ارتكبوا ذنوباً ضد الهيئة الاجتماعية يعاقبوا أشد العقاب

وغير ماذكر من العبيد يوجد نوعان يخالفان الاحكام السابقة وهما:

أولا - عبيد الكافة وهم ملك الحكومة ولهم ان يتركوا اجزاً من أموالهم لا يتجاوز النصف لاولادهم فى وصيتهم.

ثانياً - عبيد لا سيد لهم وهم نوعان

تامة على شخص العبد وما له ولكن هذه السلطة قيدت فى الاعصر الرومانية الاخيرة تقييداً جعلها وقفت عند حد لا تتعداه

(سلطة السيد على شخص العبد) ـ كانت هذه السلطة فى بادىء الامر مطلقة لاحد لها ولكن مع الزمن وتقدم الامة الرومانية فى الحرب تعاظم عدد العبيد فى المدينة وزاد سوء تصرف الاهالي فى هؤلاء المملوكين حتى أصدر انتونيان الملقب بالصالح أمره بان كل سيد قتل عبده بلا سبب يعاقب بالاعدام أو بالنفى وكذلك كل من عامل عبده بقسوة يلزمه بيعه (وقصدالشارع بذلك أنه ربما يملك لسيد شفوق) هذا مع حفظ ولاية التأديب للسيد فضلا عن أنه حر فى بيعه ورهنه وتركه ان شاء .

سلطة السيد على أموال عبده — ان سلطة السيد على المال بقيت بحالة واحدة زمناً مديداً أي ان الأعصر لم تغير شيئاً من تصرفات السيد فى أموال العبد واعتبارها له كلها فالسيد فى كل الاوقات مالك لجميع أموال عبده وله ان يعطيه شيئاً

فى الثمن ويأتي المشتري بعد ذلك يطالب البائع بالمبيع فان كان ثريا رد له دراهمه والا فيملك المبيع (أي الحر النصاب الذى بيع باسم عبـد) الا ان ذلك يستلزم ثلاث شروط

(١) أن يكون المشتري جاهلا حقيقة الامر أي عالمـا بان المبيع عبد حقيقي والبائع سيده

(٢) ان يكون البائع والمبيع على عكسه أي لم يعملا ذلك الا بقصد النصب

(٣) ان يكون سن المبيع فوق العشرين سنة

الفصل الثالث

فى حالة العبيد ومعاملتهم

ان حالة العبيـد تختلف حسبما تكون بالنسبة للسيد أو بالنسبة للاجتماع الروماني

(معاملة السيد لعبده) ان القاعدة القديمة الرومانية هى ان العبد وما ملـكت يداه لسيده بمعنى ان لـكل سيد سلطة

عينتها المحكمة فى حكمها الصادر بهذا الصدد

(٤) اللص الذى يضبط متلبساً بالجناية

وفى العصر المدرسى دخلت جميع هذه الاسباب فى خبر كان

وفى عهد السلطة الملوكية كان يقع فى الرق :

(١) من زنت من الرومانيات مع أحد عبيد الغير بالرغم عن ثلاث انذارات من سيد العبد تقع تحت سلطة ذلك السيد هى وجميع أموالها ومن حملت به أو ولدته من الاولاد قبل وقوعها فى الرق يبقي حراً

(٢) من أتي بجريمة عقوبتها الوقوع فى الرق

(٣) كل من قابل سيده من المعتوقين بضد ما يستحق (كأن يقبض يده عن ان يعطيه الغذاء والسيد فقير)

(٤) قد يقع فى بعض الاحيان ان رومانيين نصابين يقيم أحدهما الآخر كسيد له ليبيعه وبعد تمام البيع وقبض الثمن يهرب المعتبر كعبد (وهو حر نصاب) ويرجع لرفيقه (الذى عمل سيده وقت البيع) حيث يقاسمه

نحوهم الا قانون الاقوى وأسراهم عبيد سواء أسروا فى السلم أو فى الحرب

(٢) أجانب يسمونهم فى زمن السلم بريجرين (Pèrégrins) وفى زمن الحرب هو ستيس (Hostis) التى معناها (عدو) ويتبع الرومان نحوهم قانونا ثابتاً ولا يؤسرون الا فى الحرب

(القسم الثاني)

الاستعباد بالقانون المدني

يختلف الاستعباد بالقانون المدني باختلاف أدوار القانون الروماني

ففى الدور الاول كان يقع فى الرق :

(١) كل روماني يرفض الخدمة العسكرية

(٢) كل من لم يكتب اسمه فى دفتر تعداد الانفس (وهو دفتر لا يوجد الا فى رومه اسمه السنس (Cens) تكتب فيه أسماء الرومانيين كل خمس سنين)

(٣) المدين الذى لم يسدد ما عليه من الدين فى المدة التى

(القسم الأول)

الاستعباد بقانون الكافة

يقع الانسان فى الرق : أولا بالولادة — ثانياً بالاسر

الولادة — تتبع الرومانيون قاعدتين فى الرق بالولادة وهما:

(١) كل ولد ولد من زواج شرعي يتبع حالة أبيه فى الحرية

(٢) تعتبر حالة الاب عند مبدأ الحمل فقط وتعتبر حالة الأم وقت الولادة

وبما ان زواج العبد عندهم غير شرعي فنسله يتبع حالة أمه ولكنهم قد خالفوا القاعدة الثانية فى منفعة المولود حيث قرروا ان الولد الذى لبثت أمه بعض الزمن (ولو دقيقة) حرة وقت الحمل به أو وقت الولادة يولد حراً

الاسر — لاجل الوقوف على حقيقه الوقوع فى الرق بالاسر يلزم معرفة تميز الاجانب

يعتبر الرومان الاجانب قسمين : (١) المتبربرون (كسكان الغاله وجرمانيا وقتئذ) وهم قوم لا تتبع الرومان

الاول : ان الغالب له الحق فى قتل مالديه من الأسرى (كما هو معنى الاتفاق الدولي اذ ذاك) وعليه فالاستعباد عمل خير وبر

الثاني : ان الغالب يعد مالكا لأسراه ولأموالهم والمالك له ان يتصرف فى أملاكه كيف شاء وعليه فله حق استخدامهم واستعبادهم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(الوقوع في الرق)

تمهيد

اعلم ان للرومانين قانونين الاول أحكامه تسرى عليهم وعلى الاجانب على السواء ويسمونه قانون الكافة والثاني أحكامه خاصة بهم ويسمونه القانون المدني (كالحق المخول لرئيس العائلة ان يقتل أى تابع له) وللوقوع فى الرق أحكام خصوصية فى كلا القانونين :

٢ العبد الذى يتركه سيده لمرض أو لشيخوخة يعتبر حرا

٣ من قتل عبداً مريضاً أو هرماً ليستريح منه يقاص

٤ كل من خصى عبده أو قتله بلا ذنب أو باع أفراد عائلة عبد متفرقين يعاقب

وفى جميع الازمان الرومانية كان زواج العبد معتبراً غير شرعي وبذلك ليس له على أولاده سلطة أبوية ولا علاقة بينه وبينهم الا من حيث تحريم زواج البنت (أى ان العبد لا يتزوج ابنته وهو تميز بين العبيد والحيوانات العجم)

وما يرتكبه العبد من الاثام والجرائم يعاقب عليه ان كان ضد الهيئة الاجتماعية وأما اذا كان ضد فرد من الافراد فلا يحاكم الا بعد عتقه وان أضر العبد فلسيده ان يطالب الضار بتعويضات كما يفعل ذلك ان أتلف له شىء

﴿ القسم الثاني ﴾

اعتقاد الرومان فى حل الرق

ان الرومانيين كانوا يقيمون دعائم حل الرق على دليلين:

الباب الاول

فى الرق والعبيد

(الفصل الاول)

قواعد تمهيدية

(القسم الاول)

الرق وما كان عليه عند الرومان

الرق هو حال المملوك لآخر وحالتـه عند الرومان تختلف حسب الاعصر والادوار ففي الازمنـة الاولى كان العبد معتـبراً كـكائن حيّ لا حق له مطلقاً (أى منقولا يتكلم) ولا رادع لتصرفات سيده فيه الا ان هـذه السلطة المطلقة قد أوقفت عند حد فى عهـد القياصرة (بعد ان رأى العبد مالم تره عين بشر) اذ صـدرت فى أيامهم أوامر شتى بخصوص تقييد سلطة السيد والوقوف بها عند حد منها :

١ لا يجوز للسيد ان يبيع عبـده لاحـد لايشـتريه الا لمضاربة الوحوش

من سنة ٧٠٩ لغاية ٩٧٨ من تأسيس رومة (٤٥ قبل المسيح الى ٣٢٤ بعده ـ ٦٤٧ قبل الهجرة الى ٢٧٨) والحكومة فيه كانت فى يد قياصرة تعبد الاصنام وهو أهم الاعصر بالنسبة للقانون الروماني حيث نشأ فيه من المتشرعين عدد يزيد بكثير عما نشأ فى غيره وأشهرهم جوليان وجايوس واوليبيان

الدور الرابع ـ يبتدىء من ٩٧٨ الى ١٢٤٠ من تأسيس رومه (٣٢٤ الى ٥٦٥ بعد المسيح ـ ٢٧٨ الى ٣٧ قبل الهجرة) كانت فيه السلطة للقياصرة المسيحيين وهو الدور الذى نشأ فى آخره جوستينيان الذي بدل وغير ومحا وأثبت كثيراً فى قانون الرومانيين ومن بعده أخذ فى الاضمحلال

والتوحش) كما سيظهر جليا

نبذة تاريخية — ١٣٥٦ ق.ه — ٧٥٣ ق.م —

قسم علماء القانون الروماني أدواره الى أربعة

الدور الاول — يبتدىء من تأسيس مدينة رومه المنسوب الى رومولوس لغاية سنة ٢٤٤ منه (أى من سنة ٧٥٣ الى ٥١٠ قبل المسيح ومن سنة ١٣٥٦ الى ١١١٢ قبل الهجرة المحمدية) وفيه كانت منصة الاحكام بيد البطاركة ثم الملوك الايتيريين . والقانون الروماني كان عبارة عن نصوص مكتوبة على اثنتى عشرة لوحة مع اتباع العوائد الجارية وأشهر متشرعي هذا العصر هو بابيروس

الدور الثاني — يبتدىء من سنة ٢٤٤ لرومة لغاية ٧٠٩ لها (٥١٠ الى ٤٥ قبل المسيح — من ١١١٢ الى ٦٤٧ قبل الهجرة) وكانت المملكة فيه جمهورية وأشهر متشرعيه سيسرون

الدور الثالث — (ويسمونه بالعصر المدرسى) يبتدىء

الخصوصية وأملاك هؤلاء الأولاد والأتباع فكانت بذلك اشبه شيء بحكومة أو ايالة المتصرف الشرعى فيها رب البيت الذى قد حرّم على غيره ان يتصرف فى شيء من أملاك العائلة بمعنى ان جميع الاملاك معتبرة له دون سواه

والعبيد وان كانوا كأولاد رب البيت الا ان معاملتهم خرجت عن حد التصور والوصف فيباع العبد ويشري ويستخدم ويؤذى ويقتل ويرمى ولا رادع فى ذلك لسيده فكان بأمره يضارب الوحوش ويقاتل السباع لتعليم أبناء الرومانيين الحماسة وكانت تقطع يداه ورجلاه اذا أذنب أحد الابناء لتفهيمهم كيفية عقاب المذنبين (ولا ذنب لصاحبنا الا انه فى الغالب أجنبي قد أسر)

غيرى جنى وانا المعذب فيكم فكأننى سبابة المتندم

وقصارى القول ان العبد كان معتبراً كآلة فى يد سيده يديرها كيف شاء وان معاملة الموالى للعبيد وان تحسنت قليلا فى أعصر الرومان الاخيرة لاتزال موضوع وحشية وهمجية تصور لنا اجتماع النقيضين واتحاد الضدين (التمدن

لحراثة الأرض ومن ثم تشعبوا وانقسموا الى قبائل يرأس كل واحدة منها رئيس لم يكن له فى مبدأ الأمر من السلطة الا تقسيم الأعمال بين أفراد عشيرته أوقبيلته فمنهم مخصص للحرث ومنهم للسقي ومنهم للصيد الذى لم يقصدوه وقتئذ الا للتغذية الاضافية وكل ماينجم عن عمل أحد الأفراد يكون ملكا للعائلة باكملها ليس لأحدمنها ان يستغله دون الآخر

ذلك هو مبدأ تكوين العائلات الذى لم ينتج الا بعد أدوار كثيرة تدريجية تورد لنا حالة تاريخ مدينة رومة الشهيرة التى وجدت قبل المسيح بنحو سبعة قرون ونصف وقبل الهجرة النبوية بثلاثة عشر قرنا تقريبا وهى تقص علينا تاريخها انها كانت مكونة من عائلات تمتاز كل واحدة منها باسم مخصوص يرأس كل عائلة رجل هو رب البيت وحاكمها الوحيد صاحب التصرف المطلق فى حياة أفرادها وأملاكهم. وكانت العائلة مكونة من ذرية رب البيت وذرية ذريته وهكذا وعبيده ونسل عبيده ونسل نسلهم الخ (الذين كان يصل عددهم أحيانا الى خمسمائة أو ألف) وحشمه وخدمه مع أملاكه

المقدمة

وجد والدا البشر آدم وحواء فى مبدأ الخلقية وحيدين فى وسط الأكوان الشاسعة والاراضى الواسعة لاقوت يسد رمق جوعهما ولا غطاء يقيهما تأثير التغيرات الجوية غير التغذى بما تخرجه الأرض من الحشائش والاستتار بأوراق النبات والاقامة فى المفاوز والمغارات حسب الهام الخالق لهما وهكذا استمرا على هذه الحالة حتى تزايد عدد أبنائهما شيئاً فشيئاً وتمكنوا جميعا من التعاون والتعاضد على تحصيل مايقوم اعوجاج الحياة وأول مافكروا فيه هو أمر الغذاء والغطاء الذى أرشدهم الرحمن اليه باستعمال الصيد اذ صاروا يأكلون لحم الطيور والحيوانات ويلبسون جلودها حتى ألهموا حفظ بعض أنواع الحيوانات النافعة كالبقر والغنم وما شاكلها لوفرة نسلها وللاستغناء بنتاجها ودرها عن مكابدة اتعاب الاقتناص ولكنهم لذلك الحين كانوا مكتفين غذاء بلحمها وألبانها وكساء بصوفها وجلدها ولم يزالوا عاكفين على تربية الحيوانات النافعة والاعتناء بامرها حتى تنبهوا

كتب هذه المقالة رحمه الله في وقت اشتدت فيه لهجة جرائد الاحتلال على أثر التفاف الشعب حول سمو الخديوى الذى ظهر بمظهر الوطنية العاليـة فرفع صوته الشريف كامن شعور الأمة فذابت قلوب الاعداء فأخذوا يحملون حملاتهم التى لا أثر لهـا اليوم

وفى أوائل تلك السـنة ألف رسالة « أعجب ما كان فى الرق عند الرومان » وهذه الرسالة على صغر حجمها كفلت لقارئها بيان حقيقة الاسـتعباد الرومانى المباينة لمـا جاءت به شريعة خاتم النبيين صـلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسـلم. ولمـا كانت هـذه الرسالة قد نفدت طبعتها على فرط حاجة المستفيدين الى الانتفاع بمـا ضمنته من التحقيق الوافى فى هذا المطلب التاريخى الخطـير آثرنا أن ننشرها هنا برُمتها ضنا بأثر جليل مضى عليه سـتة عشر عاماً أن يطلبه القراء اليوم ولا يجدونه وينشده طالبوه ولا ينظرونه . وهـذا هو نصه بعد الفاتحة :

يعلمون ان الحق حق وان الباطل كان زهوقاً فيسلكوا السبيل الأحوط للذمة والشرف ويخدموا الوطن خدمة صادقة تغنيهم عن التطفل على موائد الانكليز والتسول من أيدي الغريب ولكن رحم الله من قال

واذا ضلت العقول على علم فما ذا تقوله النصحاء

مع أنه وأيم الله لا يضيع عند المصري جميل وهو احفظ الناس على من حفظه وأحبهم لمن أحسن لوطنه كما أنه أبعدهم عمن أراده بسوء

وبالاجمال فلا يفيد الحكومة الانكليزية بعد هذا كله الا العدول عن سياسة العنف وسلوك سبيل الانسانية بقيامها بحق الوعود المتكررة بالجلاء عن مصر لكي يندمل جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقد رأت من النهضة المصرية والحزم العباسي ما يدحض القول بأن لا رجال في مصر ويقطع دون اهتضام حقوق المصريين كل رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق في كل حال »

يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله الا أن يتم نوره اذظهرت لدى جميع الدول نتائج ماتكنه السياسة الأنكليزية لوادي النيل واتضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلو ولا يعلي عليه . فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة انكلترا النكير وأرسلت عليها من أفواه الحق أعظم نذير فأخذها من ذلك المقيم المقعد حتى قام رجالها في مصر يطالبون جرائدهم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المبتاعة منهم بالأصفر ذي الوجهين فتقدموا اليها بأن تطلع في الظلمة شمسا وتلبس الحق بالباطل لكي يسندوا حجتهم من مصرية تلك الجرائد الي برهان يغررون به الافهام ويبنون عليه صروح الاوهام ولكن هيهات هيهات فقد عرف المصرى بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينطلى عليه محال المدلسين ولا تغريه سفاسف الاقلام وسبرت دول أوروبا حقيقة المسئلة فهي فى غنية عن أخذها من مصادر الباطل وتلقيها من سماسرة السوء

وعسى أن يكون ذلك كله عبرة لأولئك المدلسين الذين

على طبعه الطمع وتولاه الغرور ثم اجتهادهم في أماتة كل عنصر حى مصرى وتعويضه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية التى كادوا يتوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصرية اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وتستراً باسم المحافظة على الامن والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة وتطاولهم لسلب حقوق الحضرة الخديوية لو لم يحل دونهم حزمها العظيم شاهد عدل يؤيد ماهم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ويدحض ما يأتيه أنصارهم من الترهات الأمر الذى أيقظ المصرى من غفلة طول الأمل ونبه فيه عواطف الوطنية بعد الذبول فتحركت فيه روح الشهامة تحث على الرزانة والسكون لتعضيد أميره العزيز الذى أحيا فى قلوب المصريين عنصر الأمل وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضته الشريفة ودرايته العظيمة حتى قامت بين الانكليز قيامة الايهام والتغرير وسلكوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والأقوال كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف لعالم الانسانية على مرسح القسوة والاستبداد سترهم وهم

كما مر والا لكانت خالية عن كل تمييز والواقع بخلاف لما أن قوة التمييز حاصلة لديه وهو قادر على أن يميز بها بين المتضادين فكيف اذن يقبل التحول من الحسن الي القبيح ومن النافع الي الضار وهو يعلم أنه كذلك . هذا ما نسأل بيانه خصوصا ممن كان بالامس ينفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح على الضد من ذلك قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحذاً غرار قلمه بنشر الفصول الطوال المزخرفة بعريض الكلام وطويله مملوءة بألف دليل مجسم بقالب الغرض يظهر لدى أدني تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر الصدق مغشاة بسفاسف من القول بقصدبها الاستدلال على حسن مقاصد المحتلين وسلامة نتيجتها على المصريين خلافا لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع من انها مقاصد ليست من السلامة على شيء بدليل ماهو مشاهد من حركات الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها فى هذا القطر واحاطتهم بدوائر الحكومة الملكية والعسكرية احاطة السوار بالمعصم واستئثارهم بمصالح الاهلين استئثار من غلب

وهـذه مقالة ثانية نشرت فى العـدد رقم ٤٥٥٠ تحت عنوان :

الحق يعلو ولا يعلى عليه

« لما كانت أفعال الانسان غير مرتبطة بقوانين طبيعية وقواعد ثابتة تتمشى بها على وتيرة واحـدة فانها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب ارادة الفاعـل وغايته لما انها أفعال ارادية صادرة عن قصد وكلما صدر عن قصد فهو بالطبع قابل للتغيـير فانك بينما ترى، زيدا كريما حسن الخلق محبوبا من الناس اذ تراه أصبح ضنينا فاسـد الخلق مذموماً من الناس والعكس بالعكس وليس الغرابة فى ذلك بل الغرابة فى كيف ان الانسان مع اتصافه بالعقل والارادة وتمييزه بين الحسن والقبيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الـكرم والذم بعد الـكرامة!! ذلك ما نريد معرفته والوقوف على سببه فان قيل انه مرفوع الى ذلك بحركة اضطرارية بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا ينافى اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد وارادة

حكومته الطاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك سوء بعد ماظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ماجعل العالم الاوروبي ينظر اليك بنظر التبجيل ويثق منك بكفاءة تخولك حرية الاستقلال. والانسانية تنادى قاتل الله القسوة والاستبداد ماامسهما بشرف أمة الحرية وماأشرعاقبتهما من عاقبة على نابذى العهود وهم قيودها وناكسوا لوعودهم معززوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء وأظهروا للعالم المتمدين ما تكنه ضمائرهم من السوء فجلبوا على نفسهم الضرر من حيث أرادوا النفع فهيهات هيهات أن تقاد لهم بعد ذلك الرجال أو ينطلى لهم ولا نصارهم على العقول محال

ومهما يكن عند امرئ من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

فما علينا بعد هذا الا المثابرة والاجتهاد على دفع غاية المغرضين لكن مع السكينة والثبات والمؤازرة لاميرنا المحبوب الذى نرجو الله تعالى أن يوفقه لكل مافيه خير الوطن وبنيه ان الله كريم مجيب »

رام اغتصاب حقك بحجة ليس عليها دليل الا الباطل وينصفك ممن حاول سلب استقلالك لمجرد تعلقك بحب أميرك العزيز ووطنيتك الصادقة

فاصبر أيها المصرى فان الصبر من حزم الامور واياك التهور مع دسائس المفسدين بقول أو فعل بعد ماظهر منك من الوطنية والثبات . فوالله لسكوتك فى مثل هذه الظروف أشد على أعدائك من ضرب الحسام وأنكى من كل نكاية وهم انما يتذرعون بك اليك فصدهم لكن بالحزم وردهم لكن بالتأني وكن مع مواطنيك من الغربيين الذين يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم والالفة الثابتة فانما مواطنك وطنيك ومشاطرك الخير والضر صفيك واعلم أن سماسرة السوء يتربصون بك الشر والمحتلين ينظرون الى وطنيتك بعين الغدر حتى اذا رأوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بها مصابيح التهويل فى ظلمات الباطل ليجعلوك فريسة الاغراض فثابر على الثبات والانقياد لاميرك بكل حركة وسكون وكن منه ومن رجال

التى تسعون اليها من زرع بذور الفساد واضرام نار الفتنة بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصرى أعظم مكانة من أن تؤثر فيه عوامل المفسدين وأرزن من أن تحركه يد الغايات؟ المصرى مشهور بالصبر معروف بالسكينة موصوف بالثبات فردوا سهام أذاكم فى نحوركم وانفخوا فى رماد الفساد ما شئتم أن تنفخوا فلا والله لن تروا منه حركة الا بالسكون ولن تنالوا غرضا ولو بعد العناء

ورحماك أيها المصرى ما أشدك علي حمل النوائب وماأصبرك على فساد المفسدين وطوباك ما أكثر حذرك من العواقب وأظهرك على المغترين :: هذا العالم ينظر اليك الآن بمنظار الانتقاد فيرى المفسدين يجوسون خلال ديارك وسماسرة السوء يدسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك وأنت مع ذلك ثابت الجأش قوى الجنان غير مصغ الا لنداء الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحة وطنك لكن مع السكينة والحزم وبذلك يعلم العالم انك انما اتهمت بما أنت براء منه ورميت بما أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من

الاهلية التى انتشرت بين طبقات الامة على أثر تولية سمو الخديو المعظم عباس حلمي باشا الثاني: عداءغريبا. وكان المترجم وهو فى طليعة المهاجمين كما قدمنا يخطب فى التلاميذ فيثير فى الصدور حماسة تدك الجبال وتزلزل عروش الاقبال ومن تلك الساعة استولي سلطانه على قلوب اخوانه وأصبح يشار الى الوطنية فى شخصه المحبوب

وفى هذه السنة المكتبية الداخلة في سنتى ١٨٩٢ — ١٨٩٣ اكثر من كتابة المقالات ونشرها في جريدة الاهرام وقد نشرت أول مقالة في العدد ٤٥٤٥ في يوم السبت ١١ فبراير سنة ١٨٩٣ وهذا نصها

نصيحة وطنى

« ايه ياساسرة السوء ايه ياأعداء الانسانية ايه ياجراثيم الفساد لقد والله تماديتم فى البغي وقد تدانيتم من كل أثم قصى الام تسعون فى الارض بالفساد وحتام تعظمون الصغير وتصغرون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هى الغاية

وكفى على ذلك دليلا أنها من صنع فرنسا والثاني أنه يجب أن تزداد قوته فى اللغة الفرنسيه وانتظامه فى سلك الطلب بهذه المدرسة من أعون الذرائع وأنجع الاسباب للبلوغ الى هذا القصد

فأراد أخوه أن يدرس فى كلتا المدرسة ليحصل فى الحقوق عند انتهاء الدراسة على شهادتين احداهما من مصر والأخرى من فرنسا فصدع بهذه الارادة الكريمة وهو جذلان مستبشر . وقدم طلبه الى مدرسة الحقوق الفرنسية وصار أحد طلاب السنة الأولى فيها واستمر فى المدرستين بحيث كان يقضى سحابة النهار فى المدرسة الأميرية ويدرس فى المساء فى المدرسة الفرنسية اذ كانت الدراسة تبدأ فيها قبيل الغروب يوميا بساعتين

وقد حدثت فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ مظاهرة وطنية من طلاب المدارس وفى مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق وفى طليعة هؤلاء صاحب الترجمة وقد هجموا جميعا على ادارة جريدة المقطم لأنها أظهرت ضد الوطنية المصرية وروح النهضة

علائم التعب ومرض مرضا شديدا خيف منه على حياته . وكان العذل لا يزيده الا تعلقا بالكتابة وصبرا على مشاقها وثباتا على سلوك خطتها . ولكن طبيب الأسرة وهو حضرة النطاسى البارع المفضال الدكتور على بك شرمي وحمو الأخ حسين بك نهاه عن الكتابة بعد أن وصف له العلاج وشدد فى وجوب تناوله فى الأوقات المعينة . فامتثل مكرها وبعد أن أبل من مرضه وافى ميعاد الابتداء فى الدراسة للسنة الثانية . وفى شهر اكتوبر سنة ١٨٩٢ تقابل مصادفة بصديقه القديم والاخ الوفى الحميم فؤاد بك سليم بعد ذلك التقاطع الذى أغضبهما كليهما

فعاد الود الى أمكن وأمتن مما كان ورجعت الصداقة الى أقوى وأفضل مما كانت عليه . وقد بذل هذا الصديق من المساعى مابذل ليحمل المترجم بالترغيب والتشويق على تتميم دراسته فى مدرسة الحقوق الفرنسية ليكونا معا فاستشار المترجم أخاه وسأله أن يأذن له بالانتقال الى هذه المدرسة لسببين وجيهين وهما أن المدرسة المذكورة مدرسة الحرية

(عام ١٨٩٢) قصد مدينة الاسكندرية لتغيير الهواء فاجتمع بالمأسوف عليه الطيب الذكر بشارة تقلا باشا صاحب الاهرام وقد تعرف به بواسطة صديقه الحميم الكاتب البليغ الشهير والشاعر النابغة الكبير خليل أفندى مطران فأجله وأكبره وفتح له صدر جريدته لنشر ما يبعث اليه به من الرسائل الوطنية الحكيمة والمقالات العمرانية الرشيدة والفصول العمرانية المحكمة

وشعر المترجم أن فى رأسه فكرا يتمثل له فى اليقظة والمنام بل كان ذلك الفكر يغشى عنده دائرة الخيال ويملأ فضاء التصور وأن فى يده قلما سيالا ينفث السحر وفى عزيمته مضاء لا تستهين به المصاعب وبالجملة شعر أن لديه من الأدوات ما يستطيع به أن يخدم البلاد خدمة صادقة عظيمة فأخذ ينظر فى الوسائل ويحبر الرسائل ويبعث بها الى جريدة الاهرام منتحلا فى كل رسالة امضاءة يستتر وراءها ويقف ازاءها فتارة كان يمضى « مصرى صادق » وتارة « مصرى أمين » وأخرى « مصرى »

وقد أجهد نفسه فى هذا العمل فوق الطاقة فبدت عليه

الحقانية سابقا ومحمد مجدى بك أحد مستشارى محكمة الاستئناف الاهلية ومحمود بك سالم القاضى بالمحاكم المختلطة الى كرماء في الوطنية آخرين ورجال من صفوة أهل البلاد غابت عن الذاكرة أسماؤهم وما غابت عن الوطن أياديهم وآلاؤهم . ولا تنس أنه كان يجتمع فوق اجتماعه بهؤلاء النابغين الفضلاء بالمرحوم على باشا مبارك الذى كان مجلسه كعبة يحج اليها الأ لباء وساحة لاتضيق بأهل العلم والأدب الكرماء بل كان مجلسه السامي نجعة لرواد الآمال وشرعة لوراد الفضل والجلال .وقد كان رحمه الله يعز المترجم ويحبه حبا جما ويحيل عليه قراءة ما يريد أن يسمع فى المجلس سواء من الجرائد أو من الكتب كما ذكرنا

على هذا المثال . وفى هذا الوسط المنعش للآمال . كان المترجم يقضى أوقات الفراغ . فجمع الى الرقى العلمي الرقي الأدبي وأضاف الى معارفه الغاليـة معارف من أولئك الأوفياء الأبرين بأمتهم وبلادهم . وانتقـل المترجم من السنة الأولى الى السنة الثانية بنجاح باهر . وفى صيف ذلك العام

شديدى الميل الى حضوره بينهم يستجلون فيه عوالي الهمم وغوالي المكرمات والشيم

وقد تعرف فى تلك السنة بأديب زمانه العلامة الكبير الشيخ على الليثى الذى أحبه حب الوالد الشفيق لولده البار أو الأخ الكثير العطف للأخ الكثير الحنان فقربه منه ورفع مكانته عنده . لأن المرحوم الشيخ الليثى كان من آحاد أهل الأدب المشهورين وخيرة رجال العلم المعدودين وقدعاش رحمه الله مائة عام قضاها وهو يحضر مجالس الامراء ويتصدر محاضر الفضلاء وتشد اليه من أنحاء مصر مطايا الشعراء وله من النوادر المأثورة فى الأدب مايزرى بالكنوز ومن الشعر العربي المحكم النسج البليغ الاسلوب مايحقر فى جانبه الدر الثمين والفضل يعرفه ذووه. فلاجرم اذا كان هذا الفاضل من أعرف الناس بقدر الفقيد وأحرصهم على اذاعة فضله عند من لم يكن قد عرفه بعد . ولهذا تعرف به كثيرون من أهل الجلال والكمال والوطنية الصادقة والفضل الغزير أمثال المرحوم أمين باشافكرى مدير الدائرة السنية سابقا واسماعيل باشاصبري وكيل

الى المدرسة بل ألحق بمدرسة الحقوق الفرنسية التى كانت تأسست فى ذلك العهد . أما المترجم فقد رجع اليها بعد أن انقطع عنها سبعة أيام واستمر في الدراسة بمدرسة الحقوق الخديوية الى آخر السنة وهو لا يخاطب صديقه الحميم وصديقه الحميم لا يخاطبه

عمل المترجم كثيرا فى تلك السنة بجمعيات « الاعتدال » و « الهدى » و « العلم المصرى » وهذه الجمعيات هى التى أسسها جماعة من صفوة فضلاء المصريين أدبا وعلما وجاها ومكانة وأكثرهم من خريجى المدارس العالية لاسيما مدرسة دار العلوم كما ذكرنا

وكان للمترجم عند المناظرة جولات صادقات فى الجدل والمناقشات حتى ظهر على اخوانه كافة من أعضاء هذه الجمعيات بما أوتيه من طلاقة اللسان ومتانة البرهان وخلابة البيان وثبات الجنان فأخذت شهرته فى عالم الأدب تبعد شيئا فشيئا وأخذ عبير سمعته الطيبة يضوع فى الآفاق قليلا قليلا وكان جم الميل الى شهود مجالس خاصة الأدباء كما كانوا هم كذلك

والغدو منهما والرواح اليهما حضرة الهمام الفاضل فؤاد بك سليم (سكرتير الحزب الوطنى الآن ونجل المغفور له الوطنى الكبير والعالم الشهير لطيف باشا سليم تغمده الله برحمته ورضوانه) وقد تعرف به لأول مرة عند تأدية الامتحان للالتحاق بالمدرسة المذكورة فتعارفا وتآلفا وتصافيا وتآخيا وقد زاد ذلك الاخاء مكانة ومتانة اقتراب البيتين أحدهما من الآخر فكانا يخرجان معا ويذهبان الى المدرسة كذلك ويعودان منها متأبطا كل منهما ذراع صاحبه . واشتدت أواصر هذه الصداقة المكينة وتوثقت عراها الى حد أنه لم يكن يطيق واحد منهما البعد لحظة عن أخيه ثم وقعت بينهما مناقشة في يوم من الايام فى شأن ما نختمت بما كانا يتحاشيانه

ختمت تلك المناقشة بشجار تسبب عنه أن أصدرت المدرسة أمرها بحرمان كليهما من الحضور اليها أسبوعا كاملا. فاستاء كل منهما من هذه النتيجة التى أفضت اليها بالرغم عنهما كيفية تلك المناقشة شديد الاستياء ولم يردفؤاد بك أن يرجع

التعليم العالى

انتظم رحمه الله فى سلك الطلب بمدرسة الحقوق وهو فى السادسة عشرة من عمره كما ذكرنا بعد أن أدي الامتحان ودفع المصاريف ونال أمنية من أفخم أمانيه الممهدة له الطريق وظفر بأمل من كبار آماله يدني منه منال الفوز الأخير

دخل هذه المدرسة وهو علي ما تقدمت الاشارة اليه من الضعف فى اللغة الفرنسية ولكنه كمل هذا الضعف بقوة عزيمته تكميلا وأخذ يفرغ وسعه ويبذل مجهوده لسد هذه الثلمة فلم يكن يترك لحظة من وقته ولا ساعة من ساعات فراغه ألا أنفقها علي اتقان هذه اللغة ودراستها دراسة محكمة للاحاطة بدقائقها وأسرارها احاطة تمكنه من فهم كل مايقرأه بها فهما جيداً وكتابة ما يريد أن يكتبه بها كما يكتب البارعون من صفوة الناطقين بها

وكان رفيقه الذى يخالطه كثيراً فى المنزل والمدرسة

اسكندرية في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٩١

الى حضرة علي افندي فهمي حماه الله

اسلم عليك ايها الاخ الحبيب. يسرني ان الصحة المفقودة التي كانت امامي حين دراسة الدراسة الثانوية قد زالت من امامي فقد تمكنت بعد ان اخفقت حيناً فاصبح خيالاً لا صحيحاً ولا عليلا. ولكني اذ امل ان اعود الى القوى لادخل مدرسة الحقوق الخديوية فقد عزمت على الانضمام الى صفوف طلابها لاني مدرس الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الافراد والامم

وانت تعلم اني اميل لهذا كثيرا. وعزمت كذلك على تأسيس جمعية اسميها "جمعية احياء الوطن" وربما دهشت من اقدامي هذا الضعيف الذي تعلمه في بلغة الفرنساوية ولكن اعتمادي على الله وعلى نفسي اكبر ضامن للنجاح.

والله الموفق الى اقوم سبيل

بلغ الوالدة العزيزة (حرسها الله) والاشقاء عموما وفي مقدمتهم سيدنا الاخ البار حسين افندي يهدونك الف سلام

ووالدي جليا يرجون انه لا تكون شديدا على اقتصار النقود فانهم اهل عدد ويحملون الضيقه وانت خير من يحسن معاملة الناس حفظك الله

اخيك

مصطفى كامل

فأخذ من الدرجات العالية ما سمح له بنيلها فنالها فائزا باعجاب ممتحنيه واكبار اخوانه وعارفيه

وبعدئذ سافر الى الاسكندرية للاستراحة بعد ذلك الجهاد الشاق والتعب المتواصل وكتب الى وأنا اذذاك ضابط فى مدينة طوكر بالسودان الشرقى كتاباً هذه صورته :

تلميذ فى المدرسة الثانوية فبعد ان سلم بصوت جهورى علينا جميعا وبيده على الباشا جلس بجانبه وأخذ يناقشه فى مسائل عدة وبعد زمن قليل جاءت الجريدة فأخذ المرحوم يقرأها بطلاقة حتى أتم مافيها فشكره الباشا شكراً متواصلاوأوصاه ان يحرص على صحته

كل هذا حصـل وأنا مندهش من جرأة هذا الصغير وقد لاحظ ذلك على المرحوم مبارك باشا فقال لى « لاتدهش فان من يقرأ أمامـك هو ابن المهندس الـكبير المرحوم على أفندى محمد الذى كان معيداً على فى المدرسـة وأنت تعرفه جيدا واسم هذا الابن « مصـطفى كامل » فشكرت الباشا وترحمت على والد المرحوم وخفت على صحته من شدة ذكائه »

بعد ذلك استأنف العزيمة وضاعف الهمة وأخذ يصل بأطراف النهار آناء الليل مع أربعة من اخوانه وحرم على نفسه الـكرى والراحة أو يظفر بطلبته تلك حتى اذا آن أوان الامتحان وقد قطع من مرحلة العمر ستة عشر عاماً ميلاديا تقدم ليجوز دضئيلا ماأبقاه الضنى من جسمه الضئيل ضعيفا من أثر الـكد والتعب

ثم خرج الوزير واللقب المذكور علم على المترجم بين اخوانه.
وبعد يومين دعاه ناظر المدرسة المرحوم المبرور نظيم بك وأبلغه
ان النظارة رتبت له مائة قرش صاغ كل شهر مكافأة تصرف
له مع أساتذة المدرسة المدة الباقية ريثما ينال شهادة الدراسة
الثانوية فأثنى عليه المترجم وأبلغ شقيقه سعادة حسين بك
واصف الأمر فقال له أن هذه المكافأة وذلك اللقب اللذين
منحكهما الوزير يحتمان عليك مضاعفة جدك واجتهادك حتى
تجوز الامتحان وتفوز على الاقران

وحل فى صميم فؤاده من ذلك الوقت الاحترام التام
والاعجاب العظيم بالمرحوم على باشا مبارك لأنه ظهر أمامه
بمظهر الأب العادل الذى لا يريد الا اصلاح أمر أبنائه
فضلا عن هذه المنة الكبرى التى وجهها اليه . فكان فى
أنديته ومجالسه وفى كل مجتمع علمى أو أدبي لا يطيب له الا
ذكر المرحوم على باشا مبارك

حدثنا حضرة الفاضل يوسف بك عرفى قال « كنت
في مجلس المرحوم الوزير يوماً واذا بالمترجم دخل علينا وهو

فاجابه — بل كان طلق اللسان بيد أنه لم يخطب فى الجموع

قال — ماذا كانت وظيفته ؟

فاجابه — أنه كان مهندساً مثل سعادة الوزير

قال — مااسمه رحمه الله لقد أنجب حقيقة ؟

فاجابه — المرحوم على أفندى محمد

فلما أن سمع سعادة الوزير هذا الاسم تذكر المسمى ثم ترحم عليه وقال له على مسمع من الجميع مامعناه :

أن رجلا كابيك المرحوم كان معيدا على ّواول مدرسته فى عهد المغفور له محمد على باشا الكبير ليس كثيرا عليه أن يكون ابنه مثلك . اني كنت مرتاحا لاجابتك الى طلبك أولا عند ماحضرت الى النظارة وشكوت من مسألة النقل من سنة الي سنة أعلى بمتوسط ست عشرة درجة وثانيا عند ماقدمت الى منهيا مسألة ذلك الضابط الذي آلمك بلاحق . واليوم يسرني كثيرا أن أمنحك لقب « امريء القيس » ايذانا بنجابتك وبلاغتك

فلتكن مشيئته تعالى بيد أننى استنتجت مما كان يرويه لى المرحوم الوالد من أحاديث كبار الرجال وما درسته على أستاذى العلامة المفضال (أحمد بك نجيب) معلم التاريخ من سير الفاتحين الأبطال ما أيقنت معه أن أعظم الرجال شأنا من يحرر بلاده وينقذ أمته من ربقة الذل والاسترقاق. وأنا سأكون ذلك المحرر الذي يكتب ويخطب وأضرب الأمثال للناس كما كان يصنع أستاذى مبشرا بما فى الحرية من العزة والحياة ومنذرا بما فى الذل من الموت والصغار والله تعالت حكمته وجلت قدرته يوفقنى الى ذلك » ـ (ثم قال) وحبذا لو أذنت لنا نظارة المعارف بالاجتماع كل أسبوع مرة بالأنفتياترو لنتباحث وتتناقش فيما يجب التكلم فيه وتعود علينا نتائجه بالنفع العميم »

فأكبر الباشا ماسمع وكان يتبسم ويهش لكل فقرة من هذه الفقر ويومىء برأسه مؤمناً على مايقول المترجم . ثم تقدم منه قليلا وقال له :

هل كان أبوك خطيباً ؟

من أعضائها بالاستعداد لاداء الامتحان لنيل شهادة الدراسة الثانوية

وفي هذه الاثناء زار المرحوم على باشا مبارك المدرسة التجهيزية واختبر في اللغة العربية تلاميذ الفصل الذى كان فيه المترجم امتحانا دقيقا فى القواعد والمطالعة فسر من اجابتهم كثيراً. ثم سأل الاستاذ العلامة التقى الشيخ هارون عبد الرازق أن يقدم له أقدر تلاميذ الفصل على اجادة الانشاء فأشار الى المترجم مبينا لسعادة الوزير مالم يكن يجهل من براعته فى هذا المطلب لميله اليه بفطرته فابتسم له الباشا وطلب منه أن يرتجل خطبة فيما يريد أن يصنع بعد نيله شهادة الدراسة الثانوية

فوقف ثابت الجنان والأيمان قوى الحجة والبيان ثم نثر على الأسماع بين يدي سعادة الوزير مامعناه :

« سألتنى يا سعادة الوزير الخطير سألت الله لك الرفعة والارتقاء أن أقول كلمة فيما أريد أن أصنع بعد نيل شهادة الدراسة الثانوية فأنا أكل هذا الأمر الى ارادة الخالق

وكذلك جاز امتحان هذه السنة وانتقل الي السنة الرابعة . وهي السنة التى يكمل فيها التعليم الثانوى فأصبح ذا شأن عظيم بين أعضاء جمعيتى « الاعتدال » و « العلم المصرى » وأجلوه اجلالا كبيراً وا كبروا مقامه فى العيون والصدور وكان يحضر اجتماعاتهما ويخطب فيهما فيدهش السامعين باقتداره على التأثير وبلاغة قوله وصدق نظراته فيما كان يتناول الكلام فيه من الشؤون والمواضيع ولا يقطع عليه سيل الفصاحة المنهمر من لسانه الا التصفيق الحاد الذي تدوى به أنحاء كل من الجمعيتين كلما ارتجل البيان

أما « جمعية الصليبة الأدبية » فقد انحلت لأن أغلب أعضائها كانوا من أسرات تسكن الريف وجاءت عطلة الصيف فسافر كل من لم يكن متوطنا في القاهرة الي بلده وبقى قليل من الاعضاء فاستولى عليها الفتور وخامرها الضعف وازدادت تانكم الجمعيتان الاخريان ثباتا ورسوخا فضلا عن قدم عهدهما وعدم انقطاع أعضائهما وتضلعهم من العلوم والمعارف . زد على ما تقدم من أسباب فتور تلك الجمعية وضعفها اشتغال من بقي

ويطلب من سعادته الصفح عما وقع منه حتى رضي وغير أمره على شرط أن يطلب الصفح من الطالب الذى أساء اليه أساءة كبيرة على غير ذنب ولا جريرة. وأن يكون طلب الصفح والاعتذار على مسمع ومرأي من جميع التلاميذ فكان ذلك ولم يضن المترجم على الضابط بالعفو وقبول العذر حبا فى بقاء عيشه متصل السبب بالمدرسة. والى هذا الصنع تنتهى مكارم الأخلاق ويغبط به المرء نفسه بين الرفاق

وقد كان الأساتذة قبل هذه الحادثة يرون فيه تلميذا باهر الذكاء متوقد الجنان كريم الاخلاق عظيم النفس مقبلا على طلب العلم بكل حواسه حتى كان نجاحه الباهر مدعاة الاعجاب به والاكبار له ولكنهم بعد ذلك رأوا فيه فوق ماتقدم شخصا محترما وانسانا موقرا وكذلك نصيب من يضع نفسه فى المركز الذي يحس فيه بأنه ذو كرامة عالية وأن له عقلا مفكراً وذهناً مدبراً وأخلاقاً فاضلة وارادة قوية عاملة

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الغير أهونا
فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن عليك بها فاختر لنفسك مسكنا

الأرض نهباً حتى وقفت أمام باب المدرسة . فصعد الى غرفة الناظر ويد صاحب الترجمة فى يده والناظر اذ ذاك المرحوم المبرور (نظيم بك) ثم أمر فدق الجرس واصطف التلاميذ طابورا منظما فى ساحة المدرسة ثم مر به صفا صفا وسأل التلاميذ واحدا واحدا عن حقيقة ماوقع لأنه كان قد رابه أن المترجم فى هذه المرة لم يتكلم كثيرا وانما اكتفى ببسط الشكوى وعززها بأن حسر عن ذراعه فتبين موضع الألم منها . فبعد أن شهدوا جميعا بكل ماوقع مثبتين براءة المترجم من أى ذنب يمكن أن يؤاخذ عليه سأل الناظر عن سيره وأخلاقه مع المعلمين جميعا فزكت شهادته ماكان يعتقده الوزير فى حسن أخلاق المترجم وشرف تربيته وجده ولين جانبه وأدبه مع الجميع

فلما سمع ذلك استشاط من الغيظ على الضابط وأمر بفصله من المدرسة لسوء طريقته فى معاملة الطلبة وتهوره ومخالفته للعدل والقانون . ومازال ذلك العالم الفاضل المرحوم ناظر المدرسة يستعطف الوزير المغفور له على الضابط المذكور

فى الطابور وضرب صاحب الترجمة بعصا فى يده على ذراعه اليسرى ضربة مؤلمة وشتمه شتما قارصا بصوت عال

فاشمأز التلاميذ جميعاً من هذه المعاملة القاسية التى اختص بها الفقيد العزيز من بين الجميع ولم يرتكب اثماً ولم يبد منه من قبل ما يؤاخذ عليه . واقتضى هذا الاشمئزاز أن يقع فى الطابور هرج ومرج وخرج أكثر التلاميذ من صفوفهم وأحاطوا بالضابط وهموا أن يهينوه فنهاهم صاحب الترجمة وأبدى رغبته فى الكف عنه فأذعنوا له فتركهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق أن لا يبدو منهم ما يدل على الحنق والانتقام . وقصد من فوره نظارة المعارف العمومية ليقابل المرحوم على باشا مبارك ولكنه لم يجده هناك فولي وجهه شطر بيته فى الحال ولما واجهه تلقاه الوزير بالبشر والابتسام وسأله عما جاء به فأنهى اليه المسألة ولما سمعها الوزير غضب وتغير خاطره ثم كشف موضع الألم من ذراعه اليسرى فاشتد حنقه من سوء ما فعل الضابط المذكور . فترك ما كان بين يديه من الأعمال وركب العربة والمترجم الى يساره ومازالت تنهب

حياته المباركة

وقد أحس فى هذه السنة أنه انسان كامل ذو كرامة وسمعة يجب أن يتضوع عبيرهما على أفواه الناس وفى صدور الأسفار فكان يتكلم بتؤدة ويكتب بتؤدة ويعطى من يستشيره الرأى الثاقب بلا مداجاة ولا اخفاء وهو يفيض صدره بآيات الغيرة والحماسة حتى لم يكن يستطيع أن يتصور أن فى الناس من يصبر على المهانة والضيم وكأنما كان ينظر من وراء حجاب الغيب الى قول شاعر الشرق أحمد شوقى بك:

أأقبل أن يستعبد الضيم مهجتي وما خلقت الا لتقضى على الضيم

لولا أن العزة كانت طبعا فى نفسه لا يتكلفها ولا ينظر فيها الي مثال يجتذبه أو نموذج يحكيه

ومما يذكر بهذه المناسبة أنه كان مرة واقفا فى الصف الخلفى فى طابور الظهر والضابط ينادي أسماء الكسالى الذين توانوا فى حفظ دروسهم أو ارتكبوا مخالفات مدرسية كما هو المتبع الى الآن فصدرت كلمة من أحد التلاميذ حسبها تهكما عليه واستخفافا به وحسب أن قائلها هو المترجم فجال

وانما الامم الاخلاق ....

ثم انتقل الى الفرقة الثانية (السنة الثالثة الآن)واستهل فيها طالعه السعيد بتأسيس جمعية أدبية وطنية سماها « جمعية الصليبة الادبية » وقد اختار لها الاعضاء من بين أصدقائه الذين يتوسم فيهم المقدرة والذكاء والفضل وكانت « جمعية الاعتدال » حينئذ تعقد جلساتها الاسبوعية فى مدرسة الامريكان فكان المترجم يزورها ليقع التعارف بينه وبين من فيها من الافاضل والشعراء وأهل العلم وذوى الحيثيات ليحبب اليهم زيارة جمعيته . ولم يمض على تأسيسها اكثر من ثلاثة شهور حتى كان فيها نحو سبعين عضواً ليس منهم الا التلميذ النبيه أو العالم الفاضل أو الشاعر المجيد أو المنشىء البارع

ومنذ ذلك الحين تعلق جنانه بالشعر وأحب الشعراء وصبا الى الأدبيات فكان يقف فى الجمعية خطيباً فى مساء كل جمعة مرتجلا مما تملي عليه البديهة الحاضرة والباصرة الذاكرة ما يملك الأسماع والقلوب . وأول خطبة خطبها كانت فى « فضل الجمعيات فى العالم » وكان اذ ذاك فى الخامسة عشرة من سنى

بجرأته وشجاعته التى نفست عنهم الكرب وردت اليهم من سني حياتهم سنة كادت تضيع هباء منثوراً

وقد نبهت تلك الضجة ضجة الاستحسان والشكران التى قوبل بها المترجم وهو ينهي الي اخوانه تلك البشري حضرات الأساتذة فتطلع بعضهم يستكشف الخبر فلما انتهى اليهم استدعوا المترجم فاعاد عليهم ما قال وما قيل له مما يختص بالقرار المذكور فزادوا به اعجابا وله حبا

وكانت هذه الحادثة ونحن لا نعلق عليها شيئاً اعتماداً على ذكاء القارىء كافية فى تعريف طلاب المدارس جميعا بهمة المترجم ونشاطه وشجاعته الأدبية الفائقة وفرط حرصه على مافيه خدمة للمصلحة العامة وغيرته على الحق والعدل . وقد أذاعت له اسما عاطرا بين الذين سمعوا بها وكانت ترجمانا فصيحاً يعرب للناس عن عظم هذه النفس التى لا تصدها عن سبيلها المصاعب ولا تردها عن الاماني المخاطر ولا يقف فى وجهه شيء مهما كان بل كانت الحادثة المذكورة مجالا لظهور تلك الهمة الشائقة وميدانا لتجلى تلك العظمة الفائقة

جماهير التلاميذ في سعادتك صحة ما أقول لهم شيئاً قليلا ؟ ؟ انه غير قليل . قال هذا بلهجة الجد وتحول غاضباً يريد الانصراف

وكان سعادة الوزير وهو يسمع من المترجم هذا الحديث يشعر في نفسه بهزة انشراح وافر وقد أعجبته طلاقة هذا اللسان وثبات ذلك الجنان . فأمر في الحال بتغيير القرار واعادة نظام الامتحان الى ما كان عليه من قبل وقال له : « اذهب الى اخوانك وقل لهم ان أباكم الذى لا يحب اساءة الظنون به ويحرص على نفعكم كل الحرص قد اقتنع بأنكم مظلومون وقد أعيد النظام الي ما كان عليه وألغى ذلك القرار »

فتقدم المترجم باسما وسلم على سعادة الباشا ووجهه طافح بشر الظفر وانصرف يجد السير حتى اذا وصل الى المدرسة انتهز فرصة الفسحة فاقتحم غمارهم باسما مستبشراً فالتفوا حواليه اذ عرفوا أنه عائد من حضرة الوزير . فألقي عليهم كلمات ضمنها خلاصة الرجاء والتظلم وخلاصة القبول ؟ ؟ فضج التلاميذ بالاستحسان وأقبلوا عليه يشكرون له احسان السفارة بينهم وبين الوزير ويهنئونه بذلك الظفر الكبير ويعجبون

قال : أعوذ برجوعك الي الحق من أصرارك علي الخطأ . والى عدلك نفزع من جورك . ومثل سعادة الوزير جدير أن لا يسيء في معاليه ظنون أبنائه المتمسكين بأهداب ولائه . والظاهر أن هذا الجواب أطرب الباشا فأراد أن يستزيد من مثله . فأخفى ابتسامة جميلة كانت مرتسمة علي شفتيه ونظر اليه لا عابسا ولا باسما ليتقصى ما في نفسه ويقف على كل ما عنده

فقال : دعك من الاستعاذة بالعدل الذى أعزه من الجور الذى اكرهه . وربما كان ذلك القرار تخفي الحكمة في وضعه على مثلك ومثل اخوانك . واقتضت مشيئتى أن لا أعدل عنه فماذا يكون منك ؟؟

فتغيرت لهجة المترجم وارتفع صوته اكثر من ذى قبل ثم قال تسألنى ماذا يكون منى ياسعادة الوزير بعد ان تبين لسعادتك صدق حجتى فيما أقول ؟ أنصرف من حضرتك وأذهب الي اخواني فأقول لهم ان الجالس علي كرسى نظارة المعارف نسى الابوة ولم تكف سعة علمه ونزاهة نفسه وطهر أخلاقه فى تحويله عن شيء اتضح له الخطأ فيه فهل تعد اعتقاد

فقال له الباشا أربع مرات ولم تقل مدتي في كل مرة عن سنة ولم تزد الى هذه الساعة عن ثلاث سنين . فقال له يستنتج من ذلك أنك دخلت هذه القاعة نحو ألفي مرة فهل لسعادتك أن تتفضل باخباري عن عدة درجات سلم النظارة التي وطئتها قدماك كل هذا العدد من المرات ؟؟

ألقي هذا السؤال بسكينة لا يشوبها خوف ولا تطاول. فحسب الاستاذ آنف الذكر أن الوزير يقابل هذا السؤال بالاعراض لبعد الجواب عن أن يحيط به الذهن لانه ليس مما يشتغل به كثيراً ولكن الوزير هش وبش والتفت سعادته الى الشيخ وقال له كلاما لم يكد يسمع منه المترجم الا قوله « ان البنين على هوى الآباء »

ثم التفت الى المترجم وقال له :

يظهر أن هذا القرار آلمك كما آلم اخوانك كثيرا

قال : نعم

فقال : هب أنى أصررت على تنفيذه ولم أرجع عنه فماذا أنت صانع

له الاستاذ « لعل في الأمر شيئاً » فالتفت المترجم الى الشيخ وقال له : نعم . ان الامر غير عادل لأننا جميعا مجتهدون في دروسنا ولا يصح تأخيرنا سنة كاملة . فقد سألنا معلمي اللغة الأجنبية (لأن العلوم كانت في تلك الأزمان الخالية تدرس بالعربية) عما اذا كان التلميذ في بلادهم لا ينقل من سنه الي سنة أعلي الا اذا نال ١٦ درجة في المتوسط فأجابونا بالسلب جميعاً

فأراد المرحوم الوزير أن يحول الحديث عن مجراه ويختبر قوة المترجم في علم تقويم البلدان

فأشار الى خريطة من الخرائط المعلقة في غرفته وسأله يتكلم على جزيرة في جهة الشرق من تلك الخريطة . فلم يعرفها المترجم لبعد موقفه عن مكان الخريطة المرتفعة . فأراد أن يقرب منها قليلا حتى اذا عرف اسمها تكلم عنها فضحك الوزير وقال له : يظهر لي أنك غير مجتهد في هذا العلم : فما تلعثم المترجم وما اضطرب بل قال : «أيسمح لي سعادة الوزير أن ألقي عليه سؤالا واحداً ! » فأذن له في ذلك فقال : « كم مرة ألقيت اليك مقاليد هذه النظارة وكم سنة لبثت في كل مرة»

صوته « اني ابنه في العلم » وكان المرحوم مطرقا يشتغل بالنظر في أوراق بين يديه فلما سمع الصوت رفع رأسه وابتسم للمترجم تحيا ثم قال له :

ماجاء بك الي هنا يابنى ؟

فقال — عدل الناظر

قال — أحقا ماتقول؟

فقال — نعم

قال — اذا كنت تذكر « عدلا » فلم تركت درسك ؟

فقال — اني أريد بقولي « العدل » العدل المقلوب لا العدل المطلوب . فقد أمرتم ياسعادة الوزير بما لا يطاق ولا يطاع . وذلك أن القرار القاضى بنقل التلميذ من سنة الى سنة أعلى بمتوسط لا يقل عن ١٦ في كل العلوم حرم فرقتى خلا تلميذين اثنين من الانتقال وأنا مع المتأخرين

فضحك الباشا وقال لحضرة الاستاذ العلامة الشيخ هارون عبد الرازق الذي كان جالساً معه اذ ذاك « أسمعت ياأستاذ أن تلميذاً يعارض وزيرا في قراره » وابتسم . فقال

المتوسط الذي ينقل به التلميذ من سنة الى سنة أعلى يجب أن
لا يقل عن ١٦ درجة . ولما انتهى الامتحان ظهر أنه السابع
في ترتيب فرقته التي كان عدد تلاميذها خمسة وستين .
ولكنه لم ينل هذا المتوسط بل لم ينله قبله الا اثنان فقط
فوجم لذلك وتكدر خاطره كثيرا

فلم يستسلم الى الحزن ويتشبه باخوانه في الرضى بهذه
الحالة وكان له ذلك لو أراد . بيد أنه توفق الى ابتكار حل
لطيف لهذا الاشكال أذهب الحزن عن نفسه ونفوس اخوانه
جميعا ونفس كرب الحزن عن الفرقة بأسرها . اذ أنه ذهب
توا الى نظارة المعارف وقصد غرفة المرحوم على باشا مبارك
فاراد الحاجب أن يمنعه لأنه لم يؤثر قبل مقابلته لذلك الوزير
أن تلميذاً في تلك السن استطاع أن يمثل بين يديه . فقال له :
ويحك اني أنا ابن الباشا فكيف تمنعني أن أدخل . وحسب
الحاجب أن ظاهر هذا الجواب كباطنه وأن الواقف أمامه
ابن سعادة الوزير حقيقة ففسح له في الطريق وأذن له بالدخول
فلما توسط في التقدم بين الحاجب والوزير قال بحيث يسمع

عدة من عدد نبوغه بين الناس . وفرق عظيم بين السرور الذي يقوم بنفس المتعلم متى توفق الى أن يحل مسألة معتمدا في ذلك على الذكاء وحده أو يفهم مثالا بالرجوع الى ما وعته الحافظة . وقد رأينا أن الذكاء هو كل شيء في أقامة الاعمال العظيمة وتدبير التدابير الخطيرة وصنع العجائب في العالم

والتاريخ لا يذكر لنا بالاعجاب الا أسماء وسير أهل الذكاء النادر . وأما ماجاء من الثناء على أولئك الذين حفظوا في صدورهم عشرات الكتب فهؤلاء جديرون به لأن ذلك ما كانت تقتضيه الخطط التي يريدونها

انك متى كنت ذكيا مجدا كنت نابغة ومتى كنت حفاظا لم تكن أكثر من عالم . على أن المترجم انما كان يعتمد على الحافظة فيما يجب وعلى الذكاء في أكثر مما يجب

ندع هذه الافاضة ونرجع الى مانحن بصدده فنقول أنه لما أتم دروس السنة الاولى وانتقل الى السنة الثانية حدثت له حادثة جديرة أن تكتب بالتبر

وذلك أن نظارة المعارف العمومية أصدرت قرارا بأن

المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون الا كمن أطلق ماصاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعقبه الثقة الا خجلا والتفريط الا ندما . وقد يدعو اليه أحد ثلاثة أشياء : الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته وطول الامل فى التوفر عليه عند نشاطه وفساد الرأى فى عزيمته وليس يعلم أن الضجور خائب وأن الطويل الامل (بلا عمل) مغرور وان الفاسد الرأى مصاب »

ثم قال : « وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعاني قيما بتلاوتها وهو لايتصورها ولا يفهم ما تضمنته يروى بغير رواية ويخبر عن غير خبرة فهو كالكتاب الذى لايدفع شبهة ولا يؤيد حجة . وقد جاء في الحديث الشريف : همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الرعاية :ورواه ابن مسعود: كونوا للعلم رعاة ولاتكونوا له رواة فقد يرعوى من لا يروى ويروي من لا يرعوي : »

هذا مانستشهد به الآن على أن الذكاء ولا جحود لفضل الذاكرة أشرف منها وألزم . ومامن نابتة الاوالذكاء

لازمـة نافعة ولـكل منهما مواقف يرجع فيها اليها ولا يعول الا عليها

والذى نلاحظه أن رجال الاعمال العقلية أحوج الى الذكاء منهم الى الحافظة . لأن الذكاء هو العمدة التي يرجعون اليها في حل المشكلات وفهم المعضلات. قال القزويني في كتاب عجائب المخلوقات ما يأتي :

« ان التفاوت فى الغريزة أمر لا سبيل الي جحده فانه مثل نور يشرق على النفس . ومبادىء اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا الي أن يتكامل . وكيف ينكر تفاوت الغريزة وقد شاهدنا اختلاف الناس فى فهم العلوم وانقسامهم الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل والى ذكى يفهم بأدنى رمز والى مغفل كثير الخطأ قليل الصواب والى فطن كثير الصواب قليل الخطأ » اه

وأما الحافظة فلا نستدل على شرف الذكاء عليها بأكثر مما قال الماوردى فى هذا الصدد وهذه شذرات منه :

« ربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم

يحب أن يكون كيميا كشافا . وماأثر عنه الميل الي الاستكثار من المحفوظات بل كان يعتمد على الذكاء فى الأغلب ولهذا ظهر ميله وهو فى دور الدراسة الابتدائية الى الحساب والمسائل العقلية

ويجمل بنا هنا أن نقول كلمة عن الحافظة وأخرى عن الذكاء زيادة فى الايضاح. قال كثير من المؤلفين ان قوى العقل الغريزية المعول عليها فى علم الادب خصوصا خمس : الذكاء والخيال .والحافظة. والحس.والذوق .وعرفوا الذكاء بأنه حدة الفؤاد وسرعة الفطنة.وأنه الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر.وعرفوا الحافظه بأنها قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت حافظة أوذاكرة

أما الفرق بين هاتين القوتين من قوى العقل الغريزية فظاهر ظهور بعد ما بين فتيين : هذا سريع الفطنة حاد الفؤاد على استعداد تام لادراك العلوم والمعارف بالفكر.وهذا لا يزيد على حفظ مايدركه عقله من المعاني ليذكره عند الحاجة . ولهذا لانطيل الكلام في التفاضل بينهما على أن كلتا القوتين

لم يكن باجماع أساتذته ورفقائه كذلك فى الغالب

ومن أوصافه التى لازمته فى دورى التعليم الابتدائى والتجهيزى أنه ما كان يميل الى اللعب أو المزح الذى يجاوز التلطف والابتسام حتى ظن فيه اخوانه الكبر يا ء خلا اثنين منهما توثقت بينه وبينهما عرى الصداقة وتوطدت دعائم الوداد لأن ذكاءهما كان حادا وطبعهما شريفا وقد ذهب عن ذاكرتي اسم أحدهما أما الآخر فهو حضرة الفاضل محمد أفندي خالد ويغلب على ظنى أنه موظف الآن بالمدارس الأميرية

ومما هو جدير بالذكر أن التلاميذ فى أوقات الفراغ التى تجىء عادة بين الحصة والحصة كانوا يقصدون المكان المنقطع فى المدرسة ليدخنوا بحيث لا يراهم من ينقل عنهم أو يذهبون الى الطرقات للمدارسة والمذاكرة . ولكنه لم يكن يجرى على هذه الخطة بل كان يقصد غرفة تحضير دروس الكيمياء والطبيعة حيث كان يجلس معيد هذين العلمين حضرة اسماعيل أفندى فهمى ويلقي عليه المترجم من الاسئلة العديدة فى دقائق هذين العلمين ما كان معه لذلك المعيد العذر فى ظنه أن المرحوم

حتى أن تلاميذ السنين الثلاث المتقدمة عليه كانوا يقصدونه في أوقات الفراغ ليشرح لهم الدرس بطريقة أوضح وأوسع فكانوا يجدون عنده من القدرة على الافهام والتبسط في مناحي البيان مايغريهم بالعود اليه كلما استعصى عليهم فهم مسألة أو استبهم عليهم حل اشكال

وكان أستاذه كثير الاعجاب به كما كان أساتذته في العلوم الرياضية وهم حضرات الأفاضل أحمد بك كمال وأحمد أفندى حمدى وعثمان أفندى أنور ومحمد أفندى ادريس يعجبون به الاعجاب كله وينظرون منه في النجابة الي مثال ويقابلونه بالتكريم والاجلال وخصوصاً أستاذه في علمي الكيمياء والطبيعة حضرة العالم الفاضل الدكتور محمد بك كامل الكفراوى فانه كان يعجب به كثيراً

ولقد وصل به اعجاب الاساتذة الي حد أن بعضهم اذا ألقى امتحاناً لا يكلفه بالجواب أسوة بأقرانه لأن قوته لم تكن عادية كقوة غيره من الطلاب والا لكان جوابه كلما ألقي عليه سؤال يحتمل الخطأ والصواب والظهور والخفاء ولكنه

من العلم . فدخل المدرسة التجهيزية (الخديوية الآن) في سنة ١٨٨٧ ميلادية

التعليم الثانوى

وكان المنزل الذى نسكنه منزل جدنا للوالدة . المرحوم اليوزباشى محمد أفندى فهمى لأنه بعد أن توفى المرحوم والدنا أغلقنا منزلنا وقصدنا أسرة الوالدة . ويمكننا أن نقول أن حياة المترجم اذ ذاك بدأت فى الظهور . وكان ضعيفا فى اللغة الفرنسية قويا فى اللغة العربية ميالا الى العلوم الرياضية والطبيعية وعلى الأخص التاريخ الطبيعى

وقد بلغ من قوة ميله أن أستاذ التاريخ الطبيعى وهو المرحوم محمود بك فوزى الحكيم كان يملي الدرس فى كلمتين ثم يشرحه فى صفحتين وليس أسرع من يد المترجم فى تدوين تلك الشروح الا ذهنه فى تصور مايكتب . فاشتهر فى هذا العلم شهرة فائقة ونبغ فى فروعه لاسيما النباتات نبوغا مدهشا.

ولما بلغ الثانية عشرة كان الرائي يلحظ من عينيه المشرق فيهما نور الذكاء وابتسام الأمل . ويرى على جبينه الظاهرة فى أسرته مجالي العظمة والتوفيق . ويشهد فى معارف محياه الضاحكة اللألاء بلمحات العناية والهداية : مايبعث على توقع كبار الآمال لذلك الذى أدهش العالم فى شبابه وكان آية الكون الناطقة فى كتابه

بلغ هذه السن فكانت روحه دائمة الأشراق بنور من المواهب السامية وقلبه متواصل الخفقان على نغم من الاماني الكبر وصدره حفيل بما شاء ربك من روائع الهمم

بلغ هذه السن وهو يكتم فى نفسه أملا كبيراً لضعف كاهله عن حمله اذ ذاك ولأنه لم يكن قد حان الوقت الذى يعمل فيه لتحقيق هذا الأمل بالسعى المتواصل فى العمل

بلغ هذه السن والعيون ترمقه والقلوب داعية له وكان أهله لا يرجون له الا التفوق على الأقران والرفقاء وبلوغ المرتبة العلياء بين الأشباه والخلطاء غير متوقعين أكثر من ذلك أجل . وصل الى هذه السن متطلع النفس الى الاستزادة

والذين نبغوا فى الوجود وأتوا بالعظائم قل أن لا يكون فى أسلافهم جميعاً رجل واحد نابغة جاء بالعظائم التى يصح أن تعتبر كذلك بالنظر الى أحوال الزمان والمكان. نقول أحوال الزمان والمكان ونحن نعنى مانقول . لأن لهما علاقة كبيرة بالناس كما لا يخفى

وقد انتهى الي صاحب الترجمة عن المرحوم الوالد كثير من الصفات والأخلاق والمزايا . فقد كان عالى الصوت اذا تكلم رفيع المنزلة بين الناس مشيراً بالرأى الصحيح كريم الطبع واليد واللسان لا يفتر عن تمنى الأماني العظيمة والجد فى تحقيقها . وان رجلا يلقبه أهل الوسط الذى نشأ فيه : « أبي اليتامي » لأنه كان وكيلا عن اثنتين وثلاثين أسرة يطالب بحقوقها وينهض بأعبائها لخليق أن يكون فى سلالته من يلقب بمنشىء الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة وأبي المظلومين لانه كان وكيلا عن مئات الألوف من الأسر يطالب بحقوقها التى سلبها الاحتلال وينهض بأعبائها كما تشاء الآمال

اقرأ سيرة من شئت من عظماء الابطال وطالع تاريخ من أحببت من نوابغ الرجال فانك تحصل فى ذهنك قضية تشمل كثيراً من الجزئيات . وهذه القضية هى أنه لم يقم واحدمن أولئك المعدودين ويتلألأ كوكب نبوغه ويدهش الوسط الذى هو فيه والأمة التى نشأ فيها بما يصنعه من العجائب والغرائب الا كان فى نفسه استعداد طبيعى تمده الوراثة ويعينه المجهود . ولا نقدر ان نقول أن أسلاف أى واحد من هؤلاء الذين نعنيهم تجردوا كلهم من مزايا النبوغ المدهش والاستعداد للاتيان بالعظائم. بل لابد أن يكون أحدهم مثالا لمن يأتي بعده وعلي هذا الخلف أن يرقى هذا المثال حتى يقرب به علي قدر الأمكان من الكمال والعرق يسري الي السلائل مسافة بعيدة . فاذا حدثت أن فلانا الفاتح العظيم أو فلانا النابغة الذى أدهش العالم بنبوغه وذكائه لم يكن من أسلافه رجل كبير النفس ولو الي درجة قريبة فلا تصدق ذلك . فانهم يجحدون فضل أحد الآباء الأولين للمحدث عنه على الغالب

عليه وقد تفرط فيه لأنه غير مألوف عندها . والأمثلة على ذلك لا يكاد يأتى عليها احصاء

فليعمد كل أب منكم أيها المصريون الأعزاء الى الجمع بين هاتين التربيتين على قدر الامكان لتكمل احداهما مافى الاخرى من النقص ولتتضامن كلتاهما فى سبيل جعل الولد مجموعة من الأخلاق الفاضلة ومزايا الانسانية القريبة من الكمال قربا ما

واذا نحن رجعنا الى التاريخ نستخلص من سير أبطاله ومشهورى رجاله قديما وحديثاً مانستخلص ـ ولا نسمى واحداً معينا لكثرة الاسماء بين أيدينا ـ استطعنا أن نستخرج منه نتيجة محسوسة ونعتصر من هذه النتيجة ذاتها العبر والعظات الي القدر الذى يحتمله المقام ضنا بالقارىء أن يسأم من تسلسل الكلام وأخذ بعضه برقاب بعض . ولكن متى اتضح أن صنيعنا هنا اكثر من صنيع المؤاف فقط تمهد لنا سبيل العذر

فانا نكتب ثم نستنتج . ونشاهد ثم نستخلص . لنقدم الي المطالع سيرة وحكماً فى آن علي قدر مايعين عليه البيان .

القارىء استنتاجه ويسهل عليه استخراجه من تضاعيف الكلام أو من بين السطور كما يقول بعضهم ولكنا فى ذلك نعتمد حينا على ذكاء القارىء وحينا على نطق الحادثة أو المسألة من تلقاء نفسها بما أودعت من غوالى الأسرار المنطوية على لطائف الآثار

واذا أعدنا الكرة على مسألة التربية بالقدوة التى ساقت الى هذا الايجاز وهى عندنا من أمهات المسائل التى يجب أن تشتغل بها أقلام الكتاب قلنا ان الانسان يستطيع أن يكوّن ابنه كما يشاء بل هو يستطيع أن يفرغ عقله فى القالب الذى يحبه

يمكنك أيها الوالد الحكيم الصالح متى كان فى طبيعة ولدك استعداد أن تجعله حكيما صالحا بما يتكرر على مشاعره من أمارات الحكمة وينطبع على مداركه من أمارات الصلاح. والفرق بين التعليم بالقدوة والتعليم بالكتاب كالفرق بين الحسن المطبوع والحسن المصنوع . وذاك لأن الاول ينفذ الى أعماق النفس ويستقر فى صميم القلب . وأما الثاني فانه فيما بين حين وحين تأخذ الحواس قسطها منه وقد تحرص

جديه الخ الخ فكأن الانسان صورة من أسلافه تماماً

وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان الصفات الممتازة التي جملت صبا صاحب الترجمة قد اتصل به أكثرها من طريق الوراثة عن أبيه . وليس معنى ذلك أنه لم يقو تلك الصفات ولم يزدها رسوخا وثباتا على مرور الايام بل معناه أن المحتد الشريف القائم على السجايا الجوهرية يلازم سلائله الى النهاية وله فى كل عقب من الاعقاب مظهر كريم فى المظاهر

على ان هناك شيئاً اكتفينا بأن أشرنا اليه اشارة خفيفة وهو مسألة التربية بالقدوة . ذلك المبحث الجوهري الذى يصح أن يوضع فيه كتاب برأسه كما يصح أن يفرد لكل مبحث من المباحث التى نوجزها هنا الى حد الاجمال فى الاسطر القلال مؤلف مستقل . ولكن القلم فى يدنا يمر على هذه المباحث مرور النسيم على الزهر جهد مايصنعه أنه يحركها تحريكا لطيفا . نعم انا كنا نحب حباً جماً أن تكون كل صفحة من صفحات هذا الكتاب مشتملة على فائدة اجتماعية أو سياسية أو فقرة أخلاقية أو نبذة تاريخية وما أشبه مما يمكن

وعلاقة مكينة نستطيع أن نعتبره صادقا فيما غير محمول بدافع الصداقة الى الغلو فيما يكتب روى . ومصداق ذلك ماسمعته باذني من المبرور على مبارك باشالما سألته عن سبب تأخير الوالد عن الترقى وهو أنه كان شديد المراس أبي النفس على ماتقدم اجماله. ومعنى شدة المراس واباء النفس البعد بها عن كل مايشين وفى جملة ذلك التزلف الى ذوى المناصب العاليـة للحصول على ماهو أهل له من المراكز التى كان يستطيع أن يشغلها بجدارة واستحقاق

والذى حدا بنا الى هذا الاستطراد فى شأن جاوزنا محله هذه المناسبة التى عرضت لنا أثناء الكلام على تفسير تلك الجرأة العظيمة التى ظهر بها المغفور له « مصطفى كامل » فى حضرة الجناب الخديوى المعظم

فقد أردنا أن نقول ان بين صفات صاحب الترجمـة العالية ماانطبع فى نفسه بطريق الوراثة وتمكن على مر الزمان

وقد قام فى فلاسفة الغربيين فى هذا الزمان من يقول ان الانسان يرث نصف شكله وصفاته عن أبويه ونصف النصف عن جديه وربع الربع عن أبوى جديه وثمن الثمن عن جدى

خلاصة الطبقة المتنورة بحيث أنه اذا عقد المجلس للسمر أو لتبادل الآراء فى شأن ما يتكلم وسائر الحضور يسمعون ويشير بالرأى وهم بصدق ما يذهب اليه موقنون . ذلك لأنه كان من سداد الرأى وحسن الروية وصدق الفراسة وطول الاختبار فى المكان الذى يتيح له التصدر والتكلم بصوت عال رنان فى المجالس والمحافل وما كان أحد يجسر على تخطئته أو العدول عما يذهب اليه: ثم قال الكاتب :(وهو حضرة الفاضل الهمام محمد أفندي لمعى باشمهندس مديرية قنا سابقا) وكان من أخص الصفات التى عرف بها المرحوم الوالد نزاهة النفس والترفع بها عن كل ما يحط من قدر النفوس العالية ولم يؤثر عنه فى طول أيام حياته أنه تزلف الى أمير أو داهن ذا مقام خطير . فكبر النفس كان أمراً طبيعيا فيه الى صفات أخر يعز اجتماع بعضها فى انسان الآن ويندر أن يتحلى بها من كان من أنداده فى ذلك الزمان

واذا جاز لنا أن نعقب على هذا القول فانا بما لنا من الثقة بالكاتب الذى كان بينه وبين المرحوم الوالد صلة متينة

الـكاتب فى الطلب ونحن نتردد بين الاكتفاء بالقدر القليل الذى اطلعوا عليه هم واغفال كثير من مميزات الوالد المرحوم لئلا يقول الناس متى رأوا ما كتماه عنهم : ابن بار يطرىء والداً باراً : وبين اعفاء النفس من هذا البحث وترك الأمر الى غيرنا ننشر له باسمه ما كتبه ولا نخلو مع ذلك من ضلة الأحاديث ومذاهب الظن

ترددنا فى هذه المسألة طويلا وبقينا وقتا بين أخذ ورد ونحن نعتذر تارة الى المتفضل بكتابة ما يعرف عن المرحوم الوالد من اغفال ما كتب ونقبل على النفس باللائمة تارة أخرى لأنها لم تقم فى البر بما كان متعينا عليها القيام به حق القيام بكتمان شىء أو أشياء من صفات الوالد المرحوم خشية أن نكون فى نظر القراء متزيدين أو مغالين

وأخيراً خطر لنا أن نقتطف عبارة واحدة مما كتبه غيرنا فى هذا المعنى وندمجها فيما كتبناه لنكون أبعد عن الظن وأقرب الى البر بالوالد المرحوم وهذه العبارة : أنه كان من رفعة المنزلة بين عارفيه جميعاً وهم اذ ذاك أكثر

ولا عجب بعـد ذلك اذا اضطررنا فى هذا المقام الي التصريح بمـا كنا تحاشينا التلميح اليه عند الـكلام على ترجمة المرحوم الوالد . وهو أنه تولاه الله بالغفران قد ورث بنيه ما كان متصفا به من السجايا والصفات . ولزيادة البيان نقول هذه الـكلمة ونحن نستميح القراء المعذرة فيما نقول

لمـا ذاع فى طول البلاد وعرضها أننا ننوى وضع تاريخ مفصل لصاحب الترجمـة ونشرنا ذلك فى اللواء أكثر من مرة زارنا بعض عارفى المرحوم الوالد وطلبوا الينا أن ننزل لهم عن وضع تاريخه ليتولوا ذلك هم بأنفسهم مراعين فى هذا الطلب أنه لا يجمل بالابن أن يتكلم باسهاب وتفصيل عن أبيه لان عادة البنوة متهمة باطراء الأبوة مهما كانت غنية عن الاطراء بذاتها وصفاتها . وقد تفضل علينا من أولئك الذين عرفوا الوالد حق المعرفـة من كتب بقلمه تاريخـه المفصل وأرادنا على أن ننشر ذلك التاريخ كما كتبه لينحينا عن موقف التزكية فيما لو كتبناه نحن بقلمنا ولم نغفل شيئاً مما يتعلق به ويجب أن يكون فى ذمة التاريخ ورعاية المـاضى . ثم ألح علينا

والسجايا الكاملة

ولم يكن مثل ذلك الموقف بين يدى الجناب العالي المعظم بالأمر الهين المقدور عليه . وان مجرد المثول فى حضرة مليك البلاد ولاسيما اذا كان الماثل صبيا لم يسبق له عهد برؤية مجالس الأمراء والملوك كاف فى اعتقال اللسان ووقوع الهيبة والرعب فى القلب بحيث لا يحير المسئول جوابا ولا يهدأ باله خوفاً واضطرابا . ولكن « مصطفى كامل » لم يكن من هذا الطراز . بل لم يكن ذلك الذى يتلعثم لسانه أو يضطرب جنانه أو يخونه بيانه فقد كان يعطى الجواب على قدر السؤال لا يحيد يمنة ولا يسرة ولا تشوبه زيادة ولا نقص . وبديهى أنه لو كان الواقف أمام مليك البلاد صبي آخر أتيح له أن يتكلم بمثل هذا الثبات النادر وهذه الجرأة العظيمة ثم لمح ضابطاً فى معية الجناب العالى يهمس فى أذنه أن : قل عبدكم : وهو يسأل عن اسمه واسم أبيه لتأثر من هيبة المقام وامتثل لمشيئة الهامس وتلقى اشارته كما هى وأجراها علي لسانه اذعاناً وائتماراً ولكن « مصطفى كامل » لم يكن كذلك

قال : المرحوم على أفندى محمد المهندس . ولما نطق بهذا الجواب لمح ذلك الضابط بعينه ينبهه باشارة خفيفة أن قل : « عبدكم » فلم يعبأ به

ثم قال له — فتح الله لك

قال : شكراً للامير المعظم

ثم حيا وانصرف من حضرته . وقصد الضابط بعد انتهاء الحفلة وقال له : « ما كان أبي عبداً وما كنت كذلك . واذا أجبت بغير الواقع كما كنت تريد أن أجيب كنت كاذباً » فدهش لهذه الجرأة التي تدل على عظمة النفس وتحول ما كان فى نفسه من الحنق اعجاباً ودعاء

من هذه المحادثة البسيطة يعرف القراء من هو صاحب الترجمة ويستدلون علي عظمة تلك النفس التى كانت بين جنبيه وهو اذ ذاك صبي لم يترعرع . بل من هذه المحادثة التي جرت بين الامير المعظم وذلك الصبي المتوقد الجنان المملوء صدره بالشجاعة والحمية والاقدام يدرك كل مطلع علي هذا الكتاب ماانطوت عليه تلك النفس العظيمة من الصفات الفاضلة

الذى يتفضل باعطاء الناجحين المكافئات بيده الكريمة

فلما أن جاء دوره وألقيت عليه الأسئلة رفع صوته الجهورى أمام تختة الطباشير وحيا الخديو والحاضرين وارتجل من حاضر ماتملى البديهة المسعفة والذاكرة المطاوعة خطاباً أنيقاً يناسب المقام. وألقاه بما شاء الثبات من الشجاعة والاقدام. فصفق له الحاضرون استحسانا وتفضل سمو الخديو فعطف عليه ودعاه اليه باسم الثغر وسلمه المكافأة. ثم قال له: اني سررت منك كثيراً

فأجابه: عفوا فالفضل لتشجيع سمو المليك المعظم

فسأله — ما اسمك يابنى ؟

قال: اسمى « مصطفى كامل ». واذ ذاك همس فى أذنه الضابط أن قل: عبد سموكم « مصطفى كامل »: فأعرض عنه

ثم قال له — كم سنك ؟

قال: اثنتا عشرة سنة. فأبرقت أسرة الجناب العالي ثم عاود السؤال

فقال له — ماسم والدك ؟

الحسن أنها جاءت مفاجأة وخير البشائر ما كان كذلك فضلا عن اعلانها فى محفل حافل بين الجماهير من الأشباه والنظراء وهو بينهم فى حداثة سنه وتجلي مخائل النجابة والفلاح عليه ملتقي أشعة الابصار والمخصوص بين تلاميذ مدرسته بالاعجاب والاكبار

وقد أراد سعادة الشقيق البار الهمام أن يدل المترجم على ماقام بنفسه من الفرح والسرور فأطرفه بالكثير من الهدايا الغالية حتى اذا أصبح الصباح وقصد « الانفتياترو » مع الطلاب كافة كان بحسن هندامه وما وقر فى نفوس اخوانه من احترامه ملتفة حوله الأحداق تنظر منه فى الجد الى مثال هو خير مثال وتتمنى القلوب له على الزمان الأماني والآمال

ولم يمض الا القليل حتى وافى مكان الاحتفال سمو الخديو توفيق باشا فى موكب حافل وفى معيته نظار حكومته وأقبل صاحب الدولة الغازى مختار باشا وأخذوا فى امتحان التلاميذ واحداً واحداً . وكان المرحوم الخديو السابق هو

قطع الانسان مرحلة من العمر سنة من سنن الطبيعة لا تتغير ولا تتبدل

وذلك أن نظارة المعارف أقامت فى تلك السنة احتفالا مهيباً لتوزيع المكافآت علي السابقين النابغين (ذاك أيام كانت النظارة نظارة والمعارف معارف) فى العلوم التى يتلقونها . وكان مركز هذا الاحتفال فى « أنفتياترو » النظارة فكان المترجم التلميذ الذى كوفىء من مدرسة القربية

ولا تسل أيها القاريء عن مقدار مااستشعر الأهل والأصدقاء من الجذل والهناء بتلك البشرى التى وقعت أجمل وقع لاسيما من نفس سعادة ولي أمرنا شقيقنا الاكبر . فقد طرب لهذا النجاح الذى كان يتوقعه للمترجم ويتوقعه معه كل عارف بمواهبه الكريمة وذكائه الباهر واستعداده الظاهر . بل أن هذه المكافأة التى تنطق بامتياز من نالها على غيره من التلاميذ وتشرفه وترفع قدره لم تكن بالشيء الغريب قياساً على المعروف من كفاءة الفقيد الشخصية وأهليته للحصول على ماهو أكبر منها وأسمي . ولكن الذى أكسبها ذلك الوقع

لم يبق فى الذاكرة من أسمائهم الا المرحوم الأستاذ الشيخ العسال معلم الخط وحضرة الوطنى الغيور محمد بك حبيب المهندس الشهير وقد اتصفوا جميعا بصدق الخدمة والاخلاص فى تربية التلاميذ ولهم فضل كبير على كثير من العاملين

وكان قد عرف فى المدارس الأولي ميزة السبق علي الأقران وما يكون قسط السابق من الأجلال والأكرام ووجد من نفسه العزيمة المطاوعة والهمة الفائقة والتأهب للوثوب الى معالي الدرجات فى تلك المدرسة . وما هي الا أسابيع قلائل حتى طفر الي الكرسى الأول وأصبح فى مدرسة القربية كما كان فى كل مدرسة انتظم فى سلكها من قبل أول التلاميذ وأوفرهم نصيباً من احترام ذلك الوسط الصغير

وحدثت فى تلك الاثناء مسألة للقارىء بعد الوقوف على بيانها أن يستنتج منها ماتعطيه هي بالبداهة ليعرف أن الصفات التى يعرف بها كبار الرجال وهم فى أدوار أعمالهم هى عين الصفات التى يعرفون بسيماها قبل أن يشبوا عن الطوق . وانما الفرق بين الحالين أن التدرج فى الظهور والكبر كلما

لم يكن مصـدقاً بوقوعها لهول الخطب وعظم المصاب . ثم مالبث أن تحقق صدق الناعى حتى أقبل على والده يبكيه مر البكاء ويكبر علي القضاء مصابه ويحتسب عنـد الله ماأصابه . وقد أثر فيه الحزن تأثيراً سيئاً وبقى على ذلك أسابيع وشهورا لا يهدأ له جنب ولا ينعم له بال ثم وجد من التشجيع والترغيب فى الصبر ماألهم قلبه السكون والعزاء وصرفه بعض الشيء عن النحيب والبكاء

وقد سأل أخانا (سعادة حسين بك واصف) أن يبعثه الى مدرسة القربية الاميرية لأنها أقرب الي المنزل الذى كنا نقيم فيه من تلك المدرسـة فأجابه الى ماطلب وأرسـله اليها وهو فى الحادية عشرة اذ ذاك

فرأى منه الاساتذة والتلامذة مابهر من الجد والذكاء والحرص علي أداء كل عمل فى وقته بطريقة كانت أكثر ممـا يطلب من أمثاله كثيراً ولـكن النفس الـكبيرة كما قلنـا دائمة الطموح الي ماوراء الحد المرسوم

وكان فى هذه المدرسة طائفة صالحة من خيار الأساتذة

ألا يهاجم الدرس بعد ابلاله مباشرة مهاجمة وانما يتدرج فى العود الى أقل مما كان عليه من قبل تخفيفا ورحمة بنفسه. ولكنه استأنف الدراسة بعزيمة أشد صلابة واقبال أو فى وجهد أوفر وعوض عما فاته تحصيله وهو فى فراش السقم فى أيام معدودات حتى كان بعض العارفين بشأنه من رفقائه فى المدرسة ينصح له ألا يسرف فى قوته وأن يقتصد فى انفاقها بما يناسب درجة المدرسة وهو لا يبالى بما يقال له من هذا القبيل

وفى هذه المدرسة ظهر ذكاؤه الفائق وتجلت مواهبه العالية وظهرت أمارات استعداده التام فأصبح أول أقرانه. والمقدم بحكم النجاح علي أخدانه. ولم يكن منهم أحد يجحد ميزة سبقه وفضل اجتهاده. وحبب فيه رفقاءه الذين كانوا يخالطونه ماعرف به بينهم من حسن المعاشرة ولين الجانب وتوقد الجنان والصبر علي احتمال عناء المدارسة ليل نهار غير خائف أعياء ولا شاك من الدأب بلاء

وأدركت المنية المرحوم الوالد وصاحب الترجمة بعد منتظم فى تلك المدرسة. ولما انتهى اليه نبأ تلك الفجيعة

النفس فى الاستزادة والطموح أن يضعف لما تقدم من الاسباب ،

وكان ماخيف قريب الوقوع . فلم تمض شهور على هذا الجد المتواصل والسير الحثيث حتى مرض شهرين متواليين مرضا شديدا فكاد يجهله بعد أن أبل من كان يعرفه من قبل . وكان أثناء هذين الشهرين ينتهز فرصة خروج الطبيب وخلو المكان فيتناول كراساته وكتبه ويعيد فيها النظر غير حاسب للانتكاس حسابا على ما كان من تشديد المرحوم الوالد عليه فى تلك الفترة ألا يتصفح كراسة ولا ينظر كتابا شفقة على ذلك الجسم النحيل أن يجتمع عليه بلاء السقم وتعب الدرس المتواصل

وقد اقتضت مشيئته تعالى أن يتعافى من ذلك السقم بعد أن قاومه ستين يوما ومن عليه وله الحمد والفضل العظيم بالصحة وكذلك تدخر عناية الله جلت حكمته من تختارهم أبان الطفولة ليكونوا فى الشبيبة والكهولة رجالا نافعين

وكان من الواجب برا بجسمه « ان لبدنك عليك حقاً »

ولبث المترجم صارفا كل مجهوده فى الدرس مقبلا عليه بكل حواسه ضنيناً على نفسه بالراحة والتمهل مستعينا بالذكاء والذاكرة على استيعاب كل مايلقي عليه وفهمه بأكثر مما يطلب ممن كان فى ضعف سنه اذ ذاك . وكان ذا شغف بالقياس والاستنتاج فى مسائل الدروس التى كان يطلب منه حلها غير مستعين فى ذلك أحدا خلا ما كان يرسم فى ذهنه من تفاسير المعلم التى تشمل القواعد والاصول فى العلوم التى تدرس ولا تتناول المسائل والتمارين عادة الا بمقدار مايدرب الدارس على الوصول الى الحلول من بيان حل واحد أو حلين ويترك الباقى لذكائه وفهمه . ولو كان يبذل من الجهد فى عمل مايطلب منه عمله القدر اللازم فقط لاستطاع أن يدفع عن جسمه النحيل ثقل وطأة الامراض . ولكن النفس الكبيرة مهما كانت الدائرة التى تحيط بها صغيرة دائمة الطموح الى ماوراء الحد المرسوم غير مقيدة بقيد اللزوم

وقد خاف الاهل والاصدقاء اذا مضى المترجم فى هذه الخطة خطة تحميل الجسم مافوق طاقته والزامه بمسايرة هوى

المغازى النافعة : وقد احتد شأن من يثق من نفسه أنه محق فيما يقول وما يفعل

فأمره الاستاذ بالصمت ثم أشار له بالخروج من الفصل ثم أنهي المسألة الي الناظر. ولم يقو المترجم على احتمال هذه الاهانة لانه كان أول فرقته فخرج من المدرسة فى الحال لم يرده عن ذلك أنه قريب العهد بمزايلة مدرسة أخرى . وقد كان آنئذ فى العاشرة من عمره ثم قصد المرحوم الوالد وكان جالسا فى أجزخانة فتحي أفندى أمام قره قول الصليبة ومعه المرحوم خورشيد باشا طاهر . فلما رآه والده فى غير موعد الخروج من المدرسة دهش وتوقع شيئا جديدا فلقيه بالبشاشة والهشاشة. ولما قبل يده وسلم على الباشا سأله أبوه : لم أتيت : ؟ فأسر له المسألة فى أذنه . فأخذه من يده وسار به الي المدرسة ولما وصل اليها قابل الناظر وسأله عن سبب خروجه من المدرسة فقص عليه الأمر كما وقع . ثم انتظر الأستاذ ريثما فرغ من الحصة وقابله طالبا منه الصفح عما جرى وأفهمه أن ابنه لا يقصد أن يشوش عليه بحال من الاحوال. بل هو مغرم بعلم التاريخ

وخشى المترجم أن لايكون بين ماسيدرس من التاريخ تاريخ مصر فسأل والده : «وهل سندرس تاريخ بلادنا وبلاد آبائنا وأجدادنا ـ مصر» ؟ فقال له نعم فسكن واطمأن خاطره

وفى اليوم التالي قصد المدرسة وكانت الحصة الأولي حصة اللغة العربية وأستاذه فيها اذ ذاك الفاضل السيد أفندى الحسنى (مدرس العربية الآن بالمدارس الأميرية) فابتدره بقوله : لماذا لاندرس التاريخ ياحضرة الاستاذ لنستفيد من دراسته مالا يستفاد من غيره : ؟ فأجابه : أنكم الآن مبتدئون ولكل سن تعليم. والتاريخ يحتاج الي ادراك كبير وعقل راجح لانه مجموعة وقائع متشابهة الاسباب والنتائج وميدان فسيح لصور عدة . وستتلقونه بمشيئة الله فى مدرسة التجهيزية : ولم يرق المترجم هذا الجواب لانه شعر بأن فيه ما يدل على ضعف ادراك التلاميذ ونزوله عن الحد المناسب لتلقي مبادىء هذا العلم النفيس فقال له : يظهر ياحضرة الأستاذ أن هذه المدرسة صغيرة أكثر مما كنا نتصور . لان عقولنا تفهم كل شىء فيها وقد تعلمت قصصا كثيرة ألقاها عليّ والدى وكنت أفهم مافيها من

أن أكون تمليذا فى مدرسة أحد أساتذتها على ماترى من الجور والاستبداد .

فلما سمع هذا الحديث قصد المدرسة فى اليوم التالى وحقق المسألة أمام الناظر فشهد من سئل من التلاميذ بصحة ماقال المرحوم فأخرجه من تلك المدرسة وأدخله مدرسة السيدة زينب التى كانت أمام القسم وهي تابعة لديوان الاوقاف

وجاء يوما الي أبيه وقال له: متى ياوالدي نتلقى فى المدرسة مثل هذه السير التى تقصها علينا :؛ فقال له : ان هذه القصص موضوعة لتشجيع الناس وبث روح الهمة والاقدام فيهم ومنها ماهو صحيح لا ينكر وقوعه. على ان ذلك ليس علما ذا نظريات تدرس فى المدارس ولكنهم سيلقون عليك يابنى دروس التاريخ التى هي حقائق ثابتة لاجدال فيها . ومنها تعرف عزة أقدار أولى النفوس العالية الكبيرة وذل مقام الخائنين ذوى النفوس الصغيرة الوضيعة وكيف كان الحكام من الملوك والأمراء يسوسون بلادهم وينتصر العدل على الظلم الي آخر مالا يحصى من الفوائد العائدة بالخير على دارس التاريخ :

وكذا الولد الذى يتحمل الذل لا يكون شجاعا أبداً » فعلم أبوه أن وراء هذا القول سراً . ثم أراد أن يعرفه كما هو لينظر فيما يجب أن يتخذ . فسأله عن سبب رغبته فى ترك تلك المدرسة فحكى له الحكاية التالية :

« ان تلميذا اسمه . . . . لم يسرع فى الاجابة لما سأله الاستاذ . . . . فأجبت بدلا منه فسبنى المعلم وحبسنى ساعتين. وهذا ظلم لا أرضاه لنفسى ولا شك أنك لن ترضاه لى كذلك »

فقال له الوالد : ألم أقل لك : أن من دخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه : فأجابه « نعم . اني أعقل هذا النصح . ولكنى خشيت أن يفوت الوقت بين اعتذار التاميذ الكسول وعقاب الأستاذ الصعب وفى هذا غبن لحقوق التلاميذ جميعا . ثم ان هذا الاستاذ قد عاقبنى عقابين على ما يعتقد أنه ذنب واحد. وهما عقاب السب وهو شنيع وعقاب الحبس وهو حق من حقوقه. ولذلك فاني لا أرى الا انه تعدى حده . ولا أستطيع أبدا أن أصبر على هذه الاهانة مهما كان الامر ولو قتلتنى . فاني لا أحب

على عاجز مقعد أو عجوز ضرير . فلما سمع ذلك من أبيه أبرقت أسرته وانشرح صدره لهذا الحل المرضى وأحس كأنما ألقي عن كاهله حمل ثقيل وفعل ما أمر به

وكان اذا عاد من المدرسة يخلع ملابسه ويرتبها ترتيبا حسناً . فاذا فرغ من ذلك جلس بجوار والده ليقص عليه ماشاهد فى يومه ويشكو اليه ما كان يشاهد من عناد التلاميذ الأشقياء لمشيئة أساتذتهم الصالحة أو مشاكستهم بعضهم بعضا مبديا على أثر كل قصة ما يناسبها وما يعتقد أنه الأشبه والأمثل من التصويب أو التخطئة

جاء الى أبيه يوماً وهو عابس وطلب منه أن يخرجه من المدرسة ويدخله مدرسة أخرى . ثم ألح وتشدد ظاهرة عليه سيما الجد والاصرار على تنفيذ مايطلب . فراعت والده هذه الجرأة وقال له وهو غاضب : ان الولد الذى يدخل مدارس عديدة قبل أن يقوم عقله فى احداها لا ينجح أبداً : وكأنما كان المترجم معداً جواب هذا الكلام . ولهذا لم يكد المرحوم الوالد يفرغ من آخر لفظة منه حتى قال له «صدقت يا والدى .

ولما انتهي من القاء هذه الكلمات ظهرت عليه الحدة والشدة لكن بأدب وكمال . وكان مع المرحوم الوالد جماعة من الأصدقاء . فلما رأوا هذا الشمم العالي وتلك النزاهة النادرة أكبروا هاتين السجيتين أيما اكبار . وأراد الوالد أن يعرف ما تنتهى اليه نجابة الطفل النجيب وأحب أن يصل الى أعماق نفسه ليعرف درجة الثبات فيها فنظر اليه مظهراً العناية والاهتمام الفائقين وقال له : وعلام أنت عازم وماذا تصنع بأمر ناظر المدرسة : ؟ فأجابه من فوره بما معناه : اذا أنا لم أذهب فى مقدمة اخواني اعتبر تخلفي خطأ فى نظر قانون المدرسة . واذا ذهبت ولم أقبل ما يعطي الي أسوة بمن هم معى كان ذلك بروزاً عن ظل الذوق . واذا قبلت اعتبرت نفسى فيما بينى وبينها آثما لأنني أكون قد خالفت أمرك الذى لايمكنني مخالفته . وأراد أن يمضى فى القول . فأشفق أبوه أن يقيمه فى موقف بين الحيرة والتعرض لأذى العيون فقال له : اذهب معهم لترى ماسيكون ولا تأخذ النقود الا اذا أكرهت على أخذها . وحينئذ تصدق بها

والذكاء المدهش والشهرة الفائقة . وكثيرا ماجنى الآباء على الأبناء بغض النظر عن ملاحظة مواهبهم والملكات الخيرة فيهم . ولو فسحوا لها فى السبيل بعد تمهيده وأجادوا القيام على حراسة هذه الكنوز التى تفضل كنوز العالم بأسرها لكان التاريخ غنيا بما يحفظ من سير النابغين والاذكياء القديرين

والحكاية التى أشرنا اليها أن المترجم وهو فى التاسعة من عمره جاء الى أبيه يوماً بعد الانصراف من المدرسة فى صورة تشعر بأن نفسه تضطرب اضطراباً وجنانه يغلي غليانا. ولما سلم سأله الوالد عما به وكان رحمه الله شفيقا فى حزم لينا فى قوة يجيد وضع الندى فى موضعه ووضع السيف فى موضعه . فقطب المترجم جبينه وجالت الحماسة فى صدره فانطلق لسانه يرسم على سمع أبيه هذه النبرات

« انا سنذهب غدا الى سراي الحلمية لنأخذ من الاميرة نقوداً احساناً وأنا لا أود أن آخذ شيئاً من هذه النقود لانك أمرتنى أن لا آخذ قرشاً من أحد »

العالي الذى اتصف به المترجم هذه الحكاية التى نرويها كما وقعت شأننا فى كل ما سنورده فى هذا الكتاب . لأنا نرى فى سردها معنى آخر غير حكاية الواقع وهو توجيه عناية الآباء الى ملاحظة ما يبدو على الأبناء من مظاهر الانفعالات التى تدل على مايقوم بنفوسهم من الصفات ومراقبة مايصدر عنهم في طفولتهم من الأقوال والأفعال مهما كانت قليلة ضئيلة . فان الوالد ذا البصيرة الباصرة يستطيع أن يكتشف معدن ابنه ويقف على ما تتجه اليه نفسه أو يظهر عليها حب السير فيه من الخطط والأخذ به من الأسباب طلباً للوصول اليها . فان وجد ثمة من كل ما يمر به من أطوار وليده أية أمارة من أمارات الاستعداد الفطرى والذكاء الطبيعي والنبوغ كيفما كانت درجته : كان من المتعين عليه أن ينظر فيما يعين على اظهار هذه المواهب فى صورها الطبيعية وتمهيد السبيل لتجلى آثارها واذكاء نارها بروية وحكمة . فان كثيرين من الاطفال تختنق مع انقضاء طفولتهم مواهب لو عنى بتقويتها واظهارها لكان فى كل جيل مئون من أولى النبوغ العجيب

الحساب أكثر من كل علم آخر

ومن ذكر أن والدنا المرحوم كان من المهندسين وقف على سر من أسرار الوراثة الثابت ناموسها حيث تعلق صاحب الترجمة بهذا العلم تعلقا شديدا. وأكسبه القوة والشدة فيه ما كان يتعهده به أبوه من المناقشة والمذاكرة فى آخر كل نهار وكان مما أعان على نبوغه فى هذا العلم

ويقول الخبيرون بالتعليم ان التعلق بهذا العلم وكثرة الاشتغال به يكسبان العقل نقاء وسعة . وقد بلغ من تعلق المترجم بهذا العلم أنه كان ينقش أبواب البيت أرقاما فلما منعه الوالد عن الكتابة على الأبواب امتنع طائعا لأنه كان سهل الانقياد الي واجب الأذعان فى موطنه . ولو أنه كان صعب المراس شديد البأس فى بعض الأمور حتى أنه كان اذا راقه لون ملبس مخصوص ولم ينله من أبيه فى الحال يقضى الساعات الطوال غاضبا فلا يأكل ولا يشرب حتى يناله . وهذا مظهر من مظاهر قوة الارادة فى أبسط أشكالها

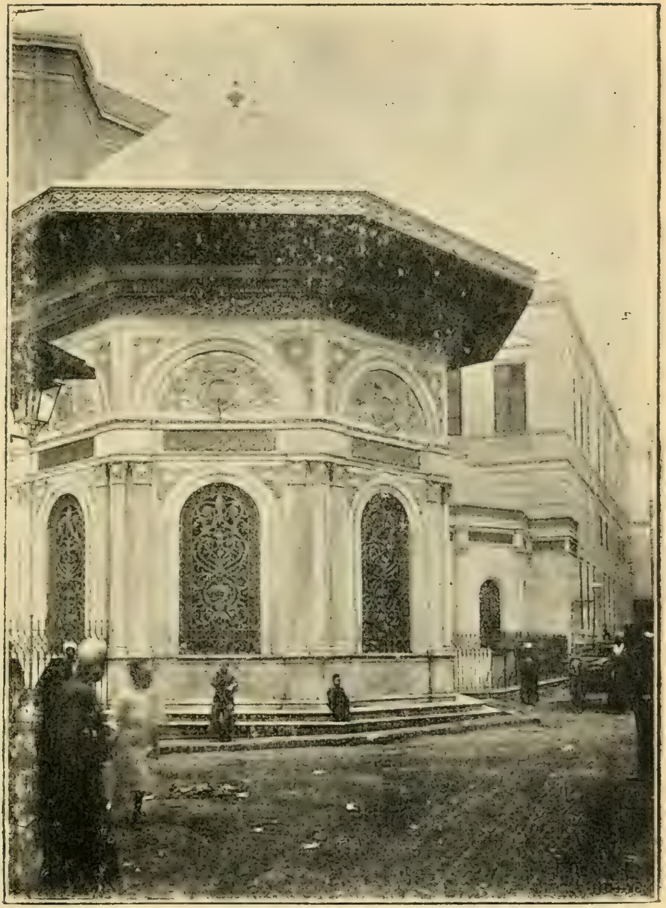
ومن النوادر التى تدل بشكلها وموضوعها على الشمم

وحل بحلول العام السابع دور التعليم فى المدرسة

التعليم الابتدائى

فأدخله الوالد مدرسة والدة المرحوم عباس الأول وهى المدرسة الكبيرة الطائرة الصيت الشهيرة بمن تخرج منها من كبراء الوطنيين الذين يشغلون فى البلاد أسمى المناصب الادبية الجليلة ذات الاثر البين فى الخدمة الوطنية. أسستها المرحومة المبرورة والدة المرحوم المبرور عباس باشا الاول (فى سنة ١٢٨٤) فنالت شهرة ذائعة فى الآفاق بتلقين المبادىء العالية والعلم الصحيح ولذلك كان من حظها أن نبغ فيها كثيرون من أهل المعارف الواسعة وقد أنتجت للوطن فوائد جمة وأصبحت فى طليعة المدارس المصرية كافة وكذلك كل عمل يؤسس على الاخلاص ويقوم على الصدق يثبت ويثمر الثمار المطلوبة ويبارك الله حوله والله ولى المخلصين

ومكث فيها سنتين كاملتين كان أثناءهما متعلقا بعلم



﴿ مدرسة والدة عباس الأول ﴾

الزكاة فى حينها قائما بسائر الفرائض الدينية المطلوبة منه شرعاً لكان منه فى كبره رجل ورع عن الشبهات محافظ على أداء ماعليه من الواجبات كل واجب فى حينه . فاذا شئت أن تطبع عقل ابنك على غرار مخصوص وتفرغه فى قالب معين فكن أمامه الشخص الذى تريده منه يكن ماتحب. وأما الذين يتمنون ولا يفعلون فى المقدمة فلا تقع جريرتهم الا فوق رؤوسهم وهم وحدهم المؤاخذون

وقد حفظ رحمه الله بلا معلم وهو فى السادسة من عمره ورد السحر الذى يتلوه والده مع رفقائه فى مسجد شيخون وكان يتغنى به فى ذهابه الي المسجد وايابه منه . وله قبل أن يقطع هذه الرحلة آيات فى الذكاء بينات ومرام فى الادب صالحات . ونخشي اذا نحن ذكرنا طرفا من بواهر الادلة على توقد جنانه وصدق ايمانه وهو مشرف على العام السابع من سنى حياته المباركه قبل أن يزداد جنانه توقدا وايمانه صدقا أن ينفسح أمامنا المجال

وقد انقضى بانقضاء عامه السادس دور التعليم فى البيت

المدرسة أحضراه بينهما وأخذا يلقيان عليـه ويلقي عليهما من الأسئلة الـكثيرة مايدور حول محور مايحيط بهم من الأشياء ويقع تحت الحواس من الموجودات والأعراض . وكان ينهض فى الفجر ليقرأ ماتيسر من القرآن الشريف بصوت جهورى بعد أن يصلى خلف الوالد المرحوم

ومن هذه النقطة يتبين لمن لم يعرف معنى القدوة.فانها كل شيء فى التربية ان حسـنة وان سيئة بل ان لها تأثيراً فى نفس الطفل دونه كل تأثير . وتجـد كثيراً من الشبان الصالحين المهذبين قد تلقوا تلك التربية بالأسوة الحسنة فهي الى أن تـكون طبيعية أقرب من أن تكون صناعية على حد قول أبي العلاء :

حسن البداوة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وعبثا يتعب الأستاذ فى المدرسة اذا لم يكن له على تربية الطفل عون من القدوة بمن هم في بيته . فعلي الذين يشكون اعوجاج سير الابناء أن يعرفوا جنايتهم عليهم . فلو ترعرع الصبي وكبر وهو يرى أباه مقيما الصلاة فى أوقاتها مؤديا

صالحاً هو المرحوم الشيخ أحمد السيد ليعلمه مبادىء القراءة والكتابة ويحفظه القرآن الكريم

وذلك لأن نية المرحوم الوالد كانت متجهة الى حمل المترجم متى ترعرع وكبر على طلب العلم والدين فى الأزهر الشريف والتوسع فيهما حتى يكون منقطعا لهما . ولكن كان لله فينا ارادة غير ارادة أبينا . وقد أخذ الميثاق على معلمه أن يجتهد معه فى تجويد القرآن الشريف واتقان قراءته وحفظه حفظاً يدور به على لسانه . وكان الفقيه يلحظ من المترجم ميلا الى التوسع فى العلم كبيراً وارادة قوية وذكاء نادرا ورغبة شديدة فى الاستزادة من العلم حتى قال للمرحوم الوالد على مسمع منى ذات يوم ان ولدك هذا سيكون عالماً كبيراً لأنه يحفظ فى يوم مايقل أن يحفظ غيره نصفه فى يومين فضلا عن طلاقة لسانه وقوة ذاكرته واني الى الآن لاأعلم أن فى المتعلمين من هو أذكى منه قلباً وأقوى ذاكرة الا أن يكون في الناس من لا أعرفه

وكان أخواه الكبيران سليمان وحسين اذا عادا من

ممرعا مخصبا اكثر من الامراع والخصب العاديين

واذكر ان المائدة التي كنا نأكل عليها جميعا كانت من النحاس وقد نقشت على احدى نواحيها هذه الجملة : ملك عبدالرحمن الشنواني سنة ١١٤ : وهى لاتزال عندنا الي الآن . فكان كل منا يجتهد اذا جلسنا نتناول الطعام فى جعل الناحية المنقوشة عليها تلك الجملة أمامه . وتكرر منا ذلك فلحظ المرحوم الوالد الامر . فحكم بأن يكون مجلس المترجم ساعة الأكل بحيث تكون أمامه تلك الجملة التى كانت أشبه شيء بالزينة لحسن نقشها . فسررنا لهذا الحكم ولم يجد منا الا الاحترام والاذعان . لان الحب المتبادل بيننا على ماتقدم كان عظيما الي درجة الايثار وما كان ذلك التنازع الا ضربا من المزح لأكثر . وربما لو وقع مثل هذا الحكم فى هيئة شبيهة بهيئتنا من حيث التكوين كان يجر وراءه ضغينة على المحكوم له وشيئاً من الاشمئزاز من مصدر الحكم

وقد أخذت أمارات النجابة وعلائم الذكاء تزداد ظهوراً فى المترجم ولاحظنا ذلك منه يوما يوما فعين له والده فقيها

وضمه اليه وألقى علينا قصة جديدة بلذة وشغف. وانقضت الليلة وقسطنا من الاستفادة فيها أوفر منه فيما سلف ونحن نعجب بذكاء المترجم وحسن احتياله على نيل ما يريد من اليمين اذا اعياه من الشمال. ولو كان ذلك الطلب قد قام بنفس غير تلك النفس لأحجمت عن الالحاح وقنعت بما بلغت من قبل ولكن الثبات وقوة الارادة يذللان كل شيء مهما كان صعبا وفى مثل هاتين الصفتين الجليلتين النافعتين يتنافس المتنافسون

وكان المرحوم الوالد يجمعنا أثناء تناول الطعام حول مائدة واحدة كما كان يجمعنا للصلاة على بساط واحد ليعلمنا الاتحاد والاتفاق بصفة عملية لا نظرية . وكثير من الآباء ينصحون لأبنائهم بأن يحبوا بعضهم بعضا ويكونوا روحا واحدة متوزعة على عدة أشخاص ولكن الفعل الواحد يفيد ما لا يفيد ألف قول . وخير للوالد الذى رزق نعمة الابناء أن يدربهم بنفسه على الائتلاف والحب بايجاد أسباب له دون الاكتفاء بحب الاخوة الطبيعي فانه يعتز ويكون متمكنا امكن اذا أضيفت اليه مثل هذه التجارب الحكيمية ليكون

ثم جلس (الوالد) فجلسنا حوله على عادتنا وبدأ المترجم يستعطف أباه أن لا يحول تعبه دون أطرافنا بما نحب من حديثه العذب ومعانيه الجميلة . فاعتذر بما كان يحس به من التعب والرغبة فى الاستراحة تلك الليلة . فلم يقنع هذا الاعتذار تلك النفس الطماحة القوية الارادة ولذلك أخذ يستلين فؤاد الوالد تارة بابتسامه الجميل وتارة بدالة البنوة على الأبوة وحينا برجاء الآمل وحينا بصلابة المحق . فأعاد الوالد الاعتذار ولم يكن نصيبه من القبول أكثر من نصيب الاعتذار الأول . ولكنه استحيا أن يعيد على الوالد القول فأراد أن يحدث عنده تأثيراً من ناحية أخرى . وكنا قد رأينا من اللائق أن نعفى أبانا من عناء هذا الدرس فى تلك الليلة ليأخذ حظه من الراحة ورأى منا المترجم ذلك فاقترب من أبيه يقول مامعناه اذا لم ترد أن تسمعنا شيئاً جديداً فتفضل بأن تسمع منى شيئاً قديما . وأعاد على أسماعنا تاريخ بطل كان كثير الشغف به والاجلال له . وما زال ينتهى من قصة ويبتدىء فى قصة حتى انبسطت نفس الوالد وزايلها ما كان قد لحق بها من الكلال والجهد . فخنا عليه

عطفاه شأن النائز . ولما فرغ من اعادة ما كان قد سمعه التفت أنظارنا حوله ثم صمتنا هنيهة معجبين بذكائه الفائق فرأينا الوالد قد رفع رأسه الى السماء وبسط يديه وقال كلاماً لم نسمع منه الا قوله : انك سميع الدعاء :

وكانت رغبة المترجم فى استماع هذه السير تزداد يوماً فيوماً . والظاهر انها كانت تحدث فى نفسه تأثيراً مخصوصا . ولم نكن ندرى لماذا يلح علي الوالد اذا جاء موعد الاجتماع فى « القصر » فى الحديث اذا لم يكن قد بدأ به أو كان قد فرغ منه . كأنما هو كان يجده حلو المذاق بديع الطرب عنده موقظا فيه همامة نفس ومذكيا نار عزيمة

جاء الوالد المرحوم الي المنزل يوماً وقد أخذه الاعياء ونال منه التعب . وما كدنا نتناول العشاء بعد أن استراح قليلا حتى جمعنا المترجم وكنا أحببنا أن يريح الوالد نفسه من الحديث لأنه تعب فى نهاره كثيراً علي ماظهر لنا وكان القاء هذه القصص يجشمه شيئاً من النصب لصوغها فى قالب مؤنق تقبله الاسماع وتقبل عليه النفوس

الوالد يجلس فى مكان أعلى قليلا من أما كننا ليشرف علينا جميعا بنظره ونحن ملتفون حوله ويترنم بتوقيع بعض أناشيد حماسية تلقاها عن بعض فضلاء معاصريه ويشفعها بتلاوة كثير من سير الابطال الفاتحين فى الشرق والغرب قديما وحديثاً مستخلصا لنا من كل قصة عبرا وعظات وراسما على قلوبنا من كل توقيع نبرات الشجاعة والاقدام ولتلك السير ألطف مرور على أسماعنا

ولا أستطيع أن أصور ما كان للمترجم من الشغف بفهم تلك السير فقد كان يقبل عليها بحواسه كلها وكانت العبارات سريعة الارتسام فى مخيلته . وأذكر من الدلائل على ذلك أن الوالد كان يتلو علينا مرة سيرة أحد أبطال الوطنية وقدسها أثناء الحكاية عن ذكر نقطة مهمة فى القصة ثم ذكرها بعد أن تمت وفات موضعها ولم يرد أن يشير اليه وأراد أن يستعيدنا ماسمعناه فما هو الا كلمح البصر حتى بدأ المترجم يعيد ماسمع حرفا بحرف . وقد ذكر تلك النقطة فى موضعها الخليقة به من سيرة ذلك البطل . وهنا أبرقت أسرته واهتز

المترجم) مرة واقفا أمام سبعة من أولئك الابناء فكانوا كـكواكب الجوزاء وكان أمامهم الهلال المنير . شهدته وقد وقف ... فا منظما يأتمر بأمره وينتهي بنهيه ظاهرة عليه سيما الجد . فتوقعت أنه اذا انتظم فى سلك العسكرية يكون ضابطا ماهراً مهيبا ولم اكن أعلم ماذا خبأ له الغيب من تلك المنزلة التى تفضل منزلة الضابط ألف مرة :

ولما أوشك أن يجاوز الخامسة من سنى حياته الطيبة المباركة كان يدرك كل شىء يقع تحت حواسه الادراك الذى يقدر أن يتحمله من جاوز ضعف سنه من الاذكياء . وله فى تلك الاثناء حكايات أحقها بالذكر وأجدرها بالحكاية تلك التى رواها لى أحد أصدقاء سيدى الوالد

وكان يميل الي استماع أحاديث الوالد فى كل غرض من الاغراض . وأذكر أنا كنا جميعا بعد غروب الشمس كل يوم نجتمع فى قاعة كان يطلق عليها فيما بيننا اسم « القصر » وهى قاعة فى الدور العلوى من منزلنا يشرف الناظر من منافذها على مأذنة مسجد السلطان حسن . وكان المرحوم

تلك الخطة

لأنه لم يكن فى طبعه الميل الي اللعب كثيراً وربما كان مرجع ذلك الانصراف عن اللهو واللعب الي ضعف بنيته وعدم قوته . فالأولاد يميلون الى اللعب عادة متى كانت أجسامهم اكبر من رؤوسهم ولكن المرحوم خلق ورأسه اكبر من جسمه فكان لايخرج من البيت الا ليستنشق الهواء مع خادم أو يقضى وقته بين أهله ولدلك لم يسمع له صوت بين أصوات أبناء أهل الجوار مما يجري عادة للصغار فى كل بلد من البلدان

. . . .

وكان الوقت فيما بين الثانية والخامسة من عمره مجالا لاضيقا ولا فسيحا لظهور مباديء النبوغ . تلك المباديء التي كانت فى أول أمرها شيئاً معنوياً ثم عادت قوى محسوسة بتوالي الزمن . فكان مهيبا بين أبناء الاقرباء والاصدقاء الذين كانوا يزورونا وكنا نزورهم محبوبا منهم مخصوصاً بمشايعتهم له حدثني محدّث كان من أصدقاء والدى قال: شهدته (يعنى

المرحوم الوالد فبما عسى أن يكون الباعث عليها وأخيراً أتى في روعه ماتحقق بعد تليل أنه الصحيح . اعتقد أن السؤال صادر عن رغبة حقيقية في فهم الكليات عن حقائق الموجودات في الوسط الذى يشغله

ويؤثر عنه أنه قال بعد أن سمع من كثرة الأسئلة ماسمع وتوارد عليه منها ماتوارد

« ان ابنى هـذا سيكون له شأن كبير لان عقله اكبر من جسمه » قال هذه الجملة التي حفظها عنه من سمعها منه ثم ترك للمستقبل تحقيق تلك الاماني التى تندرج تحت هذا التنبؤ وكان الله بتحقيقهن كفيلا

فى تلك السن التى تكون عادة مجال السهو واللهو للأطفال كان « مصطفى كامل » مشغولا بغير ذلك . فى تلك السن التى اعتادفيها الابناء فى عامة أقطار المشرق أن تنصرف أذهانهم الي الالاعيب ويتعلقوا بالاضاحيك تعلقا جما ولا ينقطعوا عن البكاء اذا حرموا من شىء رغبوا فيه كان المرحوم قد خالف تلك السنة وجرى وهو لايعلم على غير

على شكل مخصوص وبطريقة منظمة فى وقت معين وتولية الوجه شطر جهة لا نحاد عنها أو رأيت طفلا يسأل أباه وهو خارج من بيته فى الصباح بما يفيد رغبته فى الوقوف على سبب الخروج فى ميعاد محدود يعرفه الطفل بالتكرار أمامه مثلا : فأيقن أنك لست أمام طفل فقط بل أمام بحاثة فى المستقبل

كثيرون من الأطفال يبصرون كل شىء ولكن قلالا منهم من يسأل للوقوف على سبب الشىء وهذا مظهر من مظاهر الفطنة : انك تجد بين رجال النيابة موظفاً تقع فى دائرة عمله الرسمى جنايات كثيرة فلا يعرف من أسبابها الموجبة لوجود الجانين أو الجانين الموجدين لأسبابها الا قليلا وتجد من هذا الطراز موظفا لا ينتهى معه دور التحقيق حتى يقع على الجاني بعينه . ومرجع هذا التباين بالطبع الى الفطنة فالأول يرى ولا يبحث والثاني يشاهد ويستنتج . وقس على ذلك

وقد كانت كثرة أسئلة « مصطفى كامل » شاغلا لذهن

ونحن لا نذكر هذا لان في المترجم امتيازاً وخصوصية من هذه الوجهة على غيره ممن كانوا في سنه ولكن نريد أن نقول ان اعتماد الطفل في أداء أغراضه بصورة تشعر بما نفسه تمام الاشعار باحدى طريقتي الدلالة التي يعرفها الطفل معرفة ما وهما طريقة الاشارة مهما ضعفت والكلام مهما تقطع ونحف : على الجهد دون أن يكون كغيره دليل جديد على أنه سيكون دائم الركون الى بذل الجهد في كل شأن يعرض له بلا تراخ ولا توان . وقد تقدم أن مظاهر الشيء تكون في العادة بحسبه وأول مظهر من مظاهر قوة العزيمة يمكن أن يجتليه في الطفل الباحث الاخلاقي اجتهاده في افهام ما يريد بشيء أوضح مما يفعل غيره على قدر الامكان

وكان المترجم بعد أن قضى سنتين وشهورا من عمره كثير السؤال في كل ما يمكن أن يخطر على بال الطفل السؤال عنه فيما يحيط به من الاشياء أو يمكن أن يعرض له من الشؤون . فاذا رأيت طفلا يسأل أباه بعد الفراغ من الصلاة مثلا عما يفيد رغبته في الوقوف على سبب القيام والقعود

واذ ذاك يقعد الجسم عن مشايعة آمال النفس ويجد ذاك فى التخلف وتجد تلك فى التقدم فاذا انفرجت مسافة الخلف واشتد التباين بين القوى العقلية والقوى البدنية من حيث كبر تلك وصغر هذه خيف على الانسان أن يسقط فى الميدان بعد أن ينتصر أو يتوقع النصر على الاقران

وقد ظهرت عليه مخائل الذكاء الفطرى وبدت على جبينه أمارات الاستعداد الطبيعي الذي يخلق مع النفوس المرموقة بعنايته تعالى. وهنا لا يسعنى الا أن أترحم على المرحوم الوالد العزيز الذى عرف كيف ينزل صاحب الترجمة حيث أنزلته الفطرة ويعينه على ما وجد عليه من نفسه القدرة

كان « مصطفى كامل » وهو قريب العهد بأيام الرضاعة أى بعد أن فطم بقليل فى الوقت الذى تكون فيه كلمة الوليد اشارة أو مقاطع ثنائية وعبارته تؤدى بمزيج من حركة اليد وحركة اللسان معاً يحمل جهداً عظيما فى أداء ما يتوارد على ذهنه من المعاني بكلمات تدل بوضعها على ما يمكن أن ينتهى اليه اقتدار الطفل على الافصاح بغير اعتماد على الجلبة والصياح

الحياة فيه وبرهان على استعداده الفطرى للظهور. ونجد هذا الوصف فى مئين من الاطفال ولكن يظهر من تتبع سيرتهم فيما بعد الطفولة أن الاوساط التى يقيمون فيها لا تجيد انهاض هذه الملكة ان لم يكن لها يد فى قتلها. ويقيننا أنه لو عنى أبوا كل طفل كثير الحركة فى الطفولة بتهذيبه وتثقيفه لكان لنا فى كل عام من خفاف الحركة فى طفولتهم أبناء متهيئون للنبوغ متى توفرت لديهم الاسباب. وفى نحول الجسم مع ما تقدم من الاوصاف شىء من الانذار كان والده يتقي جانبه بما كان له رحمه الله من سداد النظر وصدق الفراسة. وذلك أن نحول الجسم على شرط تلازم الصفات آنفة الذكر ينذر بوشك حلول اليوم الذي تثقل فيه آمال النفس على بناء الجسم لفقدان التكافؤ بين قوته وقوة النفس المنبعثة منها تلك الآمال. ومتى بدأت الأماني تنمو ومادة الهمم تتكون أخذت قوي الجسم تنقص شيئا فشيئا تبعا لتلك الزيادة التى تجىء قليلا فقليلا ولله در المتنبى اذ يقول:

واذا كانت النفوس كبارا　　تعبت في مرادها الاجسام

وتحرسه عنايته فى كل حال

وبعد أن مضى على ميلاده الكريم خمسة أشهر سافرت الأسرة الى نبروه التى كانت مقر الوالد حيث كان مهندساً لذلك المركز . ومكث بها الى أن انقضى على مولده الكريم أربعة عشر هلالا ثم عادت به الأسرة الى مصر حتى اذا جاز من مرحلة العمر عامين فطمته المرحومة والدته فكان بعد فطامه :

قليل الأكل لا من سقم . جم النشاط لا من خفة . كثير الحركة لا فى مكدر . نحيل الجسم لا من اعياء

ويظهر لمن يعتبر فى سير عظماء الرجال قديما وحديثاً أن هذه الصفات الاربع تكاد تكون فى الطفولة وقفا على قلائل من الناس يدهش نبوغهم العالم بعد تجاوزهذه السن

وذلك لأن الاقلال من الطعام يلزم عنه صفاء جوهر النفس ونقاؤه . وجم النشاط فى الوليد مظهر من مظاهر القوة التى تنبعث من روحه ومظاهر الشىء فى العادة تكون بحسبه . وكثرة الحركة من الوليد دليل على رسوخ عرق

التى طلعت عليهم بهلول جبينه المشرق. فقد زيد مرتب والده فى اليوم الثالث زيادة سارة. ولولا أننى اكتب الآن كتاباً تاريخيا لتتداوله الأيدى وتتدارسه الأجيال لذكرت من تلك البشائر كثيراً ولكن المسألة لاتختص الا ببيت واحد. فليس من اللائق اذا أن أذكر غير تلك البشرى تبريراً وتصديقا للتيمن والتفاؤل بالخير اللذين وقعا من كل قلب تجرى فيه شرايين ممتزجا دمها بدمنا اجمل موقع

وقد سهرت عليه العيون وانفتحت له القلوب وكان كل ممن فى البيت وممن بيننا وبينهم صلة قرابة أو صداقة مكينة لا يملك نفسه من الجذل والحبور واستشعار الارتياح والسرور كلما وقعت عيناه على «مصطفى كامل» فى أبان طفولته أيام كان ساهيا لاهيا لايحمل أثقل عبء فى الوجود

وكان الناظر اليه وهو فى سكينة الاطمئنان وطفرة المسرة يقرأ على جبينه المشرق ومعارف وجهه الميمون ما اكنه الغيب فى قلبه من تلك العظمة التى امتزجت بروحه أيما امتزاج فيبتهل اليه تعالى أن يصون لهذه الاسرة وليد الجلال

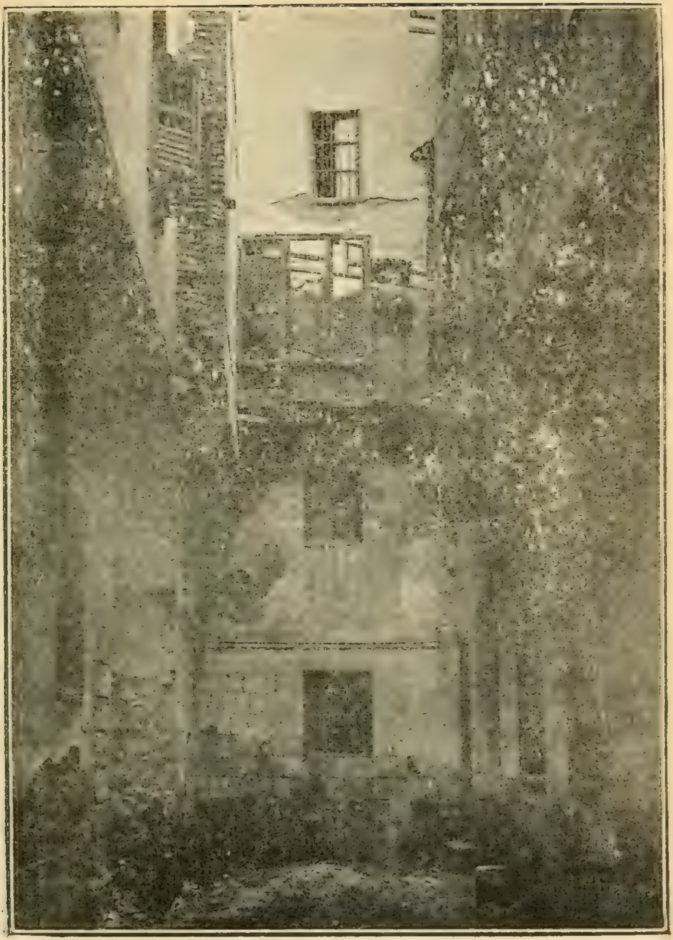
سيرة صاحب الترجمة

كان ميلاد المبرور « مصطفى كامل » فى الساعة الثانية بعد غروب شمس يوم الاحد غرة رجب سنة ١٢٩١هجرية فى منزل والده المرحوم (بحارة درب الميضأة بشارع الصليبة أحد شوارع القاهرة الشهيرة) وقد أسماه « مصطفى » تيمنا وتفاؤلا على حد قول القائل :

كأن أباه حين سماه (صاعدا) رأى كيف يرقى للمعالي و يصعد

ولعل ثمة اشتراكا قد يقع فى بعض الأحيان بين الاسم والمسمى وللعناية نور فى مرائيها . ولقبه « كاملا » لما تحقق أنه ولد مختونا نظيفاً بعد ان كان قد لقبه بعلي وهو اللقب الذى كان يعطيه الوالد لكل أولاده بحكم العادة الحكيمة لتكون سلسلة النسب متصلة الحلقات

وقد استبشرت الأسرة كلها بمقدمه السعيد . فى يوم فضلت عندها غرته غرة العيد . لما رأت من بشائر الخير



﴿ جزء من واجهة منزل ميلاد الفقيد ﴾

وكيلا عن ٣٢ عائلة وكان يسميه أهالي خط الصليبة « أبا اليتامى »

توفى المرحوم فى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٠٣ فى البيت الذى ذكر على أثر سكتة قلبية وهو فى الثانية والسبعين من عمره فدفن فى مشهد كبير سارت فيه الجنود والكبراء والعظماء

وقد ترك المرحوم الكثير من النقود والمصوغات والجواهر وتركنا ونحن صغار فتولى أمرنا من بعده بناء على وصيته أخونا البار بل والدنا الشفيق المبجل حسين بك واصف

هذه سيرة المرحوم والدنا موجزة أجملناها هنا ليحيط القراء بها خبرا قبل ان نبدأ بسيرة صاحب الترجمة فقيد مصر والاسلام والشرق المرحوم « مصطفى كامل باشا »

شقيقي فنظر فى وجهي نظرة تدقيق وقال « انك تشبه أباك »
فقات «ومن يشابه أبه فما ظلم » .أتعرفه ياسعادة الوزير ؟ قال
نعم أعرفه . وكيف لا وهو قد كان معيدا عليّ فى المدرسة
لانه كان اكبر منى سنا وأقدم عهداً .فسألته عن سبب تأخره
فى الرقى فقال ما معناه انه كان من جهـة وحيد والدته فلم
يرض أن يسافر الى أوروبا مع أول ارساليـة مصرية ومن
جهة أخرى كان شديد المراس ابي النفس لا يعرف التمليق ولا
النفاق وقد كنا جميعاً نحبه ونجله كثيراً

وكان المرحوم دقيقا فى أعماله خصوصية كانت أو عمومية
حتى انه كان يدون كل شيء فى أوراقه وقد ترك بعد وفاته
ضمن كتبه وورقه خمسا وخمسين نتيجة زمانية لخمسة وخمسين
عاما وقد تل فى مصر من يعرف تاريخ ميلاده بالضبط كما
يعرف أبناؤه لانه قيد ذلك بخط يده وكان لا يغفل التوقيت
بالساعة مبالغة فى التدقيق

توفى الكثيرون من اخوانه وأقرانه فقام بالنيابة عنهم
فى تربية أبنائهم ومؤاساة عائلاتهم حتى كان يوما من الايام

وكان رحمه الله باشا فى وجه أولاده يؤدبهم برهبة العين وما رأيته فى المدة التى قضيتها تحت ظله الضافى وفى حياته السعيدة مد يده ليضرب أحداً بنائه لانه كان رؤوفا شفيقا أبي النفس ولا يزال بعض الذين يعرفونه على قيد الحياة الى الآن ومنهم صاحب العطوفة المفضال الوزير عبد القادر باشا حلمى وسعادة المهندس البارع عامر بك عبد البر وغيرهما

وكان رحمه الله يجمع فى كل ليلة أولاده حوله بعد تناول العشاء والصلاة ليقص عليهم أحاديث الشهامة والنجدة ويعلمهم الصدق والاخلاص ويدلهم على طريق الفلاح والعمل حتى نجحوا جميعا نجاحاً أرضى الامة المصرية باسرها

وكان تغمده الله برحمته يتفقد أحوال أولاده فى مدارسهم مرة فى كل يومين أو ثلاثة ليقف بنفسه على سيرهم من علم ومواظبة وطاعة وكان يستوصى النظار والمعلمين بهم خيرا

قصدت مرة منزل المرحوم المبرور على باشا مبارك ناظر المعارف المصرية مع أخى المرحوم مصطفى كامل باشا لانه كان كعبة الطلاب فقبلت يده بعد ان قدمنى المغفور له

استمر المرحوم فى خدمة المغفور له والى مصر سعيد باشا الى أن جاء حكم اسماعيل باشا فأحيل على الاستيداع ولكن لم يقم فيه طويلا حتى عين مهندساً ملكيا بنظارة الاشغال وأخيراً أحيل على المعاش فى سنة ١٢٩٨ هجريه

ومن هذا يتضح للقارىء أنه خدم الحكومة ٤٨ سنة كان فيها مثال الهمة والنشاط والذمة حيث قام فى خلالها ببناء الشكنات مع البانين وتشييد محطات السكك الحديدية عند بنائها بالوجه البحرى وقد استدعته الحكومة المصرية فى عهد المغفور له عباس باشا الاول ليفتش على قلاع سواحل البحر الاحمر ويقرر حالتها وقد قدم تقريراً ضافيا عملت الحكومة بمشورته فيه ووكلت اليه أمر الاصلاح بها فتعهدها ولذلك كوفىء بالترقى الى رتبة اليوزباشي الثاني

وقد عنى رحمه الله بتربية أولاده تربية حسنة فكان اذا بلغ الولد الخامسة من عمره دعا أحد الفقهاء الى المنزل لتلقينه مبادىء القراءة والكتابة حتى اذا شب قليلا أرسله الي الكتاب ليحفظ ما يستطيع من القرآن الشريف ثم يدخله المدرسة بعد ذلك

ثم اقترن رحمه الله بالمرحومة والدتنا فى ٧ رمضان سنة ١٢٨٦ هجرية وهى كريمة المرحوم اليوزباشي محمد أفندى فهمي بن أحمد بن يوسف بن محمود بن ابراهيم بن حسام الدين بن هارون بن على بن جمال الدين المدفون الآن فى ضريحه ببلدة ابناس من أعمال مديرية المنوفية بمصر ويقام له مولد سنوى لانه كان قطبا شريفا يتصل نسبه بالبضعة النبوية الشريفة من فرع سيدنا الحسين رضى الله عنه

وأنجبت المرحومة الوالدة كاتب هذه السطور فى يوم الثلاثاء ١٦ شعبان سنة ١٢٨٧ هجرية . ثم المغفور له الفقيد العزيز مصطفى كامل باشا فى يوم الاحد غرة رجب الفرد سنة ١٢٩١ هجرية ثم ثلاثة أولاد لم يعيشوا ابعد ثم ابنة ثم حسن حسنى أفندى كامل ثم ابنة أخرى وهى آخر خلف للمرحوم الوالد

فهو رحمه الله ترك من الابناء سبعة ومن البنات اثنتين كلهم ولدوا فى منزله الذى كان شيده فى سنة ١٢٥٩ هجرية بحارة الميضأة بشارع الصليبة بقسم قيسون (الذى هو قسم الخليفة الآن) ولا يزال هذا البيت ملكا لنا الى الآن

كريمة السيد محمد حجازي الذي كان نجله الأكبر السيد أحمد أفندي حجازى رئيس كتاب ديوان الري بنظارة الاشغال فأنجبت ثلاثة أبناء وهم المرحوم محمد أفندى على الذي كان صيدليا وقد توفى سنة ١٢٢٠ هجرية وهو فى الثامنة والاربعين من عمره . والمرحوم سليمان أفندي علوى الذى بعد ان أتم دراسة الحقوق توظف بالمحاكم المختلطة وقد توفى سنة ١٣٠٥ هجرية وهو فى التاسعة والعشرين من عمره ثم سعادة سيدي وأخى حسين بك واصف (الذى هو الآن مفتش رى مديرية الفيوم) أطال الله عمره

وبعد ان انتقلت والدتهم الى دار النعيم فى سنة ١٢٨٠ هجرية تزوج المرحوم الوالد بكريمة المرحوم عبد الرحمن أفندي خليل المهندس فأنجبت المرحوم عبد الفتاح أفندى فتحي الذى بعد ان تخرج من مدرسة الطب وكان المأمول ان يقطع فى هذه المهنة الشريفة شوطاً بعيداً لشدة ذكائه وتمام استعداده وافته المنية سنة ١٣١٢ هجرية وهو فى السادسة والعشرين من عمره

فحفظ له ماترك أبوه من نقود وأرض وعقار

مكث رحمه الله بهذه المدرسة أربع سنين كان فيها مثال الجد والاستقامة وكان أول أقرانه . ترقى فى سنة ١٢٥٠ ﻫ رتبة الملازم الثاني مهندسا طوبجيا وتعين معيدا فى المدرسة ثم نقل الى بلوكات المهندسين التى كانت تعمل فى اقامة الكبارى وبناء الشكنات . ثم رقى الى رتبة الملازم الاول فى عهد المغفور له والي مصر محمد علي باشا الكبير . والي رتبة اليوزباشى الثاني فى عهد والي مصر عباس باشا الاول حيث عين قومندان أحد بلوكات المهندسين . ولما تولي المغفور له سعيد باشا ولاية مصر رقاه الي رتبة اليوزباشى الاول وعينه ضمن أركان حرب معيته

عرف القاريء أن المرحوم كان قد تخرج من المدرسة وهو فى التاسعة عشرة من عمره فلم تمهله والدته حتى زوجته فى الحال ليكون له خلف يخلفه ولكن لم يرزق أحداً من البنين الا وهو فى الثانية والاربعين من سنى حياته وكانت زوجته سيدة شريفة يتصل نسبها بالبضعة الحسينية وهي

ولكنه لما ترعرع وبلغ العاشرة من عمره وظهرت نجابته أخذه محمد على باشا الكبير مؤسس العائلة الخديوية وأدخله فى من أدخل من أبناء التجار مدرسة طره فى سنة ١٢٤١ هجرية وكان من أقرانه الذين دخلوا معه المدرسة المرحوم المبرور اسماعيل باشا محمد رئيس مجلس شوري القوانين

وحضرت معه الى طره المرحومة والدته وكان قد اشتري لها المرحوم والده بيتاً فيها لا يبعد كثيراً عن المدرسة ليقيم به حتى يتسنى لولدها ان يراها عند مايشاء. وقد أخذ والده وصية لناظر المدرسة «الذي كان يدعي سليم أغا» من علي بك مدير الغربية اذ ذاك ليأذن لابنه بالخروج من المدرسة فى أى وقت أراد

بعد ان انتظم المرحوم الوالد فى سلك المدرسة ظهرت عليه مخائل الفصاحة والذكاء ولاحت عليه سيما التقوى والصلاح اللذين لم ينفك عنهما حتى مماته. فمكث فى المدرسة المذكورة خمس سنين ثم انتقل الى مدرسة الخانكاه وفى تلك الاثناء توفى والده وعين ناظر مدرسته «راسم أغا» وصياً عليه

سيرة والده

هو المرحوم المبرور على أفندى محمد ولد فى غرة رمضان سنة ١٢٣١ هجرية فى بلدة كتامه من أعمال مركز طنطا وهو أحد مراكز مديرية الغربية أكبر مديريات القطر المصري . وتلك البلدة كان يسكنها المرحوم والده السيد محمد ابن على بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد بن يوسف ابن حسن

كان والده يتجر بالغلال وكان جده السيد على هو صاحب الثروة التى كانت بين أيديهم . وقد رزق السيد محمد والد المرحوم ثلاثة أبناء أحدهم صاحب الترجمة والآخران وهما سليمان وحسين توفيا الى رحمة الله وبقي المرحوم وحيداً وكان أصغرهم سنا

فعلمه والده القراءة والكتابة على أحد الفقهاء وحفظ قسما من القرآن الشريف وكان فى عزمه ان يهبه لدراسة الدين الحنيف

العظيم الذى زرع على ضفاف النيل شجرة الحياة المباركة وتعهدها بالسقي حتى قويت وأثمرت فعسى أن تذكى حرارة الدرس فى تلك القلوب الطيبة نار الشجاعة والاقدام فترتفع أصواتكم مجتمعة وتلتقي أعمالكم متوحدة حول ذلك الغرض الذى جاهد فى سبيل الوصول اليه فقيدنا الكريم « مصطفى كامل » ولا يصرفكم عن اقتحام المعترك انتظار أن يبدأ منكم بادىء بل تقدموا جميعا وليكن كل واحد منكم بادئا فى هذا السبيل فربما كانت الفرص أمامكم كثيرة ومجال العمل فسيح على الدوام

ولا يكفى أن يكون هوى « مصطفى كامل » فى القلوب وعلى الألسن بل يجب أن تتخذوا جميعا من سيرته مثالا للجهاد الشريف والعمل الصالح لما يعز الاوطان ويرفع شأنها ويعلي مقامها فليعمل كل منكم فى الدائرة التى تحيط به ولتلتفوا جميعاً حول لواء الوطنية جارين على خطتها عاملين بسنتها فان البلاد التى لا يخدمها أبناؤها لا ينتظر أن يخدمها أحد فى الوجود والله ولي المخلصين محمد فريد



﴿ محمد فريد بك ﴾

﴿ فى الثانية والاربعين من عمره ﴾

(ولد فى رمضان ١٢٨٤هـ يناير ١٨٦٧م)

ما يستطيعون لعلهم اذا اعتبروا فى هذا التاريخ الحفيل بالعظائم وهو تاريخ رجل مصر العظيم تاقت نفوسهم الى التشبه والتمثل مااستطاعا اليهماسبيلا بمن نهض باعباء الآمال ناشط الكاهل وانتصر أيما انتصار على كثرة الصديق المداجى والعدو الخاذل

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل العظيم الذى علم العصاميين كيف يسودون وبين لكبار الرجال كيف يموتون وكيف يحيون . ثم ادرسوا لعل فيكم كثيرين من أهل الاستعداد الفطرى والاستعداد الكسبي للقيام بعظائم الامور متى عرفوا من أى طريق لادراك الغايات والآمال يسيرون

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل العظيم الذى شرع لكم سبيل العمل الصريح الصحيح لعلكم اذا جاوزتم طور التأهب والنظر ظهر منكم أمام العالم أجمع خدام للوطن أوفياء لا يبالون بالصعوبات ولا يحفلون بما يقوم أمامهم من العقبات

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل

الخلافة الاسنى والاخلاص فى التبعيـة لجلالة مولانا أمـير المؤمنين ودفع شرور السلطة المغيرة عن السلطة الشرعيـة فى البلاد ؟ أليس هو الذى دعا منذ زمان طويل الى الجامعـة المصرية والى تقوية الاسـطول الاسـلامى ونصرة مشروع السكة الحجازية الحميدية وحث المصريين على مؤازرة الدولة العلية العثمانية فى مواقفـه المشهورة وكسر بيـديه القويتين أبواب السجن فأطلق أسرى دنشواى بعد أن جاهد ما جاهد فى اسقاط العميد المستقيل عن عرش استبداده وكبريائه وكان له فى مواطن النزاع بين الانكليز والعثمانيين تلك الحمـلات الشديدة والصيحات المسموعة ؟ وكم له فى خدمة الامة المصرية والعالم الاسلامى من صنع مشرق الجمال وأثر ظاهر الجلال؟؟

انه خـير لي أن أترك تفصيل ما حاولت اجمـاله الآن الى حضرة صديقي العزيز المفضال علي بك فهمي كامل شقيق الفقيد فأمامه مجال القول ذو سـعة ليس بعـدها سعة وأريد الآن أن أنبه النابتة الجديدة وهم رجال الغد ودولة الآتي وعماد المستقبل الى الاسـتفادة من هذه السيرة على قـدر

تاريخ مصر القديم والحديث الذي استطاع أن يجاهر بقطع الصلة الذاتية بينه وبين سمو الخديو المعظم بلا ترددولا وجل لما رأى أن مصلحة الامة تقتضى ذلك وكان قدوة حسنة للشعب المصرى فى انشاء المدارس الحرة الوطنية كما كان فى صباه التلميذ الوحيد الذي أنشأ مجلة علمية وألقى خطبة وطنية وكاتب كبار ساسة الانكليز مطالبا انكلترا بالبر بوعودها والوفاء بعهودها فاغتبط فضلاء المصريين من كل الطبقات وأعجبوا به فكانوا يحببون اليه الانتظام فى صفوفهم اعجاباً به واكباراً لقدره وهم يتمنون على الله أن يكون « مصطفى كامل » ذلك الرجل العظيم الذي بعث فى الامة المصرية على رأس هذا القرن ليخرجها من الظلمات الى النور ويوقظ منها نائم العزيمة ويحيي فيها ضعيف الشعور فكان ما تمنوا ورأوا أولا وآخراً من تلك العظمة الممتازة الفارس الحامى الذمار والبطل القسور المدافع عن الاوطان والمطالب بالحقوق

أو ليس هو ذا اليد البيضاء فى الدعوة الى التعلق بعرش

بغيرها عقيما : فهو أول مصري رنّ صدى صوته فى الشرق والغرب وأول مصريّ ثبت على المطالبة بجلاء الاحتلال وأول مصريّ بعث فى المصريين هاديا الى طريق النجاة والحياة وأول مصري رفع رأسه مفاخراً بالانتساب الى الوطن المصرى والدعوة العامة الى الدفاع عن سمعته وكرامته وأول مصرى أقام الأعياد الوطنية والمواسم الاهلية مذكرا ومحذراً وبشيراً ونذيراً . ويطول معنا تكرار قولنا أول من وأول من فلنتجاوز هاتين اللفظتين ونقل انه المصرى الذي قاد فى حداثة سنه الامة جمعاء وفيها الشيب والشبان الى مواقف النضال ومواقع النزال ليذب عن الوطن المصرى وهزّ صوته الرنان وقلمه السيال عروش الامراء وتيجان الملوك وناصب الظالمين المغتصبين العداء بصبر وثبات عظيمين وكشف سيئات حكومة الفرد الواحد أمام العالم المتمدن وأحسن السفارة بين أبناء البلاد وأنصار الحرية فى الامم الراقية وجذب قلوب الجماعات من هؤلاء الكرماء الى نصرة مصر بتأثيره وارشاده بل هو المصري الوحيد فى

عظمة ممتازة وأن ذلك الذى كان واحد الآحاد أعظم عظيم قام تحت سماء هذه البلاد

وكيف لا تكون عظمته كذلك ؟ أليس لها هذا الأثر الخالد فى كل نفس المطبوع على كل قلب الظاهر فى كل مكان المركب فى كل صورة ؟؟

ألا ان نور الشمس لاتحجبه الأكف وجمال الحقيقة الساطع لا يتوارى خلف ستار وتلك العظمة الخالدة آثاراً ومآثر أجل من أن يصورها قلم يضطرب من لوعة الاسى بين أنامل لاتقوى على امساكه فليمهد لنا القراء العذر متفضلين

لاأقول أني فيما كتبت وفيما سأكتب سأقضي واجب التنويه بهذه العظمة الممتازة كبعض مايجب وانما أنا قائل فى القليل من آثارها القليل من القول ليستدل به الناظر فى هذا الكتاب علي الكثير من العمل

اجتمعت فى المغفور له « مصطفى كامل » كل الصفات الواجب أن تتوفر فى ذوات قادة الأمم والا كان السعى

الفاضلة وقامت من المبادىء الشريفة التى هى مرايا القلب الشريف على أمتن أساس

تبيد الدول ويفنى الزمان وتخلف الأجيال الأجيال وتبلى الشؤون شؤون ولكن عظمة « مصطفى كامل » لا تبيد وذكراه لا تفنى وآثاره المنقوشة فى صدور الجيل الحالي ستنتقل بالوراثة الى الجيل الذى يخلفه فلا تبلى وان بلى الجديدان

وماذكرت فيما تقدم أنه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا خفاقا بالآمال الكبيرة والأماني الفخمة وان ذلك القلب الكبير مستقر الفضائل التى من أخصها قوة الارادة وصدق اليقين والاعتماد على النفس والصدق والشجاعة والأمانة والسعى فى الخير مستطاع الجهد والنشاط النادر وسرعة الخاطر مع العلم الصحيح وقوة الخطابة مع الصراحة التامة والافصاح عن المقاصد بلغة صحيحة سهلة مؤثرة الى مئين من أمثال هذه الأوصاف ستر دفى تضاعيف أجزاء هذا الكتاب الا لاستدل بامتياز تلك الروح السامية التى كانت تشع نورا وطهرا علي أن تلك العظمة النادرة المثال الوافية فى الكمال . انما كانت

بفطرته ومازالت مصر مقر العظمة والنبوغ . ونعوذ بالله أن نجحد فضل أسلافنا فهم الذين علموا الاغيار الحياة كيف تكون ومازالوا أحياء فى التاريخ وان تقادمت على وفاتهم السنون

ثم أعد نظراً فى آثار أولئك العظماء تجدها أما قائمة علي ظهر البسيطة وأما قائمة فى بطون الأسفار وأما قائمة على كليهما معا وليس من العسير أن يقيم ملك من أضخم الأبنية دلائل على ضخامة دولتـه فى عهده وأن يأمر أمير بتدوين سيرته فى كتاب بل ليست قيادة الجيوش المدربة على الظفر والانتصار وفتح المعاقل والأمصار بالحديد والنار نهاية مظاهر العظمة بل ان ثمة عظمة أعظم من تلك وأشرف العظم وشرف آثارها الخالدة التى لا يهدمها معول ولا تذهب بذهاب صاحبها علي مر الزمان

ومن هـذا الطراز الأخـير كانت عظمة ذلك الرجل الكبير « مصطفى كامل » التى تألفت مادتها من عناصر الفضائل الكاملة وصيغ معدنها الكريم من جواهر الخلائق

ويطبعون النفوس على غرار حبها طبعاً وهذه سيماهم التى بها يعرفون

والتفاضل فى أفراد الجنس الواحد بديهى لتفاوت الاقدار والمنازل وما شاكل من الاعتبارات . واذا كان الأثر دالا على المؤثر كل الدلالة بل هو مظهر من مظاهره وشكل من أشكاله فان العظمة الحقيقية تقاس وتقدر بما ينبعث عنها من الآثار وما تتجلى فيها من الاشكال والمظاهر ونحن اذا أردنا أن نقضى حق التاريخ وننزل عظمة ذلك الرجل العظيم منزلتها من الصحة منصفين لا مغالين ولا مقصرين وجب علينا أن نرجع فى ذلك الى تلك الآثار لنعرف ان كان قد قام فى وادى النيل بطل من أبطال تاريخه الحديث تماثل عظمته عظمة الفقيد أم أنه كان الواحد فى أولئك الآحاد بجدارة واستحقاق

استعرض سير عظماء الرجال ثم اعتبر فى الظروف التى أحالت بهم فان للظروف علاقة بالناس تجد أن آفاق هذه البلاد قد أظلت كثيرين من عظماء الرجال والمصرى ذكى

على نابتة مصر الذين غنوا بشهود الحقيقة عن تمثيل الخيال . بيد أنهم فى حاجة الى نموذج من العظمة حاضر ينسجون على منواله ومثال من الكمال باق يتحلون بآساله

لا أقول ان تلك العظمة التى أعي وصفها الشاعر والكاتب على السواء جلت عن أن يكون لها شبيه فى من رأينا وانما أقول انها بنزولها فى أخصب منبت فى أسمى نفس من نفوس المعاصرين زكت ونمت فكانت أماراتها أظهر وأبهر . نعم ان صفات الكمال متى تساوت فى درجة الرسوخ تفاوتت فى قدر المنزلة ولكن التوفيق كله فى جمع أشتات تلك الصفات التى لا نجد لها علما تنضوى تحته أشرف من العظمة وهذه قل أن تتضام أجزاؤها فى أكثر أعلام الزمان وان تضامت وتجمعت فلن يكون ذلك الا فى آحاد قلال صافية جواهرهم صادقة بواطنهم وظواهرهم نزيهة مساعيهم وسرائرهم

وهؤلاء الآحاد الذين ينبغ منهم فى أمم الشرق فى كل حين واحد على الغالب هم الذين يكونون الوطنية تكويناً

من القبول والاقبال جزاء ما قدمت من المآثر الخالدة العظيمة التي لا يحصيها عد والاثار الباقية الكريمة التي لا يعدها احصاء لعلم كيف يجازى الاصفياء الأبرون وكيف يكافأ الاوفياء الاكرمون

وتالله لكأني أنظر اليه وقد تمثل فى عليين طيفاً نورانياً. لا كما كنا نبصره من قبل بشرا سويا . ورفعه الله تبارك وتعالى فى حظيرة الرضوان الأعلى الى أريكة لا تظل غير المجاهدين فملأها جلاله وكماله وقد حفت من حول أريكته أرواح الشهداء والفاتحين يتنسمون من روحه الكريمة عبير الكمال. وينظرون الى الجلال تمثل فى نفس والنفس تتمثل فى الجلال .وما كان عطاء ربك محدودا

وحاشا لله أن أتوخى الغلو فيما أقول فتلك سنة الشعراء لا المؤرخين وانما أنا أصف تلك العظمة العظيمة التى امتزجت بتلك النفس السامية الكريمة كما يمتزج الهواء بالعطر وأسأله تعالى أن يهبني قوة التصوير لأستطيع أن أمثل فى هذا الدرس الذى ألقيه عن عظماء الرجال. وأمامى منهم هذا المثال.

يتصور أنه سيقوم من بينهم ذلك القائد الكريم والفاتح العظيم فيقودهم الى مواقف الدفاع ومواطن النضح عن مصر ويكون لهم الصوت المحكي وكل صوت آخر صدى له والمحامى الطلق اللسان القوى الحجة والبيان والعصمة التى يعتصمون بها كلما حدثت المطامع أهلها بسوء أو زين لهم الغرور أنهم باقون فى مصر زمانا طويلا

فكل روح فى مصر سكنت جسما جاء من أبوين مصريين أصليين لا تأبي أن تسيل فناء فى نصرة الوطن المصرى العزيز والجامعة الوطنية المقدسة

فليت شعرى الى أى حد بلغت تلك العظمة التى هى احدى مميزات فقيدنا العزيز ؟؟

بلغت ولا مراء الى الحد الذى قدر للنفوس السامية أن تصل اليه من مراتب العظمة والسمو والكمال. فلم يكن وراء غايتها غاية ولا خلف نهايتها نهاية . ولو كشف الله عن بصيرة ناظر فرأى تلك الروح العظيمة وقد أفرغت عليها حلل الرضوان والجلال ولقيت فى نعيم الجوار مالم يلقه كثير مثلها

بل سل من شئت من أساطين السياسة ودهاة الرجال في العالم عن رأيه في مصر أمس ورأيه فيها اليوم يجبك أنها انتقلت من ظلمة اليأس الى نور الامـل ونفضت عن رأسها غبار الموت واستقبلت بشائر الحياة وودعت ليـل الخمول والجمود لتلقي فجر النباهة والحركة وليس هذا كله الا مظهرا من مظاهر تلك الروح السامية التى بثها ذلك المختـار فى أمته فخلقوا خلقاً جديداً وأصبح المصرى الذى كان ساهياً خافت الصوت ضعيف الامـل مطرق الرأس ساكناً صابراً على اهتضام حقـه وامحاء ماله من الاولوية والشأن الاكبر فى بلاده تحت ظل الاحتـلال يقظاً عالي الصوت عظيم الرجاء رافعاً رأسـه يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الجـلاء وعود مصر الى حالتها الأولى قبل أن تبلى بمصاب الاحتلال وذلك ولا جرم احد آثار الفقيد أو هى آية من بعض آياته التى هى أبقى على الزمن الباقى من الزمن

وهذا هو الواقع المحسوس فان المصرى اليوم غير المصرى أمس . قد كان يجزع من حفيف أثوابه فى رابعة النهار ولا

وصـدورا ملئت بالرجاء فى قرب تحقيق ذلك الوعـد الذى بشر به ذلك الفقيد العظيم ؟؟

جس خلال الاندية ناديا ناديا وطف ماشئت من المجامع مجمعا مجمعا وتفقد المدارس على اختلاف نوعيها وتفاضل درجاتها تجد الناشئة المصرية وقد توزع عليها بعض صفات ذلك الفقيد العظيم فنقلتهم من حال الى حال وعلمتهم أن جلال الوطن فوق كل جلال وأنه انفدى بالأرواح والأموال فأصبحوا بسمو تلك الصفات التى قامت بها نفوسهم يعرفون كيف يحبون الوطن المصرى وكيف يقابلون ذكرى منشئهم بالاجلال والتكريم. ثم طف بعد ذلك على ماشئت من المجتمعات فى أى مكان من أصغر قرية الى اكبر عاصمة تجد أن روح الوطنية المرفرفة حول تلك الصورة المرفوعة من صـدور المجالس فى المكان الأشرف دائما تنفح صدور الناظرين والذاكرين بعبير الوطنية الخالصة التى لم يكن أحد من شمال القطر الى جنوبه ومن شرقه الى غربه يعرف عنها أثراً يؤثر قبل أن تبشر مصر بميلاد ذلك الفقيد وتشهد بعض آثار عمله الشريف المجيد

أضعاف أضعافها ان كان للمزيد فوق ماتقدم من مكان : قبل أن أعرف ذلك الذى جاور ربه كريم الآمال والاخلاق والمواهب ومضى الى رضوانه سامي الهمة والنفس والمراتب حميد المآثر والمزايا والمناقب المغفور له « مصطفى كامل » وما قلت فيه والله على ما أقول شهيد الا بعض ما أعتقد أنه صحيح ليس فيه من غلو ولا ريب

نعم ما كنت قبل أن أعرفه أعتقد أن فى صفوة بنى الانسان من تسمو به فطرته ويؤهله استعداده الطبيعى ومقاصده التى هى من صنع النفوس التى ليس لها طراز الا بين جنوب المصطفين للقيادة العامة الى تلك المرتبة التى هى أرفع وأسمى مافى طوق غير الأنبياء والمرسلين الوصول اليه

ولقد أثمر جهاده الشريف ورأى قبل أن يختاره الله لجواره ثمار هذا السعى المبرور يانعة فى كل مكان. أو ماترى أني التفتّ وجوها لم تنبسط بعد انقباض الأسى المعاود الا وفى أساريرها اشراق الرجاء وعزائم وقفت على خدمة الوطن عملا بارشاد ذلك الفاتح المجاهد بالقلم واللسان لا بالسيف والسنان

ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع وهو أثبت من الاطواد رأياً وقلباً اذا عز النصير وخيف الزيغ وأرهبت القوة بل اني لم أعرف رجلا عظيما كانت الحمية الوطنية تشتعل فى بعض الصدور نارا وفى البعض الآخر نورا اذا أجرى علي القرطاس قلمه الحر الكريم الهوى أو صدع على المنبر داعياً الى الحياة والمجد والاستقلال وقد لطفت شمائله حتى عادت نسيما يكاد ينشر موتى الآمال ويوشك أن يطيل آجال اليائسين وكان شيطان اليأس وخصومه السياسيون الذين أخملهم حيا وميتا يفرون من بين يديه خوفا من قوة حجته وثبات عقيدته وسمو عزيمته وطهارة نفسه وسليقته ولم أكن أعرف أن فى مصر رجلا عظيما صادق الكرم بنفسه ونفيسه ومجهوداته على كل مايرقى شأن الامة المصرية ذائدا بشباة قلمه وأسلة لسانه وخطرات قلبه عن حوض الوطن العزيز المقدس مضحيا أشرف حياة وأكرم عمر فى سبيل الاستقلال — أقول لم أكن أعرف أن رجلا عظيما فى مصر جمع الى هذه المناقب التي يعز أن يجتمع اثنتان منها عند القياصرة والاكاسرة

أن وراء هذا الشأن شأنا أسعد حالا ومآلا وفوق هذه الحال حالا أجل جلالا وأجمل جمالا

واني لا أغالي اذا قلت في وصف تلك العظمة التي رفعت صاحبها وهو غض الشباب الى ما فوق مصاف الشيب من المختارين فى الأمم قديما وحديثاً أني لم أعرف رجلا عظيما أعزته الحمية وسودته النفس وامتلأت روحه السامية الطاهرة بكبار الامال وفخام الأماني وبلغ مالم يبلغ اليه شرقى فى دوائر السياسة العالية فى أوربا من النفوذ والاعتبار وجعل لمصر العزيزة مكانة محترمة ومنزلة رفيعة فى المشارق والمغارب فلا يذكرون هناك الحياة الوطنية الا ذكروه ولا يمجدون كرامة الوطن المصرى الا مجدوه ولم أعرف رجلا عظيما كان اذا أرسل نفسه هادئاً تحركت سواكن القلوب وحييت الامال فى الصدور واذا أرسله عاليا أقام وأقعد ووعد وتوعد حتى بلغ من شأنه أنه كافح الاقدار وواصل فى خدمة أمته بالنزاهة النادرة والصدق المكين والاخلاص الكامل آناء الليل بأطراف النهار فكان علما تستظل بظله الوطنية

المغوار وفى النزال البطل الشجاع الكرار

بل كان كل أثر من آثاره العظيمة فكرا مالئا رأس الوجود وكان ذلك الهيكل النوراني الشريف هيكل المجد الوثاب وكانت تلك النفس العظيمة أشرف نفس استنشقت هواء النيل ولا عجب بعدئذ اذا كان من ألقابه بحق وجدارة أنه باني أركان هذه الحركة الشريفة وموقظ الوطنية فى صدور المصريين ومنشىء الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة

وتلك المزايا التى أحصى النجوم ولا أحصيها هى التى أتاحت له أن يتصرف فى ملك القلوب التى انطبع عليها بطبع صورته فى صميمها أشرف وأقدس المبادىء والفضائل وأرقى الصفات التى يمكن المصطفين فى الامم وهم قلال أن يجمعوا بينها فتظهر بهم ويظهرون بها فى المظهر الأسنى الأسمى

لاريب أن ذلك البطل الخالد أقدر فاتح استطاع أن يفتح أقفال القلوب ليضع فى صميم كل قلب نفسا من أنفاسه الطاهرة وسراً من أسرار الحياة الباهرة فعرف كل مصرى من معاني الوجود ما كان يجهل من قبل وتعلم بالعيان والحس

واستبسالا فى الذود عن كرامة الأمة العزيزة وشرف الوطن الأقدس الأعز بل كان الدساسون والمحتلون يخدمونه من حيث لا يتوقع بما يضعون فى سبيله من العراقيل لأن كل عقبة وضعت أمامه كان يهيء لاجتيازها قوة يفوق طور العقل تصويرها فيدهش المحتلون لتلك النفس التى لا تنى من التربص للعظائم. ولتلك العزيمة التى لا تعدلها العزائم. ولا عجب فما كان فقيد مصر والاسلام والشرق الا جيلا شريفاً ظهر فى نفس وأمة عظيمة تمثلت فى ذات وعالماً قوياً اجتمع فى انسان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

ظهر فى مصر « مصطفى كامل » وشمل المصريين أجزاء ولكل جزء لواء فلم يرعه الأمر ولم يلتو عليه القصد فسعى ماسعى وعمل ماعمل وجاهد ماجاهد حتى تماسك كيان الأمة وتعارفت الوجوه وزال ذلك التناكر ثم اقتحم المجال تقدمه مهابة المحق وحوله نطاق من الأنفس والقلوب فكان قلب الوطن الخافق ولسانه الناطق وعزمه الصادق بل كان فى يد الحق السيف البتار وعلى متون المصاعب الفارس

بها هى الأساس المتينة التى بنى عليها وترك لمن بعده اكمال البناء. ومضى كريم المآثر والهمم والأنباء .متحملافى سبيل ذلك الجهاد العنيف الشريف أصعب وأثقل مايمكن أن تتحمله كواهل الألوف المؤلفة غير شاك من ذلك نصبا ولا تعبا

نهض فى الوقت الذى تحامي فيه كل مصرى أن يناقش المسألة المصرية ولو فيما بينه وبين نفسه لتسلط الرعب على القلوب اذ ذاك فعرض نفسه لمخاطر السياسة ودسائس الافاكين وهو يري جيش الاحتلال ذاهبا آئبا ووراءه والأساطيل الضخمة والجنود المعبأة على شواطىء بريطانيا العظمى فلم يحفل بشىء من هذا ولا اضعف يقينه ولا ثلم حد حميته ما كان يحس به من خطورة أعظم مهمة لا يأخذها على عاتقه الا أعظم عظيم ومن وعورة السبيل الذى يسلكه لرد تلك الغارة الشعواء والقاء مقاليد الحكم بين أيدى المصريين بعد استخلاصها من أيدى الغاصبين السالبين وما كانت تزيده تلك العقبات والمصاعب القائمة فى العمل لتحرير رقبة الأمة من ربقة الاحتلال الا عزة ومضاء وثباتا على اليقين

مستوليا علي ألسن عقدت من الخوف وأقلام أغمدت من الرهبة ومبادىء توارت من الخشية وفى المصريين اذ ذاك كما فيهم الان وفى كل أمة شبيه شأنها بشأننا الماضى رجال كثيرون من ناس جاوزوا طور الكهولة وناس فى طور الشباب وربما كانت وسائل العمل متوفرا بعضها فيهم ولكن الاحتلال الذي رهبوا جانبه واتقوا مغبة الجهر بانتقاد تصرفه والالحاح فى طلب جلائه أقام من سلطانه المغتصب وسطوته الموهومة حاجزا حصينا يحول بين الاصوات ومنافذ الغرف فكان ذلك الفقيد العظيم الذى لا أسميه اجلالا ومن كان طيفه نورا فى الاجفان وآثاره الكريمة خالدة على الزمان فى غنى عن التسمية: أول مصرى استطاع بلا كلفة ولا تهيب أن يرفع صوته العالي مطالبا بالجلاء ويجرد من قلمه حساما ماضى الحدين يثبت به أحقية هذا الطلب العدل ويذيع فى الناس مبادئه الشريفة المنطوية على كل ما يكفل لهذا البلد الأمين عود ماضى مجده وهذه المبادىء التى فطم نفسه عن لذائذ الدنيا ليؤيدها ويشرب القلوب حبها والعمل

أشد جمودا من مزاجه الثقيل ؟؟ فقام يحيي موات الهمم ويعيد الشاعر سيرتها الاولى وهو خير من تمثل قول القائل :

نبنى كما كانت أوائلنا　　تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

ونهض يستجيش العزائم ويستنفر الانفس الحساسة مثابا منصورا

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يوقظ الامة بعد ان طال اغفاؤها واستوى صبحها ومساؤها ويقول لها أيتها الامة الكريمة فى الامم ان لك حقوقا سلبها الغاصب فطالبيه ولا يوئسك المطل فهو سجية الغاصب الى حين

وأخيرا رأوا رجلا عظيما من المصريين وهو فى حركته وسكونه وقعوده وقيامه وغدوه ورواحه يضرب على الاوتار الحساسة من القلوب ويفيض ماجمد من الارادات فى النفوس ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور حتى جند من الميل اليه والانعطاف عليه عسكرا جرارا وقف فى مقدمته يناقش الطامع الغاصب الحساب وكل شيء عنده فى كتاب

رفع صوته وانتضى قلمه وجاهر بمبدئه حين كان الجبن

الذى كان اذ ذاك مستحكم الحلقات رأسا على عقب ويقيم من الامل الذى كان ضئيلا مستضعفا دولة وطيدة الاركان متماسكة البنيان

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يبث فى صدر الامة من عبق العناية الالهية التى تولته فى كل أدوار جهاده الشريف روحا جديدة ويذكى فى نفوسهم عزائم توارت وراء الصبر على المقدور زمانا طويلا ويعلمهم كيف يقاومون ذلك التيار تيار الاحتلال الذى كان يأخذ كل سفينة من سفين الآمال غصبا وكيف يحبون الاوطان الى درجة الفناء فى نصرتها بلا منّ ولا تأخر وكيف أن صاحب الحق منتصر على مغتصبه منه أيا كان المغتصب وأيا كان المطالب

رأوا رجلا عظيما من المصريين أبي أن يرضى لامته ذات السيرة المجيدة فى السير والصفحة المذهبة فى التاريخ الصبر على ذل الاحتلال ولو كان المحتلون من حملة العرش. ويرفض السكون الى ظله ولو أنه مستعار من ظلال أشجار الجنة. فكيف بدوا المحتلون ألد أعداء مصر على وجه البسيطة. وظله

صوتا أول ماهزّ بناء اليأس فتداعي وانقضت حجارته تباعا ثم استمال الي الحياة أبناء وادى النيـل الأعزاء وما جهلتهم ولكن جهلوها ولا نكرتهم بيـد أنهم أنكروها وأغرى بالخلاص من ربقـة الاحتلال هـذا الشعب المحب الوديع الذي بوغت من حيث يدرى ولا يدرى بتلك الداهية الدهماء وما زال ذلك الصوت العالي يرن تحت هذا الافق رنينا متتابعا حتى اخترق الحجب وهتك السجوف واستقر في القلوب لا في الاسماع ثم جاوز منطقة النيل وحملت البرد صـداه الى أنحاء العالم كافة فتسمع دهاة الرجال وأساطين السياسة يريدون أن يعرفوا ماهنالك

فلم يمض الا القليل حتى رأوا ماهالهم . رأوا رجلا عظيما من المصريين بعث فيهم على حين فترة وبعد أن ذهبت الظنون في هذا الوطن العزيز كل مذهب ثم نهض بهمته نهوضاً أذل أعراف العوائق واستدعي الاعجاب والاكبار حـتى من أشد الخصوم السياسيين وطأة علي مصر

رأوا رجـلا عظيما من المصريين قام يقلب دولة اليأس

الاعلى أن نعمته لاتخص أمة معينة فى وقت دون وقت وأن رحمته التى وسعت كل شىء لاتضيق بشعب دون شعب فبعث فى المصريين رجلا عظيما اصطفته عنايته العظيمة من القدم لينفض عن أعطاف هذه الامة الكريمة غبار اليأس ويمسح من عيونهم قذى الاستسلام ويضن بهم على المهانة وذل المقام ويهيب فيهم بصوته الذى يقطر حماسة وبيانه الذى يتدفق غيرة وسحرا : أن جاهدوا أيها المصريون فى سبيل الحرية والحياة فقد جاءكم بكلتيهما البشير

فأفاق المصريون من ذلك السبات العميق ونهضوا مشتبكة أحداقهم ملتفة قلوبهم حول هذا الداعي البشير وتأملوا فاذا مصرى من لب الامة وصميمها نهض بهذه الدعوة المباركة ونور الحق يتلألأ على جبينه كما تلألأ من قبل على جبين الهداة الأبطال ولعنايته تعالى مغدى ومراح حول ذاته الكريمة وله من الحق ظهير ونصير

نهض رضى الله عنه وعلى وجهه سيما الهداية وفى معارفه قبس التوفيق فأرسل من صدره المملوء حكمة وأملا ويقينا

القلوب وانعقدت الالسن حتى عن تبادل الشكوى وخفتت الاصوات حتى لم يكن يكاد يسمع لمصر أنين من بلاء حاضر ولا حنين الى مجد غابر ولمصر فى كتاب الدهر التاريخ الذى يدعوها الى الـكر على الآثار دون الوقوف لتشييعه بالابصار

فلما بلغت الروح الحلقوم وغلب اليأس الامل وأوشك ألا يبـقي فى قوس الرجاء منزع تلفت المصريون يفتقدون النصير ويلتمسون المجير وينذرون للرحمن النذر ان فرج عنهم الـكرب وبعث فيهم رجلا عظيما منهم يقاتل الخصم واليأس فى آن ويقاوم أعاصير الحوادث مهما جرى على خطته الزمان ليكونن وراءه صفا صفا وهم مسرعون الى تلبيـة ندائه كلما نادى مؤمنون على دعائه كلما دعا وللعناية نور فى مرائيها

وفيما هم يودعون الحياة ويصافحون الموت ويوطنون النفس على احتمال المكروه الى النهاية حتى يأتيهم أمر الله وتحق عليهم الـكلمة بما فرط أولئك الذين قاموا بالثورة فأذكوا نارها وشبوا أوارها أوتمن عليهم القادير باجلاء ذلك البلاء حين تشاء أراد تبارك وتعالى أن يعلم الناس وله المثل

ومزاجه الثقيل خصما ينتزع من أيدى أبناء البلاد مالهم فيها من الحيثية والاولوية وسلط عليها جندا آخر من مركزه المريب وسلطانه الموهوم رجاء أن يضربها الضربة الاخيرة فيتوارى الحق ويظهر عليه الباطل وكان ذلك محالا

فكان المصريون يهمسون بالشكوى ويتواصون بالحذر والصبر ولا يستطيعون الجهر بالتألم من سوء ذلك التصرف لانهم فوجئوا مفاجأة بالاحتلال ولم يغن عنهم شيئاً ذلك الاعتقاد الصحيح اعتقاد أنهم أصحاب الشأن فى بلادهم وأنهم أمة مستقلة استقلالا اداريا خاضعة للدولة العثمانية العلية صاحبة السلطة الشرعية على البلاد كما أن العلم بأن ذلك الاستقلال مضمون بالمعاهدات والفرمانات لم يكن ليلطف شيئاً من حزنهم لما جرته تلك الثورة التى كانت بلاء محضا وشرا صرفا على البلاد فضرب اليأس على ضفاف النيل ولم يكن غيره حرا من قبل وكاد ينقطع عرق الرجاء من كل صدر وضعف الامل فى الخلاص من ذلك البلاء المخيم فى طول البلاد وعرضها تحت اسم الاحتلال الانكليزى فتضايقت النفوس ووجلت

من أغرى بالتعاون على انتهاب موارد الرزق ومرافق الحياة التى كان المصريون أحق بها وأهلها وشن على هـذا الوطن العزيز الغارة أثر الغارة تارة فى شكل الصديق الذى يغار وتارات في صورة العدو الذى يجاهر بالعداء وما يكنه أعظم وحارب الذكاء المصرى الفطرى فى دوائر التعليم المصوغ من معدن المآرب السياسية والاهواء الاحتلالية وضيق النطاق على اللغة الاهلية ليقطع بين السلف والخلف تلك الوصلة المكينة والجامعة المتينة جامعة اللغة وضرب على المدارس نطاقا من غلاء الاجور ونقص العلم والاستهانة بالتربية وأخلى منصات المناصب الاميرية والوظائف الرسمية فى حكم البلاد من النوابغ المصريين الذين يستطيعون أن يشرفوا قدر أمتهم ويدلوا على ما للامة المصرية من عظيم الاهلية والاستعداد الباهر لحكم أنفسهم بأنفسهم وأثقل عاتق خزينة الحكومة بما تدفعه من المرتب الباهظ لجيش الاحتلال الذي بدأ مئين مئين وعاد آلافا آلافا ولم يذر وسيلة للنكاية فى الامة الا تذرع بها واتخذ للكيد لها ماشاء الاستبداد والاستئثار وجمع لها من سيطرته الغاشمة

من هذا ترى أن عظماء الرجال أفراد يعدون على الاصابع يوجدهم الله من حين الى حين فى الامم ليأخذوا بيدها ويدفعوا بها الي طريق الحق طريق الحرية والاخاء والمساواة

ولما كانت مصر احدى الأقطار التى وهبها الله مزايا قل أن يجدها الانسان فى قطر آخر من جودة التربة واعتدال الاقليم كان خروج أبنائها منها نادراً لتوفر أسباب الراحة فيها ولذلك حافظ أفراد الامة المصرية العزيزة على وجه الشبه بين بعضهم وبعض كما نزح اليها الكثيرون من كل طرف من أطراف المعمور ليسعوا فى مناكبها ويأكلوا من خيراتها . ولكن هذا التزاحم كان مقصوراً على ميدان العمل خارج هيئة الحكومة فلما نزل الاحتلال بأرضنا باسم نشر ألوية الأمن بعد الثورة العرابية المشؤومة تمادي فى تداخله وأكثر اغاراته وغزواته حتى جار على مصالحها الحيوية وبدل المصرى بكل جنس فى حكومة بلاده وقلد الرئاسة فى كل فج للدم الانكليزى واستعان على سلب حقوقها الطبيعية والشرعية بما هداه اليه دهاء القوة وخبث السياسة من الوسائل والاساليب وأغرى

فرأس مال قائد الشعور هو قوة الخطابة التي لا يختلف اثنان في مضائها ونفوذ مفعولها

وانه اذا كان لتأثير قوة الخطابة هذا المكان الجليل من الأرواح فقوة اللغة لا تقل عنها بل هي مغزاها المنعش وقوامها المتماسك . فخطيب الذي يخدم مبدأ تميل اليه القلوب وتصبو نحوه النفوس اذا كانت لغته عذبة فصحي سهلة الفهم على سامعيه كان له على الافئدة من الفعل ما للشمس في الحياة أو القمر في تبديد الظلمات

كل هذه الفضائل اذا تحلي بها رجل لا يدخل اليأس على فؤاده بل يعتصم بالصبر والثبات ولا يلتفت الي ما يقف في طريقه من تهديد العدو أو نفاق المنافق أو خيانة الخائن استطاع أن يذلل كل صعب ويصل الي بغيته ويؤدي لامته أكبر خدمة

وهذه الفضائل منها ماهو وهبي يهبه الله من يشاء من عباده فلا قدرة لمخلوق أن يبلغه بمحض ارادته . ومنها ماهو كسبي وهو مايستطيع كل امرئ أن يناله بجده واجتهاده

بل ان خطاباواحدا مؤثرا يفعل فى العقول .ما يفعله الغيث فى الحقول . فلهذا على أثر مفعوله تترعرع الاغصان وتزهر وتثمر . وذلك يقوى سيال القلوب الطاهر فيقربها بعضها من بعض ويخرج منها قوة تكون أقرب الى نصرة الحق منها الى الباطل فيظهر الخفى لكل مغرور ضعيف العقل وتضىء معالم الحقيقة كما تضىء الشمس فى كبد السماء

لان اجتماع الآلاف من القوم فى صعيد واحد ليس فى الواقع الا احتشاد قلوب بشرية طاهرة حساسة ساقها اليه حب الوقوف على دقائق القضية المطروحة امامه .ومابالك بقضية هي أم القضايا بل أول وآخر أمنية انسانية لاوجود لمخلوق الا بسببها ولا شرف الا منها ولا حياة الا برنحها وهي قضية الوطن وردحقوقه التي غدر الدهر فسلبها من أبنائه وأفلاذ اكباده ؟؟

فاذن هذا الجمع تسمع بكل تشوف وشغف وعيونه تبصر بسرور وارتياح وقلوبه تجد فى قول الخطيب دواء لجروحها وشفاء من آلامها وتأمينا على شكواها

الحجة على سالب الحق المقدس أن تكون الصراحة على رأسها وأول ما يجب في تأييدها. لان صفات المراوغة والخداع والمكر التي تطلب عدم الصراحة لا تكون من صفات عظيم يدرأ تهمة أو يشرح جريمة شاهد وقوعها العالم بأسره ولها نص صريح بين المتعاقدين . وحكم عدل... بين تضاعيف القوانين . كذلك الذي يدافع عن قضية شعب بأسره اغتال محتله اغتيالا مرافق حياته وحرمه من السيادة في بلده بما حنث فيه من يمين أو نقض من عهد في حاجة الى هذه الصراحة لان خدمة الاوطان ليست الا أحد مظاهرها . واذا كان هذا حالها فكيف اذا لا نعترف بأنها من أكبر صفات عظماء الرجال؟؟

وأما قوة الخطابة فقضلها واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار لأن هذه الهبة الالهية الكبرى التي هي ليست مما يطمع فيه كل واحد عون من أعوان التأثير فى القلوب وغذاء من أقوى أغذية النفوس. فالخطيب القوى بلسانه وبيانه العالى بصوته وبرهانه المحق بحجته. الجريء بقلبه المحبوب بنعوته الفصيح بلغته يبلغ من قلوب سامعيه فى ساعة ما لا يبلغه قلم سيال في أشهر وأعوام

نعم ان سرعة الخاطر هي أس السعادة لمن وهبه الله اياها . ولو اطلع المشتغلون بأية مسألة عمرانية كانت أو مالية أو سياسية على أسرار التوفيق الذى يبعثه الله لمن يختصهم بتوفيقه لسرعة خاطرهم وتصيدهم الفرص فى حينها لعرف أن انتصار الدول على الدول والاسواق على الاسواق ليس الا من هذه الهبة الكبيرة هبة سرعة الخاطر

وأما الصراحة فى القول فهي ألزم للعظيم الذى وقف وقفة الاسد أمام خصمه دفاعا عن حق اغتصب أو ميراث سلب أو أموال نهبت أو ضياع اغتالها مغتال . لأنها أقوى حجة من حجج الحق وأشفى بلسما لكشف سيئات الخصم والافصاح عن سوء طويته وحنثه فى يمينه وقسمه

ورب قائل يقول ان السياسة تقضى بالمداراة وما كل حقيقة يصح أن تقال . نعم ان هذا رأي صحيح من بعض الوجوه ويجب العمل به في بعض الاحوال التى يدبر فيها عمل للانتقام من خصم بحيث لو افتضح ضر ضررا بليغا بما يحدثه من رد الفعل وسوء العقبى . ولكنه من الضروري عند اقامة

تزور المرء ولو مرة واحـدة في العمر فان وجـدته أهلا لها بأن أكرم مثواها واستقبلها استقبال العارف قدرها سكنت بجانبه وكانت طوع يمينه ما دام حيا حتى يمتد ظلها من بعده على أهله ومن اشترك معه في العمل من بنى وطنه . وان لم تجده أهلا لها دخلت من الباب اليوم وخرجت من النافذة غدا

فسرعة الخاطر هي التى تميز في الغالب عمل زيد عن عمرو لان من الناس من تمر أمامـه حادثات لو عرف كيف يستخدمها لأصبح من كبار الاغنياء . ومنهم من يلهمه الله فكرة لو عمـل على تحقيقها ونشرها لعم عبير اسمه الآفاق وتحـدثت الناس به في كل مكان . وتلك الفكرة كاختراع مفيـد أو استكشاف جليل . ومنهـم من يتوقف نصره على عدوه في ميدان الضرب والنضال أو المناقشة والجدال على خاطر صغير يمر بمخيلته فيغنم بتنفيذه أملاكا واسعة لخريطة بلاده فضلا عن صيانة هـذه من تهديد العدو ووقوعها في الخطر عاجلا أو اجلا

حب البلاد الذي سكن فؤاده وانطبع على حواسه يدفعه الى مواصلة العمل لنيل أمنيته . فهو لا يدع عملا لغد ولا يترك فرصة تمر حتى يستفيد منها ليكون مثال الجد في كل حركاته أمام من هم حوله ممن يمدونه في عمله حتى اذا أصابه مرض قوي على احتماله وثابر على الكفاح لئلا يستولى اليأس على قلوب من يستمدون نور روحه فى سبيل خير جهاد اذا غلب سقمه عزيمته

أما سرعة الخاطر والعلم الصحيح فكلاهما مرتبط بالآخر غالبا. والاول هبة يهبها الله من أعده لعظائم الامور والثاني مكتسب لايناله المرء الا اذا كد ليل نهار للحصول عليه وارتشف من منهله العذب فأخذ باللباب دون القشور حتى يهابه الجاهل ولا يستخف به العالم فيتقلص عنه ظل المنقصة ويقرب من الكمال الذي هو شارة العظماء ورداء الكبراء

وسرعة الخاطر هبة اذا وهبها الله امرأ ربح منها ربحا كبيرا لان السعادة ابنة المصادفة وليست هذه الا توفيقا يناله المرء من سرعة الخاطر . فالسعادة بكل معانيها لا بد أن

لها واجبا وأحسنت عملا عادت الى مكانها الاول لتلقي جزاء طيبا من ربها يوم يبعثون

واذا كان السعي في خدمة الوطن من أول وجوه الخير فكذلك يجب على الرجل العظيم أن يكون بارا بأهله وعشيرته مؤلفا بين قلوبهم خاطبا ودجامعتهم . فقلبه الذي امتلأ بالتفاني في اعزاز البلاد وسمو قدر الامة يجب أن يكون شفيقا بالفقراء واليتامى داعيا الأغنياء والموسرين للانفاق في سبيل تعليمهم وتثقيف عقولهم وتذليل مرافق الحياة أمامهم لان الفقراء هم حملة الاغنياء ان أخلوا بهم يوما سقطوا من أعلى نعيمهم الى حضيض الفاقة

وان العظيم مع هذا القلب الرحيم بالمساكين وأبناء السبيل يتحتم عليه أن يكون شديد البطش بالخائنين والمنافقين حتى لا يتسرب فعلهم الى القلوب فيكسرها والشعور الحي فيضعفه

أما النشاط في العمل فهو أول الضروريات للرجل العظيم لأنه يلازم الارادة والاعتماد على النفس ولان وازع

مقيم . فالخيانة شيطان الفساد ولا يكره الله مخلوقاً أكثر مما يكره خائناً خلق من طين وهو يقول أنه خلق من نار

ان الخائن الذى يدعي أنه من عظماء الرجال فى خدمة الاوطان لا يلبث أن ينفضح سره بسلاحه لان خدمة الاوطان تتطلب الامانة ولا يحمل جوف قلبين ولا يعي قلب نقيضين فتبا للخيانة وتعسا للخائنين !

والسعي فى الخير أول نعت من نعوت العظماء الذين يخدمون بلادهم وليس هناك خير أغزر موردا وأعظم قدراً من محبة الوطن. لانه الميدان الذى بذر فيه ذلك العظيم بذره فترعرع فكان شجرة مباركة تهدى الناس أحلى الثمرات ذوقا ويأكلون. وتنشر ظلها الوارف فيها يستظلون . هذه الأرض المقدسة التى لو حللت أجزاؤها لكان له فى كل ذرة منها ميراث كبير هو عظم آبائه وأجداده الأولين

هذه الارض التى لو بكت لابكت الوطنى. ولو ضحكت لأضحكته . فشرها شره وخيرها خيره . فهي أمه وأبوه وبنوه بل هو قطعة منها قامت لتدفع عنها الضر حتى اذا ما أدت

وأرواحهم قبل أن ينزل عليه الوحى فكان نعم الأمين اذ حفظ الأموال فى تجارتهم بل زادت ونمت ورد اليهم أولادهم وأمن على أرواحهم بروحه فكان بشراً سوياً

هذه الصفة التى نعت بها سيد البشر ورسول الخير حبيب الله لم لا نتصف بها جميعاً لتقرب بيننا وبين أسلافنا مسافة الخلف ونكون أحب أمة الى الله ونحن أحق بهذا الحب لان النعم التى وهبنا اياها من جمال السماء ونعيم الارض وعذوبة اللغة وطهارة الدين الذي هو دينه عز وجل تنادي بأنه تعالي فضلنا علي العالمين وانا أمناء فى الارض على أثمن وأنفس خزائنه

ان الذى لا يكون أمينا يكون بالطبع خائنا. وهو وصف سوء يهز الجسم اذا اتصل بالأذن هزا لأن الخيانة أم الغدر وحيلة الشيطان. ولن يهب الشيطان الناس حلالا . فهي تمزق الاعراض وتأكل أموال اليتامي وتبيح الاسرار . واذا كان الامين يحسن الى الناس بامانته مرة فالخائن يسيء اليهم آلاف مرات والوطن فى قبضة يده فان خان سلمه وأصبحت الامم المقبلة بلا ذنب جنته ولا جرم أتته فى ذل دائم وأسر

تكون فيهم لأنها فضيلة كبري . وما بعث الرسول الاليكون ملقن فضائل ومبدد رذائل . وقد وجب أن يتحلي بها كل امريء وخصوصاً العظماء لأنهم منفذو ما بعث الرسول لأجله

بعث الله فينا الرسول بدين الهدى والحق ليهدي الى الرشد . والهم الرجل العظيم ان يتمسك به ويحض الناس عليه والعمل بعظاته وأوامره حتى لاتهضم الامم حقوق الامم ولا يغتال الفرد حياة الفرد قولا وفعلا ويكون عباد الله اخوانا

فالأمانة صفة كلها نور وجلال من اتصف بها كان قلبه نقيا لانه اذا اوئتمن على سر أسراليه فلايفشيه ولا يذيعه واذا اوئتمن على مال حافظ عليه ولم يمسه بسوء واذا اوئتمن على عرض كان عليه حارساً أميناً وجندياًمدافعاًوليس أشرف من رجل يسر الاسرار ويرد الأمانة الى أهلها ويحفظ الانساب بعهد الله فيكون من عباده المتقين

سمي النبي عليه الصلاة والسلام بالأمين لأنه مصدر الامانة المبارك فقد ائتمنه العرب على أموالهم وأولادهم

ويؤذي سيرته . بل الصادق هو خادم أمين من خدام الطبيعة لانه لا يغير معالم ما رأي أو سمع أو عمل سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

هذا قليل من كثير من أمر من يصدق فى عمله وقوله. لان الكذب عار كبير وقد ذكره الله فى كتابه الحكيم مقرونا باللعنة الى يوم الدين. فالكاذب لا يكذب فقط على من حوله من الناس بل يكذب علي الله ونبيه وملائكته ورسله فيبدل القرآن اذا أراد ويختلق الاحاديث اذا شاء ويتخذ من نفسه الها ومن غروره نبياً ومادري أن الكذب من عمل الشيطان وهو مغضوب عليه ومأواه جهنم وبئس المصير

ان الكاذب يكذب أيضاً على الوطن وبنيه وليس بأوقح من رجل حشر نفسه فى زمرة العظماء ليخدم وطناً ويرقى أمة ويكسر قيود أسره وسلاحه الكذب لأن الكذب خيال وخدمة الوطن حقيقة وهما ضدان لا يجتمعان وخصمان لا يتفقان

والامانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله ان

لا يدرى خسار كبير . لان من يضع يده فى المـاء ليس كمن يضع يده فى النار

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

والاعتماد علي النفس دليل الشعور الـكبير وعنوان الفخر الدائم لمن اتصف به لانه يدفع الانسان الى البحث فيقف علي دقائق الأمور وأسرار الـكون ويرشده الى وجوب السـعي فيكون سيد نفسه عزيزا فى قومه لافضل لاحد عليه . وكفى أن يكون الاعتماد علي النفس قوة من قوي الخالق التى ينفخها من روحه فى نفوس عظماء الرجال

والصدق من أجل الصفات لأنه ميزة الأنبياء وخلة الاتقياء ومهابة العظماء وهو مجلبة النجاة ودليل الحق ورسول الحب والتآلف بين عباد الله . فبه تعم الثقة بين الناس وتسهل المعاملة وتقل الجرائم . لان الرجل الصادق يتحاشى ارتـكاب مايشـين خوفا من الاقرار بالحق اذا وقع فى الاثم يوماً . فالصادق فى قوله لايشرب الخمر ولا يلعب الميسر ولا يأتي فاحشة لئلا يسأل من أين أتي وماذا عمل فيهتك سـتر سمعته

وتسكنهم مكانة علياء هي الصفة التي يجب أن تكون أمامنا في كل وقت والتي يجب أن نحتال علي ايجادها لتكون أول نعت من نعوتنا بل وقوام دمائنا حتى نبنى عليها مافاتنا ونعز أبناءنا بوطن عالى الذري سامي المقام

هذه الارادة هي التي لو سكنت جسم فرد لاصبح عدة أجسام . ومهما صادف في طريقه من عقبات ترجعه الى الخلف مرة فان الارادة تدفعه الى الأمام مرات فلا يجد في طريقه صعبا . بل يصبح شجاعا غيورا ومقداما عاملا ويكون مثله كمثل الماء لابد أن يفتح له مع الايام طريقا مهما كانت شدة صخره وقوة مادته

وكذلك الاعتماد علي النفس من أكبر صفات العظيم وهو يلازم الارادة بل هما توأمان . وانه اذا كانت الارادة ماذكرنا فان الاعتماد علي النفس هو أن يضع المرء نموذج عمله بنفسه غير معتمد الا علي عضد الله . وعليه أن يراقب هذا العمل مراقبة الساهر عليه . والا فانه لو فكر وترك الامر لغيره بلا مراقبة منه تواسيه وتتعهد اصلاحه لأصابه من حيث

الحركة وأصبحوا لا يقوي أحدهم على أن يبرح مكانه أو ينقل قدمه حتى يأتيهم مصباح هدي يهديهم الصراط المستقيم

نعم هذا شأن عظماء الرجال الذين وهبهم الله ماذكرنا من الفضائل

لأن الارادة رأس العمل فلا حياة الا بها وقد اتفق العالم الحكيم قديمه وحديثه على أن الارادة هي القدرة . فان أردت قدرت . وليس الغرض من الارادة أن يقلب المرء وجه البسيطة أو يبدل الارض بالسماء بل الارادة فيما يكون من قدرة البشر عمله والقيام به .والدافع الى الارادة الرغبة في العمل والاخلاص في محبة الأوطان . فالذي يشعر ان عليه لبلاده واجبات يتحتم على مروءته وشممه ووفائه بالحقوق أن يقضيها : يري على الدوام في نفسه ميلا لمعاونتها والوقوف في وجه الطامع فيها الهادم كيانها الضارب بين أرجائها بمعول الجهل والدمار

فهذه الارادة الحديدية التي تظهر على محيا عظماء الرجال وتدفعهم الى العمل لسموّ الأوطان فتنزلهم الأمم منزلة شماء

استعبادها واحلالها المكان الاول بين الامم والشعوب الا عدة كالتي يحملها محرر أمته بالسيف واراقة الدماء . لأن كليهما جندي ولكل ميدان عدة. فالبندقية ورصاصها والسيف وحده والرمح وسنانه والمدفع وقنبلته وغيرهامن القوي المدمرة المبيدة للامم ليست فى الحقيقة الا أسلحة فى يد الفارس الفاتح كما أن تلك الفضائل ليست الا معدات أقوي من الاسلحة فى نفس قائد الشعور . لان المعدن بائد والشعور باق. والعرض زائل والجوهر ثابت. وفى الاول ولو أنه أصدق من الثاني فى سرعة الانجاز خطر كبير من خشية رد الفعل . أما الرقى من طريق احياء الشعور فلم يقل أضعف الناس عقلا أنه خطر متى كانت عدة محييه ماذكرناه من الفضائل

وليس عظماء الرجال من طينة تخالف طينة البشر. ولكن روحهم تمتاز عن غيرها نورا وطهرا . وليس مثل روح الرجل العظيم بين أرواح اخوانه الا كمثل مصباح فى وسط قوم يستضيئون بضوئه فيبصرون به ماحولهم من طيب وخبيث فاذا اختفى حلت بينهم الظلمة محل النور والسكون محل

الا بتأثيرها . فمثل النجوم التى تكتسب ضوءها من القمر كمثل قلوب بشرية اجتمعت حول رجل عظيم .

وعلى ذلك وجب أن يكون العظيم حاملا قلباً كبيراً وفؤاداً حساساً ذا شعور عديم المثال حتى يكون ذا سلطان فعال وسطوة نافذة علي مواطنيه . ولما كانت الفضائل هي أساس الوطنية الصحيحة التى علي منوالها تنسج محبة الأوطان كان قلب الرجل العظيم فى أشد الحاجات لأن يتحلي بها حتى لاتنفر منه قلوب مواطنيه اذا حلت الرذيلة محل احداها

وهذه الفضائل كثيرة نذكر منها قوة الارادة . والاعتماد علي النفس .مع الصدق والشجاعةوالامانة.والسعي فى الخير . والنشاط النادر . وسرعة الخاطر.مع العلم الصحيح وقوة الخطابة مع الصراحة التامة . والافصاح بلغة صحيحة سهلة مؤثرة

هذه هي الفضائل التى اذا اجتمعت فى شخص فر اليأس من وجهه ولازمه الثبات ملازمة الظل للشبح وهي ليست لمن يكون قائداً سلمياً فى ميدان العمل لرقى أمته وفك قيود

حساسة تدرك ماهية حب البلاد؛ تضحي كل نفيس في نصرتها فهو في مرتبة أجل وأسمى من مراتب عظماء الرجال وهو الخليق ولا نكران لفضل أولئك أن تسير بعظمته الأمثال

لأن من يعتمد على النار والحديد في تحرير بلاده انما اعتمد على القوة الساحقة بصواعقها المبيدة على ماتستدعي من اراقة دماء بريئة ربما ذهبت دون الوصول الى الاستقلال المحبوب والحرية المنشودة وربما التوى عليه القصد وانعكست النتيجة فكانت جريمة لاتغتفر

أما ذاك الذي يعتمد على القلم واللسان فيملي عليهما ماوهبه الله من علم وبيان يسحر بهما القلوب فيجمعها في قبضته ليصوغ منها أمة حية راقية فهو أعظم مشيد المجد فوق أمتن أساس

وكيف لايكون عظيما من يملك القلوب ؟ وهذه القلوب هي الحياة مجتمعة وقوة البلاد محتشدة بل هي التي اذا هاجت سمعنا لحاملها زئيراً أقوى من زئير الاساد وهي مصدر كل حركة ومركز قيادة الأعمال بل هي باعثة النور للحواس فلا ارادة الا بها ولا عمل الا منها وبالجملة لاحركة تبدو

الاسم ذات شمم واباء وأن الراية المرتسمة على فؤاده والتي اذا أبصرها حن اليها حبا واحتراما والتي يشعر وهي خافقة فوق رأسه أن من نسيجها صيغت الاساطيل ولرمزها خضعت الجيوش: يعتز بالانتساب اليها ويفخر بالوقوف تحت ظلها

أولئك هم عظماء الرجال الذين لو سردنا تاريخهم لضاقت صحف العالم عن أن تسعها

وليس الرجل العظيم هو الذي يفتح المدائن ويحرر الامة ويرفع شأن الوطن بالسيف والرمح فقط. بل أن هنالك رجلا أعظم من كل الرجال وذلك هو الذى يفتح القلوب ويرسم عليها ماشاء من ضروب الوطنية ونغمات محبة الاوطان. ذلك هو الرجل العظيم بالمعنى الصحيح لان الوطنية شعور كبير اذا لم تكن الافئدة متشبعة به كان الاحتيال على ادخاله فيها من أدق الصناعات والوصول الى طبعه عليها مستلزما بذل أقوى المجهودات

فالرجل الذي يستطيع بقلمه ولسانه وما بينهما من همة لاتعرف الملل وعزيمة هي أمضى من السيف: أن يكوّن قلوبا

وليس الرجل العظيم الا من قام بعمل يعجز عنه معاصروه لقوة ثباته وشدة جنانه فهو مجموعة فضائل فى فرد أو نفر مجتمع فى شخص . فأولئك الذين دوخوا الطغاة وفتحوا الأمصار من عرب وعجم . وأولئك الذين وهبهم الله الذكاء وآتاهم من لدنه حكما وعلما . وأولئك الذين خلقوا بين أهل الكهف والرقيم فأيقظوهم من سباتهم وأعادوهم الى الحياة والعمل . وأولئك الذين وقفوا على أسباب الداء ومواضعه من أممهم فقدموا لهم دواء كان رحمة وشفاء . وأولئك الذين دفنوا المنافقين أحياء وشهروا بالخائنين تشهيرا : هم الذين كانوا عظماء وما زالوا كذلك يذكرهم التاريخ الى يوم الدين . لأنهم بعملهم المجيد واخلاصهم الأكيد لبلادهم العزيزة وأممهم المحبوبة قد علموا الاعقاب حب الدفاع عن الحرية واستقلال الاوطان ليشيد هؤلاء الابناء على قمة المجد الخالد صروحا من الاخاء والمساواة لن تغيرها صروف الزمان . ولن تبيدها يد الحدثان . فاذا تحرك أى فرد من أبناء البلاد الى أى مكان . فى أى زمان . شعر أنه يمثل أمة كريمة عالية الرأس عظيمة الجاه مجيدة

عظماء الرجال

درس لرجال الغد

حدثنا التاريخ أن عظماء الرجال الذين بعثهم الله في كل أمة ليرفعوا في العالمين مجد ذكرها. ويقيموا بجهادهم الشريف بناء فخرها. ويهبوها السيادة في ديارها بدفاعهم عنها والذب عن حياضها وهم أولئك الذين خلقوا وبين جنوبهم قلوب لا يرهبها التهديد ولا تعوقها عن خدمة الحق المقدس حق الوطن وبنيه الا وقفة الموت: مصابيح تستضيء الأمم بنورهم بعد الرسل وتهتدي بهديهم وتنسج على منوالهم لأن ماعملوه في حياتهم يصبح عهدا بينهم وبين من يأتي بعدهم

وقد اتخذ رجال النهضة الوطنية والحياة القومية تاريخهم مصباح هدى يسيرون في سناه ونبراسا يضيء لهم طريق العمل والحياة والنجاة



﴿ على بك فهمى كامل ﴾

﴿ في الخامسة والثلاثين من عمره ﴾

(ولد يوم الثلاثاء ١٦ شعبان ١٢٨٩هـ)

فأن امرءاً اجتمعت عليه بوقوع ذلك الخطب العظيم ضروب
الاحن. فقلبه كاد يأكله الشجن. وأعصابه اذا اهتزت دقائقها
بذكرى ذلك الفقيد الأكرم قدمت كان على من . ليس
فى وسعه أن يزف اليك خيراً من هذا . فاعف عنى وأدخلنى
مدخل صدق تحت ظلك الوريف . فأنت أبر من شمل بالرضى
والعطف ابنك الضعيف . شقيق الفقيد

على فهمي كامل

واليك أقدم اليوم سيرة أعماله . لينسج أبناؤك على منواله. وما أنا والحمد لله الا أحدهم . وجندى من صفوفهم . قد علمنى ذلك الذى هزّ نعيه القلوب فسالت بحباتهن العبرات وأطار موته عن المضاجع الجنوب فكادت تمزقها شدة الزفرات . أن الوطن فوق الرؤوس والهامات . وأن حياته تفدى بالأرواح والبنين والبنات . لأنك حى ونحن مائتون. وأنت سيد ونحن خادمون . وليس أحب الى المرء من وطن هو سيد الأوطان. وأمة هي خير أمة أخرجت للناس من قديم الزمان

نعم اليك أقدم سيرة من عطفت عليه واستخلصته لنفسك فكان من المصطفين الأخيار . وتركت له الخيار فاختار الموت فى خدمة الديار . انما أرجو منك رجاء ابن جمّ الأمل فى حلم أبيه . بل ألتمس منك العفو فأنت خير من يسديه . عسى أن تصفح عنى صفح العفو الرؤوف الكريم. اذا لم أكن قد قمت بكل ما علىّ نحوك من واجبي الخدمة والتكريم. أو ظهر لك اليوم ضعف من فكرى وقلمي . أو نقص من بياني وعلمي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين .

*
* *

الى الوطن العزيز :

منك أيها الوطن استمدّ المرحوم « مصطفى كامل » قوة الذود عن حقك المسلوب. وفى حبك الأكيد والاخلاص فى خدمتك ضحي حياته الغالية ذلك البطل المحبوب . بل بين ربوعك نشأ وأزهر وبذر . فرفع ذكراك بما أدهش وبهر.

خلفه أبوان صالحان اليك ينتسبان . وعلماه الدفاع عن حقوق الأوطان . بما وهباه من دم كله صدق وأمل وأيمان. عملا لنصرتك .وتفانيا فى خدمتك

Mustafa Kamil

مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعاً

Mustafa Kamil Basha

سيرته وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل
سياسية
وعمرانية

„ أحرار في بلادنا
كرماء لضيوفنا „
مبدأ الفقيد

الجزء الأول

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الثانية والثلاثين من عمره ﴾

(ولد اول رجب ١٢٩١هـ ١٤ اغسطس)
(١٨٧٤م وتوفي يوم الاثنين ٨ محرم)
(١٣٢٦هـ ١٠ فبراير ١٩٠٨م)